



نشأة علم التاريخ عند العرب

الدكتور عبد العزيز الدوري

إصدارات
مركز زايد للتراث والتاريخ




نشأة علم التاريخ عند العرب

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي
بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف بوزارة الإعلام والثقافة
تحت رقم ا م ف ٣٢/٤ - ٢٠٠٠ - تاريخ ٢٨ /٢ / ٢٠٠٠م



نشأة علم التاريخ عند العرب

الدكتور عبد العزيز الدوري



مركز زايد للتراث والتاريخ



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

الدكتور عبد العزيز الدوري مؤرخ عربي معاصر، نشأ نشأة عربية إسلامية، وأمضى فترة دراسته الجامعية في الغرب، وجعل همه دراسة التاريخ بروح عربية وبمنهج تاريخي حديث.

استخدم العمل الجامعي بمجاله ولايزال، وأمضى جلّ حياته في البحث والتدريس في جامعات عربية وغربية، وفي الكتابة في تاريخ الأمة العربية.

وهو يلاحظ أن التاريخ العربي كتب من ثلاث فئات، من قبل المختصين بالعربية، أو من المشتغلين بالدراسات الإسلامية، أو من قبل المختصين بالتاريخ، ولذا اختلفت أساليب الكتابة، هذا إلى من كتب التاريخ من غير الفئات المذكورة.

وقد كتب بحوثاً للمختصين، وكتب للثقافة العامة لأنه يرى أهمية تقديم التاريخ للمثقفين عامة، وللباحثين والدارسين خاصة.

وهو يرى أهمية دراسة هذا التاريخ وإعادة كتابته، أو كتابته بمنهج علمي حديث وهو مشروع يتطلب جهوداً كبيرة ومتصلة، ولذا عني بالدراسات العليا لأهميتها في إعداد باحثين في هذا المجال.

بدأ الدوري بدراسة فترات من التاريخ العباسي، في الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية، ثم التفت إلى النظم الإسلامية.

وركز في دراساته على حقول رآها هامة ولم تجد العناية، هي التاريخ الاقتصادي العربي/ الإسلامي، وعلم التاريخ عند العرب فمن المتعذر فهم التاريخ إذا أهمل جانب مهم منه وهو الحياة الاقتصادية والإدارة المالية فكتب وتوسع في هذا المجال ووجه بعض طلابه إليه.

ورأى أن تاريخ صدر الإسلام بحاجة إلى دراسة وتحليل، ولكنه واجه صعوبة التعامل مع المصادر بما يتخللها من اتجاهات وميول وأهواء، وهذا، مع اهتمامه بالمنهج، دفعه للعناية لعلم التاريخ أو تاريخ التاريخ عند العرب، ورأى أهمية فحص بدايات الكتابة التاريخية وتطورها في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (فترة التكوين)، وأصدر كتابه الحالي (بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب)، وقد ترجم الكتاب إلى الإنجليزية ونشر في برنستون، مما وضعه في حلقة الدراسات والأبحاث التي نُشرت في الغرب في الموضوع.

لقد أريد بالكتاب عند صدوره، أن يجلب انتباه الباحثين العرب إلى أهمية دراسة المصادر وتقييمها، ولكنه، ومع موجة الشكوك التي يثيرها البعض في الغرب في أصالة مصادر تاريخنا، صار ضرورياً لتأكيد هذا الجانب، وللتنبيه على أهمية التعمق في دراسة المصادر الأولية لتبديد الكثير من الشكوك حولها من جهة، وللتعامل معها بتبصر من جهة أخرى، وهذا يجعل نشر الكتاب الآن أكثر ضرورة من ذي قبل، آملاً بأن يتجه الباحثون إلى هذا الحقل وأن يولوه ما يستحق من عناية.

والله من وراء القصد



تمهيد

يلقى علم التاريخ ونظرياته اهتماماً خاصاً من المؤرخين في السنوات الأخيرة، وذلك لأهميته الكبيرة في البحث التاريخي وفي اتجاهاته. ولم يعد النقاش يقتصر على كون التاريخ علماً أو أدباً، أو بالأحرى حول نسبة التاريخ إلى أحد فرعي المعرفة الأساسيين، بل اتجه الرأي إلى أهمية التاريخ كموضوع حيوي لذاته، له أسسه وطرائق بحثه وأهدافه، وله خطورته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى أطلق بعضهم على العصر الحديث «عصر التاريخ».

وقد تأثر علم التاريخ بالثورات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية الحديثة، وبان ذلك في توسع فروعه، وفي فلسفته واتجاهاته. وكان للأزمة الشاملة التي يمر بها الغرب منذ مطلع هذا القرن أثر بيّن في الدراسات التاريخية. فقد كان ينظر إلى الحضارة الغربية بأنها أوج التطور الحضاري للبشرية، وكان ينظر إلى تاريخ البشر من زاوية غربية، وكأن محور تاريخ العالم هو الغرب، وكأن كل تاريخ آخر ممهد للتاريخ الغربي أو هامش من هوامشه. ولكن الحربين العالميتين، وما رافقهما من تطورات كبرى، أوضحت أن الحضارة الغربية مرحلة من مراحل الحضارة البشرية، وإن هيمنة الغرب التي تجلت في القرن التاسع عشر خاصة ان هي إلا دور تاريخي أوشك أن ينتهي. وتأكد هذا الشعور بظهور قوى جديدة في العالم ،لها وجهاتها الحضارية وانجازاتها، ولها دور

حيوي في مستقبل البشرية. وهذا يصح على أمريكا، وينطبق على نهضة روسيا ودورهما الخطير في التطور العالمي من النواحي الحضارية وغيرها.

ثم ان الحركات القومية والنهضات الوطنية، في آسيا خاصة، وظهور شعوب عريقة على مسرح الأحداث - بعد الحرب العالمية الثانية خاصة - واتخاذها وجهات حضارية لها مميزاتها وأصولها زعزع النظرية الغربية التي تقول إنّ الحضارة الغربية ستسود العالم، وستطمس الحضارات القديمة الراكدة، وأن مصير العالم حضارياً هو إلى التغريب إن عاجلا أو آجلا.

هذه التطورات أدت، مع غيرها إلى إعادة النظر في النظريات التاريخية، وفي مفهوم علم التاريخ. فإذا كان التاريخ ضروريًا لفهم الحاضر، فإن هذه التطورات الكبرى في العالم لا يمكن أن تفهم من دراسة التاريخ الغربي. ثم إن التطورات العامة في النصف الأول لهذا القرن أوضحت أن الحضارة الغربية ليست غاية الطور الحضاري، وأنها ليست الحضارة الوحيدة المؤثرة في العالم. وأوضحت هذه التطورات أن النظرة التاريخية في الغرب لا يمكن أن تبقى موضعية تنظر من زاويتها الغربية، إذا أريد فهم الحاضر بصورة شاملة.

وهناك نظرة أخرى أصيبت بالانتكاس بهذه التطورات، وهي أن فهم الحاضر لا يمكن أن يتحقق بفهم المدة التي تسبقه مباشرة فقط، وأن التدرج التاريخي وحده لا يوضح الثورات الكبرى، حضارية وغيرها، بل قد يكون لمدد سابقة أثرها البليغ في التطورات الحاضرة. وهذا يعني أن دراسة النهضات الكبرى تتطلب الرجوع إلى الأصول الحضارية

والبشرية، فقد يكون للتكوين التاريخي الشامل أثر كبير في هذه التطورات.

كل هذا ولد نظرة جديدة إلى التاريخ. فهي نظرة فيها وجهة عالمية حين تؤكد على أهمية الحضارات، الأخرى مع الحضارة الغربية، وحين تشير إلى اشتباك الحضارات وتبادل التأثير فيما بينها. وهي موضعية حين تؤكد أهمية دراسة تاريخ الأمة من وجهتها الخاصة جنب النظر إلى التطورات العامة. وبهذا تتبين ضرورة كتابة تواريخ بعض البلاد من جديد بصورة تتصل باتجاه الوعي الجديد فيها، وتساعد على فهم نهضتها. وهذا بدوره يضع المسؤولية الأولى في كتابة تاريخ أي شعب على مؤرخيه إن أريد أن يفهم بصورة سليمة.

وهنا نتساءل عن موقفنا في التاريخ العربي بالنسبة لهذه الاتجاهات. فتبين أننا لسنا بعيدين كثيرا عن البداية. فكثير من المؤلفات الحديثة كتبت بأقلام خارجية، غربية أو شرقية، نشأ أصحابها في ثقافات أخرى، وفي بيئات غريبة، ومن المنتظر أن تتأثر مؤلفاتهم بالاتجاهات القائمة في تلك الثقافات والبيئات. ومع أن بعضها خدم الدراسات التاريخية إلا أن بعضها الآخر جاء بآراء أو اتجاهات غريبة قبلناها مبدئياً، ولابد من إعادة نظر جذرية.

ونحن بحاجة ملحة إلى أن نفهم النظريات والاتجاهات الحديثة في علم التاريخ؛ لنستنير بها ولنستفيد منها في بحوثنا التاريخية. وقد لا نستطيع متابعتها، أو تطبيق طريقة البحث التاريخي الغربي بصورة حرفية في دراساتنا، ولكننا نستطيع الاستفادة كثيرا مما نجد من مذاهب

ومناهج تمهيدا لوضع مناهج تاريخية منبعثة من طبيعة الدراسات التاريخية الإسلامية.

ويهمنا بصورة خاصة أن ننتبه إلى «تاريخ التاريخ»، أو تطور الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء تاريخية. ونحن بأمس الحاجة إلى دراسة تاريخ التاريخ وبحثه لدى العرب، وبدونها تتعذر الكتابة التاريخية النقدية. إننا لن نستطيع فحص مصادرنا التاريخية، ونقد رواياتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، ولن نميز الروايات التاريخية من القصص دون دراسة نقدية للمؤرخين، ولتطور علم التاريخ عند العرب. اننا بحاجة لأن نفهم سبب نشأة الكتابة التاريخية عند العرب؛ لنرى دوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين، وآرائهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة، ونظرتهم إلى أهمية التاريخ ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة. ويهمنا أن نرى عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من أثر التيارات السياسية والحزبية، إلى دور القصاص فيها.. إلى أثر الشعوبية، إلى المؤثرات الدينية، وأن نرى أثر التطورات العامة في تطور الكتابة التاريخية. وبدون دراسة هذه النواحي يتعذر علينا أن نفهم قيمة المواد التاريخية المتيسرة لدينا، أو أن ننقد بحوث غيرنا، أو أن نخلص تاريخنا من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر. ولن يجدينا في هذا المجال الاستفادة من مصطلح الحديث في التاريخ، أو الاعتماد على السمعة التي يتمتع بها بعض المؤرخين. فالطبري مثلا من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري، مثل أبي مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن

مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، والزهري، وابن اسحق، والواقدي، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار. الخ. وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب، وفي طريقة الرواية، وكل منهم يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة.

ولنأخذ موضوعاً معيناً كمثل، وليكن السيرة النبوية. وهنا تتمثل أمامنا سيرة ابن اسحق ومغازي الواقدي بوصفهما أقدم المصادر، ثم ابن سعد، والطبري، وقد نرجع إلى مصادر متأخرة مثل ابن سيد الناس (عيون الأثر)، وابن كثير (البداية والنهاية). ولكن هذا الاتجاه، وإن بدا مقبولاً، قد يوقعنا في مزالق خطيرة. فسيرة ابن اسحق (التي هذبها ابن هشام) وهي أقدم سيرة وصلت إلينا، ويوازيها مغازي الواقدي. وعند فحص ابن اسحق نرى أن رواياته وأخباره متباينة في الأهمية، فالعنصر التاريخي المتين يرجع بالدرجة الأولى إلى الزهري وبعض المحدثين، وقسم آخر من أخباره مأخوذ من القصص الشعبي، الذي يغلب عليه عنصر التسلية، أو التقوي، أو الفخر، مع كثير من الشعر الموضوع، وقسم ثالث يرجع إلى الاسرائيليات وإلى قصص وهب بن منبه وأخباره في فترة ما قبل الإسلام خاصة. وعندئذ يتضح التباين في القيمة والأهمية بين هذه العناصر الثلاثة، التي تكون مادة السيرة لدى ابن اسحق. وليس من الممكن في بحث جدي الاكتفاء بذكر أخبار ابن اسحق دون تمييز بين العناصر الثلاثة المذكورة.

ومن ناحية ثانية قد نقول إن ابن سيد الناس أو ابن كثير متأخر، ومعلوماته مأخوذة عن مؤرخين سابقين معروفين، فهي إذاً ثانوية في الأهمية. وقد يصح هذا على كثير من أخبارهما، ولكننا عند التدقيق نجد

كلاً منهما يحوي مادة أولية، ترجع إلى مؤرخين أقدم من ابن اسحق كالزهري، وهي ليست موجودة في سيرة ابن هشام وبهذا نحصل على مادة تاريخية مهمة. وبعد هذا نستطيع، بدراسة المصادر المبكرة التالية، أن نرى تطور نظرة المؤرخين العرب في الكتابة عن السيرة حين نقابل مثلا بين سيرة ابن هشام وعيون الأثر، ونشهد الانتقال من الأخبار التاريخية البسيطة في المصادر المبكرة (مثل عروة بن الزبير والزهري) إلى الأخبار التي تسيطر عليها التقوى والقدسية الدينية، والتي يختلط فيها الشعور الديني والاتجاه نحو المبالغة بالنظرة التاريخية بصورة قوية. وهكذا نستطيع أن نقوم بدراسة تاريخية للسيرة، تستند إلى تقدير لأصولها وإلى نقد تاريخي للروايات عنها.

ولكن دراسة هذا الموضوع عسيرة وقلقة؛ إذ إن المؤلفات التاريخية الأولى لم تصل إلينا كاملة، وليس أمامنا منها إلا مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية. ومعنى هذا أننا بحاجة إلى أن نجمع هذه المقتطفات، وأن نصنفها لأجل أن نحصل على هيكل تقريبي للمؤلفات المذكورة. ومثل هذه المحاولة تعني إعادة تصنيف المواد التاريخية التي وصلت إلينا للقرون الأولى الثلاثة للهجرة خاصة، بارجاعها إلى أصولها، وهو عمل شاق وخطير وبطيء.

وهناك مشكلة ثانية هي أن هذه المقتطفات تنسب عادة إلى أصحابها دون الإشارة إلى الكتاب الذي أخذت عنه، إلا في النادر، وهذا يضعنا في موضع لا يخلو من كثير من الافتراض والتخمين حين نحاول معرفة المصدر. ثم إننا قد لا نحصل بعد هذا الجهد إلا على خطوط عامة، قد تكون مترابطة أو غير مترابطة، بالنسبة للمؤلفات التاريخية.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات، إلا أننا نشعر بأنه لا يمكن دراسة التاريخ العربي دون هذه المحاولة، ودون إعادة تصنيف المادة التاريخية حسب أصولها وإلا اختلط التاريخ بالقصص والأدب، ووضعت الروايات المبكرة والأخبار المتأخرة في صعيد واحد، لا يقره منطق التاريخ أو أسلوب البحث التاريخي.

إن الصفحات التالية تمثل محاولة أولى لدراسة نشأة علم التاريخ عند العرب. وهي مجموعة مخططات تجمعها المدة الزمنية الواقعة بين القرن الأول والقرن الثالث للهجرة، وتجمعها وحدة الموضوع.

وقد تناولت في الرسالة الأولى نشأة علم التاريخ وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وذلك بصورة عامة موجزة، تكاد تكون مجموعة تراجم تظهر الخيوط العامة لتطور الموضوع. وهي خطوة تمهيدية.

وتناولت الرسالة الثانية نشأة مدرسة التاريخ في المدينة، متمثلة في رائدها عروة بن الزبير، وفي مؤسسها الحقيقي الزهري. وهي تساعد على فهم أصول السيرة النبوية.

وتناولت الرسالة الثالثة وهب بن منبه بصفته قاصاً واخبارياً تغلب عليه القصص، ويبدو أثره في الاسرائيليات وفي قصص ما قبل الإسلام، كما انه يمثل الوجهة القصصية اليمانية، لأبيّن انه لم يكن له أثر جدي في كتابة السيرة كما ظن بعض المستشرقين، وإن دراسة السيرة كانت من قبل مؤرخين من أهل الحديث، ولم تأت عن طريق القصاص، وإن تخلل عنصر القصص إلى السيرة فإن ذلك جاء فيما بعد، وكان موضع نقد المؤرخين.

وتناولت الرسالة الرابعة نشأة مدرسة التاريخ في العراق (الكوفة والبصرة)، وهي المدرسة الأخرى للتاريخ عند العرب. وهذه مدرسة نشأت مستقلة، ومن جذور تختلف عن جذور مدرسة المدينة، وهي مدرسة ظهرت بتأثير ظروف وأوضاع ودوافع متميزة ومتصلة بالاتجاهات القبلية في إطارها الإسلامي الجديد. وأرى أن نشأة علم التاريخ عند العرب تتصل بهاتين المدرستين المدنية والعراقية.

وعرضت في الرسالة الخامسة الدوافع التي أدت إلى نشأة علم التاريخ عند العرب، وإلى الآراء والأفكار التاريخية التي أرادوا التعبير عنها وضمنوها مؤلفاتهم.

وبعد، فإننا نمر بمرحلة تحرر شاملة، ونرجو أن يكون للدراسات التاريخية دورها وأثرها في هذه المرحلة المباركة.

عبد العزيز الدوري

نشأة التاريخ عند العرب

وتطوره خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة

١- يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام. وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماماً خاصاً. ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الامبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها، كل هذه حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام.

لقد كان في الجزيرة العربية في الدور الجاهلي مجتمعات بدوية وأخرى مستقرة، ومع أن المعلومات المتوافرة لدينا ضئيلة، وعلى العموم متأخرة، إلا أننا سنستعرضها بإيجاز تمهيداً للبحث.

ففي جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال المدة ١٢٠٠ق.م. و٥٢٧م. وقد سارت هذه الممالك في تطورها في اتجاهات متماثلة، فهي تبدأ بثيوقراطية يحكمها أمير كاهن أو «مكرّب»، يمارس السلطتين الدينية والزمنية، ثم تتدرج إلى ملكية دنيوية تسود فيها بعض الأسر من المحاربين والملاكين (١) . وقد خلفت هذه الممالك - حسب معلوماتنا الآن - كتابات تتراويح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد

(١) J. Ryckmans, L'institution monarchique a L' Arabie Meriondale, p. 25 off.

والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات الفعاليات المختلفة، مثل أعمال البر والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع الري، وإنشاء الأسوار والتحصينات، والحملات العسكرية (١) . ومع أن بعض هذه الكتابات دينية في طبيعتها، إلا أن بعضها الآخر في الأساس تسجيل للفعاليات البشرية، وتخليد للأعمال الهامة (٢) . ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتأريخ الحوادث، إلا أن تقويماً ثابتاً أدخل فيما بعد يبدأ بسنة ١١٥ق.م، مما أدى إلى نظام ثابت للتأريخ (٣) . وهذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية. إضافة إلى ذلك يشير الهمداني إلى وثائق ملكية وسجلات حميرية، حفظت واستفيد منها فيما بعد (٤) ، وإلى «زبر» أو وثائق وسجلات للأنساب، حفظتها بعض العوائل والبطون (٥) .

(١) Repertore d'epigraphie semetique (R. E. S.), No S 2706, 2689, 2695, 2975, 2999, 3021, 3391, 3943.

(٢) J. Ryckmans, opt. cit. p. 71- 2p. 77; R. E. S. No S 3858, 3943; Corpus Inscriptionum Senetiorum (C. I. H) No. 62; Museon XLV, 1932, p. 294- 5; Sidney Smith, in B. S. O. S. 1955 p. 31.

(٣) J. Ryckmans, opt. cit. p. 282.

(٤) يقول الهمداني في تعريفه بعالم يماني إنه « وارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها»، وأنه «قرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية». الاكليل قسم من ج ١ نشره Lofgren (لوفكرن) في ابسالا ١٩٥٤م ص ٥. ويذكر ان انساب ولد الهميسع «كانت مزبرة في خزائن حمير، وكذلك انساب الملوك من ولد عمرو بن همدان». الاكليل ج ١٠ ص ٣٠.

(٥) يقول الهمداني عن نسب اللعويين: «وهذه نسبة اللعويين مقيدة الأصول.. اخذتها عنهم رواية عن زبور قديم بخط احمد بن موسى». الاكليل ١٠ ص ١١١. ويقول في مكان آخر: إنه أخذ نسب بني لعوة : «نقلا عنهم في أيامهم ببلدة (ريدة)، وعن الزبر التي في أيديهم، وقابل ذلك بما يرويه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره من النساب». الاكليل ج ١٠ ص ١١٩- ١٢٠، ويقول: «والمروانيون باليمن.. يعملون على ما قيده اباؤهم من نسبهم وحفظوه كابراً عن كابر». الاكليل ج ١٠ ص ٣٠- ٣١.

إلا أن الروايات اليمانية الموجودة في المصادر الأولى بمجموعها ذات طابع اسطوري، بل إننا نجد حوادث القرن السادس الميلادي، وهي قريبة نسبياً، مرتبكة (١) . فبدلاً من أن تصل إلينا روايات متينة نجد الرواة مثل وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) وعبيد بن شرية يوردون قصة خيالية شعرية لتاريخ اليمن، هي مزيج من القصص الشعبي والاسرائيليات، وحاولوا بذلك تمجيد عرب اليمن بأن نسبوا إليهم أمجاداً في الحرب والصنعة واللغة والأدب، وحتى في الدين؛ ليدللوا على أنهم سبقوا عرب الشمال في أمجادهم، أو أنهم لا يقلون عنهم في ذلك (٢) . وقد أورد هؤلاء أخبارهم بأسلوب يشبه أسلوب قصص «أيام العرب» مع نسبة أوفى من الشعر الموضوع لتقوية تأثير القصة. وهذه ظاهرة تجلب الانتباه، ويبدو أن أسبابها تتصل بظروف العرب في صدر الإسلام. فقد كان للظروف السياسية وللعوامل الجغرافية أثرها؛ إذ إن العصبية والتنافس بين عرب الشمال (مضر) وعرب الجنوب (يمن) كانت مسؤولة بالدرجة الأولى عن مثل هذه الأخبار، ولعلها أدت إلى بعض التعصب عند نسابي عرب الشمال (٣) . وقد تكون المسافات البعيدة سبباً أعاق علماء الشمال من زيارة اليمن والحصول على معلومات مباشرة

(١) ينتقد الهمداني في مطلع الاكليل الروايات التاريخية عن اليمن، ويقول: «فوجدت اكثر الناس يخبط خبط عشواء ويعمه في حندس طخياء»، ويرى في قلة التدقيق في علم الأخبار ما يساعد على هذا الارتباك. الاكليل ج ١٠ ص ٤.

(٢) كتاب التيجان في ملوك حمير واليمن، نشره ف كرنكو ص ٣٥، ٨٦- ٧، ١١٠، ٤٧- ٨، ٥٢- ٣، ٧٤، ١٦٢.

(٣) يرى الهمداني في عصبية نساب العراق والشام عاملاً في ارباك سلسلة اليمانيين فيقول: «وكذلك سبيل نساب العراق والشام يقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير؛ ليضاهوا بها عدة الآباء من ولد اسماعيل» المصدر نفسه.

عنها (١) . ثم ان هؤلاء الرواة الأولين هم أقرب إلى القصاص منهم إلى المؤرخين. وهكذا وصلت إلينا روايات ضئيلة القيمة خالية من الفكرة التاريخية. ومن ناحية أخرى يحتمل أن يكون لفكرة التاريخ الثابت (التقويم) لدى اليمانيين أثر في احداث تاريخ ثابت (التاريخ الهجري) لدى المسلمين (٢) .

أما في شمال الجزيرة، فقد كان لدى المناذرة «كتب» تحوي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرائهم، وكانت هذه محفوظة في كنائس الحيرة. كما أنهم كانوا يعرفون الكثير من الأخبار الفارسية (٣) . وقد استفاد بعض المؤرخين فيما بعد من هذه الكتب والأخبار في تآليفهم. ولكننا لا نجد ما يشير إلى أن عرب الحيرة كانت لديهم فكرة تاريخية واضحة.

وكانت لدى عرب الشمال روايات شفوية من قصص عن آلهتهم وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم. ويدور جل تلك الروايات حول غزواتهم ومعاركهم (الأيام)، وحول أنسابهم، وهي تتصل بالتنظيم الاجتماعي وبالآراء والمثل الاجتماعية، وفي طليعتها المروءة، أو مجموعة الفضائل البدوية، وفكرة النسب، أو شرف الأصل، وفكرة الحسب، أو نبل الأعمال والمآثر. إذ يلزم الأفراد أن يعرفوا آباءهم والمآثر التي قاموا بها. كما أن «الأيام» تجد عناية خاصة في المجتمع القبلي.

(١) الهمداني، الاكليل ج ١٠ ص ٣٠ ويقول عن اخباريي الشمال: «قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن». الاكليل ج ١ ص٤.

(٢) السيوطي – الشماريخ في علم التاريخ، نشره سيبولد ص ٩.

(٣) الطبري – تاريخ الرسل والملوك ج ٢ (المطبعة الحسينية، القاهرة) ص ١٢٧؛ حاجي خليفة – كشف الظنون (ط. اسطنبول) ج ١ ص ٣٥؛ ابن هشام – السيرة (ط. القاهرة) ج ١ ص ٣٢١.

وهكذا كان لدى القبائل قصص وأخبار عن أعمالها. وكانت الروايات القبلية هذه تتداول شفهياً وبصورة نثرية، ولكن الشعر يلعب دوراً أساسياً في الرواية الشفهية، يتخلل القصة، أو يرد في نهايتها حسب دور الشاعر، إذا شارك في الحوادث أو لم يشارك. وهذا الشعر لا يسير بالقصة، ولكنه يعطيها حيوية وتأثيرا. وبمرور الزمن أصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة. يقول ابن فارس: «الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر ومنه تعلمت اللغة...» (١) وقد نشأت قصص «الأيام» في المجالس القبلية المسائية.

وكانت قصص «الأيام» مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبلية، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حين جمعت هذه الروايات وصنفت. ولكننا يلزمنا أن نلاحظ أن مدة صدر الإسلام، بتياراتها السياسية والاجتماعية، أثرت أثرها في أدب «الأيام». كما أن روايات «الأيام» مرتبكة من ناحية التوقيت، وهي على العموم لا تخلو من عصبية، وتمثل جانباً واحداً. ثم إنها ينقصها التآلف والسبك، وليست فيها فكرة تاريخية. ومع ذلك فإنها تحوي بعض الحقائق التاريخية. وأهميتها الأساسية في أنها استمرت في صدر الإسلام، وقد أثر أسلوبها على بداية علم التاريخ في العراق خاصة.

صارت «الأيام» جزءاً من الأخبار التاريخية، كما أن ورود الشعر فيها جعلها موضع اهتمام اللغويين والنسابين والمؤرخين (مثل أبي عبيدة، وابن قتيبة، والمدائني والأصفهاني وابن عبدربه). وقد حاول ابن الأثير أن

---

(١) التبريزي – شرح الحماسة، القاهرة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م ج ١ ص ٣؛ المزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٧٠.

يورد أخبار الأيام في تسلسل تاريخي. ويرى حاجي خليفة أن تكون «الأيام» فرعاً من التاريخ؛ إذ يقول: «علم أيام العرب وهو علم يبحث فيه عن الوقائع العظيمة والأهوال الشديدة بين قبائل العرب.. والعلم المذكور ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ» (١) .

إن أهمية روايات «الأيام» تكمن في استمرارها في صدر الإسلام وفي أسلوبها. فأسلوب قصص الأيام مباشر يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر بالشعر. وهذا الأسلوب له أثره في بداية علم التاريخ عند العرب وفي الأوساط القبلية خاصة.

تتسم الحياة القبلية بالمحافظة على التقاليد، وليس لديها إلا فكرة مشوشة محدودة عن الوقت. فالزمن لديها منقط بحوادث كبرى، تتخذ عادة بدايات للتاريخ أو التوقيت، وحين تأتي حادثة مهمة يهمل ما قبلها ويؤرخ بها. وكانت القبائل في بعض الأوقات والأماكن، مثل الحيرة ومكة، على صلة بثقافات أخرى، إلا أن اهتمامها اقتصر على شؤونها الخاصة، وليس لدينا ما يشير إلى وجود مؤثرات أجنبية.

ولم تترك المدة الجاهلية أدباً مكتوباً، فهي مدة ثقافية شفوية. ومع أن تراثها على العموم أدى إلى استمرار الاهتمام بالأيام والأنساب، وإلى بقاء أسلوب في الرواية، وهو الأسلوب القصصي شبه التاريخي، إلا أنه يخلو من أي نظرة تاريخية.

٢- وبظهور الإسلام، بدأت نظرات جديدة. فقد جاء القرآن بنظرة

---

(١) حاجي خليفة، كشف ج ١ ص ٢٠٤. عن الأيام انظر W. Caskell, Islamica III pp. 1-99 ؛ أحمد الشايب - تاريخ النقائض؛ E. I. I. p. 218- 9 ؛ ابن الأثير (بولاق) ج ١ ص ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٥ وبعدها.

جدية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها.

وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ، تتمثل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشر بها أنبياء عديدون، وكان الرسول الأعظم خاتم الأنبياء والمرسلين. وكان لهذه النظرة أثرها في الالتفات إلى تاريخ الأنبياء وإلى الاسرائيليات. إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على المدد التي سبقت ظهور الإسلام، أما بعد ذلك فإن الاهتمام انصب على تاريخ الإسلام. فالمسلمون خلفوا الأمم السابقة التي ظهرت فيها نبوات، وأعمالهم وشؤونهم تستحق عناية خاصة. وقد أكد هذه النظرة الحديث المشهور (لا تجتمع أمتي على ضلال)، وهو حديث هام في تقرير الاجماع.

ثم ان القرآن نص على أن أقوال الرسول موصى بها، وأن سيرته مثل للمسلمين يقتدون به. وهنا نجد دافعاً مباشراً لدراسة أقوال الرسول وأفعاله.

وقد شعر العرب في الإسلام بأنهم أصحاب رسالة جليلة، وأنهم يمرون بمرحلة هامة، كما أن الفتوحات الكبرى جعلتهم يحسون بأنهم لهم دور تاريخي خطير، وهذا كان له أثر قوي في الدراسات التاريخية.

ووضع عمر بن الخطاب تقويماً ثابتاً هو التاريخ الهجري، فأصبح عنصراً حيوياً في نشأة الفكرة التاريخية. ومنذ ذلك الوقت أصبح توقيت الحوادث (أو تأريخها) العمود الفقري للدراسات التاريخية. وقام عمر

ابن الخطاب بتأسيس الديوان، أو سجل المحاربين وأهليهم حسب قبائلهم، وهذا أعطى الأنساب أهمية جديدة، وكان حافزاً إضافياً للاهتمام بدراسة الأنساب.

وهكذا، فإننا حين نتذكر هذه الآراء والمواد التي ذكرت أعلاه، وإن استعرضنا نشأة الدراسات التاريخية نلاحظ أن بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين - الاتجاه الإسلامي، أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث، والاتجاه القبلي، أو اتجاه «الأيام». وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام، التيار القبلي الذي يمثل استمرار التراث القبلي، والتيار الإسلامي الذي يتمثل في المبادىء والفعاليات الإسلامية. وكان كل من الاتجاهين غالباً في مركز ثقافي، الاتجاه الإسلامي في المدينة، دار سنة الرسول، والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة، المصرين الجديدين اللذين كانا مركزين فعالين للقبلية. وقد كانت المدن الثلاثة المذكورة مراكز النشاط الثقافي في صدر الإسلام. وصار لكل اتجاه مدرسة تاريخية، وحصل تأثير متبادل بين المدرستين التاريخيتين، ثم بان تفوق الاتجاه الإسلامي أخيراً حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية كما سنرى فيما بعد.

٣- كان الاهتمام بأقوال الرسول وأفعاله؛ للاهتداء بها، أو للاعتماد عليها في التشريع، وفي التنظيم الإداري، وفي شؤون الحياة، ضرورة مباشرة وطبيعية لدى أهل العلم. كما أن مغازيه وغزوات أصحابه كانت مصدر اهتمام واعتزاز لدى المسلمين، وكانت موضوعات محببة في مجالس السمر. وكانت المشاركة في مغازي الرسول وفعالياته الأخرى

عاملاً في رفع المنزلة الاجتماعية، وعنصراً في تحديد العطاء في الديوان، مما قوى الاهتمام بها. وسرعان ما صار الصحابة أنفسهم قدوة لمن بعدهم في أقوالهم وأعمالهم، فصارت هذه مشمولة بالحديث (١) .

وأخيراً اتسع الاهتمام، خلال القرن الأول الهجري؛ ليشمل فعاليات الأمة بكاملها. وقد ظهرت هذه النواحي المختلفة في الدراسات التاريخية.

بدأت دراسة «مغازي» الرسول في المدينة ضمن دراسة الحديث. ومع أن المحدثين استمروا على اهتمامهم بالمغازي، إلا أن بعضهم أخذ يعنى بدراسة حياة الرسول بشكل يتعدى الاقتصار على نواحي التشريع. وكان رواد دراسة «المغازي» محدثين، كما أن النظرة التي نظر بها العلماء إلى مؤلفي «المغازي» تؤيد هذا الرأي. وهذا يفسر أهمية «الإسناد» - أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي، ويعني ذلك ربط قيمة الحديث أو الرواية بمنزلة المحدثين أو الرواة. وهذا الاتجاه ولد في مدة مبكرة نظرة نقادة إلى الرواة، أو مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحري في جمع الروايات، وكون أساساً متيناً للدراسة التاريخية. ومن ناحية أخرى تنوقلت الأخبار والقصص عن «المغازي» وتوسع فيها القصاص، وجعلوها أدباً شعبياً. ومع أن بعض هذه الأخبار والقصص وجد طريقه إلى بعض كتب السيرة فيما بعد، إلا أن النظرة إلى الروايات وطرق نقدها بقيت في الأساس تسير على طريقة أهل الحديث.

وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم «المغازي»، وتعني لغوياً غزوات الرسول وحروبه، ولكنها تناولت في الحقيقة عصر الرسالة

(١) See Schacht, Origins of Muhammadan Turisprudence. p. 3 off.

بكامله. وقد قام بها بعض أبناء الصحابة البارزين (١) . ولنلق الآن نظرة عليهم.

نبدأ بأبان بن عثمان بن عفان (ت بين تراجع في الأعلام ٩٥ - ١٠٥هـ / ٧١٣ -٧٢٣م) فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي. ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه، إلا أنها توصف بأنها من الحديث (٢)، وإذا استثنينا إشارة إليه في اليعقوبي (٣) فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث. ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي.

ويبدو أن عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ /٧١٢م)، وهو فقيه ومحدث مشهور، كان مؤسس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألف كتاباً في «المغازي»، وكذلك فعل ابان بن عثمان (٤) .

وقد وصل إلينا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين، كالطبري، وابن اسحق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل إلينا من تاريخ المغازي. وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول، كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول، ولم يدخل عروة في رواياته في تفاصيل القتال في المغازي. وقد كتب عروة بعض رواياته في حين أن

---

(١) Sce. J. HOROVITZ, Early Biographies of the prophet and their authors, Islamic culture, I P. 535-9, II p. 22-50, p. 164 -182.

وقد ترجمها الدكتور حسين نصار تحت عنوان «المغازي الأول ومؤلفوها». القاهرة ١٩٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ (ليدن).

(٣) اليعقوبي - التاريخ (نشره هو تسما) ج ١ ص ٣.

(٤) حاجي خليفة - كشف ج ٢ ص ١٧٤٧؛ السخاوي - الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٩٩ ، وانظر الزبير بن بكار - الأخبار الموفقيات ص ٣٣٢.

بعض كتاباته التاريخية أجوبة مكتوبة عن أسئلة وجهت إليه من البلاط الأموي(١) . وقد استعمل عروة «الاسناد» بشكل يعكس نظرة عصره. ويبدو أنه اعتمد على الأحاديث في أجوبته المكتوبة، ولكنه قدم رواية (أو قصة) متسلسلة دون ذكر الإسناد. وهو في رواياته عن الحوادث المهمة، مثل بدء الوحي والهجرة يعطي إسناده. وقد كانت النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد.

واسلوب عروة في التأليف بسيط، بعيد عن الانشاء، في حين أن نظرته واقعية وصريحة وخالية من المبالغات. وقد مكنته منزلته الاجتماعية من الحصول على معلومات تاريخية من مصادرها الأولية وبخاصة من عائشة ومن آل الزبير، أسرته، وقد حصل على بعض الوثائق، كما انه أشار إلى آيات قرآنية تتصل بالحوادث (٢) . ومع انه يورد الشعر في بعض الأحيان (٣) إلا أن هذا ليس نتيجة لأثر أسلوب الأيام، بل إنه يعكس حبه للشعر ودور الشعر في الثقافة.

وامتد اهتمام عروة بالتاريخ إلى عصر الخلفاء الراشدين - فتناول مثلا الردة، ومعركتي القادسية واليرموك (٤) . وهكذا نجد الاهتمام مبكرا بأحداث الأمة.

ولكن الروايات التي وصلت إلينا عن عروة قليلة مبعثرة، ولا تمكننا من

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٣٣؛ الطبري (نسر دي خويه) ج ١ ص ١١٨٠، ١٢٨٤، ١٦٣٤.

(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان (ليدن) ص ٧٩؛ ابن هشام - السيرة ص ٧٥٤ (ن. وستنفلد)؛ الطبري ج ١ ص ١١٨٠ - ١، ١٢٨٨.

(٣) الطبري ج ١ ص ٢٣٤٨.

(٤) الطبري ج ١ ص ١١٨٥، ١١٩٩، ١٢٤٢.

الحصول على فكرة واضحة عن مغازيه، أو عن الهيكل الذي انتظمت فيه رواياته إن وجد.

ولنلاحظ هنا اننا إذا أردنا أن نتفهم تطور الكتابة التاريخية يلزمنا أن نلاحظ أن الدراسات، حتى في المغازي، كانت أعمالا جماعية، وان فعاليات الأفراد تكون جزءاً من مدرسة. فكان كل واحد من حملة العلم يضيف دراسات وبحوثه إلى دراسات أساتذته، وبذلك يحفظ علم المدرسة التي ينتمي إليها، ويضيف ما وصل إليه.

ومن معاصري عروة شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م). وهو بدوره يعكس تطور النظرة الاجتماعية، حين يقدم قوائم بأسماء الصحابة الذين شاركوا في الأحداث الكبرى، مثل البدريين، والذين اشتركوا في معركة أُحد، وجماعة المهاجرين إلى الحبشة، والمهاجرين إلى المدينة، لما للمشاركة فيها من قيمة اجتماعية متزايدة.

وفي الجيل التالي، قام ثلاثة من العلماء بتنمية دراسة «المغازي» وتوسيعها، وهم عبدالله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠ - ١٣٥هـ/ ٧٤٧-٧٥٢م)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري. وليس أمامنا إلا مقتطفات من مؤلفاتهم التي حددت اطار «المغازي»، وهيأت جل المواد التي اعتمد عليها ابن اسحق والواقدي بعده.

والزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م) (١) . وهو المؤرخ الأول بين الثلاثة المذكورين. إذ إنه لم يقتصر على رواية «مغازي» عروة بن

(١) لقد كتبت بحثاً خاصاً عن الزهري، ولذا حذفت ذكر المراجع هنا، ويمكن الرجوع إليه في فصل تالٍ.

الزبير (١)، بل قام ببحث واسع عن روايات المدينة وأحاديثها، وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته. وقد محص تلك الروايات ووضعها في إطار متين واضح. ودراسة رواياته التي وصلت إلينا تجعلنا نميل إلى أنه كان أول من أعطى «السيرة» - وهو التعبير الذي استعمله - هيكلاً محدوداً، ورسم خطوطها بوضوح. وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن زمن ما قبل الإسلام، التي تتصل بحياة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم -. ثم يتناول النواحي الهامة من المدة المكية من حياة الرسول، ثم الهجرة إلى المدينة، ويتناول المغازي وفتح مكة، وبعض السفارات التي أرسلها الرسول، والوفود التي قدمت عليه، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول، ثم مرضه وانتقاله من هذه الحياة. وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة، وأعطى تواريخ الحوادث المهمة.

وقد أخذ الزهري جل مواده عن السيرة من الحديث. ولا نجد إلا أثرا بسيطا للقصص فيما كتب، كما أننا نجد صدى ضعيفا في مادته لقصص الأنبياء التي اهتم بها كما يبدو. ومع أن الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره، بل إنه كان ضليعاً في الشعر، إلا أن استعماله له محدود في مغازيه، فهو بعيد عن أسلوب الأيام في كتابته.

وتناولت دراسات الزهري عهد الخلفاء الراشدين، إذ تناول بإمعان الحوادث الهامة والمشكلات الرئيسة في تاريخ الأمة، مثل انتخاب أبي بكر - رضي الله عنه - وتأسيس الديوان، وجمع القرآن، والشورى، والفتنة، ومقتل عثمان، وانتخاب علي - رضي الله عنه - والحرب الأهلية

(١) السخاوي - الإعلان بالتوبيخ ص ٨٩.

الأولى وانتقال السلطة إلى الأمويين. وهو بذلك يظهر أهمية التجارب التي مرت بها الأمة.

ومن ناحية أخرى كان الزهري عالماً بالأنساب؛ إذ ألف كتاباً في نسب قريش، كما أن مصعباً الزبيري يذكره مصدرا في كتابه المعروف بـ «نسب قريش».

وقد أسند الزهري رواياته، واشتهر بقوة إسناده. ونظرته في ذلك تمثل نظرة عصره، حيث نجده يعدّ رواية التابعين أحيانا وافية بشروط الإسناد.

ولكنه أدخل شيئاً جديداً هو الاسناد الجمعي، حيث يدمج عدة روايات في خبر متسلسل، وبذلك يسير خطوة مهمة نحو الكتابة التاريخية المتصلة.

وقام الزهري بخدمة أخرى هامة للدراسة التاريخية؛ إذ إنه كتب رواياته، ويعدّ الزهري أول من فعل ذلك بصورة منظمة. وقد وجدت أعمال عديدة من مؤلفاته في خزانة الكتب في البلاط الأموي. أما الروايات التي تذكر أنه أجبر على الكتابة فهي صدى لمناقشات حصلت بعد عصر الزهري (١) .

إن دراسات عروة بن الزبير والزهري تلقي ضوءا على بدايات الكتابة التاريخية ونطاقها. ومنها يظهر انه إضافة إلى السيرة كانت أهمية تجارب الأمة وخبراتها عاملاً أساسياً في نشأة الكتابة التاريخية. ثم إن

(١) الذهبي – تراجم، نشره فيشر ص ٦٧، ٧٢، ٦٩؛ ابن كثير – البداية ج ٩ ص ٣٤٤؛ ابن الجوزي – صفوة ج ٢ ص ٧٨.

التفسير مع كثرة الإشارات القرآنية إلى شؤون المسلمين كان عاملاً آخر. وكانت الحاجات الإدارية - كتنظيم الضرائب والديوان من دوافع الكتابة (١) . ثم إن المنزلة الاجتماعية والاحترام اللذين يتمتع بهما العلماء في المجتمع كانت من الدوافع لطلب العلم كما أكد ذلك عروة بن الزبير والزهري (٢) .

ونلاحظ أن رواياتهم تتصف بصراحتها وبطابعها الانساني، ويندر فيها ما نشاهده لدى المؤرخين فيما بعد من مبالغة. كما ان الاتجاه نحو الجبرية في تفسير الحوادث، وهو اتجاه شجعه الأمويين، لا يبدو واضحاً لديهما، بل اننا نجد أن أعمال الرسول ذاتها تعرض أحياناً على أنها موحى بها وتعدّ في بعض الحالات مجرد تدابير بشرية محضة وعملية. كما في قصة الخندق.

ثم إن دراساتهما تدل على أن خطوط السيرة وضعت في القرن الأول الهجري، ولم يكن واضعوها من القصاص مثل وهب بن منبه، بل كانوا محدثين، على قدر محمود من المقدرة على نقد الروايات وتحريها. أما القصاص الذين طوروا القصص الشعبي، وأخذوا من الإسرائيليات في قصصهم فإن أثرهم يظهر بعد جيل الزهري.

ومن المناسب هنا أن نعرض لوهب بن منبه (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م) لأثره في ناحيتي القصص والاسرائيليات. فوهب يماني المولد والثقافة. وقد جاء بوجهة غريبة عن مدرسة المدينة.

---

(١) تاريخ البخاري ج ٤ ص ٣٢؛ الذهبي - تراجم نشره فيشر ص ٤٥.
(٢) انظر البلاذري - فتوح البلدان (ن. دي خويه) ص ١٩- ٢٠، ٦١، ٣٨٤.

الف وهب في «المغازي» (١) ، وقد وجد الاستاذ بيكر قطعة من مغازيه، ولكنها لا تعطي فكرة واضحة عن هيكله للسيرة أو عن نظرته للاسناد. وقد أورد صاحب حلية الأولياء قطعتين في السيرة عن وهب (٢) ، جاءا دون إسناد وأسلوبهما نموذج من أسلوب القصاص - فيه تصوير حاذق، وفيه التمجيد، وفيه المادة الأسطورية. كما أن أسلوب الأيام واضح في القطعة التي وجدها بيكر. ولكن مغازي وهب لا يشار إليها في تواريخ السيرة، ولا أثر لها في أدب المغازي.

لقد اعتنى وهب بالاسرائيليات، وهي قصص وأساطير عن العهد القديم، وأراد بها توضيح بعض الاشارات القرآنية. وهو بهذا استطاع أن يدخل عنصر القصص إلى الدراسات الإسلامية. وقد جمع وهب من هذه القصص ما كان متداولاً بين المسلمين، وبخاصة قصص كعب الأحبار (ت ٣٢ - ٣٤هـ/ ٦٥٢ - ٦٥٤م) وعبدالله بن سلام (ت حوالي سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م)(٣) . وقد أضاف إليها ما حصل عليه من القصص نتيجة اتصالاته بأهل الكتاب، ومن قراءاته للكتب المقدسة. وكان كتابه (المبتدأ) أول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات. وتدل دراسة المقتبسات في ابن قتيبة (المعارف) والطبري والمقدسي (البدء والتاريخ) على أن وهب بدأ بالخليقة، وتدرج إلى تاريخ العهد القديم، ثم إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن مثل هود وصالح بل حتى إلى بعض الصالحين مثل لقمان وأهل الكهف.

أما روايات وهب عن تاريخ اليمن فهي اسطورية، تأخذ من قصص الاسرائيليات والقصص الشعبي، مع كثير من الشعر الموضوع، وتتمشى

(١) حاجي خليفة - كشف ج ٢ ص ١٧٤٧.

(٢) أبو نعيم الأصفهاني - حلية الأولياء ج ٢ ص ٧٣ وبعدها، وص ٧٩ وبعدها.

(٣) الذهبي في ZDMG ١٨٩٠ ص ٤٣٩، السخاوي - الاعلان ص ٤٩.

مع أسلوب قصص الأيام، وقد قدم وهب ملحمة نثرية يمانية شعبية لتجابه تفوق عرب الشمال.

ولم يكن وهب دقيقاً، بل إنه لم يترفع عن الادعاء الكاذب. ولذا فانه يعدّ اخبارياً قاصاً، ويعدّ السخاوي أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديين (١) . وقد جاء باتجاه منحرف ضعيف بالنسبة لوجهة المحدثين في المدينة. ولكنه جعل من الإسرائيليات مادة لتاريخ ما قبل الإسلام، وقدم أول نموذج للتاريخ العالمي متمثلاً في تاريخ الرسالات. وهذا الاتجاه وجد صدى قويا عند مؤرخ مشهور من مؤرخي المدينة، هو ابن اسحق.

ولنرجع الآن إلى مدرسة التاريخ المدنية التي ركزها الزهري؛ لننظر في مؤرخين لهما أهمية خاصة، وكلاهما من تلاميذ الزهري، هما موسى بن عقبة، ومحمد بن اسحق.

أما موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ/٧٥٨م) فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة. فنجده يعكس تزايد تأكيد المحدثين على الاسناد، ويبدي اهتماماً خاصاً بذكر تواريخ الحوادث. وقد استفاد من مواد مكتوبة (وبخاصة من آثار أستاذه الزهري) إضافة إلى الوثائق والروايات الشفوية، ولكن الاعتماد في الروايات المكتوبة بقي على الراوي لا الكتاب. وقد استند موسى بن عقبة بالدرجة الأولى إلى الزهري، وأضاف إلى ذلك بحوثه الخاصة، وبذلك أضاف مادة إلى تراث المدرسة. ولكنا نبين أن تقدير انتاجه يتطلب دراسة تفصيلية دقيقة لكل المقتبسات المأخوذة عنه التي ترد في ابن اسحق والواقدي والطبري وابن سيد الناس وابن كثير.

---

(١) المصدر السابق، وابن خلكان (ط. القاهرة) ج ٢ ص ٢٣٨.

وحين نأتي إلى ابن اسحق نحس بخطوط جديدة في التطور. ومن مظاهرها الواضحة وجود عنصر القصص الشعبي والاتجاه نحو المبالغة. ونحس بأننا انتقلنا إلى علماء هم مؤرخون أولاً ثم محدثون من الدرجة الثانية.

وقد وصلت إلينا من ابن اسحق (ت ١٥١هـ /٧٦١م) أقدم سيرة تكاد تكون محفوظة بكليتها. ويحتمل أن خطته الأصلية للسيرة كانت تتألف من ثلاثة أقسام - المبتدأ أو تاريخ المدة بين التكوين ومبعث الرسول، و«المبعث» أو رسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - و«المغازي» أو غزوات الرسول وسراياه. ولكني أرى أن الكتاب نفسه يتألف من قسمين متميزين، المبتدأ والمغازي، ولذا كان جائزاً روايتهما معاً أو كلا على انفراد (١) .

ذهب ابن اسحق أبعد من حدود مدرسة المدينة، سواء أكان ذلك في نظرته التاريخية أم في أسلوبه. فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته، واستفاد من نواحي الاهتمام المختلفة بالمغازي وتواريخ الأنبياء - فجمع بين الأحاديث والروايات التاريخية والإسرائيليات والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع. ولذا فإن مصادر معلوماته تكون خليطاً يجلب الانتباه. ففي المبتدأ روى ابن اسحق عن «أهل الكتاب»، وعن الداخلين حديثاً في

---

(١) انظر السخاوي - الاعلان ص ٨٨. ويقول السخاوي في ص ٩٢: «وأما قصص الأنبياء ففي المبتدأ لمحمد بن اسحق بن يسار المطلبي صاحب السيرة النبوية». وانظر المقدسي - البدء والتاريخ ج ٢ ص ٣٨؛ الخطيب البغدادي- تاريخ بغداد ج ١ ص ٢١٥. وانظر ابن العماد - شذرات الذهب ج ١ ص ٢٣٠. انظر ايضاً الذهبي في ZDMG سنة ١٨٩٠ ص ٤١٩.

الإسلام، وأخذ كثيرا عن وهب بن منبه (١) ، وعن العجم، وروى قصصا عربية قديمة، وأقاصيص من أصل يماني (٢) . أما رواياته عن مدة الرسالة فترجع في جوهرها إلى أساتذته في المدينة (٣) ، مع إضافات حصل عليها ببحوثه. وفي بعض الحالات لا تتعدى رواياته أن تكون شرحا لآيات قرآنية، نقله عن غيره أو عمله هو. ولكننا نلاحظ أن معلوماته عن المدة المكية وردت في الغالب دون اسناد، وكثيراً ما نجد كلمة «قصة»(٤) عنواناً لأخباره، مما يشير إلى أثر القصص. ومع أن رواياته عن العصر المدني فيها طابع جدي أقوى وعناية أوضح بالاسناد، إلا أننا نجد مع هذا أثر القصص الشعبي كما نجد أثر التقوى في المبالغة. ويرد الشعر خلال أخباره أو في نهاية الكلام عن الحادث بشكل مجموع، وهذا يظهر بوضوح جمعه بين أسلوب القصاص وأسلوب المحدثين. وهذا الشعر، بنوعيه الموضوع والصحيح، يلقي ضوءا على التيارات السياسية المعاصرة كالمنافسة بين الأنصار وقريش (٥) .

وينتقد ابن اسحق لاعتماد على أهل الكتاب في الرواية، ولإيراده كثيرا من الشعر الموضوع، ولأخطائه في الأنساب، ولأنه لا يمحص مصادره، ولأنه ينقل من كتب الآخرين مباشرة؛ (أي دون سماعها عن

---

(١) الطبري- تاريخ ج ١ ص ٣١٦، ٤٧١، ٥٠٤، ٥٣٩، ٥٥١ وبعدها، ص ٥٦٢ الهمداني، اكليل ج ١ ص ١٠، الطبري - تفسير ج ١٦ ص ١٢ ، ٥١ ج ١٧ ص ٤٥.

(٢) ابن هشام - (القاهرة) ج ١ ص ٧٥، ٨١- ٩٥ وكذا ص ٢٧، ٢٩ وطبعة وستنفلد ص ١٩٧.

(٣) بخاصة عروة والزهري وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبدالله بن ابي بكر بن محمد بن حزم.

(٤) انظر ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ٢٠٣، ٢٢٤.

(٥) انظر رسالة الدكتور وليد عرفات وعنوانها:

"A critical introduction to the study of the poetry ascribed to Hassan b. Thabit".

أصحابها) (١) . ومع ذلك فان ابن اسحق يبدي شكاً ببعض رواياته (٢) ويستعين أحياناً بالآيات القرآنية ليعزز رواياته. أما في الشعر فلم يكن متيناً، ويعترف بضعفه. أما في الاسناد فلم يكن دقيقا كما يتطلب أهل الحديث. ولكنه تقدم بطريقة الإسناد الجمعي بكفاءة واستطاع أن يقدم قصة جذابة من رواياته. وقد استفاد ابن اسحق من الوثائق والمواد المكتوبة والروايات والأخبار الشفوية.

ويظهر أثر التيارات السياسية - الفكرية في التهمة الموجهة إلى ابن اسحق في أنه ذو ميول شيعية، وهي تهمة لا تخلو من أساس (٣) . ويوصف بأنه قدري - يؤمن بحرية الإرادة - وربما كان ضد الأمويين، ولكن هذا يتطلب الأدلة لإثباته.

وقد انتقدت سيرة ابن اسحق في المدينة، ولكنها لقيت عناية في المشرق، ويبدو أنها بأسلوبها ومادتها ناسبت الاتجاهات الثقافية هناك. وقد وصلت إلينا منقحة من قبل ابن هشام (ت ٢١٨هـ/ ٨١٣م)، الذي أخذها برواية البكائي، وهي بنظر السخاوي أوثق من رواية يونس بن بكر الشيباني (٤) . وقد حاول ابن هشام في تهذيبه أن يحذف الأقسام الضعيفة في المبتدأ خاصة، وان يطرح الشعر الموضوع، وأن يجعلها أقرب إلى وجهة نظر المحدثين. ويظهر أن المؤرخين عامة

(١) ابن سيد الناس - عيون الاثر ص ١٢؛ ياقوت - معجم الادباء (ن. مرجليوث) ج ٦ ص ٤٠٠.

(٢) ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ١٨٦، ١٩٤، ٢٠٣- ٢٠٤.

(٣) انظر ياقوت - معجم الأدباء ج ٦ ص ٤٠٠؛ ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ١٠٦، ج ٣ ص ٢٣٤ - ٥، وطبعة وستنفلد ص ١٥٢ - ١٥٤، ٤٣٥.

(٤) السخاوي - الاعلان ص ٨٨.

ينظرون إلى سيرة ابن اسحق - بعد أن نقحها ابن هشام خاصة - نظرة حسنة (١) .

وينسب إلى ابن اسحق كتاب آخر هو «تاريخ الخلفاء»، ولم يصل إلينا منه الا مقتطفات مبعثرة، ويبدو انه تناول تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين.

لقد استفاد ابن اسحق من وجهات أسلافه، وأضاف إليها. فهو في «المبتدأ» يبدو متأثرا في خطته بوهب بن منبه، وربما كان هذا سبب وجود قسم خاص باليمن فيه. ومع أن تآليفه منفصلة عن بعضها إلا أنها بمجموعها تعبر عن فكرة تاريخية هي كتابة تاريخ عالمي (من المبتدأ والمغازي وتاريخ الخلفاء).

وتطورت الدراسات التاريخية لدى محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ /٧٤٨ - ٨٢٣م). فكتابه «المغازي» أو غزوات الرسول وسراياه يقتصر على المدة المدنية، ويتمشى بدقة أكثر من ابن اسحق مع مدرسة المدينة في المادة والأسلوب. فهو منتظم ومنطقي في تناول مادته؛ إذ يعرض أولاً إطار الموضوع، ثم يعقبه بذكر التفاصيل، ويبدأ بقائمة لمصادره الأساسية، وبقائمة بمغازي الرسول وتواريخها، وحين يذكر الغزوات التي قادها الرسول يورد أسماء أمراء المدينة في غيابه، ثم يتناول تواريخ الغزوات واحدة بعد الأخرى حسب تسلسلها التاريخي، ويبدي اهتماماً خاصاً بالتواريخ.

وهو في أسلوبه أكثر دقة من ابن اسحق، في استعمال الاسناد، وفي تحقيق تواريخ الحوادث، وفي نظرته للشعر؛ إذ يقتبس منه باعتدال، وفي

(١) الذهبي - تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣- ١٦٤؛ ابن كثير - البداية ج ١٠ ص ١٠٩؛ ابن العماد - شذرات ج ١ ص ٢٢٥، ٢٣٠؛ ابن خلكان (ن. وستنفلد) ج ٢ ص ٧- ٨؛ السخاوي ص ١١٧.

تقليصه لعنصر القصص الشعبي في مادته. وقد استعمل طريقة الاسناد الجمعي بانتظام تقريباً؛ ليعطي المواد الأساسية عن كل غزوة، ثم يورد بعد ذلك روايات فردية؛ ليعطي تفاصيل أخرى أو روايات مباينة. وهذا الأسلوب يدل بوضوح على أن الواقدي يعطي باسناده الجمعي روايات مدرسة المدينة، ثم يضيف إليها ما وصل إليه. ويظهر أثر بحوثه الشخصية في المادة الإضافية التي يقدمها، وفي ضبط التواريخ، وفي تقديم إطار أوضح للغزوات، وفي اهتمامه بالتفاصيل الجغرافية التي تتصل بمواقع المعارك.

وتبدو نظرته النقدية في زيارته لمواقع المعارك ليكمل بذلك مادته، وفي تمحيصه للمواد التي وصلت إليه (١)، وفي بحثه عن وثائق جديدة، وفي اعداد قوائم أوفى للمشاركين في الغزوات، حتى جاء منها بمجموعة طيبة. ويكثر الواقدي من الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تتصل بالحوادث، وفي الحالات المهمة يذكر الآيات ملحقة برواياته، كما في حديثه عن بدر وأحد والخندق، وبذلك يجعل قصته التاريخية سهلة التسلسل. والواقدي صريح في رواياته، ومع وجود ميول علوية لديه إلا انه بعيد عن التحزب (٢) . ولكننا نحس بأثر القصص في مغازيه.

ولا يأخذ الواقدي شيئاً عن ابن اسحق، وهذا يرجع إلى نظرة المدينة إلى ابن اسحق، وإلى اختلاف وجهة الواقدي عن ابن اسحق، وإلى النظرة السائدة في المدينة، وهي أن الأحاديث التاريخية ملك مدرسة المدينة فهي تحت تصرف الاثنين.

---

(١) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٧ و ١٨.

(٢) انظر النص الكامل لمغازي الواقدي، حققه جي. ام. جونز، ولا يزال مخطوطاً (في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية – جامعة لندن).

وقام الواقدي بدراسة التاريخ الإسلامي. فكتب كتباً عن موضوعات مهمة، مثل «الردة» ويوم «الدار» أو مقتل عثمان، و«صفين» و«الجمل» وفتوح الشام والعراق. ويهمنا بصورة خاصة كتابه «التاريخ الكبير»، الذي يتناول كما يبدو، تاريخ الخلفاء حتى سنة ١٧٩هـ /٧٩٥م على الأقل. ثم إن مؤلفه «كتاب الطبقات» أو تاريخ طبقات المحدثين في الكوفة والبصرة مهم؛ لأنه يظهر أثر دراسة الحديث في كتابة التاريخ؛ لأنه يساعد المحدثين في تحقيق الأسانيد. ولعله كان المثال والأساس الذي اعتمده ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته.

لقد وضعت التواريخ المذكورة وفق منهج أهل الحديث في التاريخ الإسلامي، واتسعت في نطاقها، حتى وصلت مرحلة التقت فيها من ناحية الموضوع مؤلفات الإخباريين واللغويين. وجاء ابن سعد (ت ٢٣٠هـ /٨٤٤م) فألف «كتاب الطبقات الكبرى»، وهو في القسم الأول منه «أخبار النبي»، يضع الخطوط الأخيرة لهيكل السيرة؛ إذ ذهب أبعد من الواقدي في تنظيم مادته وتبويبها، وفي إعطاء مجموعة أوفى من الوثائق، وفي اهتمامه بصورة أقوى بسفارات النبي. كما أن القسم الذي يتناول عهد ما قبل الإسلام عبارة عن مقدمة لعهد الرسالة؛ إذ يتحدث عن بعض الأنبياء الذين لهم صلة برسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم ذكر نسبه. وقد توسع ابن سعد في الحديث عن شمائله وفضائله وعن دلائل نبوته، وجعل ذلك باباً خاصاً أصبح نموذجاً لأدب «الشمائل» و«الدلائل» فيما بعد (١) .

---

(١) انظر مادة «تاريخ» في دائرة المعارف الإسلامية (الملحق).

وهكذا نجد هيكل تاريخ السيرة يثبت نهائياً، ونرى تواريخ السيرة التالية تتبع الخطة نفسها وتعتمد بالدرجة الأولى على المواد التي قدمتها المؤلفات المذكورة.

وخلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، انتشرت دراسات السيرة إلى بلدان أخرى خارج المدينة - في اليمن والعراق والشام - وقد بقيت منها آثار قليلة، ولكنها تدل على تزايد الاهتمام بهذا الحقل من الدراسات التاريخية.

من هذا العرض الموجز نرى أن العناية بدراسة الحديث أدت إلى الدراسات التاريخية - وهو اهتمام بمعرفة «العلم» بالمقابلة للرأي في تثبيت حقيقة أو قضية. ولما توسع الحديث ليشمل فعاليات وأقوال الصحابة والتابعين، ولما كانت تجارب الأمة (والاجماع خاصة) مصدراً في التشريع، توسعت الدراسات التاريخية لتشملها. ثم إن القضايا السياسية وبخاصة مسألة الخلافة تطلبت البحث في ناحية تاريخية وموضوعية. كما أن الدوافع الأخرى، إدارية واجتماعية، كان لها أثرها.

وقد ظهرت نظرات تاريخية مع المبادىء الإسلامية - تتمثل في دراسة السيرة، وفي كتابة تاريخ عالمي متمثلاً في توالي الرسالات، وفي دراسة تاريخ الأمة. وتتخلل هذه النظرات فكرة أساسية، هي أن المشيئة الإلهية كونت العالم، وهي التي تسيره، ولكن فكرة القدر أو حرية الإرادة موجودة أيضا، كما أن خبرات الأمة مهمة جدا. ونلاحظ أن الغالب على أخبار السيرة أنها بسيطة وواقعية وصريحة، ولكن مرور الزمن ومَثّل أهل الكتاب وفعاليات القصاص - مدفوعة بعوامل اجتماعية أو بالتقوى - أدت بمرور الزمن إلى شيء من التفخيم والمبالغة.

٤- وتطور الاتجاه الثاني للكتابة التاريخية من استمرار الاهتمام بالمآثر والأنساب القبلية. وقد أضافت الفتوحات مآثر وأمجادا جديدة إلى الموضوعات القبلية. كما أن إنشاء امبراطورية إسلامية فتح آفاقاً جديدة. وسرعان ما ظهرت عصبية محلية للأمصار واعتزاز بها لدى القبائل التي تسكنها. ثم إن التطورات السياسية العامة ساعدتا في البدء على تقوية الخطوط القبلية، وعلى زيادة الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك أن المعلومات المتعلقة بالفتوحات كانت مهمة بالنسبة لإسكان القبائل في الأمصار وبالنسبة للأغراض الإدارية العامة.

وشجع الأمويون مثل هذه الدراسات، فكانت ضرورة للثقافة الحسنة في العهد الأموي (١) .

وقد شهد القرن الثاني الهجري الأخباريين واللغويين والنسابين يعملون بنشاط كلا في حقله. ويمثل الأخباريون خط الدراسات التاريخية (الخبر يعني الرواية أو القصة)، في حين أن الآخرين قاموا بدور في الدراسات التاريخية. ومع ذلك فإن كتاباتهم، وخاصة في الفترة الأولى تدل على أن نواحي اهتمامهم ومؤلفاتهم كانت متداخلة أحياناً.

وتركزت فعالياتهم خلال القرنين الأولين للهجرة في الكوفة والبصرة، وهما مركزان نشيطان للقبائل العربية. وهذا أعطى الروايات العراقية منزلة غالبة في هذا الاتجاه من الكتابة التاريخية.

وكانت القصص والأخبار تروى في مجالس السمر القليلة، أو في مجال سمر الأمير، أو في المسجد، وهي تدور حول الأمجاد القبلية.

(١) الفهرست لابن النديم، نشره فلوجل ص ٨٩؛ صلاح الدين المنجد - مقدمة طرفة الأصحاب ص ٦- ٨.

وينظر إليـها عـادة كملك مشـترك للعوائل أو القبـائل. وظهر رواة يروون أخباراً متفرقة أو شعراً، ونحن إن جهلنا رواة الشعر، فإننا نعرف الكثير عن رواة الأخبار. وفي مطلع القرن الثاني للهجرة نلاحظ الاتجاه لجمع هذه الأخبار ورواياتها، بشكل متصل منظم حول موضوع أو حادث، في إطار كتاب، فكان الاخباريون المؤرخين الأولين في الاتجاه القبلي. ورجع الأخباريون في جمعهم للمواد التاريخية إلى الروايات العائلية والروايات القبلية، وإلى الروايات التي تتداول في المصر. وأتمت هذه الروايات، وبخاصة بالنسبة لخلافة الراشدين، بروايات من المدينة. وكانت هناك سجلات حكومية (ديوان الخاتم خاصة) في العراق والشام، وكذلك دواوين الجند، وفيها تسجل القبائل، ويحتمل ان الاخباريين رجعوا إليها. ولم يكن باستطاعة الاخباريين تجاهل الاسناد، مما يؤكد أثر الاطار الإسلامي. ومع انهم استعملوا الاسناد بحرية وببعض التساهل إلا أن ازدياد أهميته بالتدريج لدى الاخباريين يظهر اطراد أثر الاتجاه الاسلامي في التاريخ. وكان جمع الاخبار جزء من ظاهرة ثقافية عامة، هي ظاهرة جمع الأحاديث والروايات في كل مصر على انفراد.

ولم تصل إلينا مؤلفات الاخباريين الأولين، ولذا فإن تقديرنا لعملهم مقيد بالمقتطفات التي وصلت إلينا عن طريق المؤرخين فيما بعد، مثل الطبري والبلاذري. ولننظر الآن إلى بعض هؤلاء الاخباريين.

لنبدأ بأبي مخنف (ت ١٥٧هـ /٧٧٤م) وهو اخباري كوفي، له اهتمام بالأنساب (١) . وقد كتب عن الردة، وعن فتوح الشام والعراق، والشورى،

(١) كان جده من اتباع الامام علي المخلصين، واستشهد في صفين. انظر الطبري ج ١ ص ٣٣٠٢- ٣.

وصفين، وعن الحوادث التالية في العراق حتى نهاية العصر الأموي وبخاصة الثورات والمعارك، وعن الخوارج، ووضع ذلك في كتب تجاوزت الثلاثين. ويعد أبومخنف من أميز الاخباريين في العراق (١) .

استعمل أبو مخنف الاسناد بشيء من التسامح (٢) . واستعمل الروايات العائلية عن صفين خاصة (٣) ، واعتمد بكثرة على روايات قبيلته الأزد (٤) . كما انه استفاد من الروايات الكوفية الأخرى - فمثلا يأخذ عن الشعبي، وعن رواة من قبائل أخرى، كتميم وهمدان وطيىء وكندة. ثم انه أتمها بروايات من المدينة (٥) . ونلاحظ أن سلاسل رواياته كثيرة، وتتبدل بتبدل الحوادث، وهذا طبيعي في اخباريّ من الأولين.

ويورد أبو مخنف عادة الصورة العراقية (الكوفية) للحوادث. فهو أميل للعراق تجاه الشام، نتيجة اعتزاز القبائل بمصرها، كما انه أميل للعلويين تجاه الأمويين. كما ان اعتزاز القبائل بمآثرها ينعكس أحياناً في رواياته (٦)، ولكن أخباره على العموم ليست متحزبة.

ونرى في كتابة أبي مخنف تسلسلاً متصلاً، ولكن التماسك ضعيف في بعض الأحيان. وهي تقدم أحياناً صورة أخاذة حية للحوادث مع كثير

---

(١) الفهرست (ن. فلوجل) ص ٩٣؛ ياقوت - معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٢٠ - ١؛ فوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥؛ ابن قتيبة - المعارف (ن. وستنفلد) ص ١٩٤.

(٢) يعده المحدثون ضعيف الاسناد، ابن قتيبة ص ١٤٤، فوات الوفيات ج ٢ ص ١٣٥.

(٣) الطبري ج ١ ص ٣٢٦٦؛ ٣٢٠٢- ٣، ٣٣٨٣، ج ٢ ص ١٢٢.

(٤) انظر الطبري ج ١ ص ٣٢٧٦- ٧، ٣٢٨٣، ٣٢٨٨، ٣٣٤٩، ٣٣٩٦، ٣٤٣٠، ٣٤٣٨، ج ٢ ص ١١.

(٥) انظر البلاذري - انساب ج ٥ ص ٣١؛ الطبري ج ١ ص ٣٤٠٣.

(٦) الطبري ج ١ ص ٣٣٢٣- ٥، ٣٢٠٢- ٣، ٣٢٧٠؛ انساب ج ٥ ص ١٩- ٢٠.

من الخطب والمحاورات، ويتخللها الشعر في بعض المناسبات (١) . وهكذا نجده يعكس أثر مجالس السمر، وشيئا من وجهة قصص «الأيام» في أسلوبه.

أما عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ /٧٦٤م) فهو إخباري كوفي متضلع في الشعر والأنساب (٢) . وقد كتب «سيرة معاوية وبني أمية»، ويرجح انه تاريخ للأمويين يتناول الخلفاء الأمويين على التوالي (٣) . وتناول مؤلفه الآخر «كتاب التاريخ»، التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري. وتدلنا المقتبسات المأخوذة عنه انه كتب عن الخلفاء الراشدين والردة والفتوحات – وهو ثقة فيها بصورة خاصة – والصراع بين الامام علي وخصومه، وتنازل الحسن، وشؤون العراق والشام حتى نهاية عهد عبدالملك بن مروان.

وتدل رواياته على معرفة داخلية بشؤون الأمويين (٤) . ولعله أخذ معلوماته هذه من قبيلة كلب الموالية للأمويين وبخاصة أنه يفخر بعلمها (٥) . ويقدم عوانة على الأكثر الرواية الأموية للحوادث مقابل الرواية العراقية (٦)، وهذا يوضح ما يبدو من نبرة أموية في بعض رواياته، حتى إن تأكيد الأمويين على فكرة الجبر في تفسير الحوادث ينعكس في رواياته (٧)، ومع ذلك يورد أحياناً الروايات العراقية والمدنية

(١) الطبري ج ١ ص ٣٢٩٦– ٨، ٣٣٠٣– ٤؛ انساب ج ٥ ص ٣٤– ٥، ٣٠٠– ٣٠١.

(٢) ياقوت– معجم الادباء ج ٦ ص ٩٤؛ الفهرست ص ١٣٤.

(٣) انظر ROSENTHAL, Muslim Historiography, p. 92.

(٤) انظر الطبري ج ٢ ص ١٩٧– ٨؛ البلاذري – انساب ج ٥ ص ١٣٢– ٥، ١٥٩؛ الطبري ج ٢ ص ٧٩١– ٥ وص ٢٣٩– ٢٤٠.

(٥) ياقوت – معجم الادباء ص ٩٥.

(٦) الطبري ج ٢ ص ٤٢٠– ١.

(٧) انظر البلاذري – أنساب ج ٥ ص ٤٠، ١٤٠، ١٩٤– ١٩٥، وكذا الأنساب ن. الوارث ص ٤٠.

التي تعكس آراء جماعات مضادة للأمويين (١) . ولذا يمكن القول إن عوانة لم يكن متحيزاً لجهة خاصة.

وصلت إلينا روايات عوانة عن طريق ابن الكلبي والمدائني والهيثم بن عدي، وهؤلاء أخذوها عنه مباشرة أو من كتبه (٢) . ثم ان خطته في كتابة التاريخ العام على أساس التسلسل التاريخي، أو على سير الخلفاء، تمثل خطوة لها دلالتها في تطور الكتابة التاريخية ضمن الاتجاه القبلي. واستعمل عوانة الاسناد بصورة مفككة (٣) ، كما ان طريقة ايراده الشعر في أخباره تعكس أثر أسلوب قصص الأيام (٤) .

وكتب سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ /٧٩٦م)، وهو كوفي، كتابين يتناول أولهما (الردة) و(الفتوحات)، وهو طريف في نظرته التاريخية التي تجمع بين الحركتين. ويتناول الثاني «الفتنة» وبخاصة وقعة الجمل. ويقدم سيف في الأساس النظرة العراقية، ويستفيد بالدرجة الأولى من روايات قبليته تميم. وأخباره عن الفتوحات (فتح العراق خاصة) تميمية الميول، وتتجه لأن تكون عاطفية على أسلوب «الأيام». ومع ذلك فإنه استفاد من الروايات المدنية في أخباره (ومن رواته هشام بن عروة وابن اسحق» (٥) .

وكان نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ /٨٢٧م)، وهو كوفي، أول إخباري

---

(١) أنساب (ن. الوارث) ص ١٩- ٢١ في جانب الزبيريين، و٥٩- ٦١ ضد الحجاج؛ والطبري ج ٢ ص ٣٠٩- ٣١١ مع العلويين، وج ١ ص ٩- ١١ ضد الكوفة.
انظر ياقوت ج ٦ ص ٩٤- ٩٥.

(٢) الطبري ج ٢ ص ٤٢١، ٤٢٤، ١١٣، ١٨٩.

(٣) انظر ياقوت ج ٦ ص ٩٤.

(٤) الطبري ج ٢ ص ٤٦٣ وبعدها، الأنساب للبلاذري ج ٥ ص ٣٨- ٤٠.

(٥) انظر الطبري ج ١ ص ١٧٩٨ - ٩، ١٨٧١؛ ابن حجر - تهذيب ج ٤ ص ٢٩٥- ٢٩٦، وانظر عن سيف WELLHAUSEN, Skizzen und vorarbeiten, VI, p. 3. off .

شيعي. ونجد كتبه تدور حول موضوعات تهم الشيعة [«الجمل»، «صفين»، «مقتل الحسين»، «مقتل حجر بن عدي»، «اخبار المختار»، و«المناقب» أو مناقب الأئمة»] (١) . وقد جمع كتابه المطبوع «صفين» من المقتبسات الموجودة، ويمكننا فحصه للحصول على فكرة تقريبية. ففي «صفين» نلاحظ أن ميول نصر بن مزاحم عراقية وعلوية. فهو يورد الحديث ضد معاوية وحزبه، ويورد الأحاديث والأخبار وحتى القصص ليسند قضية الامام علي (٢). ومع ذلك فإنه حين يتناول مثالب معاوية لا يخفي بعض النقد الموجه للحزب العلوي من خصومه. ونتيجة لميول نصر الحزبية نجد البعض ينتقده بشدة، بينما يثني آخرون عليه (٣) .

يعطينا نصر قصة تنبض بالحياة والحيوية للحوادث التي أدت إلى صفين، وانتهت بالتحكيم، ويكثر من الشعر والحوار والخطب خلال رواياته، فترى كل الشخصيات البارزة تقول الشعر (من نظمها أو اقتباساً)، وتورده حتى في المراسلات، وكثير من هذا الشعر موضوع. والكتاب شبه قصصي، فهو مجموعة من الأخبار المتتالية، وفيه شيء من التخلخل في الحبك. ويجلب الانتباه ان معاوية يظهر في الكتاب كشيخ قبيلة، حتى ان بعض الأقوال التي قالها أبوسفيان في مكة ترد على لسانه هنا. ويلاحظ أن العناية بالتواريخ ضعيفة، كما أن الاسناد يستعمل بكثير من التساهل (٤) . أما أسلوب الكتابة فهو مثل واضح لأسلوب

---

(١) ياقوت ج ٧ ص ٢١٠؛ الذهبي – لسان الميزان ج ٣ ص ٢٣٢؛ الاسترابادي – منهاج ص ٣٥٣، الفهرست ص ٩٣.

(٢) نصر بن مزاحم – صفين ص ٢٤٦– ٧؛ ١٦٤– ١٦٥، ١٥٨، ٣٥.

(٣) ياقوت ج ٧ص ٢١٠؛ الذهبي – لسان ج ٦ ص ١٥٧؛ ابن أبي الحديد – شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨.

(٤) انظر نصر بن مزاحم – صفين ص ٤٢، ٤٣، ١٥٨، ، ١٦٧.

قصص الأيام، وهو يعكس مجالس السمر، وينتهي بقائمة بأسماء أنصار الامام علي البارزين، الذين استشهدوا في صفين (وفق طريقة قصص الأيام). وأخيراً نبين أن امكان إعادة جمع الكتاب - من مقتطفات الطبري وابن أبي الحديد بالدرجة الأولى - تدل على قيمته بنظر المؤرخين.

وتصل دراسات الاخباريين قمتها عند المدائني (١٣٥ - ٢٢٥هـ/ ٧٥٢ - ٨٣٩م) وهو بصري، استقر بعدئذ في بغداد. ويظهر أثر الاسناد عليه أقوى ممن سبق نتيجة للتطورات الثقافية (١) . ويظهر عنده الاتجاه نحو جمع أوسع وتنظيم أوفى للروايات التاريخية، وقد صار هذا ممكناً نتيجة التآليف السابقة، فنراه يأخذ من الاخباريين السابقين، مثل أبي مخنف وابن اسحق والواقدي مضيفاً إلى ذلك بحوثه الخاصة. ويبدو انه جمع بين الدراسات التاريخية والأدبية. ونظرة إلى القائمة الطويلة بمؤلفاته وكتبه (وتبلغ حوالي ٢٤٠)، تبين انه جال في دراساته من حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى التاريخ العباسي، وتناول الفتوحات والخلفاء والاشراف والمعارك والشعراء.. الخ. كما ان أحد تآليفه «نسب قريش وأخبارها» (٢) كتب على خطة كتب الأنساب. وبعض كتبه كتلك التي تتصل بحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تتعدى كونها فصولاً للسيرة. أما تاريخه للخلافة «أخبار الخلفاء الكبير» فيبدو أنه أوسع مؤلفاته التاريخية؛ إذ يتناول المدة من خلافة أبي بكر حتى المعتصم، وقد كتب بأسلوب الاخباريين.

ويمثل المدائني درجة أعلى من أسلافه في البحث والدقة. ويظهر انه

---

(١) انظر ياقوت - معجم الأدباء ج ٥ ص ٣٠٩.
(٢) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٠٢.

اتبع أسلوب المحدثين في نقد الروايات، وبذا صار يتمتع بثقة أكثر من أسلافه. ثم انه توسع أكثر ممن سبقه في الأخذ من روايات المدينة، واستفاد من روايات البصرة، بخاصة عن الخوارج وعن مدينة البصرة وعن فتوح خراسان وما وراء النهر. وقد جاء المدائني بأخبار أوفى وأكثر توازناً ممن سلف عن الحوادث والموضوعات التي تناولها. وقد أيد البحث الحديث دقته، وصار المصدر ا لأساسي للمؤرخين التالين.

٥- وخدمت دراسات الأنساب علم التاريخ في المادة وفي خطة الكتابة. فقد تجددت العناية بالأنساب في الإسلام (١) ، وجاء انشاء «الديوان» بدافع جديد للاهتمام بها. وقد شجع الأمويون، ابتداء من معاوية، مثل هذه الدراسات، ويروى أن الوليد الثاني أمر بعمل سجل واف بالأنساب (٢) . ثم إن الحاجات الإدارية كتنظيم العطاء واسكان القبائل في الأمصار أدت إلى وضع سجلات الأنساب وعززت الاهتمام بها. يضاف إلى ذلك الخصومات القبلية، وأثر الأوضاع السياسية على وضع القبائل، وظهور ارستقراطية جديدة في الإسلام، والعوامل الاجتماعية - وكل هذه شجعت دراسات الأنساب. وأخيراً أن المناقشات مع الشعوبية وتهجم هؤلاء على الأنساب أدت إلى تأكيد جديد على دراسة الأنساب.

جاءت المعلومات عن الأنساب في الشعر، بخاصة شعر النقائض، وفي الروايات العائلية والقبلية، وفي سجلات دواوين الجند.

ظهر النسابون الأولون في العهد الأموي. وكانت عنايتهم محدودة بأنساب قبيلة من القبائل. ثم ظهر نسابون عنوا بأنساب أكثر من قبيلة وذلك، في مدة جمع الروايات في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

(١) انظر مقدمة المنجد لكتاب طرفة الأصحاب.

(٢) الفهرست ص ٩١.

وأول من كتب في الأنساب أبو القيظان النسابة (ت ١٩٠هـ /٨٠٥م)، ولم يصل إلينا من آثاره إلا مقتطفات في كتب تالية، ولكنها أول اثر لجمع الأنساب من الروايات القبلية بالدرجة الأولى.

إن التطورات الثقافية، والصلات الوثيقة بين الأنساب والأخبار والدراسات الأدبية، تظهر في اثنين من الكلبيين. فمحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م) قام بدراسات في الأنساب واللغة والتاريخ. وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية، معتمداً كما ادعى على أفضل نسابة في كل قبيلة (١). وإضافة إلى ذلك رجع إلى شعر النقائض، ودرس نقائض الفرزدق على الشاعر الكبير نفسه. ومع أن المحدثين ينتقدونه ويتهمونه بالغلو في التشيع، إلا أن مقدرته في الأنساب متفق عليها (٢) .

وجاء ابنه هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ /٨١٩م)، وتابع دراسات والده في الأنساب، وتقدم بها. ويظهر أن كتابه «جمهرة النسب» – ويوجد قسم منه في المتحف البريطاني – هو طبعة موسعة لمؤلف والده ويحوي ملاحظات مختصرة، بعضها مهم، عن مشاهير الرجال في الحقول كافة. وأصبح هذا الكتاب المرجع الأول للمؤلفين فيما بعد. ولكن الهمداني يعده ناقصاً في أنساب قبائل اليمن.

أما في دراساته التاريخية فإنه تناول تاريخ الأنبياء، والجزيرة العربية قبل الإسلام، وأيام العرب، والتاريخ الإيراني، والتاريخ الإسلامي،

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٤٠، انظر ايضاً ابن حجر – تهذيب ج ٩ ص ١٨٠؛ ابن سعد ج ٦ ص ٢٤٩؛ ابن خلكان (القاهرة) ج ١ ص ٦٢٧.

(٢) ابن حجر –تهذيب ج ٩ ص ١٨٠؛ ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٥.

ومصادر أخباره مختلفة. ففي تاريخ الأنبياء يأخذ عن «أهل الكتب»، وفي تاريخ إيران يأخذ من الترجمات عن الفارسية، ومن الأخبار والقصص المتداولة، وبعض معلوماته وثيقة. وهو يأخذ عن كتب عوانة وأبي مخنف. ويبدي حصافة خاصة حين يستفيد من الكتابات ومن الوثائق في كنائس الحيرة، وهي تتعلق بتاريخ عرب الحيرة والعلاقات بين العرب والساسانيين. وهو يأخذ من القصص الشعبي في تاريخ اليمن. ولكنه لم يكن مدققاً كما يلزم؛ إذ أخذ الكثير من القصص الشعبي، ومن مواد أسطورية، ومن بعض الأخبار الموضوعة عن شعراء الجاهلية (١) .

ومن النسابين مصعب الزبيري (ت ٢٣٣ - ٢٣٦هـ /٨٤٧ - ٨٥٠م) وهو من سلالة ابن الزبير. وكان مصعب عالماً بالأيام والأنساب، وكتب كتابين: «النسب الكبير» و«نسب قريش»، وقد وصل إلينا الثاني منها. ويعد أفضل من كتب عن نسب قريش. وتدل خطة الكتاب على انه اتبع اطاراً ثابتاً للكتابة، اتبعه ابن الكلبي من قبل، والبلاذري فيما بعد. وهو يشير في كتابه إلى الزهري وإلى والده وإلى أهل النسب، وأحياناً إلى بعض الرواة (٢) . ويعطي الانطباع بأنه رجع إلى الروايات الشفوية المختلفة. والكتاب يلقي ضوءا خاصاً على التحولات في الروابط القبلية وعلى التبدلات في خطوط الأنساب (٣) . ويعطي الزبيري إضافة إلى سلسلة الأنساب اخباراً، بعضها مفصل ومهم، عن بعض الشخصيات المهمة من العصر الجاهلي حتى زمنه (٤) . ويورد الشعر، وبخاصة في

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٤٣؛ ياقوت -أدباء ج ٦ ص ٢٥٩؛ الذهبي - تذكرة ج ١ ص ٣١٣؛ الأغاني ج ٩ ص ١٩.

(٢) نسب قريش ص ٢٢٩، ٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٥، ٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٤، ١٢٨، ١٤٥، ١٤٧.

الفترة الأولى، للاستشهاد أو التأييد. وبصورة عامة يظهر الكتاب قيمة دراسات الأنساب لكتابة التاريخ.

وحين نأتي إلى الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦هـ /٨٢١م) نرى مثلاً آخر للجمع بين الدراسات التاريخية ودراسات الأنساب، وذلك نتيجة وجهات مختلفة للدراسة (١) . فكتابة «تاريخ الاشراف الكبير» كتاب للتاريخ في اطار الأنساب، سبق أنساب البلاذري. وكتب تاريخاً للفقهاء والمحدثين بعنوان «طبقات الفقهاء والمحدثين» على أسلوب كتب الطبقات، ولعله أول كتاب من نوعه في هذا الاتجاه. وتظهر نواحي اهتمامه بالشؤون المحلية في كتابيه عن خطط الكوفة والبصرة، وكل منهما تاريخ للمدينة، ويحتوي على معلومات طوبوغرافية وجغرافية. ويسترعي انتباهنا بصورة خاصة مؤلفة «كتاب التاريخ على السنين»، وهو كتاب في التاريخ الإسلامي على توالي السنين (٢) .

---

(١) الف كتباً تربو على الخمسين (انظر الفهرست ومعجم الأدباء) بعضها في أنساب القبائل، وفي أخبار القبائل وبيوتاتها، وفي المثالب، وفي ولاة الأمصار، وفي الخطط ، وفي موضوعات أخرى كالخوارج وأخبار الفرس.

(٢) في الطبري والبلاذري مقتطفات من مؤلفات الهيثم بن عدي، نشير اليها فيما يلي:
١- التواريخ بالسنين من آدم إلى الهجرة (الطبري ج ١ ص ١٠٧٢)، ولعله من كتابه «هبوط آدم وافتراق العرب في نزولها منازلها».
٢- أسماء بعض كتاب النبي وأبي بكر وعمر (الطبري ج ٢ ص ٨٣٦)، والخلفاء الأمويين بين يزيد بن عبدالملك وابراهيم بن الوليد (الطبري ج ٢ ص ٨٣٨).
٣- الفترة الأموية -وهنا ترد أخبار عن يزيد بن معاوية (انساب الأشراف ج ٤ ص ١، ٨) وعن حركة ابن الزبير وعن يوم الحرة (انساب ج ٤ ص ٢١، ٣٠، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٩) وعن عبيد الله بن زياد (أنساب ج ٤ ص ٨١، ٨٣، ٨٤، ١٠١) وعن مروان بن الحكم (الأنساب ج ٥ ص ١٣٦، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩) وعن أيام عبدالملك - ابن الزبير (الأنساب ج ٥ ص ١٩١) وأمر التوابين (الأنساب ج ٥ ص ٢١٢، ٢٣١) وابراهيم بن الاشتر ومصعب بن الزبير ويوم حروراء (الانساب ج ٥ ص ٢٥١، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٧٢) وأمر زفر بن الحارث، ومقتل مصعب (الأنساب ج ٥ ص ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٣٥) واخبار اخرى عن عبدالملك ودخوله الكوفة =

ولكن الهيثم بن عدي ينتقد بشيء من ضعف التدقيق وبالتساهل في استعمال الإسناد (١) .

وفي خلال القرن الثاني للهجرة شارك اللغويون في دراسة التاريخ. فالاتجاهات القبلية، والمناقسات القبلية، والمتطلبات اللغوية - كل هذه أدت إلى دراسة مركزة للشعر. وأكد هذه الدراسة الصراع الثقافي بين العرب والعجم بعد ظهور الحركة الشعوبية (٢) .

وكان الشعر يروى من قبل رواة من البدو، ويقدمون له عادةً بمقدمة نثرية توضح ظروف نظمه وتشرح الإشارات التاريخية الواردة فيه. وقد أبدى بعض اللغويين، جنب اهتمامهم بمسائل النحو واللغة، اهتماماً بالأخبار والأنساب، التي ترد في الشعر أو التي يشير إليها الشعراء، وأظهروا ميلا لكتابة التاريخ. ومن أمثلة هؤلاء أبوعمرو بن العلاء، وكان «أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس» (٣) .

ويمثل أبو عبيدة (١١٠ - ٢١١هـ/ ٧٢٨ - ٨٢٦م)، تلميذ أبي عمرو بن العلاء، الاتجاه نفسه. وقد أخذ أبوعبيدة من شيوخه (مثل أبي عمرو

(=) (الانساب ج ٥ ص ٢٤٥- ٦، ٢٥٢)، وبعض الأخبار عن هشام بن عبدالملك وخالد القسري (الطبري ج ٢ ص ١٦٥٥، ١٦٥٨، ١٦٦٨).

٤- ويذكر أخباراً عن (الدولة العباسية) تتعلق بالمنصور بالدرجة الأولى، منها العهد للمنصور، وبيعته، وبناء بغداد، ووفاته (الطبري ج ٣ ص ٨٩، ٢٧٣، ٢٧٨، ٤٠١، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٥٦) وشيئاً عن المهدى (الطبري ج ٣ ص ٥٣٢). ويبدو أن اكثر أخباره مقتبس من مؤلفات مكتوبة إذ ترد الرواية عنه «قال الهيثم بن عدي» و «وذكر الهيثم بن عدي»، ولكن بعضها بالرواية الشفوية منه. وفي مقتبساته ترد رواية واحدة أو خبر واحد عن كل أمر أو حدث ولا ترد روايات متباينة حول الموضوع نفسه.

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ١٤٥؛ ياقوت - أدباء ج ٧ ص ٢٦١؛ ابن خلكان - وفيات ج ١ ص ٢٤٩.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٦٦.

(٣) طه الهاجري - أبو عبيدة، مجلة الكاتب المصري، السنة الثانية ١٩٣٦ عدد ٦ ص ٢٨٠.

ويونس بن حبيب)، كما اتجه إلى الرواة البدو وجمع رواياتهم، وهي تتعلق على الأكثر بقبائلهم. وقد أدى الاهتمام بروايات هؤلاء الرواة إلى قدومهم إلى المدن - وبخاصة مربد البصرة - واستقر بعضهم فيها. وقد قام أبوعبيدة بدراسات واسعة تكاد تشمل حقل الروايات العربية الشمالية بكاملة. وكانت هذه روايات عائلية، وروايات قبلية، وروايات محلية، إضافة إلى روايات الرواة. ويعده أبو الفرج «من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها» (١) ، في حين يراه الجاحظ من أعلم أهل زمانه؛ إذ يقول: «لم يكن في الأرض جماعي ولا خارجي أعلم بجميع العلوم منه» (٢) . ويشير ابن النديم إلى شمول دراساته فيقول: «وله علم الإسلام والجاهلية» (٣) .

وقد كتب أبو عبيدة عدداً كبيراً من الكتب في تاريخ العرب وتاريخ صدر الإسلام. ووجهته في الكتابة وجهة اللغويين، أي إنه يجمع الروايات المتعلقة بحادث أو بموضوع في كتاب. وهكذا كتب عن المدن والأمصار، وعن «المفاخر» و«المثالب» القبلية، وفي «الأخبار»، وعن شخصيات تاريخية، وعن المعارك، وعن الأحزاب (الخوارج)، وعن القضاة، وعن الموالي، إضافة إلى دراسات أخرى عن الحديث والقرآن والشعر. واشتهر بعلمه بأيام العرب، حتى جعله أبوالعباس المبرد أعلم أقرانه «بأيام العرب وأخبارهم»، كما أشاد ابن قتيبة بعلمه بأيام العرب وأخبارها (٤) . وأصبحت دراساته للأيام أساساً للمؤرخين فيما بعد (٥) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٥.
(٢) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٢؛ ياقوت - ادباء. ج ٦ ص ١٦٥ .
(٣) ابن النديم - الفهرست ص ٥٣.
(٤) ياقوت - أدباء ج ٦ ص ١٦٥.
(٥) انظر: غناوي - النقائض، الفصل الأول.

وحاول أبو عبيدة أن يكون مدققاً، بأن ذكر رواته، وأعطى الروايات المتباينة في موضوع ما، وقدم أحياناً سلسلة روايات يكمل بعضها بعضاً في توضيح الخبر. وهو في أخباره عن الأيام يعكس بأمانة الرواة البدو في الروح والأسلوب الأدبي. وقد اعتمد أبوعبيدة بالدرجة الأولى على ملاحظاته المكتوبة ومدوناته لا على الذاكرة، وهو بهذا يمثل المرحلة الثقافية التي عاش خلالها. وقد قيل عنه «أما أبوعبيدة فعالم ما ترك مع أسفاره يقرؤها». ويذكر عنه انه «كان ديوان العرب في بيته» (١) .

وقف أبوعبيدة موقفاً يسيء إلى العرب في الصراع الثقافي بين العرب والشعوبية. وقد كتب «كتاب الموالي»، تناول فيه المسلمين من غير العرب كما يبدو، وكتب «أخبار الفرس» (أو فضائل الفرس كما يسميه ابن النديم)، أعطى فيه الأخبار الفارسية. كما انه كتب الكثير عن «مثالب العرب». وكل هذا يتمشى مع الخط الثقافي الشعوبي. وهو لا يتهم بالوضع في رواياته، ومنزلته العلمية عالية، إلا أن أخباره تكشف عن مثالب بشعة (٢) . ومن المحتمل أن يكون أبوعبيدة شعوبياً ممن يسمون «أهل التسوية»، وقد ينسجم هذا مع نسبته إلى الخوارج (٣) .

وكان للحركة الشعوبية أثرها في الدراسات التاريخية؛ إذ إن أصحابها قاموا بجهود خاصة لتشويه تاريخ العرب والدس عليهم. كما

---

(١) الخطيب – تاريخ ج ١٣ ص ٢٥٢؛ ابن النديم – الفهرست ص ٥٣ ؛ ياقوت – أدباء ج ٦ ص ١٦٤ ؛ اليافعي – مرآة ج ٢ ص ٤٤، ٤٦؛ ابن العماد – شذرات ج ٢ ص ٢٤.

(٢) الثعالبي – لطائف المعارف ص ٦٣، وانظر الفهرست ص ٥٣.

(٣) الحاجري – مجلة الكاتب ج ٢ ص ٤١٤؛ ياقوت – أدباء ج ٦ ص ١٦٤؛ ابن قتيبة – المعارف ص ٢٦٩ ورسائل البلغاء ص ٣٤٦ وانظر :

H.A.R. Gibb, The social significance of the Shu'ubyya in St. Or. Fonni Pedersen 1955. GOLDZIHER, Muh, Stud. I p. 194 off.; PELLAT, Milieu Basrien de Fahiz, p. 142 off.

انها أدت إلى رد فعل واضح لدى العرب للقيام بدراسة واسعة لتاريخ العرب وأدبهم (١) .

وكان «الشعوبية» والكتاب، مسؤولين عن توسيع الاهتمام بالثقافة الفارسية وبالتراث الفارسي، وقد شهد القرن الثاني للهجرة حركة شعبية واسعة للترجمة عن الفارسية، فترجمت كتب تاريخية وشبه تاريخية، وأهم هذه الكتب كتاب الـ «خداينامة» الذي ترجمه ابن المقفع (ت ١٤٤هـ/ ٧٦٠م) عن الفهلوية، وسماه كتاب (سير الملوك). وعملت ترجمات أخرى مباشرة للكتاب نفسه، كما ظهرت صور أخرى له هي ترجمات مع إضافات لأخبار تاريخية وأساطير من كتب فهلوية أخرى، ووضعت مصنفات في الموضوع نفسه تعتمد على تلك التراجم (٢) .

تعطي الخداينامة قصة التاريخ القومي الايراني كما يراه الأشراف ورجال الدين. وهي تحوي حكايات خرافية وأساطير من الأفستا، وأحاديث دينية، وقصة الاسكندر المأخوذة من مصادر أجنبية، وأنساباً خيالية. وهي لا تفرق بين ما هو خرافي تماماً وبين ما هو شبه اسطوري وبين المعلومات التاريخية. ولعل الصورة المعطاة عن الساسانيين تاريخية أكثر من غيرها، ولكن المعروف عن عهد الساسانية حتى يزدجرد الأول لا يتعدى القليل من المعلومات، ولذا سدت الفجوة بالإنشاء البليغ وبالخطب الرنانة.

---

(١) انظر مقال الأستاذ جب المشار إليه عن الشعوبية، والدوري - مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص ١٢ وما بعدها.

(٢) وجد حمزة الأصفهاني ثمانية ترجمات للخداينامة، واستفاد الموبذ جرام مرادنشاه من عشرين ترجمة، ولم يجد عيس الكسروي نسختين متطابقتين بينهما. انظر حمزة الأصفهاني- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٨- ٩؛ والبيروني - الآثار الباقية ص ٩٩.

وترجمت كتب أخرى غير الخداينامة، مثل الآيين نامه (آيين نامغ)، أو التقاليد والمراسيم، والكاه نامه (كاه نامغ)، أو طبقات العظماء، وقصصاً تاريخياً وشعبياً، وكتباً تاريخية تستند إلى مواد الخداينامه مرتبة ترتيباً جديداً (١) .

وهذه الكتب أدخلت عنصراً قصصياً ضعيفاً مع كثير مما هو أسطوري إلى المواد التاريخية. ولم يكن في هذه الكتب تسلسل تاريخي حسب السنين؛ لأنه لم يكن للفرس تقويم ثابت. ومن ناحية ثانية أن أسلوب كتابة التاريخ على توالي السير كان معروفاً ومتبعاً لدى العرب قبل ظهور هذه الترجمات – ولذا سميت الخداينامة بسير الملوك، بينما أطلق على السلالات المتعاقبة اسم «طبقات» (٢) . فكتب الأخبار عن الأسر الحاكمة تتألف من سلسلة «سير» للخلفاء المتعاقبين. ولذلك فإن كتب الخداينامة قدمت مادة تاريخية مشوشة لعهد ما قبل الإسلام، ولكنها لم تأت بفكرة أو بخطة جديدة لكتابة التاريخ. ويبدو ان دوافع الترجمة كانت سياسية وحضارية (٣) .

وهناك ترجمات عن اليونانية (أو السريانية)، ولكن هذه الترجمات كانت ثقافية، ولا يوجد ما يدل على أي أثر لها في كتابة التاريخ.

---

(١) انظر .Christensen, L'iran sous les Sassanidesm p. 52 off والترجمة العربية ليحيى الخشاب – ايران في عهد الساسانيين ص ٥٢ وبعدها؛ المسعودي – التنبيه والاشراف ص ١٠٦ وبعدها و

West, Grundriss, 11. p. 117; Noldeke - Geschichte der Perser und Arabern and Nationalepos.

M. Inosranzev - Iranian influence on Muslim culture.

(٢) حمزة الاصفهاني (تاريخ سني ملوك الارض ص ٨؛ المسعودي – التنبييه والاشراف ص ٨٥ وبعدها.

(٣) الجاحظ – البيان والتبيين ج ٣ ص ١٤، ٣.

وهكذا يتضح أن هذا الاتجاه للكتابة التاريخية نشأ عن استمرار ميول وبدايات سابقة، وجدت دوافع جديدة وآفاقاً جديدة وإطاراً جديداً في الإسلام.

وكانت الدوافع بالدرجة الأولى اجتماعية وسياسية ولدرجة محدودة دينية وإدارية. فالدعوة إلى «الجبرية» في الحوادث، وهي الدعوة التي تبناها الأمويون، لم تجد تأييداً يذكر في مراكز المعارضة مثل الكوفة والبصرة. ولكن العصبية للأمصار، والسياسة الحزبية، والعصبية القبلية ينعكس أثرها في الكتابة التاريخية. كما أن العلاقات الثقافية والتطورات الثقافية تفسر التطور من روايات الرواة إلى كتب الاخباريين وكتب الأنساب، ومن الروايات الشفوية إلى المؤلفات المكتوبة. وما طلع القرن الثالث الهجري حتى نجد الاتجاهين التاريخيين - اتجاه المدينة، واتجاه الكوفة والبصرة - يلتقيان في حقول مشتركة للدراسة التاريخية وفي آراء تاريخية مشتركة.

٦- وأنتجت الدراسات التاريخية المارة الذكر مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة. كما ان الاتجاه نحو استعمال أسلوب المحدثين في النقد ازداد قوة واستقر في العراق. وظهر الحماس للرحلة في طلب العلم؛ لغرض الدراسة ولجمع أكثر ما يمكن جمعه من العلومات، وقد بدأ المحدثون في هذا النهج وتابعهم المؤرخون. كما أن الشعور بأهمية الخبرة المتجمعة لدى الأمة، وبأهمية الاجماع على نطاق واسع، تركز أكثر من قبل نتيجة التطورات الثقافية، ووجد عناية خاصة. ثم إن المبادىء الإسلامية والاتجاهات الإسلامية تفوقت بصورة حاسمة على الاتجاهات القبلية في المجتمع، فأثرت هذه العوامل بمجموعها على نطاق الدراسات التاريخية وعلى النظرة إلى كتابة التاريخ.

وقد شهد النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ظهور مؤرخين لا تحدهم مدرسة أو اتجاه مما ذكر، بل حاولوا أن يستفيدوا من مواد السيرة ومن «كتب» الاخباريين، ومن كتب الأنساب والمصادر الأخرى المتيسرة. وشملت دراستهم الأمة بصورة منظمة. وكان عملهم انتقاء المادة بعد النقد، وأفقهم عامًا أو عالميًا.

وأول ممثل للتطور الجديد هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م). وله كتابان مهمان هما «فتوح البلدان» و«أنساب الاشراف». أما فتوح البلدان، فيبحث تاريخ الفتوحات الإسلامية ويقدم قصة متسلسلة لفتح كل مصر. وقد أخذ البلاذري مادته من الكتب الخاصة بفتوح كل مصر، ومن المواد التي استطاع جمعها خلال زيارته للأمصار، ومن الروايات الأخرى المتيسرة. وطريقته في الكتابة تكمن في أنه ينتقي المادة بعد الغربلة والنقد، ويعطي صورة متزنة للحوادث، مع تجنب ايراد روايات متعددة حول الحادث. وهو يعتمد كثيراً على روايات المدينة التي تتصف بالحياد والدقة أكثر من أغيرها، كما انه استفاد بالدرجة الأولى من الروايات المحلية. وقد أورد البلاذري كثيراً من المعلومات القيمة عن النواحي الثقافية والاقتصادية والإدارية.

أما «أنساب الأشراف» فهو كتاب عام للتاريخ الإسلامي في اطار الأنساب. وهو يمثل مزيجاً فذًا في الخطة والمادة. فخطته تجمع بين أساليب كتابة كتب الطبقات وكتب الأخبار وكتب الأنساب. وتشمل سيرة كل خليفة الأحداث التي وقعت على عهده بما في ذلك فعاليات الأحزاب السياسية، مع عناوين فرعية للحوادث المهمة تشبه عناوين «كتب» الإخباريين. وهو يراعي التسلسل التاريخي عادة، ومع ذلك توجد

استثناءات فرضتها ضرورة مراعاة تسلسل النسب (مثلاً يرد الكلام عن يزيد قبل عثمان بن عفان).

ينقد البلاذري مصادره قبل الأخذ عنها. ولكننا نلاحظ أن الآراء عن المؤرخين السابقين قد استقرت في عصره. وهذا ينعكس في مثل قوله «الواقدي في اسناده»، و«أبو مخنف في اسناده» الخ (١) . ويظهر أن بعض الروايات كانت مقبولة لدى عامة المؤرخين كما يظهر من بعض أخباره التي تبدأ بـ «قالوا....» (٢) . ويظهر ان البلاذري في انتقائه لمادته التاريخية أعطى أهمية خاصة للروايات التي تعود للمنطقة التي وقع فيها الحادث، وأتمها بروايات أخرى حول الموضوع. فمثلاً في حديثه عن «الشورى» يعتمد بالدرجة الأولى على الواقدي والزهري (المدينة)، ويضيف إلى ذلك روايات عن أبي مخنف (وهي أقرب للعلويين)، ويأخذ عن الزبير بن بكار فيما يخص الأنساب. وفي أخباره عن عبدالملك بن مروان يعتمد كثيراً على المدائني (عن عوانة بن الحكم)، وعلى عوانة بن الحكم والواقدي (دمشق والمدينة) ويضيف إلى ذلك بعض الروايات العراقية. وفي أخباره عن وقعة (الحرة) يستند بصورة أساسية إلى المدائني والواقدي وعوانة و«أشياخ» من المدينة، وبذلك يعطي روايات مدنية وأموية.

أما مصادر البلاذري فمؤلفات مكتوبة وروايات شفوية. فبعض التعابير مثل «حدثني» و«قال لي» تشير إلى روايات شفوية مباشرة، بينما تشير «روى» بصورة عامة إلى مؤلفات مكتوبة، في حين ان «قال» تعني أخذ رواية شفوية أو الأخذ من كتاب (٣) . ويستعمل البلاذري الاسناد

(١) البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣، ٣٦.
(٢) أنساب الأشراف، نشره الوارت ص ٢٨٣- ٥، ٢٨٧- ٢٩٠.
(٣) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٨، ٢٤- ٢٥، ١٣٥؛ ج ٤ ص ٥٤.

عادة في بعض رواياته التي تتعلق بحوادث المدينة زمن الراشدين، وفي بعض الروايات المنفردة، وإلا فإنه يأخذ عن مصدر سلسلة اسناده معروفة، فيكتفي بذكره. وكثيراً ما يستعمل الاسناد الجمعي ليدل على الاتفاق على المعلومات الأساسية ثم يورد اضافات بسيطة (١) . ويحدث أحياناً أن يورد البلاذري عدة روايات، بينها شيء من الاختلاف حول الموضوع نفسه (٢) . وترد لديه بعض الروايات المنفردة دون اسناد (٣) .

على الرغم من اتصاله بالعباسيين إلا أن البلاذري محايد في أخباره، ومتزن، فهو يفسح المجال للروايات كافة، ويحاول بصورة جدية أن يكون موضوعياً في اخباره.

ويعبر البلاذري في «أنساب الأشراف» عن فكرة وحدة الأمة واتصال خبراتها في التاريخ الإسلامي. أما «فتوح البلدان» فيظهر قيمة خبرة الأمة للأغراض الإدارية والتشريعية.

وحين نأتي إلى اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) نرى انه يعبر عن فكرة التاريخ العالمي. واليعقوبي مؤرخ من طبقة الكتاب، يجمع بين ثقافة واسعة وخبرة عملية في الإدارة. وقد أمضى كثيراً من أيام شبابه في الأسفار، وجمع المعلومات، تاريخية وجغرافية (٤) . وكتب كتاب «البلدان» في الجغرافية التاريخية، وهو أول مؤلف من نوعه في العربية. كل هذا أثر في تاريخه من ناحية الأسلوب والمادة.

---

(١) المصدر نفسه ج ٥ ص ٣٤.

(٢) انساب الأشراف (نشر الوارث) ص ٥٩؛ وانساب الأشراف ج ٥ ص ١٩- ٢٠، ٢٤.

(٣) يقول «قال بعض أهل العلم».

(٤) اليعقوبي – البلدان (المكتبة الجغرافية العربية مجلد ٧) ص ٢٣٣.

وتاريخ اليعقوبي خلاصة وافية للتاريخ العالمي (قبل الإسلام)، وللتاريخ الإسلامي حتى سنة ٨٧٢/٢٥٩. وقد راعى اليعقوبي في كتابته التسلسل التاريخي للمدد والحوادث. فهو يبدأ بالخليقة (وهذا القسم مفقود من النسخة المطبوعة)، ولا يقتصر على تناول تاريخ الانبياء، والتاريخ الايراني، وتاريخ العرب قبل الإسلام، بل يتناول تاريخ أمم أخرى قديمة كالآشوريين والبابليين والهنود واليونان والرومان والمصريين والبربر والحبشة والزنوج والترك والصينيين، وبذلك يطبق فكرته عن التاريخ العالمي بصورة شاملة. ويبدو أن اهتمامه في هذا القسم من تاريخه، وبقدر ما تسمح معلوماته، انصب على الجوانب الثقافية، ويمكن القول إن مادته التي عرضها في كتابه تعكس امتزاج الثقافات في المجتمع الإسلامي. ونلاحظ أثر اهتمامه بالجغرافية في كتابته (١) ،كما أن رغبته في الفلك تظهر في كتابته عن التقاويم الفارسية والرومية في هذا القسم (٢)، وفي اعطائه معلومات فلكية عند تحديد بدء مدة كل خليفة في القسم الثاني.

يتخذ اليعقوبي نظرة نقدية إلى مصادره في القسم الأول. ففي كتابته عن تاريخ الأنبياء رجع إلى المصادر الأصلية، وهو دقيق في ذلك بشكل يسترعي الانتباه. وحين يتكلم عن التاريخ الإيراني يبين أن مواد هذا التاريخ قبل العصر الساساني اسطورية، ولا يمكن الوثوق بها. وهو يأخذ من مؤلفات يونانية (مترجمة) حين يكتب عن الثقافة اليونانية.

أما في التاريخ الإسلامي فإن اليعقوبي يتبع أسلوب الانتقاء من الروايات بعد التدقيق. وهو يبين انه رجع إلى «ما رواه الأشياخ المتقدمون

(١) اليعقوبي - التاريخ (نشره هوتسما) ج ١ ص ٢٠٧- ٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٩- ٢٠٠، ١٧٨.

من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات» ووجد أنهم «اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمار»، فحاول أن يمحصها، وأن يأخذ «أجمع المقالات والروايات»، وأن يؤلف بينها لكتابة تاريخه. وهو لا يرى ضرورة لإعطاء الأسانيد، وذلك لأن النظرة إلى الأسانيد التاريخية الهامة استقرت قبله، ولذا فإنه يكتفي بذكر مصادره الأساسية في مقدمة القسم الثاني (١) ، ولا نجد بعد ذلك إشارات إلى مصدر أو سلسلة إسناد إلا في حالات نادرة (٢) . ونلاحظ أن مصادره علوية، وعباسية (مثل سليمان بن علي الهاشمي) (٣) ،ومدنية (مثل الواقدي وابن اسحق)، كما أخذ من الإخباريين (مثل المدائني، والهيثم بن عدي، وابن الكلبي - في النسب)، ومن بعض الفلكيين (مثل الخوارزمي المنجم وما شاء الله الحاسب).

نلاحظ أن اليعقوبي متزن في أخباره، وأنه بصورة عامة دقيق فيما أورد من معلومات. وقد جاء أحياناً بمعلومات فريدة (٤) . وهذا لا يمنع من ظهور شيء من اتجاهاته في التفاصيل. فهو في حديثه عن الراشدين والأمويين يظهر ميولاً علوية أحياناً، ويسهب في ذكر أقوال الأئمة وخطبهم، ويعطي سيرهم عند ذكر وفياتهم (٥) . ولعلنا نكون أدق إن قلنا إن وجهة نظره (إمامية) إذ إنه يمر بايجاز عرضي بثورة زيد بن علي(٦) .

---

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣- ٤.

(٢) انظر المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧،. ٣٢- ٣، ١٢٦، ١٥٩.

(٣) انظر الجاحظ - البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٦٧.

(٤) انظر اليعقوبي - التاريخ ج ٢ ص ٤٧٩.

(٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٢ عن اسلام علي، وص ١٢٥ عن منزلته، وص ٣٥ عن أبي طالب، وص ١٢٥ عن غدير خم، وص ١٢٦- ٧ عن فضائل آل البيت، وص ١٣٧ عن السقيفة، وص ٢٢٠- ١ عن وضع طلحه والزبير، وص ٢٢٥- ٦ عن الحسن بن علي، وص ٣١٥- ٦، ٣١٨، ٣٢٠ عن نظرته للزبيريين، وانظر الصفحات ١٩١- ٢، ١٩٥ وبعدها، ٢٥٦- ٧، ٢٦١- ٢، ٣٠٢- ٣ عن المدة الأموية.

(٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٩١.

وفي حديثه عن العباسيين يظهر شيئاً من التسامح أو المجاملة. فهو يسمي «الدعوة» بالدعوة الهاشمية (١) ، ويسمي عصر العباسيين بـ «الدولة» . وهو يورد روايات عباسية في أخباره (٢) ، كما أن حديثه عن المهدي العباسي يعكس بصورة هادئة شيئاً من دعايات العباسيين في أن هذا الخليفة «مهديّ» ينشر العدل (٣) . وحين يتناول بعض الحوادث المحرجة للعباسيين مثل مقتل ابن هبيرة وأبي مسلم وسقوط البرامكة يقدمها بصورة مناسبة. بل إنه حين يتطرق إلى وفاة الإمام موسى الكاظم يكتفي بذكر البيان العباسي. ولكن هذه النقاط لا تحد قيمة مؤلفه وأهميته ومنزلته في تطور علم التاريخ عند العرب.

وقد سار اليعوقبي على خطة دراسة التاريخ الإسلامي حسب توالي الخلفاء، إلا أنه مع ذلك راعى خطة تسلسل الحوادث على السنين (٤) .

وحين يقترب اليعقوبي من عصره يقتصر على ذكر الأخبار بايجاز، فنرى مثلاً أن ثورة الزنج الخطيرة لا يصيبها إلا ملاحظات بسيطة. وهذا يمكن تفسيره بضوء خطة اليعقوبي. فقد أراد أن يكتب تاريخا مختصرا مركزا من المواد الواسعة المتباينة أمامه وذلك لاظهار تطور الأمة من جهة ولسد حاجة ثقافية، وإذا لا يساعد التاريخ المعاصر كثيراً في ذلك.

ولننظر الآن إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ/ ٨٨٣م). فكتابه «المعارف» هو دائرة معارف تمتزج فيها مختلف خطوط الكتابة التاريخية المختلفة. إذ نجد فيه فكرة كتابة تاريخ عالمي يبدأ بالخليقة، وينتهي بأيام المعتصم.

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١٨، ٣٩٢، ٤٠٨.
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٠٩، ٤٢٩- ٤٣١، ٤٣٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٣٢ وبعدها، ٤٧٥ وبعدها، ٤٧٩.
(٤) انظر بصورة خاصة ما يقوله في ج ٢ ص ١٦٧.

وتظهر فيه وجهة أصحاب الأخبار والأنساب في كتابة التاريخ، كما أنه يتناول «أيام العرب» بايجاز. ويبدو فيه اهتمام الفقيه بطريقة الفتح هل تمت صلحاً أم عنوة. واعتقد أن الكتاب وضع ليسد حاجة الكتاب إلى المعلومات التاريخية الأساسية.

استفاد ابن قتيبة في كتابه «المعارف» من مصادر مكتوبة ومن الروايات الشفوية، وسلك سبيل انتقاء معلوماته التاريخية بعد نقد مصادره. ويلاحظ أن من ذكر من مصادره لهم منزلة عالية في حقول دراساتهم (مثل ابن إسحق والواقدي وابن الكلبي). وكان ابن قتيبة أول من رجع إلى «العهد القديم»؛ ليأخذ منه مباشرة عن بدء الخليقة وعن تاريخ الأنبياء (١) . وتتميز مادته التاريخية بالحياد وبالتأكيد على الحقائق. ومع أنه يورد الآراء السائدة أحياناً (٢) إلا أنه يعطي أحكاماً خاصة طريفة في بعض الأحيان (٣) .

وكتب الدينوري (ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩١م) «الأخبار الطوال»، وهو نموذج آخر للتاريخ العالمي. فهو وإن راعى التسلسل التاريخي في كتابته يركز على بعض الحوادث والحركات ويتناولها بشيء من التفصيل، وهذا ما يجعل تاريخه أقرب لأن يكون سلسلة من «الأخبار» التي يربط بينها. ففي عهد ما قبل الإسلام حاول أن يقدم صوراً متوازية مترابطة للحوادث في إيران واليمن والجزيرة العربية وبيزنطية، ولكن التاريخ الايراني هو الغالب، وله المكانة الأساسية في هذه المدة. وهو لا يبدي اهتماماً بتاريخ

(١) ابن قتيبة – المعارف (ن. وستنفلد) ص ٧ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٣، ١٨٦.
(٣) انظر المصدر نفسه ص ٢٦٩ عن الحجاج.

الرسل ويمر بعهد الرسالة بسطور قليلة. أما في العهود الإسلامية فإن حوادث العراق وإيران هي موضع اهتمامه بالدرجة الأولى.

ولا يظهر الدينوري كثيرا من القابلية على النقد في كتابه. ويبدي شيئاً من الميل للعباسيين في أخباره. ولا يبدي اهتماما بالاسناد؛ إذ إنه أراد أن يعطي خلاصة مأخوذة من مؤلفات أخرى. ويدل فحص مادته التاريخية على أنه جمع بين الاسرائيليات والمصادر الفارسية والروايات العراقية والمدنية.

وأخيراً نأتي إلى «تاريخ الرسل والملوك» للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٨٢٣م) وهو يمثل قمة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند العرب في مدة التكوين. فقد كان الطبري طالب علم لا يعرف الكلل، فدرس على أساتذة في الري وبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر، واستقر أخيراً في بغداد. وقد بلغ في علمه بالروايات التاريخية والروايات الفقهية منزلة لا تبارى.

إن نظرة الطبري إلى التاريخ وأسلوبه في كتابته متأثرة بدراسته وثقافته كمحدث وكفقيه. ولذا فإن طريقته في نقد الروايات تتجه إلى الاسناد، في حين أن مصادره مؤرخون لهم منزلة موثوقة في حقولهم أو في الموضوعات التي كتبوا عنها. وهو يعبر في كتابه عن فكرتين أساسيتين في التاريخ: وحدة الرسالات من جهة، وأهمية خبرات الأمة واتصالها على الزمن من جهة أخرى. ومثل هذه الخبرات عظيمة الأهمية في سلوك الأمة في حالات الوحدة أو الاختلاف، وهي في الحالين توضح ما يصيب الأمة في تاريخها.

إن قيمة الروايات في نظر الطبري تعتمد على قوة أسانيدها، وكلما كان بدء السند أقرب إلى الحادثة كان أفضل. وهكذا وصلت إلينا عن

طريقه كتابات تاريخية وروايات تاريخية مبكرة، لم تحفظ إلا في تاريخه. والروايات قد تتأثر بعوامل مختلفة مثل الذاكرة والميول والرغبات وغير ذلك، ولا يمكن الجزم بدقتها وسلامتها بصورة قاطعة حتى بعد نقدها وتمحيصها. وهذا ما يجعل «الرأي» أو الحكم الفردي غير مأمون، وقد يكون مــريكاً، ولذا فــيكفي نقل الروايات ممن يوثق بهم من الرواة والمؤرخين والعهدة في صحتها عليهم.

لذا فإن رأي الطبري فيما أورد يظهر في تمحيصه للروايات والأخبار، وأخذ البعض منها دون الآخر. وهو يتجنب اعطاء حكم، ويندر أن يفضل رواية على أخرى ما دام قد أورد روايات مقبولة، ويبدي حياداً واضحاً فيما يورد من روايات.

وقد تأثر أسلوب كتابته بنظرته إلى الروايات، فهو في حرصه على إعطاء الروايات المختلفة حول حادث أو موضوع لا يستطيع تقديم تاريخ متصل للحادث. ويبدو أنه أراد أن يصنف الروايات التاريخية العربية كافة في كتابه – وهو منحى سبق اتباعه في الحديث – وهذا يفسر العدد الضخم لمصادره. وهذه خدمة كبرى قدمها الطبري، وهو بذلك ينهي العصر الأول في تطور الكتابة التاريخية؛ لأننا لا نرى أحداً بعده حاول إعادة فحص المصادر التاريخية للأزمنة في كتب الطبري عنها.

ويبدأ تاريخ الطبري بالخليقة، ويتناول الرسل والملوك في القديم، وينتقل إلى تاريخ الساسانيين والعرب، ثم يتناول التاريخ الإسلامي حتى عصره (٣٠٢هـ). ولعل نظراته إلى التاريخ كتعبير عن المشيئة الإلهية، وكمستودع للخبرات، تفسر الايجاز أو الضعف في القسم الأخير الذي يتناول التاريخ المعاصر.

٧- وظهرت تواريخ محلية في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ويعضها تواريخ مصر من الأمصار، مثل فتوح مصر لابن عبدالحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، والبعض الآخر تواريخ لمدن مثل تاريخ واسط لبحشل (ت ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)، وتاريخ بغداد لطيفور (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م). وقد وضع بعض هذه الكتب نتيجة للدراسات المحلية للحديث، فهي تعطي سير المحدثين الذين نشأوا في تلك المدن أو مكثوا فيها مدة من الزمن، وتورد هذه السير على هيئة طبقات. والبعض الآخر كتب نتيجة الشعور بالولاء للمدينة (أو للمصر) والاعتزاز بها. وتتضمن هذه التواريخ عادة بعض المعلومات الجغرافية أو الخطط.

وإذا استعرضنا ما مر نرى أن علم التاريخ عند العرب تطور طبيعي في الاسلام. فالدين الجديد، وتكوين امبراطورية، ووضع تقويم ثابت، كل هذه هيأت الأساس. ثم إن الاتجاهات الإسلامية المتمثلة في الاهتمام بسيرة الرسول، وبإجماع الأمة وخبراتها، وبآراء علمائها وأحكامهم، وبالحوادث الكبرى التي حددت سيرها التاريخي، كانت الدوافع الرئيسة لدراسة التاريخ في المدينة. ومن جهة ثانية استمرت الاتجاهات القبلية نحو العناية بالأنساب والأيام والشعر في المراكز القبلية الجديدة في الكوفة والبصرة في إطار جديد، ووجدت حوافز جديدة في التيارات السياسية والاجتماعية والمدنية الجديدة. وراء هذين الاتجاهين كان هناك الشعور لدى الجميع برسالة تاريخية، وهذا يوضح إلى درجة ما ذلك التنوع، وتلك السعة في الكتابات التاريخية.

إن تطور الكتابة التاريخية يكون جزءاً حيوياً من التطور الثقافي. فالروايات المبعثرة - في الأخبار والحديث والأنساب - صارت تجمع من

قبل الاخباريين أو المحدثين بصورة شفوية، إلا أن التاريخ لم يظهر بصورة ثابتة إلا حين بدأ استعمال الكتابة لحفظ الأخبار والروايات. وكانت المرحلة الأولى في نشأة التاريخ محلية بالدرجة الأولى ومحدودة تقريباً في نطاقها، ففي المدينة مهد الإسلام انصب الاهتمام على السيرة وعصر الخلفاء الراشدين، وفي الكوفة والبصرة اتجه الاهتمام إلى الفعاليات القبلية والفتوحات. وهذه الظاهرة تبدو في جوانب ثقافية أخرى، في تطور الاجماع وفي دراسة الحديث؛ فقد كانت العناية بهما في هذه المرحلة تنحصر في نطاق مدينة أو مصر (المدينة، الكوفة مثلاً). ولكن اطراد أثر المبادىء والأفكار الإسلامية وتغلغلها في المجتمع على حساب الآراء القبلية والاجتماعية المحلية توضح حصول تطورات ثقافية جديدة، مثل ازدياد أهمية الاسناد، وانتشار استعماله في الرواية، وتركيز الشعور بوحدة الأمة، وأهمية خبراتها المتصلة. وعندئذ بدأ نوع من الجمع المنظم للأخبار والروايات التاريخية (وكذلك للحديث) من الأمصار المختلفة، والاتجاه نحو كتابة تواريخ عامة بعضها ينطوي على نظرة عالمية للتاريخ قبل الإسلام.

وقد عدّ التاريخ منذ البداية «علماً» (١) ، وكان التأكيد على تمحيص الروايات ونقدها عن طريق الاسناد. ولما كانت الروايات والأخبار عرضة لتأثير الرغبات والميول الحزبية والعصبيات، لذا كان التأكد من سلسلة الرواة هو السبيل إلى التثبت من صحة الرواية. ويمكن القول بعد هذا إن ميول المؤرخ تظهر من نوع الروايات والأخبار التي يقبلها ويوردها. ويجوز إبداء الرأي بعد إيراد نص الرواية أو الخبر لا قبل ذلك. وتتكون

(١) تستعمل كلمة «علم» بالمقابلة لكلمة «رأي».

الثقة بالمؤرخ حينما يورد الروايات المتباينة، أو حينما يورد روايات مشهورة محايدة. وعلى هذا فدرجة التدقيق والنقد لدى المؤرخ تظهر في فحص الروايات بضوء ما ذكرنا.

إن الإسلام يعنى بالحياة بصورة عامة، ولذا فإن شؤون هذه الحياة مهمة، كما أن التجارب والأمثلة ضرورية للسلوك الطيب. والتاريخ خير مرشد هنا. فإنه يقدم من الأمثلة ما يمكن المرء أن يحيا حياة أفضل، وما يساعد على تنوير الحكام، ولذا فهو مهم للثقافة. ثم إن الاجماع مصدر مهم للتشريع، وسبيل أساسي للاتجاه السليم. والتاريخ بخطوطه الكبرى تعبير عن إرادة الله. أما الحوادث أو الحركات الفردية فالمسؤولية البشرية فيها أكيدة، ولذا تتباين الآراء فيها. فالتاريخ إذاً، وبصورة عامة، مفيد لفهم تطور الأمة. وهو مفيد للدراسات الإسلامية الدينية حين يقدم تواريخ السير، وحين يعطي سوابق عملية للإدارة وحين يلقي ضوءاً على الخبرات والاجماع. ومن ناحية أخرى فإن الكثير من التاريخ كتب لأسباب سياسية أو اجتماعية، وهذا يصدق على أكثر «كتب» الاخباريين. وقد يصدق كذلك على بعض التواريخ العامة؛ إذ يتعذر ان نجد دافعاً لكتابة الأخبار الطوال (للدينوري) والمعارف (لابن قتيبة) غير الدوافع الثقافية العامة.

ولنذكر هنا أن مبدأ حرية الإرادة وجد مجالاً واسعاً (على يد المتكلمين والمعتزلة) في العصر العباسي الأول، ومع أن أهل الحديث انتصروا على المعتزلة سياسياً في النصف الأول للقرن الثالث الهجري، إلا أن التفوق الثقافي جاء بعد ذلك. لذلك يتعذر التأكيد - كما فعل البعض - على سيطرة مبدأ الجبر، وما يترتب عليه في كتابة التاريخ في هذه المدة.

فالتسبيب إذاً موجود في الفعاليات البشرية ضمن مشيئة الله في العالم.

ويظهر في كتابة التاريخ تأكيد قوي على عنصر الوقت، والتسلسل الزمني يراعى في كتب التاريخ بصورة عامة. وهذا يظهر في كتابة التاريخ على أساس تعاقب الخلفاء، أو تتابع الحوادث، أو توالي الطبقات، ويصل حدوده الدقيقة في كتابة التاريخ على السنين. وكانت التواريخ والأسانيد العناصر الأساسية في الضبط. وفي كتب الأنساب والطبقات، يلاحظ الزمن في ذكر تواريخ الوفيات، وفي ذكر الأعمار (وهذه تذكر لتعوض عن الشك في تواريخ الولادة). فالتاريخ هو فعاليات البشر في أوقات معينة. وهذه النظرة إلى الوقت إسلامية.

أما أشكال الكتابة التاريخية فنمت من أسلوب «السيرة»، وأسلوب «الأخبار»، وأسلوب «الأنساب»، وفكرة «الأمة»، وكان عنصر الوقت يتخللها جميعاً. وهكذا فإن «الكتب» التاريخية ترجع إلى أسلوب «الأخبار»، والسيرة والطبقات والسير ترجع إلى أسلوب «السيرة»، بينما تعود كتب التاريخ العام أو التاريخ على السنين إلى فكرة «الأمة»، وأخيراً يظهر أسلوب «الأنساب» في بعض كتب التاريخ العامة - حتى تواريخ الأسر المتأثرة بصيغة الأخبار - وفي تواريخ أخرى.

كانت هذه القرون الثلاثة فترة التكوين لعلم التاريخ عند العرب، فيها وضعت خطط كتابة التاريخ وأساليبها. وقد شهدت المدة التالية عناصر ثقافية أخرى مثل الجغرافية والفلسفة والفلك تؤثر في كتابة التاريخ، ولكن الأفكار التاريخية والأساليب التاريخية لم يطرأ عليها تبدل يجلب الانتباه.

ملاحظـة :

نشير إلى بعض المؤلفات العامة في كتابة التاريخ عند العرب.

١- دائرة المعارف الإسلامية (الملحق)، مادة «تاريخ» بقلم الأستاذ هـ. أ. ر. جب.

1. BROCKELMANN, C., Geschichte der Arabischen Literatur, 2 vols, (1898, 1902) and Supplement 3 vols Leiden 1937- 1942.

3. MARGOLIOUTH, Lectures on Arab Historians, Calcutta, 1930.

4. ROSENTHAL, F., A. History of Muslim Historiography. Leiden, 1952.

5. BLACHERE, R., Histoire de la Ltiterature Arabe, Paris, 1952.

6. Fuck., J., Muhammad ibn Ishaq, Frankfurt am Main, 1923.

٧- هوروفتس - المغازي الأول ومؤلفوها، تعريب حسين نصار، القاهرة ١٩٤٩م.

8. WUSTENFELD, F., Die Geschichteschreichen und der Araber Ihre Werke, Leipzig, 1927.



أصول مدرسة التاريخ في المدينة
عروة - الزهري

بدأت الدراسات، تاريخية وغيرها، بجهود مشتركة تتمثل في حلقات للدراسة، تحيط كل حلقة باستاذ، وقد يبرز طالب العلم حين يجتاز مرحلة دراسية، فيكون حلقته، والدراسة مفتوحة لمن يريد، والرواية تسير في سلسلة، وبنتيجة ذلك وبمرور الزمن تكونت مدرسة في التاريخ والحديث والفقه.

وأول مدرسة للتاريخ هي مدرسة المدينة، مدرسة «المغازي» (١) ، وترتبط في نشأتها ووجهتها بجهود اثنين من الفقهاء المحدثين، عروة بن الزبير، وتلميذه الزهري.

[عـــــروة]

وعروة من أشراف قريش، أبوه الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة، وجدته خديجة بنت خويلد، وأخوه عبدالله بن الزبير وزوجته، أم يحيي - أصغر ولد الحكم -، وكان يعتز بنسبه من جهة الأب والأم (٢) . وكان لذلك أثر في نشأته وفي رواياته.

---

(١) تعني كلمة «المغازي» عادة المعارك والغزوات. ومع ان هذا صحيح لغوياً إلا أن معنى الكلمة في هذا الصدد وفي هذه المدة يشمل دور الرسالة.

(٢) انظر البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٧١، ١٦٠؛ الجاحظ - البيان والتبيين ج ١ ص ١٨٠؛ الطبري - تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٢٣١٣؛ الذهبي - تراجم رجال روى عنهم ابن اسحق، ص ٤٠.

وتختلف الروايات في سنة ولادته، فقيل إنه ولد سنة ٢٢هـ، وقيل سنة ٢٦هـ ،وقيل سنة ٢٩هـ (١) . وجـاء في رواية انه ولد سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ويبدو انها أدق الروايات، إذ تؤيدها رواية أخرى تذكر انه كان يوم الجمل (سنة ٣٦هـ) ابن ثلاث عشرة سنة، ويسندها ما ذكره عن نفسه بانه رد يوم الجمل من الطريق لصغر سنه (٢) . ولدينا عـدة روايات عن سنة وفاته، فيضعها الطبري سنة ٩٤هـ، وبذلك قال «ابن سعد وجماعته» (٣)، بينما يجعلها ابن قتيبة بين ٩٣هـ و٩٤هـ، ويردد ذلك ابن خلكان، هذا إضافة إلى روايات أخرى (٤) . ولكن أقدم الروايات وأوثقها تجعل وفاته سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م.

نشأ عروة ودرس في المدينة، وأقام بعدئذ بمصر سبع سنين بين ٥٨ و٦٥هـ وتزوج فيها (٥) . وزار دمشق عدة مرات. وكان طموح عروة يختلف عن طموح والده وأخويه عبدالله ومصعب، وقد عبر هو عن وجهته بوضوح بقوله: «أمنيتي الزهد في الدنيا والفوز في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنهم العلم» (٦) . ويتمثل هذا في سيرته، فقد روى عنه ابن هشام بأنه «كان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو

(١) ابن خلكان – وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٢١ (القاهرة)؛ الذهبي – تراجم ص ٤٨.
(٢) ابن حجر– تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٣ – ١٨٤؛ ابن سعد – الطبقات (نشره سخاو) ج ٥ ص ١٣٢؛ الذهبي – تراجم ص ٤٨.
(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٦٦؛ ابن سعد ج ٥ ص ١٣٥؛ الذهبي– تراجم ص ٤٢، ٤٨.
(٤) ابن قتيبة– المعارف (القاهرة ١٩٣٤) ص ٩٨؛ ابن خلكان ج ٢ ص ٤٢١. والروايات الأخرى تجعل الوفاة سنة ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١هـ. ابن حجر– تهذيب ج ٧ ص ١٨٤؛ النووي– تهذيب الأسماء ص ٣٣١؛ الذهبي – تراجم ص ٤٨.
(٥) البلاذري– فتوح (القاهرة ١٩٣٢) ص ٢١٩؛ هوروفتس– المغازي الأولى ومؤلفوها، تعريب حسين نصار، ص ١٣.
(٦) ابن خلكان– وفيات ج ٢ ص ٤٢١.

صائم» (١) . ويتجلى حبه للعلم من رواية ابنه هشام؛ إذ يقول «احرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له. فكان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب من أن يكون لي مثل أهلي ومالي» (٢) . ولم يشارك عروة في الأحداث السياسية المتوالية في زمنه. قال العجلي فيه: «كان ثقة رجلاً صالحاً لم يدخل في الفتن» (٣) . هذا مع أنه كان ضد سياسة الأمويين، ولكنه يرى اعتزال «أهل الجور» (٤) .

وقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس، فكان يتتبع الحديث والعلم، وروى عن أعلام المدينة من رجال ونساء مثل عائشة، وعمرة، وأسامة بن زيد، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وعبدالله بن عباس (٥) . وأصبح من فقهاء المدينة السبع، ومن أعلام محدثيها، حتى قال عمر بن عبدالعزيز عنه: «ما أحد أعلم من عروة بن الزبير». وقال الزهري «كان عروة بحراً لا يكدره الدلاء» (٦) . ويهمنا هنا أن ندرس عروة كمؤرخ تاركين دوره في الفقه والحديث.

وقبل الخوض في دراساته التاريخية، نبين انه كانت لعروة صلات بالأمويين، فهو يعرف عبدالملك في صباه في المدينة، وكان يجتمع به في

---

(١) ابن سعد - الطبقات ج ٥ ص ١٣٤؛ الذهبي- تراجم ص ٤٢ وانظر ص ٤٣.
(٢) ابن سعد ج ٥ ص ١٣٣؛ الذهبي- تراجم ص ٤١.
(٣) الذهبي- تراجم ص ٤٥.
(٤) ابن سعد ج ٥ ص ١٣٥؛ الذهبي- تراجم ص ٤٣- ٤٤.
(٥) انظر ابن سعد ج ٥ ص ١٣٣؛ الذهبي- تراجم ص ٤٥.
(٦) انظر ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ١٨٢؛ الاغاني (طبعة دار الكتب) ج ٨ ص ٨٩، ٩٣؛ الذهبي- تراجم ص ٤٥- ٤٦. ويقول الجاحظ (البيان ج ٢ ص ٢٠٢) وعظ عروة بنيه فقال: «تعلموا العلم فانكم ان تكونوا صغار قوم فعسى ان تكونوا كبار قوم آخرين». وانظر ابن سعد- الطبقات ج ٥ ص ١٣٤.

مسجد المدينة، ووفد عليه في دمشق بعد مقتل أخيه عبدالله، كما وفد على الوليد. وكان يلقى عنتاً من أهل الشام، وما لدينا من أخبار يدل على احترامهم لعلمه، وعلى أن صلته بهم كانت على حذر، ولا يهمنا إلا أن البلاط الأموي سأله عن حوادث تتعلق بفترة الرسالة، فأجاب عن ذلك برسائل وصل إلينا بعضها في الطبري، وهي من أقدم القطع التاريخية التي وصلت إلينا ومن أوثقها (١) .

وسنحاول فيما يلي الاشارة إلى آثار عروة التاريخية لتكوين فكرة تقريبية عنها:

١- بعث الرسول وهو ابن أربعين سنة (٢) : أوليات النبوة، «وأول ما ابتدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة.. الرؤيا الصادقة. . وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده» (٣) .

نزول الوحي على الرسول وهو يتعبد بغار حراء، والآيات الأولى ﴿اقرأ باسم ربك...﴾. الروع الذي حل بالرسول من أثر ذلك وتعبيره لخديجة عن قلقه، فتنطلق به إلى ورقة بن نوفل، ونبوءة ورقة بانه سيكون له شأن عظيم (٤) .

ويورد عروة رسالة تبين كيف تبين للرسول أنه معد للمهمة العظمى - وهي خبر الملكين اللذين لقياه ببطحاء مكة، وشقا بطنه وقلبه، وأخرجا

---

(١) انظر عن صلة عروة بالأمويين- ابن خلكان ج ٢ ص ٤٢٠- ٤٢١؛ الأغاني ج ٤ ص ١١٨، ج ٩ ص ١٤٧، ج ١٦ ص ٤٤- ٤٥ وج ٤ ص ١٢٣؛ الجاحظ- البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٠.

(٢) الطبري ج ١ ص ١١٤٠، ١٨٣٥.

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٩.

(٤) الطبري ج ١ ص ١١٤٧؛ الاغاني (دار الكتب) ج ٢ ص ١٥.

مغمز الشيطان وعلق الدم من جوفه، وجعلهما خاتم النبوة بين كتفيه (١) .

٢- الهجرة إلى الحبشة : وترد في رسالة من عروة إلى عبدالملك بن مروان، فيها يتحدث عن بداية الدعوة وموقف قريش آنئذٍ إذ يقول: «لم يبعدوا عنه أول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم...» فاشتدوا عليه حينئذ، فانفض الناس عنه إلا القليل، «فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث». ثم يذكر ان قوماً من قريش وفدوا من الطائف إلى مكة أنكروا دعوة الرسول، وأغروا به قومه، فاشتدوا على المسلمين، ثم تآمروا عليه؛ ليفتنوا من تبعه؛ «فكانت فتنة شديدة الزلزال.. فافتتن من افتتن وسلم الله من شاء». فلما رأى الرسول ما حل بأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة. وأوضح عروة سبب اختيار الحبشة بانه كان فيها ملك صالح لا يظلم أحد بأرضه، كما أن بلاد الحبشة كانت متجراً لقريش. فهاجر كثير منهم، وبقي هو «فمكث بذلك سنوات» (٢) . ويذكر تنصر عبدالله بن جحش بالحبشة (٣) .

٣- ازدياد مقاومة قريش للدعوة : وما كان يلاقيه الرسول من أذى قريش، حتى إنهم كانوا يرمون القاذورات في داره، ونثر بعضهم التراب على رأسه (٤) . وذكر أسماء المستهزئين من قريش بالرسول (٥) .

اجتماع قريش في الحجة يتذاكرون أمر الرسول ويقولون «إنه سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا». ومر

---

(١) الطبري ج ١ ص ١١٥٤.
(٢) الطبري ج ١ ص ١١٨٠- ١١٨١.
(٣) ابن هشام ج ٤ ص ٦.
(٤) الطبري ج ١ ص ١١٩٩؛ ابن هشام ج ٢ ص ٥٧، ٥٨.
(٥) ابن هشام ج ٢ ص ٥٠.

الرسول بقريش في اليوم الثاني فوثبوا عليه وثبة رجل واحد. فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه، فقام أبوبكر دونه يقول وهو يبكي. ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله. فانصرفوا عنه (١) .

خروج أبي بكر من مكة بعد أن رأى تظاهر المشركين على الرسول ورجوعه إليها في جوار ابن الدغنة (٢) .

٤- الهجرة : يبدأ عروة بتمهيد عن الظروف المؤدية لذلك، فيشير إلى رجوع جل من هاجروا إلى الحبشة، و«جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وانه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير، وفشا بالمدينة الإسلام. فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله». واضطربت قريش وتآمرت على أن تفتن المسلمين، «فأصابهم جهد شديد، وكانت الفتنة الآخرة». ويذكر عروة اتصال المدنيين بالرسول قائلاً :«ثم انه جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سبعون نقيباً رؤوس الذين أسلموا، فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة، وأعطوه عهودهم على انا منك وأنت منا». فاشتدت قريش على المسلمين، فأمر الرسول بالهجرة إلى المدينة. وهي التي أنزل الله عز وجل فيها، ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ (٣) .

وهذه القطعة تكمل حديث الفتنة الأولى والهجرة إلى الحبشة. ولا ندري ان كانت هذه جزءاً من رسالة عروة إلى عبدالملك – كما يظن هوروفتس – أو انها رواية مستقلة، إذ يحتمل ان عروة حدث بمحتويات تلك الرسالة وبهذه التتمة (٤) .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١١٨٥؛ ابن هشام ج ١ ص ٣٠٩.
(٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٠٩.
(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤– ١٢٢٥.
(٤) انظر المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٢٠.

حديث هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه إلى المدينة - ابتدأ عروة بالإشارة إلى هجرة المسلمين إلى المدينة، وبقاء الرسول بمكة ينتظر الوقت المناسب. ويذكر عروة تفاصيل التدابير للهجرة واختفاء الرسول وأبي بكر في غار ثور ثلاثة أيام، وما رافق ذلك، ويصف بقية الطريق حتى المدينة (١) . وتأتي هذه القطعة باسناد القطعتين السابقتين وفيها إشارة للآية ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾، كل هذا يدعو للاعتقاد بأن حديثها يتمم الروايتين السابقتين (٢) .

وفي رواية أخرى يذكر عروة وصول الرسول إلى قباء في طريق المدينة، وكيف كان المسلمون ينتظرون قدومه كل يوم (٣) .

يذكر عروة اصابة أصحاب الرسول بالحمى بعد وصولهم المدينة (٤) . ورواية عن موقف عبدالله بن أبيّ من دعوة الرسول، فيها يبدو عدم الارتياح والجفاء للرسول (٥) .

٥- خبر سرية عبدالله بن جحش :وفي الرواية تفاصيل انفاذ السرية وتوصية الرسول لعبدالله، والهجوم على القافلة القرشية، واستيلاء المسلمين على العير، ومقتل اثنين من القرشيين، وتبلبل الرأي حول مسألة القتال في الشهر الحرام حتى نزلت الآية ﴿يسألونك عن الشهر الحرام..﴾، ثم استلام الرسول للعير (٦) .

(١) الطبري ج ١ ص ١٢٣٤ وبعدها. وهناك رواية اخرى تذكر خبر الهجرة تشبه الرواية السابقة الا انها بسلسلة اسناد مختلفة. الطبري ج ١ ص ١٢٣٧.

(٢) هذا جعل هوروفتس يعدها والقطعتين السابقتين من رسالة واحدة إلى عبدالملك (المغازي الأولى ص ٢٠) ولكني لا أدري ذلك.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٤٢؛ ابن هشام ج ٢ ص ١٣٧.

(٤) البلاذري- فتوح ص ٢٥؛ ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٨.

(٥) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٦.

(٦) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣.

٦- غزوة بدر : ترد رواية عروة في رسالة بعث بها إلى عبدالملك بن مروان، تبدأ بـ «أما بعد، فإنك كتبت إليّ في أبي سفيان ومخرجه..»، وهي رواية طويلة متسلسلة، تبدأ بذكر عودة أبي سفيان من الشام، واستنجاد أبي سفيان بقريش، وأسر النبي - صلى الله عليه وسلم - لغلام من روايا قريش، ومحاولته معرفة عدد العدو. ويشير عروة إلى استعداد الرسول للمعركة والتقاء الجمعين وانتصار المسلمين. ولا يتحدث عن تفاصيل القتال ويكتفي بالقول: «والتقوا (قريش) هم والنبي - صلى الله عليه وسلم - ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم». وفي الرسالة نواحٍ طريفة منها مقدمة تمهيدية تقول: «وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخله. وأسرت أسارى من قريش.. أصابهم عبدالله بن جحش.. وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله وبين قريش، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب». ونلاحظ وصفه لنفسية المسلمين حين خرجوا إلى بدر «لا يرونها إلا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم» (١) .

وترد اشارات أخرى إلى بدر برواية عروة، منها قول الرسول للمسلمين حين ندبهم: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها» (٢) . ومنها تخوف قريش من بكر أن هي خرجت، ودور ابليس المزعوم في تطمينها (٣) . ودعاء الرسول يوم بدر حين رأى

(١) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤- ١٢٨٨.
(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٧.
(٣) الطبري ج ١ ص ١٢٩٦؛ ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٣.

جموع قريش مقبلة: «اللــهم انــك أنزلــت عليّ الكتــاب ووعدتني احد الطائفتــين وأنت لا تخلف الميعاد. اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة» (١) ثم طرح قتلى المشركين في القليب بعد انتهاء المعركة (٢) .

٧- غزوة قينقاع : وبعد بدر أظهرت قينقاع الحسد والغش. ويذكر عروة نزول آية ﴿واما تخافن من قوم خيانة..﴾ ومحاصرة الرسول لهم ونزولهم على حكمه ووساطة عبدالله بن أبي، واجلاؤهم عن المدينة، وما أصاب الرسول من أموالهم (٣) .

ذكر غزوة بئر معونة (٤) . اشارة عابرة إلى غزوة الرجيع (٥) .

٨- غزوة الخندق : محاولة اليهود تحزيب الأحزاب على الرسول، وتحريضهم قريشاً وغطفان وخروج قريش بقيادة أبي سفيان تتبعها غطفان وفزارة وبني مرة وقوم من أشجع. يسمع الرسول بذلك ويضرب خندقاً على المدينة (٦) .

٩- غزوة بني قريظة : وبعد ذهاب الأحزاب غزا الرسول قريظة وحاصرهم، فنزلوا على حكمة، فولى سعد بن معاذ الأمر فحكم فيهم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وتقسيم أموالهم (٧) .

---

(١) الواقدي – المغازي ص ٤٣ (القاهرة).
(٢) الطبري ج ١ ص ١٣٣١؛ ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١.
(٣) الواقدي – المغازي ص ١٣٩، ١٤١؛ الطبري ج ١ ص ١٣٦٠.
(٤) الواقدي – المغازي ص ٢٧٠.
(٥) المصدر نفسه ص ٢٧٥.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٤٦٣.
(٧) البلاذري– فتوح ص ٣٥؛ ابن سلام – الاموال ص ١٢٩؛ ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٢؛ الطبري ج ١ ص ١٤٩٤.

١٠- غـزوة بني المصطلق : إشـارة إلى توزيـع سـبـايا بـنـي المصطلق، وزواج الرسـول من جـويرية بنت الحـارث (١) . خـبــر الافك فـــي هذه الغزوة (٢) .

١١- صلح الحديبية : خروج الرسول عام الحديبية لزيارة البيت ومعه البدن لا يريد قتالاً، وعدد من معه. نزول الرسول الحديبية والمفاوضات مع قريش. الدعوة إلى الموادعة، الهدنة والصلح لأربع سنين على «أن يأمن بعضهم بعضاً على ألا اغلال ولا أسلال.. الخ». أدخل النبي في عهده بني كعب، وأدخلت قريش في عهدها حلفاءها بني كنانة. بقية الشروط وتأجيل دخول المسلمين مكة إلى العام القابل (٣) .

١٢- غزوة مؤتة : تاريخها، وتنظيم قيادتها، وعدد المشاركين فيها. وصول المسلمين معان ومجيء هرقل وعدته وحلفاؤه، وقرار المسلمين بعد المذاكرة (٤) . رجوع المسلمين وموقف الناس والصبيان منهم وتشجيع الرسول لهم (٥) .

١٣- فتح مكة : رواية تذكر بعض شروط صلح الحديبية، ونقض قريش لها في النزاع بين بكر حليفتها وبين خزاعة حليفة الرسول (٦) . حاطب بن بلتعه يكتب إلى قريش بعزم الرسول على السير إليهم (٧) .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٥١٧؛ ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٧، وانظر ابن هشام ج ٤ ص ٢٩٥ عن رواية اخرى لعروة حول زواج الرسول بجويريه.

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٣٠٩. هناك اشارة لحديث الافك في الطبري ج ١ ص ١٥١٨.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٥٣٤؛ ابن سلام- الاموال ص ١٥٧، ١٥٨؛ البلاذري- فتوح ص ٤٩.

(٤) الطبري ج ١ ص ١٦١٠؛ ابن هشام ج ٤ ص ١٥.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٦١٧؛ ابن هشام ج ٤ ص ٢٤.

(٦) ابن هشام ج ٤ ص ٣٢؛ الطبري ج ١ ص ١٦١٩.

(٧) ابن هشام ج ٤ ص ٤٠.

ويفصل عروة خبر فتح مكة في رسالة بعث بها إلى عبدالملك، فيوضح سبب الحملة وتنظيمها، ومجيء رسل قريش إلى الرسول (أبوسفيان ومن معه)، ودخول المسلمين مكة، وقتال خالد للأحابيش وانتصاره علهيم مع بعض التفاصيل الفردية (١) .

١٤- غزوة حنين : مكث الرسول في مكة حوالي نصف شهر. تجمع ثقيف وهوازن عندما سمعوا بخبر الحملة (على مكة) خوفاً من توجها إليهم، ومجيئهم بعدئذ إلى وادي حنين. أتاهم الرسول وهزمهم وغنم ما معهم من ماشية وسبى النساء والصبايا (٢) . مجيء وفد هوازن بالإسلام بعد غزوة الطائف، فاعتق الرسول أبناءهم ونساءهم (٣) .

١٥- غزوة الطائف : توجه الرسول إلى الطائف بعد حنين، وقتال ثقيف للمسلمين من وراء الحصن، وإسلام من حولهم من الناس. دوام الحصار لنصف شهر. عودة الرسول إلى الجعرانة حيث كان سبي حنين، وبعد أن أعتقه رجع إلى المدينة. مجيء وفد ثقيف إلى المدينة ومبايعته الرسول (٤).

١٦- رسائل من النبي إلى جهات مختلفة : كتاب إلى أهل هجر (٥) . كتاب إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى شريح بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال (٦) . كتابه إلى المنذر بن ساوى (٧) . كتابه إلى أهل اليمن (٨) .

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٦٣٢- ١٦٣٦، ١٦٤٤؛ ابن هشام ج ٤ ص ٦٠.
(٢) الطبري ج ١ ص ١٦٥٤.
(٣) الطبري ج ١ ص ١٧٧٠.
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥) البلاذري- فتوح ص ٦٠؛ ابن سلام- الأموال ص ١٩٩.
(٦) ابن سلام ص ١٣.
(٧) المصدر نفسه ص ٢٠.
(٨) المصدر نفسه ص ٢٧.

كتابه إلى ثقيف (١) . كتابه إلى أهل ايله (٢) . كتابه إلى خزاعة (٣) . كتابه إلى زرعة بن ذي يزن (٤) . كتابه إلى عبدالله بن جحش (٥) .

١٧- الفترة الأخيرة من حياة الرسول : أمر الرسول باعداد حملة أسامة. بدء مرض الرسول. حثه المسلمين على انفاذ بعث أسامة (٦) . اشتداد مرض الرسول ووفاته، وعمره (٧) . اشارة إلى خروج الأسود العنسي ومقتله في حياة الرسول (٨) .

١٨- شؤون خاصة : في رسالة إلى عبدالملك يرد ذكر وفاة خديجة وزواج الرسول من عائشة (٩) . وفي رسالة إلى الوليد يبين عروة ان الرسول لم يتزوج أخت الأشعث ولا تزوج كندية، بل تزوج أخت بني الجون، ولكنه لم يبن بها وطلقها (١٠) .

ولم يقصر عروة اهتمامه على المغازي، بل تعرض لفترة الراشدين، وهذا واضح في بعض المقتبسات التي وصلت عنه. ونحن نشير إليها بايجاز لتكوين فكرة عامة عن دراساته.

١- يذكر عروة عزم أبي بكر على انفاذ بعث أسامة على الرغم من ردة القبائل وحرج وضع المسلمين(١١). ويورد خبر ردة القبائل بايجاز وافٍ

---

(١) المصدر نفسه ص ١٩٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٠.
(٤) البلاذري- فتوح ص ٨١؛ ابن سلام ص ٢٠١.
(٥) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٨٠٨- ١٨٠٩؛ ابن هشام ج ٤ ص ٢٩٩.
(٧) الطبري ج ١ ص ١٨١٣، والطبعة الحسينية ج ٢ ص ٤٤٧، ٤٥٤؛ ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٤.
(٨) الطبري ج ٢ ص ٤٣١ (مطبعة الاستقامة).
(٩) الطبري ج ١ ص ١٧٧٠.
(١٠) الطبري ج ٣ ص ٢٤٥٨.
(١١) الطبري ج ٢ ص ٤١٦ (الاستقامة).

شامل(١). ويفصل في خبر ردة اليمامة لخطورتها (٢) . ويذكر خبر مجيء متمم بن نويرة إلى أبي بكر ينشد دم أخيه، ويطلب رد السبي، ويشكو خالد بن الوليد، ثم يذكر رفض أبي بكر مشورة عمر بتنحية خالد (٣) .

٢- أبو بكر يجهز الجيوش إلى الشام ويبين طريق كل قائد (٤) .

خبر أجنادين وتاريخ المعركة وانتصار المسلمين وأسماء بعض من استشهد (٥) .

٣- طلب العباس وفاطمة من أبي بكر ميراثهما من الرسول - فدك وسهم الرسول من خيبر - ورد أبي بكر. طلب أزواج النبي من أبي بكر مواريثهن من سهم الرسول بخيبر وفدك ورأي عائشة (٦) .

٤- ترك أبي بكر للتجارة لينصرف لشؤون المسلمين واعتماده على مرتب من بيت المال (٧) . مرض أبي بكر وتاريخ وفاته (٨) .

٥- إشارة إلى وقعة اليرموك (٩) . اشارة إلى وقعة القادسية (١٠) .

٦- خبر عن ذهاب عمر بن الخطاب إلى ايله (في طريقه إلى القدس) (١١) .

٧- خبر عن وقعة الجمل (١٢) .

---

(١) الطبري - ج ٢ ، ص ٤٧٥ (الاستقامة).
(٢) البلاذري - فتوح ص ٩٩.
(٣) الطبري ج ٢ ص ٥٠٣، و ج ١ ص ٢٠٨٥ (ليدن).
(٤) الطبري ج ١ ص ٢٠٨٥.
(٥) الطبري ج ١ ص ٢١٢٥.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٨٢٥؛ البلاذري - فتوح ص ٤٤.
(٧) ابن سلام - الأموال ٢١١.
(٨) الطبري ج ١ ص ٢١٢٨، ٢١٣٠.
(٩) الطبري ج ١ ص ٢٣٤٨.
(١٠) الطبري ج ١ ص ٢٢٥١.
(١١) الطبري ج ١ ص ٢٥٢٢.
(١٢) الطبري ج ١ ص ٣٢٠٧ ويروي عروة خبراً عن مقتل اخيه مصعب، وتعليق عبدالملك بن مروان على ذلك. الطبري ج ٢ ص ٨١١.

ويتعذر علينا من الروايات المتعلقة بفترة الراشدين تكوين فكرة عن نظرة عروة التاريخية، فهو لا يفصل نسبياً إلا في أخبار الردة، وما عدا ذلك يورد نتفاً واشارات عابرة. ونلاحظ في أخباره عن الردة انه يتبع أسلوبه نفسه في المغازي. ولكننا نجد مادة أكثر في مغازيه ونستطيع تكوين فكرة تقريبية منها.

فنرى أن عروة تطرق في مغازيه إلى بدء الوحي وبداية الدعوة والهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة. ثم تناول بعض فعاليات فترة المدينة مثل سرية عبدالله بن جحش، وغزوة بدر الكبرى ، وغزوة قينقاع، والخندق، وغزوة بني قريظة، وصلح الحديبية، وحملة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين، وغزوة الطائف، وبعض مراسلات الرسول، وأواخر أيامه. وقد جاءت بعض رواياته أجوبة عن أسئلة البلاط الأموي، وبعضها حدّث بها طلبته.

ويبدو أن رواياته مجرد خطوط أولية تتباين في التفصيل، ففي حين أن بعضها لا يعدو إشارات عابرة نرى البعض الآخر متصلاً كما في حديثه عن بدر والحديبية وفتح مكة. ونلاحظ أن معركة أحد لا يرد عنها ما يذكر (١) . كما اننا لا نجد في هذه الروايات ذكراً لتاريخ الوقائع (عدا مؤتة). ومع هذا فإننا نرى أن عروة تناول (المغازي) في دراسته، ولم يقتصر في ذلك على الغزوات، بل تناول بعض نواحي السيرة منذ نزول الوحي إلى وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم –. وترد في السخاوي إشارة إلى «مغازي» عروة (٢) ، وأورد حاجي خليفة ما يؤيد ذلك بقوله

---

(١) في الطبري اشارة عابرة إلى حادث استلام أبي دجانة لسيف الرسول في أحد ج ٢ ص ١٩٤ (الاستقامة).

(٢) السخاوي – الاعلان ص ٨٨.

«ويقال أول من صنف فيها (المغازي) عروة بن الزبير» (١) . وكل ما نستنتجه المقتطفات التي أوردناها هو أن عروة حدث في المغازي ولكننا لا نستطيع أن نتبين في رواياته خطة واضحة للسيرة.

كان عروة محدثاً ثقة، وقد اتبع أسلوب أهل الحديث في رواياته. ومكنته منزلته وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات من منابعها. ونحن نجد ذكر الاسناد في بعض رواياته» (٢) ، ولا يرد اسناد في روايات أخرى (٣) . ويبدو أن عروة أدمج في أجوبته المكتوبة إلى عبدالملك عدة أحاديث في رواية متسلسلة، وان لم يذكر اسناداً. ولنتذكر أن عروة من جلة التابعين، وان قواعد الاسناد لم تتبلور، وان الرواية المباشرة - وبخاصة التاريخية - عن تابع سبيل موثوف.

وعني عروة بالوثائق المكتوبة جنب الروايات الشفوية فأورد جملة من كتب الرسول إلى جهات مختلفة كما لاحظنا أعلاه، وهذه ناحية مهمة في وجهة الكتابة التاريخية. كما أنه استشهد بالآية القرآنية التي تتصل بالحوادث. كما في حديثه عن الهجرة (٤) ، وفي توضيحه لنفسية المسلمين عند خروجهم إلى بدر (٥) ، وفي عرضه لغزوة قينقاع (٦) . كما أنه شرح لابن هنيدة كاتب الوليد الظروف التاريخية للآيات ﴿يا أيها الذين آمنوا

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٤٧.
(٢) الطبري ج ١ ص ١١٤٧، ١١٥٤، ١١٨٥، ١٢٣٧، ١٢٣١، ١٥٣٤، ١٤٥٤، ١٨٠٨، ١٨٠٩، ١٨١٣، ١٨٢٥، ٢١٢٨، ٢٢٥١.
(٣) الطبري ج ١ ص ١١٤٠، ١١٦٧، ١١٩٩، ١١٧٣، ١٢٩٦، ١٥١٨، ١٦٥٤، ١٣٦٠، ١٦١٠، ١٦١٧، ١٦٧٠، ١٤٦٣، ١٨٣٦. ٢٠٨٥، ٢١٢٥، ٢٥٢٢، ٢٣٠٧.
(٤) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤.
(٥) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٣٦٠.

إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات... - «إلى» - الله يحكم بينكم والله عليم حكيم﴾، وبذلك عرف بناحية مهمة وهي هجرة نساء بعد الحديبية من مكة إلى المدينة، رغبة في الإسلام، وموقف الرسول منهن (١) . وهذا يشير إلى الصلة المبكرة بين التفسير والتاريخ. وقد صار الاستشهاد بالآيات في المغازي وجهة مألوفة.

إن قيمة الرواية هي في الثقة براويها، وقد أخذ عروة عن ثقات، وأشهر من روى عنهم عائشة، وأكثر أحاديثه عنها، وقد كان يشعر بأهمية أحاديثها (٢) . وروى عن آل الزبير (٣) ، وعن آخرين مثل أسامة بن زيد(٤)، وعبدالله بن عمرو بن العاص (٥)، وأبي ذر (٦) . وهذا التأكيد على المحدث أدى إلى وجود صدى ضعيف للقصص الشعبي فيما روى، فمثلاً يروي عن عائشة: «لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال على قبره نور» (٧) . وفي هذه الحالة نرى دقة عروة في روايته؛ إذ نراه يحترس ويقول «كان يتحدث»، وكمثل آخر نجده حين ذكر أسر المسلمين لروايا من قريش قبل بدر واستجوابهم يقول: «فزعموا أن النبي قال... الخ» (٨) .

ويورد عروة بعض الشعر في رواياته على لسان المشتركين في الحوادث، وان قل ذلك، مثل ما قاله ورقة بن نوفل حين رأى بلالاً يعذب

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٤٠.
(٢) انظر الذهبي - تراجم ص ٤٦- وعن بدء الوحي الطبري ج ١ ص ١١٤٧، وعن حديث الهجرة الطبري ج ١ ص ١٣٣٤ - ١٣٤٠ وعن بعض زيجات النبي - الطبري ج ١ ص ١٢٦٢ و ١٥٤٧.
(٣) الطبري ج ١ ص ٢٣٤٨، ٢٢٠٧ وج ٢ ص ٨١١.
(٤) ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٦.
(٥) الطبري ج ١ ص ١١٨٥.
(٦) الطبري ج ١ ص ١١٥٤.
(٧) انظر ابن هشام ج ٢ ص ٥١ عن خبر المستهزئين بالرسول.
(٨) الطبري ج ١ ص ١٢٨٨.

في الرمضاء (١) ، ومثل ما قاله أبوبكر وبلال حيث اشتدت بهما الحمى بعد الهجرة (٢) . ويبدو أن هذا كان طبيعياً في بيئة المدينة؛ إذ إن الشعر عنصر أساسي في الثقافة وفي الأخبار. هذا وقد قال أبو الزناد في عروة: «ما رأيت أروى للشعر من عروة» (٣) .

وأسلوب عروة واضح مباشر فيه حيوية وسلاسة، بعيد عن المبالغة أو محاولة التأثير. وهو يمهد أحياناً للحادثة بمقدمة تضعها في موضعها التاريخي، وتجعل الحديث متسلسلاً متصلاً، كما نرى في حديثه عن وقعة بدر حين يمهد بالإشارة إلى بداية الحرب بين المسلمين وقريش (٤) ، وكما نرى في حديثه عن الهجرة إلى الحبشة حين يمهد بذكر تطور العلاقة بين المسلمين وقريش منذ بداية الدعوة (٥) ، كما انه يمد في حديثه عن الهجرة إلى المدينة (٦) . ويسترعي انتباهنا اتصال حديثه بحيويته وسلاسته دون تقطع في رسائله المكتوبة.

مما مر نلاحظ أن الدراسات التاريخية بدأت متصلة بدراسة الحديث، بل انها فرع منها، وأن أسلوب الرواية أسلوب الحديث شكلاً ومبني. ويمكننا القول إن عروة قدم لنا صورة حية واقعية ودون مبالغة، لما تعرض له المسلمون وما أنجزوه. ويبدو أن الفكرة التاريخية وراء هذه الدراسة هي عرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول

(١) الأغاني ج ٣ ص ١٥ (دار الكتاب).
(٢) البلاذري – فتوح ص ٢٥.
(٣) الذهبي – تراجم ص ٤٦. وحين قيل لعروة ما ارواك يا با عبدالله؟ قال: «ما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا انشدت فيه شعراً».
(٤) الطبري ج ١ ص ١٢٨٤.
(٥) الطبري ج ١ ص ١١٨٠– ١١٨١.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٢٢٤– ١٢٢٥.

والمسلمين الأولين، وفيها اشعار بأهمية السيرة وبأهمية تجارب الأمة. كما اننا نحس من أسئلة البلاط الأموي ان الاهتمام بالمغازي لم يقتصر على طلبة العلم، بل انه يعبر عن رغبة اجتماعية وثقافية.

إن مجهود عروة خطير إذ جعل للدراسة التاريخية بداية قائمة بذاتها حين جمع الكثير من الأحاديث التاريخية في المغازي ورسم بعض الأسس لهذه الدراسة، وعبر عن فكرة تاريخية لها أثرها. ومن المنتظر أن لا يتضح منهج الدراسة التاريخية أو هيكلها في هذه البداية، ولكن ما بدأه عروة أتمه الزهري بصورة تسترعي الانتباه.

[الزهـــري]

إن الدور الأول في نشـأة مـدرسـة التـاريخ في المدينة يعـود لأبي بكر مـحـمـد بن مـسـلم بن عـبـيـد الله بن عـبـدالله بن شـهـاب الزهري، إذ انه وضـعـها على أسس راسـخـة، ورسم وجهة الدراسـة التاريخية فيها. ولذا فدراسته مهمة من هذه الناحية، كما انها مهمة أخرى؛ إذ انها تمكننا من تقـرير فـيـما إذا كـانت أصـول «المغـازي» ترجع إلى القـصص كـمـا يرى البعض (١)، أو انها ترجع إلى الدراسـات الجـدية التي قـام بها المحـدثون وتلامذتهم.

يكاد تاريخ وفـاة الزهري يكون أكيداً، إذ تتواتر الروايات على انه كان في ١٧ رمضـان ١٢٤هـ/ ٧٤٢م (٢) . أما تاريخ ولادته فهـو مـوضـع خلاف كـمـا ينتظـر، إذ ورد في ٥٠ هـ ، ٥١ هـ، ٥٦ هـ، ٥٨ هـ حـسب الـروايات المختلفة (٣) . ولكن الزبـيـر بن بكار (٤) والواقــدي - فـي رواية لـه - (٥)

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة «سيرة».

(٢) البخاري - التاريخ الكبير ج ١ ق ١ ص ٢٢١؛ ابن قتيبة- المعارف ص ٢٣٩؛ اليافعي - مـرآة الجنان ج ١ ص ٢٦٠؛ ابن الجـوزي - صـفـوة الصـفـوة ج ٢ ص ٧٩، الذهبي في ZDMG XLIV سنة ١٨٩٠ ص ٤٣٥. يعطي كل من الذهبي في «تراجم رجـال» (نشـرة فيشر) ص ٧٣ وابن كثير - البداية ج ١ ص ٤٣٤ تواريخ أخرى وهي سنة ١٢٣هـ و١٢٥هـ ولكنهما يؤيدان سنة ١٢٤هـ وانظر الأغاني ج ٦ ص ١٠٦.

(٣) الذهبي - تراجم رجال ص ٧٣؛ ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٩؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٧٤٤ (الواقدي يجعلها سنة ٥٨)؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٠٢؛ ابن خلكان - وفيات (القاهرة ١٣١٠) ج ١ ص ٤٥٢.

(٤) ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٤.

(٥) الذهبي في ZDMG ص ٤٣٥.

يذكران انه عاش ٧٢ سنة، وهذا يقرب احتمال ولادته سنة ٥١ هـ/ ٦٧١م (١) .

درس الزهري على أعلام المحدثين،و هو يضع أربعة منهم في منزلة خاصة من الاحترام والتقدير، ويكثر الأخذ عنهم، وهم: سعيد بن المسيب (٢) ، وابان بن عثمان (٣)، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة، وعروة بن الزبير. وكان يراهم «أربعة بحور» للعلم (٤) . ويروى انه وعى علمهم وأضاف دراساته إلى ذلك (٥) .

واشتهر الزهري بقوة الذاكرة، وهي مهمة جداً في عصره، وحاول أن يقويها بتناول شراب العسل (٦) . ويهمنا أكثر من ذلك اهتمام الزهري بتدوين ملاحظاته وما يسمع من أحاديث على «الألواح» و«الصحف» ليعين ذاكرته. وقد انتبه معاصروه لهذه الناحية عنده وعدوا كتابته سبباً أساسياً في تفوقه على أهل زمانه في العلم. وقد جاء في رواية انه كان يكتب كل ما يسمع، وجاء في رواية أخرى انه كان يكتب «سنن» الرسول و«ما جاء عن أصحابه» (٧) .

---

(١) انظر عن الزهري - معلومات عامة، ابن سعد - الطبقات ج ٤ ق ١ ص ٩٢ (ليدن) وج ٥ ص ١٥٨، وابن الأثير - الكامل (ليدن) ج ٢ ص ١١٩، وابن خلكان- وفيات ج ١ ص ٤٥١، وابن قتيبة ص ٢٣٩، والذهبي -تراجم ص ٧١، والذهبي- تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٥، وابو نعيم- حلية الأولياء ج ١ ص ٣٧٠- ٣٧١، وابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٢ وابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٨.

(٢) حضر مجلسه بين ٦- ١٠ سنوات. الذهبي - تراجم ص ٦٧.

(٣) انظر البخاري- التاريخ ج ١ ق ١ ص ٤٥١.

(٤) انظر الأغاني (ط. الساسي) ج ٨ ص ٩٢، ٩٣.

(٥) المصدر نفسه ج ٨ ص ٩٢، ابن حجر - تهذيب ج ٧ ص ٦٥.

(٦) الذهبي- تراجم ص ٦٩؛ انظر ابن قتيبة- المعارف ص ٢٦٠؛ البخاري- التاريخ ج ١ ق ١ ص ٢٢١، ابن الجوزي- صفوة ج ٢ ص ٧٧- ٧٨.

(٧) السمعاني- الأنساب ص ٢٨١؛ الذهبي- تراجم ص ٦٨؛ ابن حجر- تهذيب ج ٧ ص ٦٨؛ ابن كثير- البداية ج ٩ ص ٢٤٢.

اعتمد الزهري في «المغازي» على عروة بن الزبير بالدرجة الأولى. ودرس معه كما يبدو مدة غير قصيرة، وكان ينظر إليه باحترام خاص، ويراه «بحرا لا ينزف» (١) . ويشير البخاري إلى تأليف الزهري في المغازي بقوله: «حدثنا... موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال هذه مغازي رسول الله، فذكر الحديث» (٢) . وذكر السخاوي ان الزهري روى المغازي عن عروة (٣) . وتحدث حاجي خليفة عن مغازي الزهري فقال: «منها (أي المصنفات في المغازي) مغازي محمد بن مسلم الزهري» (٤) . هذا وروايات عروة هي المصدر الأول للزهري فيما وصل إلينا من مغازيه.

ويجنب عروة يكثر الزهري من الرواية عن سعيد بن المسيب (٥) ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة (٦) ، كما انه يروي عن آخرين كثيرين (٧) .

---

(١) البخاري – التاريخ ج ٤ ص ٣٢؛ ابو نعيم الأصفهاني- حلية ج ٣ ص ٣٦٠؛ ابن حجر- تهذيب ج ٧ ص ٦٥؛ الذهبي- تراجم ص ٤٥.

(٢) البخاري- الصحيح (بولاق) ج ٥ ص ١٤.

(٣) السخاوي- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٨٨، وانظر ابن سيد الناس- عين الأثر ج ١ ص ٨١.

(٤) حاجي خليفة – كشف الظنون (اسطنبول) ج ٢ ص ١٧٤٧.

(٥) الواقدي- المغازي (النص الكامل وهو غير مطبوع وقد حققه الاستاذ جوتز على نسخة المتحف البريطاني) ص ١٥١، ٢١٩، ٤٢١، ٤٣٦، ٥٦٢، ٨٢٨، ٨٦٩، ١٠٢٥؛ البلاذري- أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٥، ٢٦، ٦٧، ٩٧؛ الطبري ج ١ ص ١٨١٥.

(٦) الواقدي- المغازي (المخطوط) ص ٣٨٣، ٥١٩، ٦٥٧، ٨١٦؛ الطبري ج ١ ص ١٨٣٤.

(٧) مثل ابن كعب بن مالك (الواقدي، المخطوط ص ١٦٢، ٢٠٨؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٣١) وأنس بن مالك (الطبري ج ١ ص ١٨٢٩)، ومحمد بن جبير بن مطعم (الواقدي، المخطوط ص ٣٨١؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٣٠) وابن عباس (الطبري ج ١ ص ١٥٦٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٤٥) وعبدالله بن عمرو بن العاص (ابن هشام، ن. وستنفلد ص ٤١٢)، وابن سلمة بن عبدالرحمن بن عوف (الطبري ج ١ ص ١٠١٩؛ الواقدي- المخطوط ص ٧٥٤؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١٤٢) مالك بن أوس الحدثان (الواقدي- المخطوط، ص ٢٤٩، ٣٦٣).

ويظهر أن الزهري قام ببحث واسع في المدينة عن أحاديث الرسول وأصحابه، وساعده في ذلك مكانته الاجتماعية وذاكرته القوية واستعانته بالكتابة. ولم يقصر دراسته وسؤاله على المحدثين، بل سأل كل من يمكن أن يكون عنده حديث أو خبر ويصح الوثوق به، فكان يغشى المجالس ويزور الأشخاص في دورهم لهذا الغرض. يقول الذهبي: «قال إبراهيم بن سعد: قلت لأبي بم فاتكم الزهري؟ قال: كان يأتي المجالس من صدورها ولا يأتيها من خلفها، ولا يبقي في المجلس شاباً إلا ساءله ولا كهلا إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقي شاباً ولا كهلاً ولا عجوزاً ولا كهلة إلا ساءلهم حتى يحاول ربات الحجال» (١) .

ولسنا بصدد بحث منزلته الكبيرة كمحدث وفقيه (٢) ، بل سنقصر بحثنا على آثاره كمؤرخ. ويكفي ان نذكر بعض ما قيل عنه، فقد «حفظ علم الفقهاء السبعة»، وانه «ما له في الناس نظير» كما قال مالك بن أنس، وانه «لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه» كما قال عمر بن عبدالعزيز، وانه جمع من العلم ما لم يجمعه أحد قبله كما روى إبراهيم بن سعد عن أبيه، و«انه أعلم الناس» كما قال عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه (٣) . وهذا يدل على علو شأنه وأثره.

لقد لخص الطبري دور الزهري المؤرخ بقوله «كان محمد بن مسلم الزهري مقدماً في العلم بمغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الذهبي- تراجم ٦٩.

(٢) ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٧- ٧٨؛ ابو نعيم- حلية ج ٣ ص ٣٦٠- ٣٦١؛ الذهبي- تراجم ص ٦٨، ٧٠ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٠٤، ١٠٥؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٢، ٣٤٣؛ هوروفتس- المغازي الأول ومؤلفوها- تعريب حسين نصار.

(٣) انظر البخاري- التاريخ الكبير ق ١ ج ١ ص ٦٢١؛ ابن الجوزي- صفوة ج ٢ ص ٧٧؛ الذهبي تراجم ص ٦٨، ٧٢؛ اليافعي - مرآة ص ٢٦١؛ ابن كثير - البداية ج ٩ ص ٣٤٢.

وأخبار قريش والأنصار، راوية لأخبار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه» (١) . وسنتناول دراساته التاريخية مبتدئين بالمغازي.

يبدو أن دراسات الزهري تناولت حياة الرسول، فابتدأت ببعض الحوادث السابقة للإسلام وبعضها يتصل بالرسول، ثم حياة الرسول في مكة وبعدها في المدينة. ويذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) ان حجاج بن أبي منيع (ت بعد ٢١٦هـ/ ٨٣١م) روى المغازي عن الزهري(٢)، ويؤيده حاجي خليفة في أن الزهري وضع كتاباً في المغازي (٣) . وقد استعمل الزهري تعبير «السيرة» (٤) .

كما استعمل تعبير «المغازي» (٥) إلا أن التعبير الأول لا يرد عنواناً لمؤلفه.

وليس لدينا من «مغازي» الزهري إلا مقتطفات وردت بالدرجة الأولى في ابن اسحق والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس. وفيما يلي محاولة لوضع هذه المقتطفات في اطارها التاريخي لنحصل على هيكل تقريبي لهذه المغازي.

١– قبل الإسلام :

١– يوم خلق آدم (الجمعة)، ويوم دخوله الجنة، ويوم إخراجه منها. رواية عن التواريخ من هبوط آدم إلى الأرض حتى مبعث الرسول (٦) .

---

(١) الطبري – المنتخب من كتاب ذيل المذيل ص ٩٧ (المطبعة الحسينية).
(٢) السخاوي– الاعلان ص ٨٨.
(٣) حاجي خليفة – كشف الظنون (اسطنبول) ج ٢ ص ١٧٤٧.
(٤) الأغاني (ط. الساسي) ج ١٩ ص ٥٩.
(٥) الطبري– المنتخب ص ٩٧.
(٦) الطبري ج ١ ص ١١٢.

٢- ذكر نوح وانتشار أبنائه وذريته في الأرض وتوزيعها بينهم (١) .

٣- تقويم أبناء اسماعيل أو العرب ابتداء من نار إبراهيم إلى عام الفيل، وأخيراً التقويم الهجري (٢) .

٤- أخبار عن بعض الأنبياء (٣) ، ومناداة الله لموسى وذكره محمداً وأمته له (٤) . موسى والخضر (٥) . مرض أيوب (٦) .

خبر نذر إبراهيم (عن كعب الأحبار) بتضحية ابنه اسحق ومحاولة الشيطان أن يفسد ذلك (٧) .

وهذه القطع تظهر اهتمام الزهري بأخبار الأنبياء الماضيين. ولا ندري إن كانت جزءا من مغازيه، ان كنا نستبعد ذلك.

٥- بعض الروايات عن آمنة بنت وهب حين علقت بالرسول (٨) . وفاة عبدالله بن عبدالمطلب عند أخواله في يثرب (٩) .

٦- يذكر السخاوي (١٠) أن يونس بن يزيد (ت ١٥٩هـ / ٧٧٥م) روى عن الزهري مشاهد النبي، أو الأحداث التي شهدها النبي قبل الإسلام مثل بناء للكعبة وحلف الفضول. وقد نفى الزهري حضور محمد بن عبدالله حرب الفجار (١١) ، وهذه الرواية بذاتها تؤيد ما ذكره السخاوي.

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٠٠- ٢١٠.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٥٣.
(٣) ابو نعيم – حلية ج ٣ ص ٣٧٢؛ ابن كثير – البداية ج ٩ ص ٣٤٨.
(٤) ابو نعيم – حلية ج ٣ ص ٣٧٥.
(٥) البخاري – الصحيح ج ١ ص ٢٧؛ الطبري ج ١ ص ٤١٩.
(٦) أبو نعيم – حلية ج ٣ ص ٣٧٤.
(٧) الطبري ج ١ ص ٢٩٣.
(٨) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٥.
(٩) المصدر نفسه، وابن الاثير ج ٢ ص ٦.
(١٠) السخاوي- الاعلان ص ٨٨.
(١١) ابن الاثير (ليدن) ج ١ ص ٤٤٣.

٧- خديجة بنت خويلد تتفق مع محمد بن عبدالله ليرأس قافلتها إلى الشام. زواجه من خديجة وعمره آنذاك (١) .

٨- ويورد الزهري روايات عن دلائل نبوة الرسول منها خبر ملاك ينذر كسرى (٢) ، وكاهن يروي انذاراً من صاحبه عن نهاية الوثنية، كما ينسب إلى عمر بن الخطاب خبراً عن إحدى هذه الخوارق (٣) .

٢- دور الرسالة :

أ- الفترة المكية :

١- بدء نزول الوحي - (البدايات - الرؤيا الصادقة، التحنث في الخلوة، ونزول الوحي)، واضطراب الرسول ورجوعه إلى خديجة، وذهابها به إلى ورقة بن نوفل، وحديث ورقة. كيف أدرك الرسول لأول مرة ان الله اختاره لرسالته (٤) . أول الآيات نزولاً وآخرها (٥) . انقطاع الوحي فترة وقلق الرسول لذلك (٦) . أول المسلمين (٧) .

٢- فكرة عن نظرة قريش إلى دعوة الرسول وفعالياته (٨) . الرسول يحاول نشر الدعوة بين قبائل أخرى، مثل كندة وبني عامر بن صعصعة، خلال المواسم وعدم نجاح هذه المحاولة (٩) .

---

(١) ابن سيد الناس ج ١ ص ٤٧، ٥٠، الطبري ج ١ ص ١١٥٤.
(٢) الطبري ج ١ ص ١٠١٤.
(٣) الطبري ج ١ ص ١١٤٥.
(٤) الطبري ق ١ ص ١١٤٧- ١١٤٨، ١١٥٤؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٨٤- ٨٥؛ ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ٢٤٩؛ البخاري - الصحيح (بولاق) ج ١ ص ١١٥.
(٥) الفهرست لابن النديم (ن. فلوجل) ص ٢٥؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٨٨؛ الطبري ج ١ ص ١١٥٥.
(٦) الطبري ج ١ ص ١١٥٥؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٨٥.
(٧) الطبري ج ١ ص ١١٦٧؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٩١.
(٨) ابن هشام ص ٢٠٣، انظر ابن سيد الناس ج ١ ص ١١١- ١١٢.
(٩) ابن هشام ص ٢٨٢، ٢٨٣؛ الطبري ج ١ ص ١٢٠٥- ١٢٠٦، ١٢١٣.

٣- الاسراء والمعراج (١) .

٤- الهجرة إلى الحبشة. أول من هاجر. موقف النجاشي من المسلمين. قريش ترسل وفداً ليقنع النجاشي بالتخلي عن المسلمين وفشل الوفد. تفاصيل أخرى عن النجاشي (٢) .

٥- مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبدالمطلب (الزهري ضمن اسناد جمعي) (١) . وفاة أبي طالب (٣) .

٦- بيعة العقبة - نص البيعة، وبداية الإسلام في المدينة (٤) .

ب - الفترة المدنية :

١- حديث الهجرة إلى المدينة وحادثة سراقة بن جشم (٥) . المسلمون ينتظرون الرسول. ظروف وصول الرسول، وتاريخه. بناء مسجد المدينة (٦) . أثر جو المدينة في المهاجرين واصابة بعضهم بالحمى (٧) .

٢- سرية عبدالله بن جحش . عدد وهوية المشاركين فيها (٨) . نظرة الرسول إلى الهجوم على القافلة (٩) .

---

(١) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨؛ البخاري- الصحيح (بولاق) ج ٤ ص ٩٩، ١١٦، ١٣٠ وابن هشام ج ٢ ص ٤١.

(٢) ابن هشام ص ٢١٧- ٢٢٢، ٢٢٢- ٢٢٣؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١١٥، ١٢٦، ٢٩٢.

(٣) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢٦- ١٢٧.

(٤) ابن سيد الناس ج ١ ص ١٣١- ١٣٢.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٢١٣؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١٥٧- ١٥٨؛ البخاري- الصحيح ج ٤ ص ٢٤٣.

(٦) ابن هشام - السيرة ص ٢٣١- ٢٣٢.

(٧) الطبري ج ١ ص ١٢٥٠، ١٢٥٦؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١٨٥- ١٨٦؛ انظر البخاري- الصحيح ج ٤ ص ٢٤٥- ٢٤٦، ٢٥٦- ٢٥٨، وج ٥ ص ٤٣. (٤) ابن هشام ص ٤١٧.

(٨) الطبري ج ١ ص ١٢٧٣.

(٩) الواقدي (ط. القاهرة) ص ١٠؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٢٩.

٣- بعض المعلومات عن نظرة اليهود إلى الرسول (١) . موقف عبدالله ابن أبي (خشن وعدائي) (٢) . تحويل القبلة إلى الكعبة (٣) . فرض الصيام وتاريخه، وفرض زكاة الفطر (٤) .

٤- غزوة بدر - رواية الزهري جاءت ضمن اسناد جمعي (٥) . تفاصيل أخرى تتصل ببدر - رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب عن القافلة القرشية (٦) . اماء بن رحضة يعرض على قريش تقديم عشرة جمال، ويبدي استعداده لمساعدات أخرى. عمير بن وهيب، من عيون قريش، يتحدث عن نظام المسلمين وينصح قريشاً بالرجوع عن القتال ويؤيده عتبة بن ربيعة، ولكن أبا جهل يتدخل فترفض النصيحة، وتبدأ المقابلة مع المسلمين. دعوة أبي جهل حين يرى المسلمين. الرسول يرى قريشاً مقبلة، صلاته ودعاؤه على قريش (٧) . تفاصيل أخرى (٨) ، منها ذكر أول شهيد من المسلمين، وأول شهيد من كل جماعة من المسلمين. الرسول يفحص ساحة القتال. عدد من استشهد من المسلمين، وعدد من أسر وقتل من قريش. وقت جلب أسرى قريش، وميل الرسول إلى معاملتهم بلطف (٩) .

٥- غزوة السويق وتاريخها (١٠) .

---

(١) ابن هشام ص ٣٩٣- ٣٩٤.
(٢) ابن هشام ص ٥٩١.
(٣) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٢١، ٢٣٦.
(٤) ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٣٩.
(٥) الطبري ج ١ ص ١٢٩١ وبعدها؛ الاغاني (دار الكتب) ج ٤ ص ١٧٠.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٢١٢.
(٧) المصدر نفسه (ط. القاهرة) ص ٤٣، ٤٥- ٤٦، ٥٠ والمخطوط ٥٢- ٥٣، ٥٦- ٥٧، ١٣١؛ الطبري ج ١ ص ١٣٢٢- ١٣٢٣.
(٨) الواقدي (ط. القاهرة) ص ٦٢، ٨٢؛ المخطوط ص ١٠١.
(٩) المصدر نفسه (ط. القاهرة) ص ٨٩، ١٠٩، ١١٠- ١١١؛ المخطوط ص ١٠٧- ١٠٨.
(١٠) المصدر نفسه (ط. القاهرة) ص ١٤٢؛ المخطوط ص ١٥٩- ١٦٠.

٦- تدهور العلاقات مع اليهود وحصول نزاع معهم. الأوس تقتل كعب ابن الاشرف (١) . تنافس الأوس والخزرج في مرضاة الرسول، وقتل الخزرج لابن الحقيق اليهودي (٢) . رعب اليهود ووضع «الكتاب» المشهور (٣) .

٧- غزوة بني قينقاع على اثر نزول الآية ﴿واما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾. تفاصيل عن الغزوة وتاريخها ومعاملة بني قينقاع (٤) .

٨- غزوات أخرى - غزوة قرارة الكدر ضد بني سليم وغطفان، بعد الهجرة بـ ٢٢ شهراً (٥) . ارسال سرية ضد بني سليم في البحرين، بعد الهجرة بـ ٢٧ شهراً (٦) .

٩- معركة أحد - [رواية الزهري ضمن اسناد جمعي] (٧) . مشاورات المسلمين حول البقاء في المدينة أو الخروج للقاء قريش (٨) . رأي عبدالله ابن أبي سلول (ابن أبي) (٩) . انسحاب المنافقين وعدد المسلمين. القتال وانتشار إشاعة مقتل الرسول، ثم يرى أحد المسلمين الرسول بعد المعركة (١٠) . أبي بن خلف من قريش يحاول قتل الرسول، ولكن الرسول

---

(١) المصدر نفسه (ط. القاهرة) ص ١٤٤- ١٤٥؛ المخطوط ص ١٦٢.
(٢) الطبري ج ١ ص ١٣٧٨- ١٣٧٩.
(٣) الواقدي (ط. القاهرة) ص ١٥١.
(٤) الواقدي (ط. مصر) ص ١٣٩- ١٤١ والمخطوط ص ١٥٦- ١٥٨؛ الطبري ج ١ ص ١٣٦٠.
(٥) الواقدي (ط. مصر) ص ١٤٣ والمخطوط ١٢٤.
(٦) الواقدي ص ١٥٩.
(٧) الواقدي (المخطوط) ص ١٨٥؛ الطبري ج ١ ص ١٣٨٤ وما بعدها؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢ وما بعدها.
(٨) الواقدي ص ١٦٤- ١٦٨ والمخطوط ص ١٨٥- ١٨٦.
(٩) ابن هشام ص ٥٩١.
(١٠) الواقدي ص ١٨٤- ١٨٥ والمخطوط ص ٢٠٨؛ الطبري ج ١ ص ١٤٠٦؛ وابن سيد الناس ج ٢ ص ١١- ١٢، ٥.

يبتدره ويقضي عليه (١) . تفاصيل عن استشهاد حمزة بن عبدالمطلب (٢) . الرسول يفحص ساحة القتال (٣) .

١٠- اخراج بني النضير، وهم قبيلة يهودية، من المدينة - ظروف ذلك وتاريخه والشروط التي تم بموجبها. أموال بني النضير ونوعها.

الرسول يقسم ما غنم منهم بين المسلمين (٤) .

١١- غزوة الخندق - [رواية الزهري ضمن اسناد جمعي] (٥) . صعوبة وضع المسلمين. الرسول يفاوض بعض الجماعات المحاصرة للمدينة، وجهة نظر الانصار ضد أية مساومة. المحاولة القرشية الوحيدة لاختراق خط دفاع المدينة وفشلها (٦) . الرسول يتخذ من مؤامرة بني قريظة ضد المسلمين وسيلة لإثارة الشكوك بين أعدائه. العواصف ونهاية الحصار (٧) .

١٢- الهجوم على بني قريظة (القبيلة اليهودية الثالثة في المدينة) بعد الخندق مباشرة (٨) ، والشروط التي أخضعوا لها (٩) . تفاصيل أخرى (١٠) .

---

(١) الواقدي ص ١٨٥- ١٨٦ والمخطوط ص ٢١٩؛ الطبري ج ١ ص ١٤٠٦- ١٤٠٧.
(٢) الواقدي (ط. مصر) ص ٢١٢.
(٣) ابن هشام ص ٥٧٦؛ الواقدي ص ٢٣٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢١.
(٤) الطبري ج ١ ص ١٤٥١؛ البلاذري- فتوح البلدان ص ١٨- ٢٠، ٢١؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٤٨، ٥٠- ٥١؛ الواقدي (المخطوط) ص ١٥٨ وما بعدها، ٣٣١- ٣٣٢؛ يحيي بن آدم - الخراج ص ٣٣.
(٥) الطبري ج ١ ص ١٤٦٢؛ الواقدي (المخطوط) ٣٨٧ وما بعدها؛ ابن سيد الناس ص ٥٨ وما بعدها.
(٦) الطبري ج ١ ص ١٤٧٣؛ الواقدي (المخطوط) ص ٤٢١- ٤٢٤.
(٧) الواقدي (المخطوط) ص ٤٣١- ٤٣٢، ٤٣٦؛ وانظر الطبري ج ١ ص ١٤٧٥- ١٤٧٦.
(٨) الطبري ج ١ ص ١٤٨٥؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٦٨.
(٩) البلاذري - فتوح ص ٢٨٣.
(١٠) ابن سيد الناس ج ٢ ص ٧٤.

١٣- ارسال سرية ضد بني لحيان - [الزهري في اسناد جمعي] (١) .

١٤- حديث الافك (٢) .

١٥- سرية زيد بن حارثة على أم قرفة (٣) .

١٦- صلح الحديبية - أهداف الرسول، وعدد المسلمين الذين خرجوا من المدينة معه (وعدد الجمال للتضحية) (٤) . الرسول يعين طريق المسيرة، وقوف المسلمين عند الحديبية. الرسول يبدي رغبة في مسالمة قريش. رد الفعل في قريش ووجهة نظرها. خزاعة علاقتها ودية مع المسلمين وتنقل وجهة نظرهم إلى قريش (٥) . سير الرسل وجلهم من جهة قريش بين الطرفين، وانطباعاتهم عن المسلمين. الرسول يتكلم بلهجة دبلوماسية، ويؤكد نياته الطيبة، ويقترح الهدنة. مجيء سهيل بن عمرو أخيراً ليفاوض عن قريش، النقاش حول بعض الكلمات، النص النهائي للصلح وأسماء الشهود. تفاصيل أخرى، منها تردد بعض الصحابة في نحر الضحايا في الحديبية. تعليق الزهري على أهمية صلح الحديبية ونتائجه (٦) .

---

(١) الواقدي (المخطوط) ص ٤٨٠- ٤٨١.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٥١٧ وما بعدها؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٨٧ وما بعدها؛ البخاري - الصحيح ج ٥ ص ٥٤، ٥٥- ٥٦.

(٣) الواقدي (المخطوط) ص ٥٠٨؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٠٥- ١٠٦.

(٤) الطبري ج ١ ص ١٥٢٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٣؛ ابن هشام (القاهرة) ج ٣ ص ٣٢٢.

(٥) الطبري ج ١ ص ١٥٣١، ١٥٣٧؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١١٥؛ الواقدي (المخطوط) ص ٥١٩، ٥٢٩- ٥٣٠؛ ابن هشام (القاهرة) ج ٣ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٦) الطبري ج ١ ص ١٥٤٩- ١٥٥٠؛ ابن هشام ص ٧٤٠- ٧٤٦، ٧٤٧- ٧٤٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١١٥- ١١٩؛ الواقدي (المخطوط) ٥٦٥- ٥٧٠، ٥٧٢- ٥٧٣؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٢١، ١٢٢.

١٧- فتح خيبر - ظروف ذلك وتاريخ الفتح. الاتفاق مع خيبر، ودلائله الفقهية، ووجهة نظر أبي بكر وعمر في ذلك (١) .

حادث في الطريق إلى خيبر (٢) . معاملة فدك. غزوة مؤتة (٣) . غزوات صغير (٤) .

١٨- فتح مكة - يبين الزهري دور خزاعة كحلفاء وعيون للرسول (٥) ، تحالفهم مع الرسول بعد الحديبية، اعتداء بكر وقريش حليفتها على خزاعة يكوّن السبب المباشر للحملة (٦) . أبو سفيان يذهب إلى المدينة ليفاوض ويفشل. استعدادات الرسول للحملة (٧) . الرسول يترك نائباً عنه في المدينة، ويقود الحملة. تاريخ الحملة وعدد الجيش ودخول الرسول مكة منتصراً (٨) . مسح الصور الموجودة داخل الكعبة وقرارات أخرى. مدة مكث المسلمين في مكة بعد الفتح (٩) .

---

(١) ابن هشام ص ٧٧٩؛ الواقدي (المخطوط) ٦٣٤، ٦٥٧؛ البلاذري- فتوح ص ٢٧؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٥٧٥.

(٣) ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٣٨؛ البلاذري- فتوح ص ٥٩؛ ابن هشام (القاهرة) ج ٤ ص ٢٥.

(٤) غزوة القضية، الواقدي (المخطوط) ص ٦٧٠ وما بعدها (الزهري في اسناد جمعي). سرية أبي العوجاء السلمي، المصدر نفسه ص ٦٨٠. وكانت هاتان السريتان في سنة ٧هـ.

(٥) سرية إلى ذات اطلاء (سنة ٨ هـ)، ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٥٢.

(٦) ابن هشام ص ٧٤٧- ٧٤٩.

(٧) الطبري ج ١ ص ١٦٢٠؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٢٠.

(٨) الواقدي (المخطوط) ص ٧٣١.
الطبري ج ١ ص ١٦٢٨؛ ابن هشام ص ٨١٠؛ البخاري- الصحيح ج ٥ ص ٩٠؛ الواقدي (المخطوط) يعطي تاريخ الفتح ص ٨١٨.

(٩) الطبري ج ١ ص ١٥٦٥- ١٥٦٦؛ الواقدي (المخطوط) ص ٧٦٦، ٧٩٥ انظر ص ٧٦٥- ٧٦٦.

١٩- غزوات تالية - غزوة هوازن، ثقة المسلمين بكثرة عددهم. (قصة «ذات أنواط») (١) . تضعضع المسلمين في المعركة، نداء الرسول للأنصار واستجابتهم، الفترة الحرجة في القتال ودعاء الرسول، النصر (٢) . توزيع الغنائم ورد السبي (٣) . الحملة على تبوك - [الزهري في اسناد جمعي]) (٤) . تفاصيل منفردة (٥) . فرض الجزية على (ايلة) و(اذرح) و(اذرعات) (٦) و(تبالة) و(جرش) (٧) . حملة على (دومة الجندل) وفرض الجزية عليها (٨) .

٢٠- رسائل وسفارات - زيارة وفد كندة (٩) . الرسول يرسل كتاباً إلى هرقل مع دحية الكلبي، وتفاصيل الموضوع. ويعطي الزهري أيضاً قصة رؤيا هرقل وميله للإسلام سراً، ويشير إلى أسقف لتاييد ذلك(١٠). الرسول يرسل رسالة إلى كسرى فيمزقها، تعليق الرسول على الخبر(١١). كسرى يطلب إلى باذان حاكم اليمن أن يسير إلى الرسول وأن يطلب إليه أن يتوب أو يقتله. باذان يراسل الرسول وتنتهي المراسلة بدخوله

---

(١) ابن هشام ص ٨٤٤؛ الواقدي (المخطوط) ٨١٨، ٨١٩؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٩١- ١٩٢.
(٢) الطبري ج ١ ص ١٦٦١، ١٦٦٢؛ الواقدي (المخطوط) ص ٨٢٦- ٨٢٧، ٨٢٨- ٨٢٩؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ١٩١.
(٣) الواقدي (المخطوط) ص ٨٦٩- ٨٧٠.
(٤) الطبري ج ١ ص ١٦٩٢، وانظر البخاري ج ٤ ص ٩٩- ١٠١، ١٠٤- ١٠٥.
(٥) ابن هشام ص ٧٩٨؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢١٨.
(٦) البلاذري- فتوح ص ٦٨.
(٧) البلاذري- فتوح ص ٥٩.
(٨) البلاذري- فتوح ص ٦٣.
(٩) الطبري ج ١ ص ١٧٣٩.
(١٠) الطبري ج ١ ص ١٥٦٥- ١٥٦٦؛ البخاري ج ٤ ص ٢- ٤.
(١١) الطبري ج ١ ص ١٥٧٢.

ودخول الأبناء (الفرس) في الإسلام، وذلك حين تحققت نبوءة الرسول عن نهاية كسرى (١) .

٢١- بعض الاضطرابات. ارسال خالد بن الوليد ضد بني الحارث في نجران ودخولهم الإسلام (٢) . تميم ترفض دفع الصدقة، فيخضعها المسلمون، ويأتي وفدها إلى المدينة (٣) .

٢٢- تفاصيل خاصة بالرسول - اشارات إلى أزواجه (٤) ، وتوضيح بعض أسمائه (٥) .

٢٣- اشارة إلى حجة الوداع وبعض المعلومات عنها (٦) . اعداد حملة أسامة بن زيد (٧) .

٢٤- المرض الأخير للرسول. الرسول يحس بأن أجله قريب ويلمح إلى ذلك في خطاب من المنبر، ويؤكد على إرسال حملة أسامة.

العباس يطلب إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يصحبه ليسألا الرسول عمن يخلفه وعدم موافقة علي. تفاصيل أخرى (٨) . الرسول يلقي نظرة على المسلمين في المسجد في آخر أيامه من الدنيا ويفوض إلى أبي بكر إمامة المسلمين في الصلاة (٩) . آخر ما عهد به

(١) ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ٧٩.
(٢) ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٤٤- ٢٤٥.
(٣) الواقدي (المخطوط) ص ٨٩٦- ٩٠٣.
(٤) الطبري ج ١ ص ١٧٧٦؛ البخاري- صحيح ج ٥ ص ١٧.
(٥) الطبري ج ص ١٧٨٨؛ انظر ابن سيد الناس ج ١ ص ٣٠؛ الخاري ج ٤ ص ١٦٢.
(٦) الواقدي (المخطوط) ص ١٠٠١، ١٠٠٥ وما بعدها.
(٧) الواقدي (المخطوط) ص ١٠٢٥.
(٨) الطبري ج ١ ص ١٨٠٠، ١٨٠٩، ١٨١٠؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٣٣٦- ٣٣٧؛ البخاري ج ٤ ص ٤٥، وج ٥ ص ١٣٧، ١٣٩- ١٤٠، ١٤٠- ١٤١.
(٩) الطبري ج ١ ص ١٨١٣؛ ابن هشام ١٠١٠.

الرسول وانتقاله إلى دار الخلود، وتاريخ ذلك وعمره (١) . أثر الوفاة. دفن جثمان الرسول الكريم (٢) .

من هذا العرض الموجز يتبين أن الزهري أعطى أول اطار واضح للسيرة، وانه رسم خطوطها بجلاء. فترك لمن بعده أن يكمل هذا الاطار في التفاصيل فقط. وخطته في المغازي (أو السيرة) تبدأ ببعض المواد المتصلة بحياة الرسول قبل بدء الرسالة، وربما أعطى نسبه ضمن ذلك (٣). وبعد أن يشير إلى بعض الدلائل على مجيء النبوة ينتقل إلى بدء نزول الوحي. ثم يتناول فترة الرسالة، فيذكر بعض النواحي الهامة في الفترة المكية، الهجرة، الغزوات والسرايا، وفعاليات أخرى مثل السفارات والوفود، وأخيراً مرض الرسول ووفاته.

ويبدو أن الزهري لاحظ بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث. وأعطى بعض التواريخ مثل تاريخ الهجرة، وربما تواريخ بدر وأُحد والخندق (إذ ترد رواياته ضمن اسناد جمعي)، وتواريخ بعض الغزوات مثل قرارة الكدر وبني سليم وقينقاع وبني النضير وخيبر وفتح مكة، وتاريخ مجيء وفد كندة ووفاة الرسول (٤) . وهذا الاهتمام بالتواريخ ساعد على تثبيت اطار السيرة عند الزهري.

إن وجهة الزهري في الأساس هي وجهة محدث (٥) . فقد كان همه أن

---

(١) الطبري ج ١ ص ١٨١٤، ١٨٣٤– ٣٥؛ البخاري – تاريخ ج ١ ق ١ ص ٨.

(٢) ابن هشام ج ٤ ص ٣٠٥– ٣٠٦؛ الطبري ق١ ص ١٨٣١؛ البخاري – الصحيح ج ٤ ص ١٦٣.

(٣) انظر الطبري ق ١ ص ١١١٦، وانظر ص ٩٦ من هذا الكتاب.

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٨٥– ٩٢.

(٥) انظر ابن كثير– البداية ج ٩ ص ٣٤٣، والذهبي ZDMG 1890 ص ٤٣١.

يحصل على «العلم» أو الأحاديث، ويضمنها الأحاديث التاريخية. وهو يرى أن العلم ضرورة اجتماعية ودينية، إضافة إلى انه من أعمال التقوى (١) ، وبالتالي فإنه يكسب صاحبه شرفاً ومنزلة اجتماعية سامية (٢) .

أما طريقته في تحقيق الأحاديث والروايات فتعتمد على الاسناد (٣) . وموقفه من الاسناد موقف محدث متين في عصره، حيث يكتفي أحياناً برواية أحد التابعين، وحيث يسمح بحرية أكثر في الأحاديث التاريخية. لكن الزهري سار خطوة مهمة حين اتخذ الاسناد الجمعي، وذلك بجمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد، وهو بهذا خطا خطوة مهمة نحو الأخبار التاريخية المتصلة (٤) . وبعد هذا فالزهري يكثر من ذكر الآيات القرآنية التي تتصل بما يورد من أخبار (٥) . بل إن روايات الواقدي عن الزهري تظهر بجلاء أن دراسة القرآن، وهو حافل بالإشارات إلى شؤون المسلمين في المدينة، كانت عاملاً آخر في ظهور الدراسات التاريخية (٦) .

ونستطيع أن نرى في روايات الزهري الفعاليات التي كانت بوحي

(١) أورد الذهبي- تراجم ص ٧٢، ويقول الزهري «الاعتصام بالسنة نجاة». قارن بابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ٧٩، ويقول الزهري «ما عبدالله بشيء أفضل من العلم» ص ٧٨.

(٢) هناك قول ينسب إليه وإلى عروة هو «تعلموا العلم تسودوا به قومكم» البخاري - التاريخ ج ١ ص ٣٢؛ والذهبي - تراجم ص ٤٥.

(٣) قال عمرو بن دينار: «مارايت انص للحديث من الزهري» الذهبي ZDMG 1890 ص ٤٣١.

(٤) انظر الطبري ج ١ ص ١٥١٧؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٩٦.

(٥) انظر الواقدي (المخطوط) ص ١٥٦- ١٥٧، ٥٦٢- ٥٧٠؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٩٦ وما بعدها، ١٢١.

(٦) انظر الواقدي (المخطوط) ص ٥٦٢- ٥٧٠، ٥٧٢- ٥٧٣؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٢٢.

إلهي والفعاليات البشرية العملية وبخاصة في التفاصيل عن الغزوات (١) . ففكرة الجبر لم تكن هي الفكرة السائدة. والواقع أن رأي الزهري في صلح الحديبية يتضمن تأييداً لعمل لم يلق ما يستحق من تأييد في حينه (٢) .

ويمكن القول إن روايات الزهري عامة تعطي معلومات واقعية متزنة عن الحوادث بأسلوب يتصف بالصراحة والبساطة والتركيز (٣) . وتقل فيها محاولات التفخيم أو المبالغة التي تكثر عند المؤرخين فيما بعد. ومع ذلك نحس ببوادر الاتجاه نحو التمجيد لديه (٤) .

ومعلومات الزهري التاريخية على العموم مستقاة من الأحاديث. أما القصص الشعبي فقد عده مادة للتسلية أو المتعة (٥) .

ولكن يظهر أن مواد أخرى تسربت إلى أخباره التاريخية، وان كان ذلك إلى درجة محدودة.. ووجود هذه المواد يشعر بالبداية للتطورات التي ظهرت بعد عصر الزهري. فهناك شيء من أثر القصص الشعبي في بعض الأماكن مثل الخبر عن نظرة هرقل للدين الجديد (٦) ، والانذار الذي سمعه كسرى (٧)، وقصة الكاهن الذي أنذره الشيطان (٨)، وتفاصيل

---

(١) الطبري ق ١ ص ١٤٧٣؛ الواقدي (المخطوط) ٤٢١– ٤٢٢.

(٢) الطبري ج ١ ص ١٥٩٤.

(٣) انظر ابن هشام ص ٨٩٤ عن «ذات انواط».

(٤) انظر الطبري ج ١ ص ١١٥٤، ١٣٦٠، ١٤٨٥.

(٥) الذهبي– تراجم ٧٣ حيث يقول «كان الزهري يحدث ثم يقول: هاتوا اشعاركم واحاديثكم فان الاذن مجاجة والنفس محمضة». وانظر ص ٧٤؛ ابن كثير ج ٩ ص ٣٤٣.

(٦) الطبري ج ١ ص ١٥٦٥– ١٥٦٦.

(٧) الطبري ج ١ ص ١٠١٤.

(٨) الطبري ج ١ص ١١٤٥.

حادث سراقة (١) . كما أن اهتمام الزهـري بأخبار الأنبياء الماضين وبأهل الكتاب (٢) ترك صدى خافتاً للإسـرائيليات في كتاباته، وهنا يظهر كعب الأحبار كمصدر (٣) .

يورد الزهري أحياناً قطعاً من الشعر في أخباره (٤) . وهذا طبيعي إذا تذكرنا أن الناس عامة يميلون إلى الشعر، وانه كان عنصراً أساسياً في الثقافة. وكان الزهري نفسه مولعاً بالشعر (٥) ، واشتهر بتضلعه فيه (٦). ومع ذلك فإن مقدار الشعر في مغازيه محدود، واقتباسه له لا يدل على أي أثر لأسلوب قصص الأيام.

ولم تقتصر دراسات الزهري التاريخية على المغازي، بل شملت الأنساب وتاريخ صدر الإسلام. وقد عرف باطلاعه الواسع على الأنساب (٧) . وقد سأله خالد القسري أن يكتب أنساب العرب، فبدأ بأنساب مضر، ولكنه لم يتم ذلك (٨) . وأخذ عنه مصعب الزبيري في كتابه «نسب قريش» (٩) ، وهذا يعزز قول قرة بن عبدالرحمن إنه كتب كتاباً في نسب قومه (أي قريش) (١٠) .

(١) ابن هشام ص ٣٣١- ٣٣٢.

(٢) ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٨٨؛ ابن كثير ج ٩ ص ٣٤٢؛ حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦٢؛ وفي صفوة الصفوة: «وان حدث عن الانبياء واهل الكتاب قلت لا يحسن الا هذا......».

(٣) انظر الطبري ج ١ ص ١١٢، ٢٠٠- ٢٠١، ٢٩٣. ولكن يبدو ان مثل هذه الاخبار لم تكن جزءاً من مغازي الزهري.

(٤) انظر الواقدي (ط. القاهرة) ٩٤، و (المخطوط) ص ٥٦٩- ٥٧٠؛ الطبري ج ١ ص ١٦٥٢- ١٦٥٣.

(٥) الذهبي- تراجم ص ٧٣، ابن كثير ج ٩ ص ٣٤٣.

(٦) انظر الاغاني ج ٤ ص ٤٩.

(٧) ZDMG XLIV 1890 p. 343؛ حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦١؛ انظر ابن هشام (القاهرة) ج ١ ص ٨؛ ابن الجوزي - صفوة ج ٢ ص ٧٨ «وان حدث عن الأعراب والأنساب لقلت لا يحسن الا هذا».

(٨) الأغاني ج ١٩ص ٥٩. (٩) نسب قريش ص ٣ .

(١٠) الذهبي- تراجم ص ٦٨- قال قرة بن عبدالرحمن: «لم يكن للزهري كتاب الا كتاب نسب قومه».

وتناول الزهري عـهد الخلفاء الراشدين؛ إذ إن الأحداث الكبرى التي لعبت دوراً أساسياً في تطور الأمـة وكذلك سنن المدنية، كانت مسائل حيوية درسها الزهري. فهو يعطي معلومات مفصلة عن انتخاب أبي بكر، ويبين الأثر الذي تركه ذلك الانتخاب (١) . ثم يعطي الخطاب الأول لأبي بكر مع فكرة عن سلوكه كخليفة (٢) . ويورد بعدئذ نظرة عليّ إلى الانتخاب. ثم بيعته فيما بعد، وطلب فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - أن ترث فدك (٣) . وفيما يخص عصر عمر بن الخطاب، يتناول بتفصيل انشاء الديوان (ديوان الجند) وتنظيمه والاعطيات (٤) ، ويحتمل جدًا انه تناول الشورى (٥) . ويعطي سن عمر وبعض خطبه (٦) . ثم يفصل في خلافة عثمان، فيتناول أولاً جمع القرآن (٧) ، ثم يورد تفاصيل دقيقة عن الفتنة، ورواياته عنها مهمة؛ لأنها تعبر عن وجهة نظر المدينة للموضوع. ويبدو عثمان في رواية الزهري محبوباً خلال السنوات الست الأولى من خلافته ثم تبدأ الشكوى وتتجمع (٨) . ويفصل الزهري في ذكر الانتقادات الموجهة لعثمان (٩) ، ومحاولته الرد عليها (١٠) ، والأثر السيىء لمروان

---

(١) الطبري ق ١ ص ١٨٢٠- ١٨٢٤؛ ابن هشام (ط. وستنفلد) ٦٧٣- ٦٨٦. وعن فورة التأثر على اثر وفاة الرسول انظر الطبري ج ١ ص ١٨١٦- ١٨١٧.

(٢) الطبري ج ١ ص ٢١٤٢- ٢١٤٣. ١٨٢٨- ١٨٢٩.

(٣) الطبري ج ١ ص ١٨٢٥- ١٨٢٧؛ وعن وفاة أبي بكر ص ٢١٢٨.

(٤) البلاذري- فتوح ٤٥٠ وما بعدها، ٤٥٥.

(٥) انظر البلاذري - انساب ج ٥ ص ٢١.

(٦) الطبري ج ١ ص ٢٧٣١، ٢٧٥٧- ٢٧٥٨ وانظر ايضاً ٢٧٩٨.

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٢٤.

(٨) البلاذري- فتوح ص ٤٦٢؛ انساب الأشراف ج ٥ ص ٢٥.

(٩) البلاذري- انساب ج ٥ ص ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٣٩، ٨٨- ٨٩.

(١٠) المصدر نفسه ص ٢٦، ٦٧ وما بعدها، ٨٩.

ابن الحكم (١)، والانقسامات الخطيرة في المدينة (٢) ، وتجمع الغيوم فالعاصفة فنهاية عثمان (٣) ، ورد الفعل الذي تكون لدى الشخصيات الكبيرة في المدينة، وأخيراً انتخاب الامام علي (٤) . ثم يعرض نظرة طلحة والزبير إلى الخليفة الجديد، ومفاوضتهما مع عائشة، وخروج الثلاثة إلى البصرة، والمفاوضات مع علي قبل القتال، وأخيراً وقعة الجمل (٥) . وبعد ذلك يتناول النزاع بين علي ومعاوية، ومعركة صفين، ثم التحكيم، واستيلاء معاوية على مصر (٦) . وأخيرا يذكر علاقة الحسن بالكوفيين، ومفاوضته مع معاوية، وينتهي بتنازل الحسن (٧) .

ويظهر أن الزهري لم يعالج الفترة الأموية. ولكن يروى أن الوليد بن عبدالملك سأله عن أعمار الخلفاء الأمويين (٨) ، كما انه كتب أسنان هؤلاء الخلفاء ومدة حكم كل منهم لجده (٩) . ويأخذ الطبري عنه (وهذا آخر ما أخذه عنه) مدة خلافة الوليد بن عبدالملك (١٠) .

إن هذا القسم من دراسات الزهري يدل على ان الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملاً آخر له أهميته في نشأة الكتابة التاريخية. فمبدأ الاجماع، وظهور الأحزاب السياسية والجدل بينها حول الأحداث الماضية

(١) المصدر نفسه ص ٦٢، ٦٧- ٦٩.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٦، ٨٨- ٩٠.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٢، ٦٧- ٧٠، ٨٥، ٩١، ٩٧؛ الطبري ج ١ ص ٢٨٧١، ٣٠٥- ٣١٢.
(٤) البلاذري- انساب ج ٥ ص ٦٩- ٧١، ٩١- ٩٢.
(٥) الطبري ج ١ ص ٣٠٦٩، ٣١٠٢- ٣١٠٣، ٣١٨٥- ٣١٨٧.
(٦) الطبري ج ١ ص ٣٢٤١- ٣٢٤٢، ٣٣٤١- ٣٣٤٣، ٣٣٩٠- ٣٣٩٢.
(٧) الطبري ج ٢ ص ١، ٥- ٧.
(٨) الطبري ج ٢ ص ١٤٩.
(٩) الطبري ق ٢ ص ٤٢٨.
(١٠) الطبري ق ٢ ص ١٢٦٩.

وبخاصة «الفتنة»، ومسألة الخلافة وهل هي بالانتخاب أم بالوراثة، ومشكلة التنظيم الإداري وبخاصة تنظيم الضرائب (١) ، والديوان - كل هذه المسائل كانت تتطلب الايضاح بوساطة الدراسة التاريخية. والزهري يقدم لنا روايات المدينة. وهذه الروايات بصورة عامة تظهر الأمة على صواب. فمثلاً نفهم منه أن الرسول لم يسم أحداً بعده لقيادة الأمة، فقررت مبدأ الانتخاب لا الوراثة. وانتخبت الأمة أبا بكر، حتى إنّ علياً لم يرتح أول الأمر للنتيجة، ثم بايعه فيما بعد مختاراً. وهو يرينا أبا بكر وعمر مثلين ممتازين للصلاح. ولكن مشكلة الفتنة فيها تعقيد كبير، والشكاوى من عثمان لها بعض المسوغ في أعماله. ولكن الصورة التي يعطيها ليست قائمة بالشكل الذي تظهر به في روايات أخرى. ويتضح من رواياته أن المدينة انقسمت على نفسها خلال الفتنة، وأن علي بن أبي طالب اتخذ موقف الناصح في البدء، ثم اعتزل، ووقف جانباً خلال العاصفة، ولكنه انزعج للغاية لمقتل عثمان. وانتخب علي لأنه المرشح الطبيعي، لمنزلته ومزاياه. وعند الحديث عن خروج طلحة والزبير، تقف الروايات التي يوردها الزهري بجانب علي؛ وتلقي ظلاً خفيفاً على الثوار. وفي النزاع بين علي ومعاوية، تبدو قضية علي هي العادلة مع اظهار معاوية بمظهر الدهاء. ولكن الزهري يروي أن الحسن تنازل لمعاوية عن الخلافة، وبذلك يختم القصة. إن الملاحظات المارة تظهر أن الزهري لم يكن متأثراً بالحزبية السياسية وانه حاول ان يقدم صورة للحوادث كما تراها المدينة. وهنا لابد أن نقول كلمة عن علاقات الزهري بالأمويين (٢) .

---

(١) انظر البلاذري- فتوح ١٩- ٢٠، ٥٩، ٦٨، ٨٠، ٣٨٤.

(٢) انظر الذهبي- تراجم ص ٧٢؛ اما ملاحظات كولدتسيهر في كتابه «دراسات إسلامية» Muh Studien ج ٢ ص ٣٥- ٣٦، ٣٧- ٣٨، ٤٠ فهي ليست دقيقة.

يذكر اليعوقبي أن عبدالملك بن مروان حاول خلال النزاع مع ابن الزبير أن يمنع الشاميين من الذهاب إلى الحج، وليسند موقفه نسب إلى الزهري حديثاً يجيز الحج إلى المسجد الأقصى (١) . والحديث بذاته مشكوك فيه، كما أن الزهري كان شاباً في ذلك الوقت - حوالي ٧٢ - ٧٣هـ - ولم يكن قد اشتهر بعد. والروايات تذكر أن الزهري سافر إلى دمشق، والتقى عبدالملك عن طريق المصادفة، وكانت عند عبدالملك مشكلة فقهية خاصة، ولم يكن عبدالملك يعرفه، ولكنه أعجب بعلمه وذكائه خلال المقابلة، وكافأه بدفع ديونه وبإعطائه هدية، ثم نصحه أن يتابع دراسته فرجع الزهري إلى المدينة (٢) . وهذه الرواية تدل على انه كان طالب علم آنئذٍ، كما انه لا ينتظر أن ينصحه الخليفة خلال النزاع مع ابن الزبير بالعودة إلى المدينة، إذا كانت له تلك الأهميـة، التي تبدو في رواية اليعقوبي. ومن ناحية أخرى توجد رواية عن الزهري تدل على انه كان ينتقد عبدالملك خلال فترة النزاع مع ابن الزبير (٣) . ولذا فإننا لا نستطيع قبول رواية اليعقوبي، بل نأخذ رواية الزهري نفسه؛ إذ يقول «قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث» (٤) ، حوالي ٨٠هـ، أي سبع أو ثمان سنوت بعد ثورة ابن الزبير.

ومن المحتمل أن دراسات الزهري أبقته طويلاً في المدينة، مع قيامه أحياناً بزيارات متقطعة للبلاط الأموي. ثم نقل سكناه إلى أدامة جنوبي

---

(١) اليعقوبي- التاريخ ج ٢ ص ٣١١.
ابن كثير- البداية ج ٩ ص ٣٤٠- ٣٤١؛ الذهبي- تراجم ص ٧٠؛ ابن قتيبة- المعارف ص ٢٣٩. ويضيف ابن كثير ان عبدالملك خصص له راتباً بناء على طلبه. وانظر ابن سعد ج ٧ ص ١٥٧ وابن قتيبة- المعارف ص ٢٢٨.

(٢) البلاذري- انساب (نشره آلوارت) ص ١٦٣.

(٣) البخاري- التاريخ ج ٤ ص ٩٣.

فلسطين، قرب حدود الحجاز، وكان يقوم من هناك بزيارات للحجاز ولدمشق (البلاط الأموي) «لعلمه» (١) . وكان عمر بن عبدالعزيز يحترمه كثيراً (٢) . ويرجح انه استقر في دمشق في زمن يزيد بن عبدالملك وهشام. وقد عينه يزيد بن عبدالملك قاضياً. وكانت صلاته وثيقة بهشام ابن عبدالملك الذي جعله مؤدباً لولده، وهذا دليل على زيادة قوة الاتجاه الإسلامي. وطلب إليه هشام ان يملي الحديث لفائدة أولاده (٣) ، كما طلب فيما بعد من كاتبين أن يصحباه، ويحضرا دروسه، وان يدونا أحاديثه، ففعلا ذلك مدة سنة (٤) . ولعل هذا يفسر وجود جل تآليفه في خزانة كتب البلاط الأموي. ولكننا نلاحظ من نقاش حاد جرى بينه وبين هشام أن الزهري لم يقع تحت تأثير الأمويين. فقد سأله هشام عن المشار إليه بالآية ﴿الذي تولى كبره منهم﴾، فقال الزهري هو عبدالله بن أبي. فقال هشام: كذبت، هو علي. قال الزهري: «أنا أكذب! لا أبالك، فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت» (٥) .هذا هو الزهري العالم.

ولم تقتصر خدمة الزهري للدراسات التاريخية على نظرته التاريخية ودراسته لتاريخ صدر الإسلام، بل قدم خدمة كبرى لعلم التاريخ بتدوين أحاديثه. وفي داره كانت كتبه تحيطه من كل جانب(٦). كما أن خزانة الكتب الأموية ضمت أحمالاً من «دفاتر» علمه، كتبت لهشام بن عبدالملك(٧).

---

(١) الذهبي- تراجم ص ٧٠؛ ابن كثير ج ٩ص ٣٤١- ٣٤٢؛ ابن الجوزي- صفوة ج ٢ ص ٧٩.

(٢) ابن الجوزي- صفوة ج ٢ ص ٧٨؛ انظر ابن عبدالحكم- فتوح مصر (نشره توري) ص ١٠٤.

(٣) الذهبي- تراجم ص ٧٠- ٧١؛ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٢.

(٤) حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦١.

(٥) الذهبي- تراجم ص ٧٢.

(٦) اليافعي- مراة ج ١ ص ٢٦١؛ ابن قتيبة- المعارف ص ٢٦٠- ٢٦١.

(٧) الذهبي- تراجم ص ٧٢؛ ابن كثير ج ٩ ص ٣٤٤؛ حلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦١، ٣٦٣.

أما ما ينسب إليه من انه قال: «كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه الأمراء فرأيت أن لا أمنعه مسلماً» (١) ، فيبدو أنه صدى لآراء المحدثين فيما بعد. والحقيقة أن الزهري اعتاد أن يكتب أحاديثه ورواياته مذ كان طالب علم (٢) . والرواية التالية، وهي معاصرة، تعدّ كتابته لعلمه أمراً طبيعياً. عن الليث «قلت لابن شهاب: يا أبا بكر لو وضعت للناس هذه الكتب ودونت فتفرغت. فقال (الزهري): ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري ولا بذله بذلي» (٣) . وقد أكسب الزهري الكتابة قيمة حين قال: «القراءة على العالم والسماع عليه سواء ان شاء الله» (٤) . وروى عبيد الله بن عمر قال: «كنت أرى الزهري يعطي الكتاب، فلا يقرأه، ولا يقرأ عليه، فيقال نروي هذا عنك، فيقول نعم» (٥) . وقد أدرك مالك بن أنس دور الزهري في الكتابة فقال: «أول من دون العلم ابن شهاب» (٦) . وهذه الكتابة فتحت الطريق للآخرين.

بعد هذا يتضح أن الزهري وضع خطوط كتابة السيرة النبوية واطارها، وقام بدور مهم في ضبط أحاديث المدينة ورواياتها. وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فإن الزهري أسس المدرسة التاريخية في المدينة. ويمكننا أن نؤكد أن أسس المغازي وضعت بدراساته الجدية

---

(١) الذهبي- تراجم ص ٦٩؛ ابن كثير ج ٩ ص ٣٤١؛ وفي حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦٣ : «كنا لا نطمع ان نكتب عن الزهري حتى اكره هشام الزهري فكتب لبنيه، فكتب الناس الحديث». وقال الزهري: «كنا نكره الكتب حتى اكرهنا عليه السلطان فكرهنا ان نمنعه عن الناس ».

(٢) انظر هذا الكتاب ص ٧٩.

(٣) الذهبي- تراجم ص ٧٢- ٧٣.

(٤) ابن كثير- البداية ج ٩ ص ٣٤٤.

(٥) الذهبي- تراجم ص ٦٩، ٧٠.

(٦) ابن الجوزي- صفوة ج ٢ ص ٧٨؛ حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦٠.

ولم تكن وليدة قصص القصاص أمثال وهب بن منبه، كما رأى البعض. وقد سار تلاميذه مثل موسى بن عقبة وابن اسحق في الطريق الذي رسمه، ومع أن ابن اسحق أخذ كثيراً من مادته من القصص الشعبي ومن الاسرائيليات وبذلك انحطت سويته التاريخية، إلا أن روايات الزهري بقيت المادة الأساسية في سيرته.

ويتضح من دراسات الزهري أيضاً أن الاهتمام بتجارب الأمة وخبراتها كان عاملاً آخر للدراسة التاريخية، وهنا نحس أن البدايات البسيطة التي بدأها عروة نمت وأثمرت لدى الزهري.

وأخيراً ساعدت كتابة الزهري لعلمه على وضع الدراسات التاريخية على أساس ثابت، وأدت إلى حفظ الروايات التاريخية الأولى.

بداية القصص التاريخي
وهب بن منبه

إن دراسة وهب بن منبه تخرج بنا عن نطاق بحث علم التاريخ عند العرب. ولكن وضعه من قبل بعض الباحثين في هذا النطاق (١) ، وتأكيد البعض أهميته في السيرة (٢) ، دفعنا لبحثه هنا؛ لنبين بوضوح انه لم يعدّ من أهل المغازي، وأن حقله وأثره هو نطاق القصص والإسرائيليات.

ولد وهب بن منبه في ذمار باليمن على بعد مرحلتين من صنعاء. وهناك اختلاف في تاريخ مولده ووفاته. فالروايات تتباين في وفاته بين ١١٠هـ و١١٤هـ، ويبدو أن التاريخ الثاني هو الراجح، ويؤكد ابن أخيه عبدالصمد بن معقل انه توفي في ١١ محرم ١١٤هـ/ ٧٣٢م (٣) . ويذكر الذهبي انه ولد في خلافة عثمان، وهذا يجعلنا نميل إلى قبول الرواية بانه توفي وعمره ٨٠ سنة، فيكون تاريخ ولادته سنة ٣٤هـ / ٦٥٤ - ٦٥٥م (٤).

ووهب من الأبناء، فأبوه منبه من هراة بخراسان، أرسل إلى اليمن زمن كسرى أنوشروان، وأسلم في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) هوروفتس- المغازي الأول ومؤلفوها، تعريب حسين نصار (القاهرة ١٩٤٩) ص ٢٧ وبعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - مادة «سيرة».

(٣) انظر اليافعي- مراة الجنان ص ٢٥، والذهبي ZDMG, XLIV ص ٤٣٨؛ وياقوت - ادباء ج ٧ ص ٢٣٢؛ ابن قتيبة - المعارف ص ٢٣٣؛ البخاري- التاريخ الكبير ق ٢ ج ٤ ص ١٦٤.

(٤) ابن حجر- تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٦٨.

ونشأ وهب باليمن، وعرف بالميل إلى الزهد. يقول الذهبي: «لبث وهب أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء» (١) . وتكثر الروايات من الاشادة بتقواه وزهده. وكان قدرياً أول الأمر، ثم ترك ذلك بعد قراءته كتب الأنبياء الماضين كما يقول. ومع ذلك فترد إشارة إلى أنه بقي قدرياً إلى فترة متأخرة من حياته(٢) . وكان يعتقد بالأحلام (٣) .

وولي وهب القضاء لعمر بن عبد العزيز (٤) . ويدعي ياقوت انه مات على قضاء صنعاء، وهذا غير ممكن (٥) . وقد سجن وهب في الأعوام الأخيرة، كما أنه جلد، ولا نعرف بالتأكيد سبب ذلك (٦) . ويبدو انه كان حاد المزاج يتعصب ليمانيته (٧) .

ومن هنا يتبين أنه وهباً كان بعيداً عن مدرسة المدينة، فهو يماني يختلف في وجهته عن أهل الحديث. ويبدو انه كان من أصحاب الأخبار والقصص. فياقوت يدعوه «الاخباري صاحب القصص» (٨) ، وابن خلكان يصفه بـ «صاحب الأخبار والقصص» (٩) ، ويؤيدهما الذهبي حين يقول:

(١) الذهبي ZDMG, XLIV ص ٤٣٩.
(٢) ابن حجر- تهذيب ج ١١ ص ١٦٨؛ ياقوت- ادباء ج ٧ ص ٢٣٢؛ الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٤٠؛ التيجان في ملوك حمير واليمن ص ٣٣٥- ٣٣٦.
(٣) ابن كثير- البداية ج ٩ ص ٣٩٣؛ الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٤٠.
(٤) اليافعي- مرآة ص ٢٤٨- ٩.
(٥) ياقوت- ادباء ج ٧ ص ٢٣٢.
(٦) الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٤٢؛ ابن حجر- تهذيب ج ١١ ص ١٦٨.
(٧) الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٤٠.
(٨) ياقوت- ادباء ج ٧ ص ٢٣٢.
(٩) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٨.

«كان اخبارياً علامة قاصاً» (١) . ولذا نجده موضع نقد واختلاف، فبينما يوثقه البعض ينتقده آخرون (٢) .

أخذ وهب مواده من الروايات الشفوية ومن الكتب. وقد ادعى أنه قرأ مجموعة واسعة من كتب الأنبياء، يختلف عددها في الروايات بين ٣٠، ٣٢، بضعة وسبعين، و٩٢ و٩٣ كتاباً. ومن المتعذر قبول مثل هذه الأخبار، كما يبدو من التباين الواسع في عدد الكتب، وكما يبدو من نسبتها (٣) . وعلى كل فقد اشتهر باطلاعه على كتب الأولين، فيقول ابن خلكان: «كان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم» (٤) . ويروى ان أخاه كان يشتري الكتب له. ويقول ابن كثير: «له معرفة بكتب الأوائل» (٥)

---

(١) الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٣٩.

(٢) انظر ابن سعد - الطبقات ج ٦ ص ٣٨٥- ٣٨٦؛ ابن حجر ج ١١ ص ١٦٧. قال العجلي عنه انه تابعي ثقة. وقال ابو زرعة والنسائي انه ثقة. وذكره ابو حيان في الثقات. وعده ياقوت «من خيار التابعين، ثقة صدوقاً». وقال الذهبي- روي عن ابن عباس وجابر... على خلاف فيه. انظر الذهبي- المصدر نفسه ص ٤٣٨.

(٣) ابن حجر- تهذيب ج ١١ ص ١٦٧؛ ابن قتيبة- المعارف ص ٢٣٣؛ ا
اسماعيل... سمعت وهب يقول: لقد قرات ٩٢ كتاباً انزلت ه
الكنائس في أيدي الناس، و٢٠ لا يعلمها إلا القليل. ويذكر ياقوت،
لسانه «قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الانبياء». وجاء فم
لسانه «قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء»،ويعطي, التـ
ادم، ٥٠ صحيفة على شيت بن ادم، ٣٠ صحيفة على إدريـ
صحيفة على هود، صحيفتين على صالح، ٢٠ صحيفة :
موسى، الزبور على داود، الإنجيل على عيسى، الفرة
عليه وسلم-؛ السخاوي- الاعلان ص ٤٨ «قرأت ٣٠ كتاب
المصدر نفسه ص ٤٣٩؛ حلية الاولياء ج ١ ص ٢٤ «قر
وتسعين».

(٤) ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٨.

(٥) ابن كثير- البداية ج ٩ ص ٢٧٦.

كما يذكر ياقوت: «ان وهباً كان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات» (١) .

ويلاحظ من الروايات المنسوبة إليه أن وهباً روى قطعاً من العهد القديم منقولة بصورة حسنة ومقتبسة في تفسير الطبري، وقطعاً من المزامير، وتدل بعض أخباره على معرفة بالتلمود (٢) . ويبين هوروفتس انه روى أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقاً للنص العبري مع ملاحظة تحريفات الترجمة السريانية (٣) . وهناك اشارات تدل على معرفة وهب بالعبرية وربما بالسريانية (٤). ويبدو انه أخذ من الإنجيل والكتب المسيحية معلومات عن ميلاد المسيح وحياته (٥) . ثم ان معلوماته عن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن تتصل بالنص السرياني لكتاب سمعان مع التنميق الذي تتطلبه القصة الشعبية (٦) .

ويبدو أن الكثير من معلوماته مستقى من القصص عند المسيحيين واليهود. فيذكر الذهبي انه كان «شديد العناية «بالاسرائيليات» (٧) . كما انه أخذ الكثير من القصص الشعبي اليماني كما سنلاحظ فيما بعد.

ولكن بعض معلومات وهب تختلف عن النصوص المقدسة. وقد لاحظ

---

(١) ياقوت – أدباء ج ٧ ص ٢٣٢.

(٢) جواد علي – موارد تاريخ الطبري، م. م. ع. ع. ج ١ ص ١٩٣.

(٣) هوروفتس– المغازي الأول ص ٣٣.

(٤) ورد في التيجان ص ٢٨ «نقينان» عبراني تفسيره باللسان العربي «مشتري»، «مهليل» عبراني تفسيره باللسان العربي «محموده، «مالالي» سرياني تفسيره بالعربية «مسيح الله».

(٥) الطبري– تفسير ج ١ ص ١٠٢، قارن بالتكوين اصحاح ١٠ آية ٢١ وما بعدها. وعن مولد

(٦) المسيح وحياته، تفسير الطبري ١٤٧/٣، ٧٧ و ٤٣/١٦.

A. Moberly, A book of the Himyarites, London, 1934.

(٧) الذهبي– المصدر نفسه ص ٤٤٠.

ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخليقة وبين سفر التكوين. ومقارنة ابن قتيبة لمعلومات وهب تدل على انه أضاف مادة إلى ما أخذه عن العهد القديم والنصوص، وعناصر هذه المادة تستند إلى شرح الآيات القرآنية، وإلى الإسرائيليات، وإلى تأملاته في كتب أهل الكتاب (١) . ويلاحظ أن رواياته يعارض بعضها بعضاً مما يدل على أن هذه أصابها التحريف أو الإضافة بعده (٢) . ويعدّ السخاوي روايات وهب غير صالحة للمؤرخين (٣) . ويلاحظ أن وهباً لم يكن يترفع عن الادعاء فيما لا يعرف كما في قراءته لكتابة يونانية في مسجد دمشق للوليد بن عبدالملك (٤) .

وتنسب إلى وهب بعض المؤلفات عن فترة ما قبل الإسلام، مع اختلافات في التسمية. فابن سعد يذكر انه الف «أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني إسرائيل» (٥) ، وان النديم يشير إلى «المبتدأ»، وينسبه إلى حفيده عبدالمنعم (٦) . وابن قتيبة يشير إلى «قصص الأنبياء» و«مبتدأ الخلق» أو «المبدأ» أو «المبتدأ»(٧)، والمسعودي يشير إلى «المبتدأ»(٨). ولعل حاجي خليفة يشير إلى أقسام من المؤلف نفسه حين ينسب إلى وهب قصص الأخبار وقصص الأنبياء، كما يشير إلى كتاب الإسرائيليات (٩) .

---

(١) انظر ابن قتيبة – المعارف ص ٨– ٩؛ وص ٩ وما بعدها.
(٢) هوروفتس – المغازي الاول ص ٣٢.
(٣) السخاوي – الاعلان ص ٤٨.
(٤) المسعودي – مروج (باريس) ج ٣ ص ٩٧.
(٥) ابن سعد ج ٧ ص ٩٧.
(٦) الفهرست ص ١٣٨.
(٧) ابن قتيبة – المعارف ص ١؛ ابن حجر– تهذيب ج ١ ص ٧٨٨.
(٨) المسعودي– مروج ج ٥ ص ١٢٧.
(٩) كشف الظنون (اوربا) ج ٥ ص ٤٠ رقم ٩٨٢٦ وج ٤ ص ٥١٨.

ويرى روزنتال ان كتاب الإسرائيليات قد يكون كتاب المبتدأ نفسه (١) . ويبدو لنا من هذا ومن المقتطفات التي وصلت إلينا أن وهباً تناول بدء الخليقة وقصص الأنبياء والعباد. ولم يصل إلينا كتاب بما ذكر من عناوين، ولكن وصلت إلينا بعض آثاره مقتبسة في الطبري (التفسير والتاريخ) وابن قتيبة وابن اسحق وغيرهم. وفي حين تردنا الروايات في الطبري على الأكثر عن اسماعيل بن عبدالكريم بن عبدالصمد بن معقل (أخي وهب) عن وهب، نجد كتاب التيجان برواية عبدالمنعم (ت ٢٢٨هـ). ابن إدريس بن ابنة وهب.

ولابد أن نلاحظ أن روايات وهب وقصصه أصبحت، كما يبدو، إرثاً لعائلته التي حاولت نشرها وربما الإضافة إليها على يد عبدالمنعم بن إدريس واسماعيل ابن عبدالكريم بن معقل بن منبه (ت ٢١٠هـ)، ولعلهما لجآ إلى الوضع لتمجيد اسم وهب (٢) . ومن ناحية أخرى صار وهب علماً في الإسرائيليات ويحتمل أن آخرين أضافوا إليه أو عدلوا في قصصه؛ لأننا نحس بتناقض في الروايات المنسوبة إليه في المصادر الأولى مثل الطبري وابن قتيبة والمسعودي (٣) .

ولنحاول تكوين مخطط أولي لمبتدأ وهب من مقابلة القسم الأول من

---

(١) انظر - Rosenthal, History of Muslim Historigraphy, p. 265 note 2. Becker Papyrii, I p. 8 off,

(٢) عبدالمنعم بن إدريس قاص مشهور، وضع قصصاً واشترى كتباً من ضمنها كتب السير وروى من قصصها ونسب ذلك إلى جده الأعلى وهب. انظر لسان الميزان لابن حجر ج ٢ ص ٧٣، وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٣١٥. وجاء في ابن سعد ج ٥ ص ٣٩٥ حديث «يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب يهب الله له الحكمة»، وهو كما يلاحظ موضوع لتمجيد وهب.

(٣) انظر مادة «وهب بن منبه» في دائرة المعارف الإسلامية.

كتاب التيجان بالروايات المنسوبة لوهب في تفسير الطبري وتاريخه وابن قتيبة.

١- عمر الأرض، وخلق السموات والأرض والبحار في سبعة أيام (١) . قصة آدم وحواء في الجنة (٢) . هبوط آدم إلى الأرض، ومعرفته بأن أولاده يعمرونها، وان الله سيجعل بمكة «البيت حرماً آمنا» (٣) . أولاد آدم (٤) .

٢- نوح وأولاده وانتشار ذريته في الأرض، والأقوام التي تنسب إليهم وألسنتهم (٥) .

٣- ويتابع وهب التوراة في قصص الأنبياء بخاصة بني إسرائيل مع تفسير الإشارات القرآنية، فيذكر اسحق بن إبراهيم وقصة يعقوب بن اسحق والأسباط من ذريته (٦) ، وقصة موسى وهرون، وموسى في الوادي المقدس وموسى وعصاه، وسحرة فرعون وبقرة بني إسرائيل، ووفاة موسى (٧) .

٤- توالي الأنبياء في بني إسرائيل. شدة أصابت بني اسرائيل وانقاذهم على يد النبي حزقيل (٨) . كثرة الخطأ في بني اسرائيل وقصة

---

(١) انظر الطبري- تفسير ١٢/٤، وابن قتيبة - المعارفة (مصر) ص ٨- ٩؛ الطبري- تاريخ ج١ ص ٣٦- ٤٠.

(٢) الطبري- تفسير ١٠٦/٧، ١٨٤/٨- ١٨٥؛ الطبري ج ١ ص ١٠٦.

(٣) الطبري- تاريخ ج ١ ص ١٣٠- ١٣١.

(٤) ابن قتيبة - المعارف ص ١٠.

(٥) المصدر نفسه ص ١١- ١٤؛ الطبري- تاريخ ج ١ ص ٢١١.

(٦) ابن قتيبة ص ١٦- ١٧.

(٧) انظر ابن قتيبة ص ٢٠؛ الطبري- تاريخ ج ١ ص ٤٧١- ٤٧٤؛ الطبري- تفسير ج ١٦ ص ١٠٧- ١٠٨، ج ١٦ ص ١١٨- ١١٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ج ١ ص ٢٨١- ٢ وج ٢ ص ٣٧٣- ٤، ٢٨٥- ٢٨٦، ٢٨٨.

(٨) الطبري - تاريخ ج ١ ص ٥٣٦، ٥٣٩.

التابوت والسكينة ودورهما في نصر بني إسرائيل. زوال التابوت ودور محنة لمدة ٤٠٠ سنة، حتى ظهور النبي شموئيل ورجوع التابوت. شموئيل يبارك طالوت، ويصير ملكاً، ولكنه لا يحقق المشيئة، فتنتقل البركة إلى داود الذي يقتل جالوت ويصير ملكاً. تفاصيل عن داود (١) . سليمان وصلته ببلقيس (٢) . ولد سليمان ومن بعدهما إلى زمن أرميا وخراب بيت المقدس على يد بختنصر (٣) .

٥- أنبياء إسرائيل التالين (٤) . ولادة السيد المسيح ومعجزاته، ودعوته لأصحابه إلى العشاء الأخير، ونبوءة المسيح عن أصحابه (٥) .

وبصورة عامة يورد وهب قصص الأنبياء بصورة موافقة في خطوطها العامة لما جاء في كتب أهل الكتاب وقصصهم. وفي كتاب (التيجان) نجد قصصاً عربية عن بدء الوثنية (٦) وعن عاد وعن مدينة أرم (٧) . كما أخذ ابن قتيبة عنه في قصة إبراهيم ونمرود وهجرته وقصة اسماعيل (٨) ، وكذا أصحاب أهل الكهف، وشعيب ومدين (٩) . وقد حدد ابن خلكان اطار اهتمامه حين قال: «وكانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا

---

(١) الطبري- تاريخ ج ١ ص ٥٠١- ٥٠٤، ٥٦١ وما بعدها، ٥٧١- ٢، ٥٧٢ وما بعدها؛ الطبري- تفسير ج ٢ ص ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦؛ ٣٩٨- ٣٩٩.

(٢) الطبري- تفسير ج ١٩ ص ٩٦- ٧، ٩١، ٩٠، ٨٨، ٨٦، ٨١- ٨٢.

(٣) الطبري- تفسير ج ٣ ص ٢٠، ٢٢- ٢٣؛ ابن قتيبة ص ٢٠- ٢٢.

(٤) ابن قتيبة ص ٢٢- ٢٤.،

(٥) الطبري- تفسير ج ١٦ ص ٤٩، ١٦١، ١٩٢، ١٩٥، ٢٠٣، ٣٩٠ و ج ٦ ص ٢٠٥.

(٦) التيجان ص ٢٠٣ وما بعدها، ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٩- ٤١.

(٨) ابن قتيبة - المعارف ص ١٥- ١٦.

(٩) المصدر نفسه ص ١٩- ٣٥.

وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك» (١) . ويبدو أن ابن خلكان نظر إلى أخباره عن ملوك اليمن إضافة إلى ما ذكرنا.

وقد ذكر ياقوت ان وهب بن منبه ألف كتاباً عنوانه «كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» (٢) . وقد رأى ابن خلكان هذا الكتاب ووصفه بانه «من الكتب المفيدة» (٣) . ويحتمل ان هذا الكتاب كان الأساس لكتاب «التيجان في ملوك حمير واليمن» الذي رواه هشام منسوباً إلى وهب عن طريق عبدالمنعم بن إدريس.

يتناول القسم الأكبر من كتاب (التيجان) قصة عرب الجنوب وماضيهم وأمجاد ملوكهم وهجرتهم. وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي مؤثر يشبه قصص قبل الإسلام، فهو شبه أدبي، ويتمشى في شعره ونثره مع أسلوب قصص الأيام.

ويقدم هذا الكتاب أسطورة يمانية شعبية مجيدة، هدفها كما يبدو أن تعطي صورة رائعة لعرب الجنوب، تجابه التفوق العام لعرب الشمال، وتعكس صورة للتفاخر بين الاثنين. فالكتاب يظهر «حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء» (٤) . ونسمع بأن عرب الجنوب عرفوا التوحيد قبل الناس (٥)، وان الصعب ذا القرنين كان يدعو في حروبه «إلى

---

(١) ابن خلكان – وفيات ج ٢ ص ٣٨٢.
(٢) ياقوت – إرشاد ج ٦ ص ٢٢٢.
(٣) ابن خلكان – وفيات ج ٢ ص ٣٨٢.
(٤) التيجان ص ٦٢.
(٥) مثلاً يبين أن يعرب خليفة نبي الله هود «وقام بأمر الله بعده» – التيجان ص ١٦. الصعب ذو القرنين، يشبه سليمان في انه «تسخر له البهائم والأنعام والطير والهوام والوحوش» ص ٤٦ وحتى الريح تطيعه ص ٨٦– ٨٧، ويصف (الصعب) بأنه نبي غير مرسل، وكذلك لقمان ص ٣٥، ٧٠.

السيف أو الإيمان» (١) . ونلاحظ تقديس اليمانيين للكعبة، وحج بعض ملوكهم إليها (٢) . وقام ملوكهم بفتوحات عظيمة في أرجاء الأرض (٣) . وينسب إلى أهل النبي السبق في استعمال الخط العربي (٤) ، ونظم الشعر بالعربية، وعنهم أخذ عرب الشمال بعدئذٍ (٥) . ويؤكد معرفتهم الحكمة (٦) ، ومهارتهم وتفوقهم في الصنعة، وأن الناس تعلموها منهم (٧) .

ومن هذا يتضح تمجيد الكتاب لليمانيين واظهارهم بمظهر السباق في التوحيد والفتوحات واللغة والأدب والحكمة والصنعة. ومن الصعب تحديد دور وهب فيما ذكر، ولكنه على كل حال له أثر قوي (٨) . وعلينا أن نلاحظ أن الكتاب يحوي قصصاً تعود لابن اسحق (عن طريق تلاميذه كالبكائي وأبو عباد الهمداني) (٩) ، وإلى أبي محنف (١٠) ، وإلى محمد بن

---

(١) التيجان ص ١٠١ وكان الخضر يرشده في فتوحاته.

(٢) التيجان ص ٣٥.

(٣) مثلاً عبدشمس بن يشجب، واسمه سبأ، فتح بابل وارمينية والشام ووصل النيل وبنى مصر ص ٤٧- ٤٨. حمير امعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج الى مطلع الشمس وفتح الشام والحبشة ومصر والمغرب إلى المحيط ص ٥٢- ٥٣. الصعب ذو القرنين فتح في المغرب - السودان والحبشة والأندلس، وفي المشرق ارمينية وسمرقند وباب الأبواب ويأجوج ومأجوج، وبنى السد بينهم وبين الناس، وفتح الهند والصين، وأخيراً وصل ماء الحياء ص ٨٦- ١٠٧.

(٤) التيجان ص ٥٤.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥.

(٦) انظر المصدر نفسه ص ٧٠، ٧٣، ٧٤. وهم اول من رجم في الحد حد الزنا، واول من قطع يد السارق.

(٧) التيجان ص ١٦٢.

(٨) انظر لطائف المعارف للثعالبي ص ٢٦ حيث يدافع وهب عن اليمانيين بقوة.

(٩) التيجان ص ٦٥- ٦، ٧٥، ١١٥، ١٢٨، ٢٥١.

(١٠) المصدر نفسه ص ١٢٥، ١٨٠، ١٨٣.

السائب الكلبي (١)، وإلى عبيد ابن شريه (٢)، وإلى كعب الأحبار (٣) وآخرين غيرهم (٤) . ويرد قسم كبير من الكتاب دون ذكر مصدر، ولعل بعض هذا أو أكثره يرجع إلى وهب بن منبه.

وقد ألف وهب في المغازي، وأشار إلى ذلك حاجي خليفة (٥) . ووجد بيكر قطعة من مغازيه كما يبدو على ورق البردي مكتوبة بتاريخ ٢٢٨هـ وهي برواية عبدالمنعم بن إدريس، وتبدأ بـ «حدثني محمد بن بحر أبو طلحة قال: حدثنا عبدالمنعم بن إدريس عن أبيه عن أبي الياس عن وهب بن منبه» (٦) . وهي تتناول الموضوعات الآتية: بيعة العقبة الكبرى، حديث قريش في دار الندوة، الهجرة ووصول النبي إلى المدينة، وغزوة بني خيثمة. وترجع الأخبار إلى وهب دون سند. وفيها نجد قصائد الوثنيين الذين ساهموا في الحوادث على غرار أسلوب الأيام. ولا ندري ان كان وهب أهمل الاسناد كلياً؛ إذ إن صاحب حلية الأولياء أورد قطعتين لوهب الأولى تتعلق بفتح مكة (٧) والأخرى بوفاة الرسول (٨) ذكر فيها الاسناد مع العلم أن الرواية تأتي عن طريق عبدالمنعم بن إدريس. وأسلوب القطعتين هو أسلوب القصص الشعبي عينه مع طابع أسطوري واضح.

والمهم هنا أن مغازي وهب بن منبه لا يشار إليها في كتب السيرة ولم

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٢، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٦، ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٠- ١١٢.

(٤) المصدر نفسه ص ١١١، ١٣٥، ١٦٤، ٢٣٣.

(٥) حاجي خليفة - كشف ج ٢ ص ١٧٤٧.

(٦) C. Becker, Papyrus Schott Reinhardt p. 1- 3. وانظر Grohmann, Arabic Papyrii, p.4.

(٧) أو نعيم الأصفهاني - حلية ج ٤ ص ٧٩.

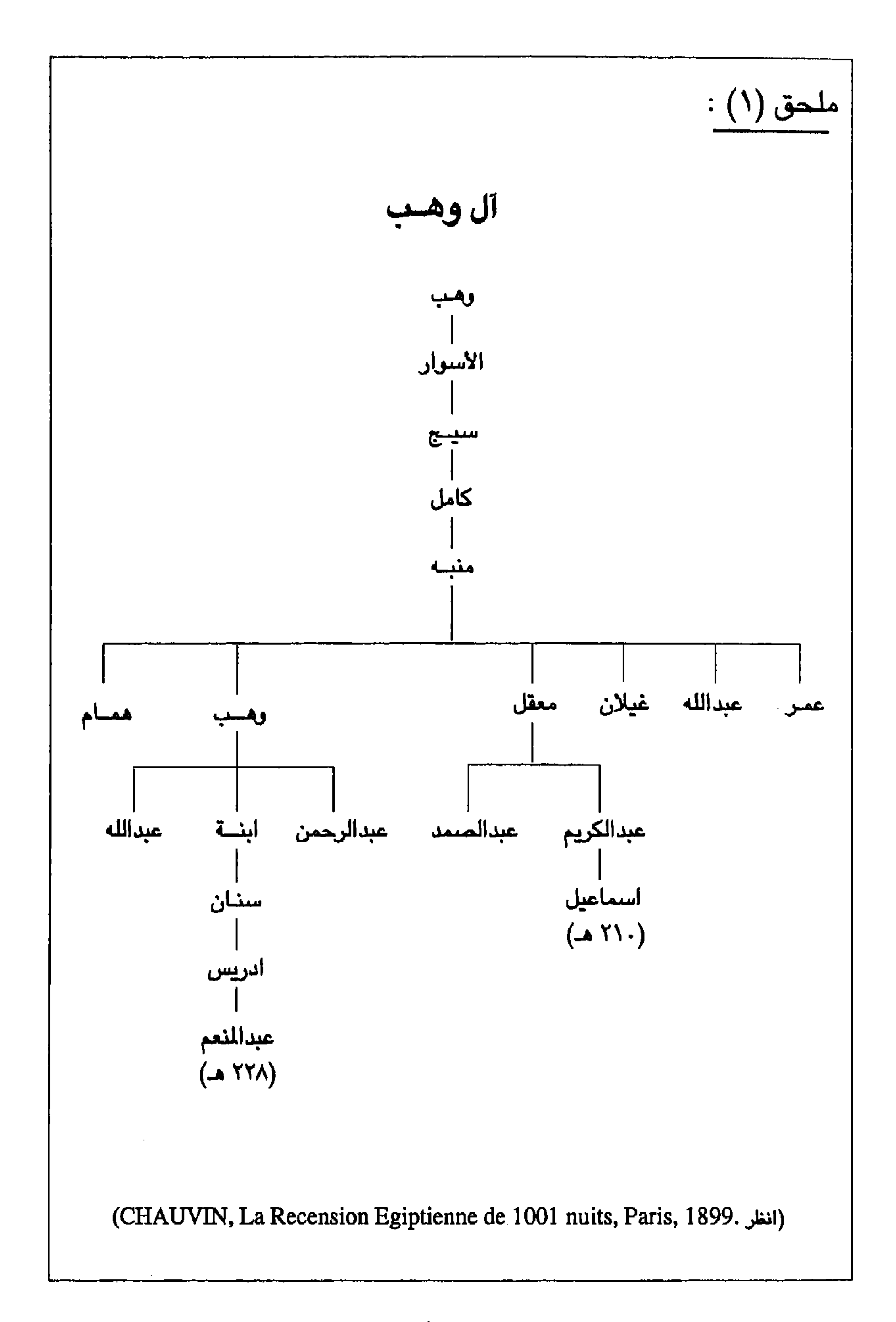
(٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٧٢.

ينظر إليها نظرة جدية. ووجهتها تختلف كلياً عن وجهة مدرسة المدينة. لقد كان وهب بن منبه، كما لاحظنا، قاصاً قدم في مبتدأه وفي أخباره عن اليمن أقاصيص وأساطير أوردها وكأنها تاريخ. وبهذا أدخل عنصر القصة إلى حقل التاريخ كما يتبين من الروايات المأخوذة عنه، لفترة ما قبل الإسلام، في ابن اسحق واليعقوبي وابن قتيبة والطبري والمسعودي. كما انه اثر في قصص الأنبياء كما في كتب الكسائي والثعلبي.

ويبدو ان القصاص، سواء أكانوا شعبيين أو من الوعاظ أثروا في نبرة الكتابة عن السيرة أحياناً في فترات تالية، بإدخالهم شيئاً من الميل للمبالغة وللخيال. ولكنهم على كل حال لم يعدوا مؤرخين، ولم يوجدوا وجهة تاريخية في كتابة السيرة. ولا يخفى ان القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأولين امتداد للقصص القديم في أسلوبه، وهذا ما لم ترض به مدرسة المدينة للمغازي. ويمكن التأكيد إذاً أن خطوط السيرة وموادها لم تأت عن طريق القصاص، بل ان ذلك كان عمل أهل المغازي من المحدثين ومن سار على طريقتهم في المدينة.

إن دور وهب بن منبه إذاً انه كان أول من وضع هيكلاً، وإن كان قصصياً، لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام، وقد أخذ عنه أو تأثر، من ناحية المادة أو الهيكل، بعض المؤرخين التالين.

ملحق (١) :



(CHAUVIN, La Recension Egiptienne de 1001 nuits, Paris, 1899. انظر)

ملحق (٢) :

قطعة من مغازي وهب بن منبه نشرها بيكر من أوراق البردي في مجموعة

Papyrus Schatt Reinhardt

بسم الله الرحمن الرحيم - حدثني عمر بن بحر أبو طلحة قال حدثنا عبدالمنعم بن إدريس عن أبيه عن أبي إلياس عن وهب بن منبه (ص ١) .

قال فلما كان في الموسم المقبل حج من الأنصار اثنان وسبعون رجلاً، أصغرهم عقبة بن عمرو، فلقي رسول الله من لقيه منهم، فأخبره بمقدم القوم وعددهم.

فواعدهم صلى الله عليه وسلم أوسط ليالي التشريق بالعقبة، فجاءهم رسول الله ومعه علي بن أبي طالب وأبو بكر وعمر فلما رأوه قاموا إليه وسلموا عليه وحيوه بتحية النبوة، فقال رسول الله.. ودعا لهم وشكا إليهم ما تلقا (تلقى، تلقاه) من جهال قريش، فتحيوا رسول الله لك عندنا السعة ولأصحابك المؤاسا(ة).. نصرك ونرى تلك كرامة أكرمنا الله بها قال فبينا هم كذلك على ذلك إذ بصر (؟) بهم العباس (؟).. فقال من هذا المتكلم محمد أنت؟ قال نعم ،قال فمن هو.. (لعله: هؤلاء) قال أخوالي وأخوالك الأوس والخزرج، قد آمنوا بالله ورسوله وزعموا وهم فاعلون أنهم.. وينصروني ويخرجوني معهم إلى بلادهم. قال فأباح (لعله: أناخ) العباس رحلته (لعله: راحلته)، ثم قال يا معاشر بني قايلة (لعله: قيلة) ان

هاذا محمد بن أخي أحب الناس منهم إلي وأكرمهم علي وأفضلهم.. وما(؟) أنفعهم (؟) فإن كنتم قد آمنتم به وصدقتموه فإنه (؟)... ابن أخي موثقاً. إليه نفسه ويكون الله بينكم وبينه شهيداً الا تخذلو[ه] ولا (...) ولا (...) رون به فإن جيرانكم في بلدكم يهود وهم له أعدى ولم... وهم عليه (ص ٢).

قال فا (....) ذلك على النبي؛ لأنه كان متهم لهم عليه فقال أسعد [بن زرارة] يرسول الله ايذن لي أجيبه غير مخشن صدرك ولا متعرض بيننا مما كره إلا لتصديق إيماننا بك فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أجيبوه وابسطوا ألسنكم غير مقصرين ولا متهيبين فقام أسعد بن زرارة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله جعل لكل دعوة سبيلا ان شدة وان لين. وانك دعوتنا يا رسول الله ونحن في دار عز ومنعة لا يستطيع ان يرؤس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه وأجبناك إلى ذلك ودعوتنا إلى ترك ديننا ودين آبائنا فأجبناك إلى ذلك وفي ذلك عداوة العرب والعجم والناس كافة وتلك رؤيته (؟) صعبة لا يقوم بها إلا من عزم الله (أو : ربه) له على الرشد ودعوتنا إلى معاداة العرب والعجم وأجبناك إلى ذلك ثم أقبل على العباس فقال أيها المتعرض لنا دون رسول الله فقد صدقنا (لعله : صدقناه) وكذبته وآمنا به واتبعناه وأبيت ذلك وأما قولك انه أحب الناس إليك فنحن لهد أشد حبا قطعنا فيه القريب والبعيد وكرهت ذلك وأما قولك انه أكرم الناس عليك وأفضلهم لربك فنحن له أشد حبا وأولى به بذلك وأما قولك انك لا تصدقه بما يقول فإن الله لا يذله بذلك ولا يعزك به اشترط يحمد لربك ما شئت ولنفسك ما أحببت فقال النبي اشترط لربي ان تعبدونه ولا تشركون به شيئاً ولنفسي أن

تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله.

قال فقام العباس فقال عليكم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهودكم لتشدن به أزره ولتجدن في نصره، (انظر ا لحلبي ج ٢، ص ١٧، ص ١٨، ص ١٩ للمقارنة) ص ٣ ولتمنعته مما تمنعون منه أنفسكم وأبناكم ونساكم على ذلك تبايعون الله ربه وربكم فلذلك أجابوا أنهم على الوفى والصدق له ولرسوله حيوا على دين وماتوا عليه. قال ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فأخذ يصا[فح] النبي عليه الصلاة والسلام، وأقبل بوجهه على أصحابه فقال يا معاشر الأوس والخزرج ألستم (؟) تعلمون أن هذا رسول الله إليكم قالوا اللهم نعم قال فإن كنتم تاركيه أو خاذليه لشيء من الأمر ينزل بكم.. فإنه في بلده وعشيرته و... الله.. وأنتم بالصدق لله ورسوله حيوا على دين وماتوا عل[يه] فقال عبدالله بن رواحة إذا أعطيناك يرسول الله هذا.. أعطيناك فما لنا قال الجنة فقال يا أبا الهيثم خلِ بيننا وبين رسول الله حتى نبايعه قال فسبقه أبوالهيثم فبايع رسول الله فقال أبايعك يرسول الله على ما بايع النقباء من بني إسرائيل موسى بن عمران وقال عبدالله بن رواحة أبايعك يرسول (ص ٤) الله على ما بايع الحواريون عيسى بن مريم وقال أسعد بن زرارة أبايعك يرسول الله على أن أصدق قولي بفعلي في نصرك وأتم عهدي بوفاي ومؤازرتك فقال عبادة بن الصامت أبايعك يرسول الله على أن لا أعصي أمراً ولا أكذب إيماني (؟) وقال سعد بن ربيع أبايعك يرسول الله على أن لا أبالي في الله لومة لائم.

أصول مدرسة التاريخ في العراق

(نشأتها وتطورها حتى القرن الثالث الهجري)

إن علم التاريخ عند العرب جزء من الثقافة العربية، ولا يمكن فهمه إلا بالإشارة إلى الفعاليات والتطورات الثقافية الأخرى. ولا تؤدي دراسته وحده إلا إلى فهم مرتبك مبتور لأصوله وتطوره.

وقد بدأ علم التاريخ عند العرب بعد ظهور الإسلام. أما الفعاليات الجاهلية - كقصص الأيام والأنساب - فإنها تشير إلى جانب من اهتمام العرب، وبداية أسلوب في رواية الأخبار، ولكنها لا تنطوي على فكرة تاريخية.

سارت الدراسات التاريخية في بداياتها في اتجاهين عامين متميزين الواحد عن الآخر. اتجاه أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي كان إلى حدّ ما استمراراً للفعاليات القبلية السابقة. وهذان الاتجاهان يعكسان تيارين أساسيين في مجتمع صدر الإسلام - الاتجاه الإسلامي والاتجاه القبلي - أثرا في مختلف جوانب الحياة. وتمثل النشاط في كل من الاتجاهين في مصر من الأمصار، فكانت المدينة، مهد الإسلام، المركز الأول لاتجاه أهل الحديث، بينما كانت البصرة والكوفة مقرا الحاميات القبلية وموطنا التقاليد القبلية، المركز الأول للاتجاه القبلي. وكانت المدينة والكوفة والبصرة مراكز الحياة الثقافية في صدر الإسلام.

وليس الاتجاه الإسلامي موضوع بحثنا هنا. ويكفي أن نقول إنه بدأ عند المحدثين الذين وجهوا اهتماماً خاصاً إلى سيرة الرسول (ابتداء من

عروة بن الزبير) والذين تدرجوا بسرعة إلى دراسة تاريخ صدر الإسلام وكونوا مدرسة من مؤرخي المغازي. وإضافة إلى ذلك رويت قصص وأخبار عن الرسول والفتوحات، ونشرت. ولكن هذا القصص لم يؤد إلى اتجاه تاريخي، ولكنه هيأ فيما بعد مادة تسربت إلى بعض من المؤرخين - ابن اسحق خاصة. ولكنها بقيت موضع الشك والحذر لدى المؤرخين الجديين. ويظهر جد هذه المدرسة وتدقيقها في تأكيدها السند في نقد الرواة. وبنهاية القرن الأول الهجري استقرت الخطوط العامة للسيرة، وجمعت الروايات الأساسية عنها. ولكن كثيراً من القصص تسرب فيما بعد، وبان تحول في الاتجاه من رواية أخبار بسيطة واقعية إلى روايات فيها التمجيد وبعض المبالغة. وظهرت فكرة كتابة الروايات في فترة مبكرة نسبياً، وما إن انتهى القرن الأول الهجري حتى استقر استعمال الكتابة على يد الزهري، ومنذ ذلك الوقت صارت الروايات تؤخذ شفاهاً أو من مصادر مكتوبة.

وبدأ الاتجاه القبلي في دراسة التاريخ نتيجة الاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية. وكان استمراراً مباشراً لقصص الأيام (ولروايات الأنساب) في الأسلوب والنظرة موجها إلى الأيام الجديدة، أو المعارك والفتوحات في الإسلام.

وكانت الثقافة العربية شفوية في أساسها، تعتمد على الشعر لوثائقها وتجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث. أما الإشارات إلى سجلات ووثائق لدى ملوك الحيرة والحميريين في اليمن، وإلى سجلات وأنساب مدونة لدى بعض العائلات اليمنية، التي أفاد منها بعض المؤرخين فيما بعد فهي

حالات استثنائية (١) .

وكانت الأخبار تروى بالدرجة الأولى في المجالس القبلية. وتعدّ عادة ملكا مشتركا للعائلة أو القبلية. وكان بعض الأفراد مثل رواة الشعر أو مشايخ القبائل الرواة الأساسيين لها. ولم يكن لهذه الأخبار أو الروايات في البدء أسانيد، بل استمرت جزءًا من الثقافة العامة وتهم الجميع. وقد بقي مثل هذه الروايات الشفوية مع كثير من الشعر تتداول في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام (٢) . وصارت الكوفة والبصرة، وهي مراكز قبلية كبرى، وعلى صلة مباشرة ومستمرة بالصحراء، مراكز فعالة لتداول هذه الروايات والأخبار.

إلا أن ظهور الإسلام واستقرار القبائل في الأمصار، جمع القبائل في منطقة واحدة، وأوجد نواحي اهتمام جديدة لدى القبائل، وأدخل أوليات الكتابة والقراءة. ولدينا أدلة وافية على استعمال الكتابة لاعانة الذاكرة أو لحفظ الروايات قبل نهاية القرن الأول الهجري وخلال النصف الأول للقرن الثاني الهجري (٣) . وهكذا بدأ ظهور روايات مسجلة جنب الروايات الشفوية.

وفي مطلع القرن الثاني للهجرة نسمع بوجود أشياخ ورواة متضلعين بأنساب قبائلهم ومآثرها، وبوجود كتب تحوي أنساباً وشعراً، وربما أخباراً لبعض القبائل. ومن المحتمل أن هذه الكتب كانت قد جمعت من

---

(١) انظر الطبري ج ٢ ص ١٢٣ ط. القاهرة؛ ابن هشام- السيرة ج ١ ص ١، ٣٨١ ط. القاهرة؛ الهمداني- الاكليل ج ١ ، ص ٥، ج ١٠ ص ٣٠- ١، وص ١١١- ١١٢.

(٢) انظر السيوطي- المزهر ج ١ ص ٢٤٨- ٩؛ ج ٢ ص ٣٥٥؛ الجاحظ- البيان ج ٣ ص ٣٦٦.

(٣) ابن النديم ص ٩- ١٠، ص ١٣٢، الأغاني ج ٤ ص ٢٥٣، تذهيب التهذيب ج ٢ ص ٢١٦.

قبل بعض الرواة ولكنها كانت تعدّ ملكا مشتركا للقبيلة. فالشاعر الطرماح (ت ١٠٥هـ) يشير إلى كتاب تميم، وحماد الراوية (ت ١٢٦) كانت لدية كتب قريش وثقيف (١) .

وعن هؤلاء الرواة، وفي هذه الكتب توافرت مادة تاريخية للمؤرخين فيما بعد. وحوالي منتصف القرن الثاني للهجرة نجد رواة و«اخباريين» و«نسابين» و«لغويين» علماء، خلفوا مؤلفات تاريخية أو ثروة من الروايات التاريخية. وكانت تلك الفترة فترة علماء رواد في مختلف الحقول - بدأوا يجمعون الشعر والأخبار والحديث. فقد جمع أبو عمرو ابن العلاء (ت، ١٥٤/ ٧٧٠) وحماد الراوية (ت ١٥٦/ ٧٧٤) الشعر والأخبار ومواد عن الأنساب العربية (قبل الإسلام) من رواة القبائل ومن كتبها بالدرجة الأولى، واستعانوا بالكتابة لحفظ بعض انتاجهم (٢) .

وإلى هذه الفترة أيضاً تعود المجموعات الأولى للحديث، وقد عملت في أمصار مختلفة، وإليها أيضاً تعود المؤلفات الأولى التي وصلت إلينا عن السيرة. وهذا ما يشير إلى ظاهرة عامة في التطور الثقافي، وهي ظاهرة الجمع، وقد أخذ التاريخ نصيبه فيها. فكان الاخباريون والرواة العلماء مؤرخينا الأولين.

وكما نجد في الكتابات التاريخية عن السيرة أسلافاً لابن اسحق - كالزهري - اعتمد عليهم إلى حد كبير، نلاحظ كذلك أن الاخباريين أخذوا كثيراً من بعض الرواة. فمثلاً بين أكثر من ستين راوية أخذ عنهم سيف

---

(١) انظر الأغاني ج ٦ ص ٩٤، ج ٤ ص ٢٣٧، ابن عبدالبر- القصد والاستطراد ص ٤٣.

(٢) انظر ابن سلام - طبقات الشعراء ص ٤٠، السيوطي- المزهر ج ٢ ص ٣٠٤، ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٢- مختارات ابن الشجري ص ١٢٣، ١٢٧، ١٣٦؛ الأغاني ج ٣ ص ٣٢٢.

ابن عمر (كما نراه في الطبري)، نجد هذا يعتمد بصورة خاصة على راويتين طلحة بن الأعلم ومحمد بن عبدالله؛ إذ أخذ أكثر من مائة رواية عن كل منهم. ومن الأمثلة الأخرى اعتماد هشام ابن الكلبي على ابن أبي صالح في أخبار الأنبياء، واعتماد المدائني على أبي الذبال والمفضل الضبي في أخبار خراسان. ويلاحظ أن هؤلاء الرواة اهتموا بالحوادث أو الأمور العامة لا بأخبار قبيلة خاصة كما هي الحال في السابق، وبذلك ساروا خطوة مهمة. وفي المنزلة نفسها يمكننا وضع بعض النسابين الذين تجاوزوا حدود قبيلة واحدة في تآليفهم. ومع ذلك فقد استمر وجود رواة للقبائل.

إذاً كان الاخباريون المؤرخين الأولين في الاتجاه القبلي. وهم يختلفون عن الرواة، الذين كان يروون روايات عن حوادث معينة، في أنهم اتجهوا إلى جمع روايات تتعلق بموضوع أو حادث، ووضعها بكتاب متسلسل. ومن هؤلاء الاخباريين أبومخنف (ت ١٥٧/ ٧٧٤)، وعوانة بن الحكم (ت ١٤٧/٧٦٤)، وسيف بن عمر (ت ١٨٠/٧٩٦)، وأخيراً شيخ الاخباريين المدائني (ت ٢٢٥/٨٣٩).

لقد أبدى هؤلاء الاخباريون عناية بشؤون الأمة إلى جانب اهتمامهم الخاص بشؤون العراق. فنلاحظ لديهم فكرة وحدة تجارب الأمة واتصالها. كما نرى فكرة ترابط التاريخ العربي. فنجد سيف بن عمر يربط الردة بالفتوحات. ويتناول عوانة بن الحكم التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري - الخلفاء الراشدون: الردة والفتوحات والفتنة، وتاريخ العراق، وسورية حتى خلافة عبدالملك. ويتناول أبومخنف تاريخ صدر الإسلام حتى صفين، ثم يتابع حوادث العراق حتى نهاية العصر

الأموي. أما المدائني فيجول في تاريخ العرب كله - السياسي، والأدبي، والاجتماعي - مبتدئاً من الجاهلية ومستمراً حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

وهكذا نجد الأمة، لا القبيلة، محور الاهتمام. كما نلاحظ آراء تاريخية أخرى في مؤلفات الاخباريين. فنلاحظ التصادم بين فكرة الجبر في الشؤون العامة، كما يروجها الأمويون، وفكرة حرية الإرادة والمسؤولية البشرية كما ترى الأحزاب المعارضة. فعوانة بن الحكم يعرض الوجهة الأموية في بعض رواياته - فهذا يزيد ينسب السلطان الأموي إلى مشيئة الله (١) ، وهذا عثمان يتنبأ بأن السلطان سيؤول إلى عبدالملك وولده (٢) . بينما نجد أبا مخنف يعبر عن الوجهة الأخرى وبخاصة حين نتمعن فيما يورده عن حركة الحسين وعن حركة التوابين.

وهناك فكرة الدولة والتأكيد على حقوق الامام - من الزاوية الأموية -، والولاء والطاعة له تجاه وجهة النظر القبلية أو الحزبية، التي تضع ولاءات أخرى (اقليمية، قبلية... الخ) فوق الدولة، وهذه تنعكس في التواريخ المذكورة. فالثورات ضد الأمويين لا تعدّ غير مشروعة، ان لم تمدح أو تفسر تفسيراً دينياً. وحتى حين ينتقد خروج معاوية على علي - كما هي الحال في كتاب صفين لنصر بن مزاحم - يستند هذا النقد إلى أساس حزبي لا إلى فكرة الدولة (٣) . وعلى ذلك تظهر اثار الاخباريين الباقية لدينا كثيراً من الاعتدال. إذ إن أولئك المؤرخين لم يهبطوا إلى مستوى حزبي في كتاباتهم، ولم يكونوا ممثلين لوجهة نظر واحدة. ومن المحتمل

(١) الطبري س ١١ ص ٣٧٨.
(٢) البلاذري - انساب ج ٥ ص ٢٢٠.
(٣) انظر الطبري ج ٢ ص ٣- ٤ حيث يفضل امام الضلالة على عدم وجود امام.

أن بعض الروايات المتطرفة في مؤلفاتهم قد أهملت خلال عملية الانتقاء التي قام بها المؤرخون التالون (كالطبري والبلاذري)، الذين حفظوا لنا آثارهم. ولكن الأرجح أن تفسير ذلك يعود إلى الأهمية التي أعطيت للرواية أو الخبر مقابل الرأي، وإلى روح الضبط التاريخي التي فرضتها نظرة العلماء والمحدثين إلى الروايات.

وكان للحزبية وللاقليمية وللقبلية أثرها في الكتابات التاريخية. فنرى في أبي مخنف ميولاً علوية (١)، وميولاً عراقية (٢) حيث يورد الرواية: «أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد» وشيئاً من تمجيد القبائل. ففي أخباره عن صفين نجد تأكيداً واضحاً على المآثر القبلية. أما سيف فيوضح دور القبائل في فتح العراق ويؤكد على دور تميم (٣) . ويعدّ عوانة عثمانياً في ميوله. فهو يعطي بوضوح روايات أموية وأحياناً روايات داخلية عن الأسرة الأموية (٤) . ومع ذلك تعكس بعض رواياته وجهة معاكسة للأمويين (٥) .

قام الاخباريون بجهود كبيرة على نطاق واسع لجمع الروايات والأخبار. فنجدهم يستفيدون من الروايات العائلية، والروايات القبلية في العراق، ومن عدد كبير من الروايات عن الأفراد. وكان عليهم أن يكمّلوا هذه الروايات بروايات أمصار أخرى حول الحوادث التي درسوها،

(١) انظر الطبري ج ٢ ص ١٨٢- ١٨٦، ج ١ ص ٢٣٣٧، ٣٢٧٦، وج ٢ ص ٣٠٧- ٨.
(٢) انظر الطبري ج ١ ص ٣٢٢١- ٢، وج ٢ ص ١٤٥ خاصة .
(٣) انظر الطبري ج ١ ص ٢٠٦٨- ٩ وأهمية القعقاع بن عمرو التميمي.
(٤) انظر البلاذري- انساب ج ٤ ص ١و ٣١، طبري ج ٢ ص ١٣.
(٥) الطبري ج ١ ص ١٨٣٧؛ البلاذري- أنساب ج ٥ ص ٣٦٩.

وهكذا نجد روايات من الشام والمدينة والجزيرة العربية. وهذا واضح في اثار الاخباريين. فأبو مخنف أورد روايات لأشياخ من قبائل الأزد ونمير ومحارب وتميم، كما أورد روايات عائلية (١)، ويورد روايات عن أفراد ساهموا في الحوادث نفسها، إضافة إلى عدد كبير من الروايات الفردية (٢) . وكانت مصادره عن صفين وعن مجيء مسلم بن عقيل إلى العراق وعن فاجعة كربلاء في جملتها كوفية، ولكنه أضاف إليها روايات شامية وروايات مدنية (٣) . ويعتمد سيف بن عمر في الفتوحات خاصة، على روايات كوفية، ويكملها ببعض الروايات المدنية والشامية. أما في الردة فيعتمد على روايات من الكوفة والجزيرة العربية والمدينة. ومن رواته المدنيين هشام بن عروة وموسى بن عقبة. ويرجع في كثير من الروايات إلى مساهمين في الحوادث (٤) .

ويعتمد عوانة بن الحكم على روايات عائلية وعلى روايات قبيلته كلب، وعلى روايات قبلية أخرى وعلى عدد كبير من الروايات الفردية، وعلى كثير من الروايات الشامية والأموية (٥) .

وإضافة إلى ما ذكر نجد الاخباريين يستعملون وثائق رسمية، من رسائل ومعاهدات، لعلها من الدواوين الحكومية، أو من أناس لديهم وثائق (٦) .

---

(١) الطبري ج ١ ص ٣٢٦١، ٣٣٠٣، ٣٣٠٩، ٣٣٠٢.
(٢) انظر الطبري ج ١ ص ٣٢٠٢- ٣.
(٣) انظر الطبري ج ٢ ص ٢٧٩، ٤١٠- ٤١٤، ٣٧٦، ٤٧٩.
(٤) انظر الطبري ج ١ ص ١٧٨٦، ١٧٩٧، ١٩٣١- ٦، ١٩٤٧- ٨.
(٥) انظر الطبري ج ٢ ص ٧٨٥، ٧٩١- ٥، البلاذري- انساب ج ٢ ص ٣٢- ٥؛ ١٤٠.
(٦) انظر الطبري ج ١ ص ٢٨٢٠.

وكان باستطاعة الاخباري أن يعتمد كثيراً على روايات مصره (كما هي حال أبي مخنف)، أو على روايات قبلية (مثل سيف بن عمر)، ولكنه لم يكن يستطيع ترك روايات مقابلة أو معارضة (١) . ففي هذا الوقت انتشر أسلوب المحدثين في الرواية إلى حد ما، وأثر في الاخباريين. ولذا نرى أن الطريقة النقدية للاخباريين تكمن في نقد الرواة وفي تقدير قيمة رواياتهم (فمثلاً يقول سيف: وهذه القصة في أمر الابلة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السير وخلاف ما جاءت به الآثار (٢) . ويقول أبو مخنف، إشارة إلى حادث يتصل بفاجعة كربلاء: «أما ما حدثنا به المجالد بن سعيد والصقعب بن زهير.. وغيرهما من المحدثين، فهو ما عليه جماعة المحدثين. قالوا...» (٣) .

ولكن قصص المجالس، وما يتصل به من شعر، وجد طريقاً إلى كتاباتهم. وهذا يصدق بالدرجة الأولى على نصر بن مزاحم الذي يورد كثيراً من الشعر المصنوع، ويقتفي بوضوح – في صفين – أسلوب قصص المجالس، وهذه بدورها استمرار لقصص الأيام (٤) . ويمكننا ملاحظة شيء من أثر الأسلوب القصصي في اخباريين آخرين مثل سيف ابن عمر وأبي مخنف (٥) وعوانة.

كتب هؤلاء الاخباريون بأسلوب سهل مباشر، وأعطوا أحياناً صوراً

---

(١) انظر الطبري ج ٢ ص ٣٢٣، ٢٠٢، ١٨٢ بخصوص ابي مخنف، والبلاذري- انساب ج ٤ ص ١، ٣١، ج ٥ ص ٣٦٩، الطبري ج ١ ص ١٨٣٣ بخصوص عوانة.

(٢) الطبري ج ١ ص ٢٠٢٥.

(٣) الطبري ج ٢ ص ٣٧٨.

(٤) انظر الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٤٨٢- ٣، الطوسي الفهرست ص ١٧١.

(٥) الطبري ج ١ ص ٢٠٧١- ٢، ص ٢٠٥٨، ٢١٠١- ٢؛ ج ٢ ص ٣، ٨- ٥٠.

قلمية حية للحوادث. وحين يكتبون عن المعارك نجدهم يوردون الشعر والخطب والحوار خلال اخبارهم. ونجد القصة عادة متسلسلة في كتاباتهم، كما نحس أحياناً بنبرة أسلوب قصص الأيام فيها.

وبعد هذا فإن الاخباريين يمثلون مرحلة انتقال بين فترة سابقة ينعدم فيها الاسناد، وبين أسلوب المحدثين الدقيق في اسناده، إذ إنهم يبدون كثيراً من الحرية وأحياناً التساهل في استعمالهم للاسناد. فنجد سلاسل اسناد منقطعة، أو حالات لا يذكر فيها إلا الاسم الأول للراوي، (مثل: عن عمير بن فلان العبدي)، أو مجرد «قيل»، أو «عن رجل من ...»، أو «.. عن أشياخ من ..»، أو «عمن ادرك من أهل العلم». ونلاحظ خلال القرن الثاني للهجرة أن رواية واحدة تعطى عن كل نقطة أو موضوع، وتتابع الروايات واحدة بعد الأخرى لاكمال القصة أو الخبر. ويستمر هذا الوضع حتى نصل المدائني حيث نجده يعطي أكثر من رواية حول الموضوع، ونحصل لديه على صورة أكثر توازناً وحياداً عن الموضوع. وكانت الأخبار والروايات تؤخذ في الغالب بطريق الرواية الشفوية، ويحتمل أن بعض المصادر مكتوب كما يبدو من بعض التعابير مثل «قال» و«حدثني» حين تشير إلى المصدر نفسه.

ومن المناسب هنا أن نذكر أن اللغويين لعبوا دوراً في تكوين أسلوب للبحث أكثر دقة في النقد، وذلك بدراساتهم للشعر، ومحاولاتهم للتمييز بين الشعر الصحيح والموضوع. كما ساعدوا على جمع الروايات التاريخية وعلى غربلتها. وهكذا أدخل اللغويون أسلوب النقد الداخلي للمواد، ووضعوه جنب النقد الخارجي للمصادر والرواة. أما وجهتهم في الكتابة فكانت مماثلة لوجهة الاخباريين في أنهم كانوا يجمعون المواد المتعلقة بموضوع أو حادث ويؤلفون «الكتب».

وخدم النسابون الدراسات التاريخية باعطاء الأنساب مع بعض المعلومات عن حياة الشخصيات (عند مصعب الزبيري خاصة). وهنا يتبين أن الحاجات الاجتماعية، والمنازعات القبلية، والانقسامات السياسية بين القبائل، كانت الدافع للاهتمام. وهذه الدراسات هيأت عن أشراف القبائل ما هيأته كتب الطبقات عن المحدثين، ولكن بدرجة أقل بكثير من ناحية المادة.

وكانت المناقشات والصراع الثقافي مع الشعوبية من جهة، وتوسع تيار الموالي من جهة أخرى، حافزاً للنسابين واللغويين على التوسع في دراستهم ودافعاً إلى التأكيد على وحدة التاريخ الثقافي للعرب واتصال حلقاته. وكان مرجع النسابين واللغويين بالدرجة الأولى الشعر والروايات القبلية، التي تتصل بالشعر، أو التي يرد الشعر خلالها لاثبات صحتها. ولذا اختلطت دراساتهم بحقل الدراسات التاريخية أو اتصلت بها.

لقد بدأت دراسات الأنساب ضمن حدود قبيلة واحدة. ثم ظهر في القرن الثاني للهجرة نسابون جمعوا الروايات والأخبار القبلية من نسابي القبائل المختلفة ومن الشعر وبخاصة شعر النقائض. ومن أمثلة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/ ٧٦٣م)، وأبو اليقظان النسابة (ت ١٩٠هـ/ ٨٠٤م). وفي الفترة نفسها قام اللغويون والنحاة بجمع الشعر العربي من «الكتب» القبلية ومن الرواة. ومع أن البعض حدد اهتمامه بالنسب والنحو إلا أن قسماً منهم تناول في دراسته حقل التاريخ العربي على نطاق واسع (انظر كتب هشام بن محمد الكلبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى). وهنا أيضاً نلاحظ أن الحركة اتجهت من ذكر الرواية دون اسناد إلى محاولة لذكر بعض الرواة وإلى تثبيت الاسناد. وللتمثيل نذكر أن

هشام بن محمد بن السائب الكلبي يروي عن أناس من أهل الكتاب، وعن ابن أبي صالح في تاريخ الأنبياء، وعن الترجمات وسجلات الحيرة، وعن القصص في تاريخ الفرس والعرب، ويعتمد على «مشايخ الكوفة» وعلى أبي مخنف وعوانة في التاريخ الإسلامي. أما أبو عبيدة فيروي عن شيوخه (أبي عمرو بن العلاء، والأخفش، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس ابن حبيب)، وعن هشام بن عروة، وعن وكيع، وعن جماعة من الأعراب الفصحاء (١) .

وتظهر فكرة تاريخية وراء هذه الدراسات. هي فكرة الاستمرار الثقافي (بمفهوم الوحدة الثقافية) في تاريخ العرب وأهمية ذلك بالنسبة للمسائل المعاصرة وبخاصة دعاوى الارستقراطية العربية، والصلة بين قريش والقبائل العربية الأخرى، ونظرة العرب إلى الموالي، ومشكلات تتصل بالارث اللغوي وبالأدب العربي. وهذه المسائل الكبيرة وسعت أفق النسابين واللغويين ليتناولوا تاريخ شعوب أخرى قبل الاسلام. فهشام بن الكلبي درس تاريخ الأنبياء وتاريخ الفرس المتصل بتاريخ العرب، في حين أن أبا عبيدة رجع إلى الروايات الفارسية (وبين مؤلفاته كتاب أخبار الفرس وكتاب الموالي).

وتنعكس المسائل السياسية إلى حد ما في كتاباتهم. فنلاحظ شيئاً من الميل للعلويين لدى هشام بن الكلبي، وأبي عبيدة، قدر ما نلاحظ من النقائض، يظهر ميلاً إلى كشف المثالب العربية بشكل لا يمكن تفسيره بكونه من الخوارج، ويشارك في الاتجاه الشعوبي (٢) .

---

(١) المزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٠١- ٢، الخطيب البغدادي- تاريخ ج ١٣ ص ٢٥٢، ابن خلكان ج ١ ص ٨٢٠، النقائض ص ٣٠- ٤٨٧، مجاز القران لأبي عبيدة ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) انظر محمود غناوي- النقائض ص ١٤٦.

وفي مطلع القرن الثالث الهجري، وصلت الدراسات التاريخية، مرحلة أدت إلى ظهور المؤرخين الكبار في ذلك القرن. إذ إن الاخباريين واللغويين والنسابين رسموا، في «الكتب» التي ألفوها، نطاق الدراسة التاريخية، وشملت دراساتهم جوانب حقولها المختلفة.

وفي هذه الدراسات ظهرت فكرة وحدة التاريخ الإسلامي. ويحتمل أن هذه الفكرة تمثلت في دراسة تاريخية متسلسلة بصورة دقيقة، من ناحية الزمن، في مؤلف الهيثم بن عدي «كتاب التاريخ على السنين». وفي هذه الدراسات تطور اتجاه دراسة الأنساب إلى اتجاه تاريخي ضمن اطار النسب، كما في نسب قريش للزبيري (ت ٢٣٣ - ٦هـ، ٨٤٤ - ٨٥٠م)، وبصورة أوضح من ناحية الخطة والمجال في «تاريخ الاشراف الكبير» للهيثم بن عدي. وظهرت فكرة التاريخ العالمي، فتناول هشام بن الكلبي تاريخ الأنبياء وتاريخ العرب الشماليين والجنوبيين قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي.

ومن ناحية الأسلوب، زاد الاهتمام بالاسناد، وأخذ البعض يروي الروايات المتباينة حول النقطة نفسها أو الموضوع، كما هي الحال عند المدائني وأبي عبيدة. ونلاحظ أيضاً الاتجاه نحو الاستفادة من المصادر المكتوبة جنب الروايات الشفوية لدى المدائني وأبي عبيدة وهشام بن الكلبي. وقد أخذ هؤلاء عن مؤلفات طبقة أبي مخنف وعوانة ومحمد بن السائب الكلبي وأبي عمرو بن العلاء.

شهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة عن التطور الثقافي. فقد تجمعت مادة ضخمة من الروايات التاريخية التي رويت أو كتبت في أمصار مختلفة. وكان هذا العصر عصر «الرحلة في طلب العلم»، وهي

حركة بدأها أهل الحديث، في سبيل جمع الأحاديث وتصنيفها. وهذه الاتصالات أدت إلى تبادل التأثير من ناحية الأسلوب والنظرة التاريخية. إذ اتسع استعمال الاسناد وتركز أكثر من ذي قبل، وحددت أصوله بصورة أدق. وإضافة إلى ذلك بدأ الرأي يتبلور لدى العلماء والمؤرخين حول قيمة المؤلفات السابقة ودرجة الوثوق بأصحابها. وهذا ما جعل أمر جمع الروايات ونقدها أكثر يسراً وأقرب للدقة.

جاء مؤرخو القرن الثالث الهجري - البلاذري (ت ٢٧٩/٨٩٢) واليعقوبي (ت ٢٨٤/ ٨٩٧)، والدينوري (ت ٢٨٢/ ٨٩٨)، وابن قتيبة (ت ٢٧٠/٢٨٢م)، والطبري (ت ٣١٠/٩٢٣)، فكتبوا تواريخ متصلة للأمة الإسلامية، تختلف عن «الكتب» السابقة. وسنكتفي ببعض الملاحظات العامة هنا.

كانت الأفكار التاريخية وراء كتاباتهم هي وحدة خبرة الأمة واتصالها، والنظرة العالمية للتاريخ. ويمثل البلاذري الفكرة الأولى، بينما يمثل بقية المؤرخين الفكرة الثانية. وقد اختلفت دوافعهم لكتابة التاريخ. فالبلاذري كتب تاريخه (أنساب الأشراف) ونسجه حول الارستقراطية العربية، وبذلك دل على مركز الثقل في نظره، كما انه أكد بذلك نظرة اجتماعية عربية. ثم إن «فتوح البلدان» يعبر عن رسالة الأمة الأساسية؛ أي الجهاد ويسد بعض الحاجات الفقهية والإدارية. أما اليعقوبي فكتب تاريخاً عاماً لا يخلو من ميول علوية، وأعطى تاريخ قبل الإسلام معنى دينياً وثقافياً. وفكر ابن قتيبة بطبقة الكتّاب وحاجتهم إلى تاريخ موجز شامل تمتزج فيه عدة وجهات، وجهة الأيام ووجهة التاريخ العالمي والحاجات الفقهية. بينما أراد الدينوري أن يظهر دور العراق وإيران في تاريخه العام؛ إذ وجد في

تاريخ العصرين الساساني والعباسي ما يسوغ هذه الوجهة. أما الطبري فأراد أن يوضح بتاريخه مشيئة الله، وان يجعل من تاريخه دليلا على فعاليات الأمة جنب تفسيره العظيم.

ونلاحظ أن أسلوب المحدثين في النقد صار يطبق بصورة أتم في هذا القرن. فالطبري محدث يتبع أسلوب أهل الحديث بدقة كما يبدو من تأكيده الأسانيد وابتعاده عن نقد المادة. وابن قتيبة ينقد مصادره إلى درجة انه يعود إلى التوراة ليصحح ما جاء به وهب بن منبه عن بدء الخليقة والأنبياء، ولا يأخذ من مصادره إلا ما ثبتت صحته. واليعقوبي يتخذ وجهة النقد نحو مصادره وبخاصة تلك التي تتعلق بما قبل الإسلام، وهو يمحص مصادر الفترة الإسلامية، ويكتفي بالإشارة إليها في مقدمته؛ لأن أسانيدها معروفة. ويتخذ البلاذري سبيلاً وسطاً؛ إذ يأخذ من المؤرخين السالفين فيذكرهم وفي كل حالة، ولا يورد سلاسل أسانيدهم لأنها معروفة إلا في حالات الضرورة.

ثم إن البلاذري والطبري يعطيان الروايات المختلفة حول الموضوع. ويقل لديهما ولدى المؤرخين الآخرين التحزب أو الانحياز، كما أن مقارنتهما للمواد التي قدمها المؤرخون قبلهم ساعدت إلى حد كبير على اعطاء صورة متزنة للأحداث.

وقد قام هؤلاء المؤرخون بدراسات خاصة واسعة في التاريخ والجغرافية والأدب وأضافوا نتاجهم إلى ما خلفه الاخباريون، واستعملوا الكتب (بعد قراءتها على شيخ) جنب الروايات الشفوية، ورجعوا أحياناً إلى الوثائق والسجلات. وقد جمعوا في تواريخهم بين وجهات النسابين والاخباريين واللغويين واستفادوا كثيراً من مدرسة المدينة.

إن ظهور هؤلاء المؤرخين يعني انتهاء مرحلة الاخباريين؛ إذ وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب، وركزوا الآراء والأفكار التاريخية.

دوافع الكتابة التاريخية

والآراء التاريخية التي تنطوي عليها مؤلفات المؤرخين الأولين

إن العوامل التي أدت إلى الكتابة التاريخية عند العرب تتصل بالتطورات الثقافية من جهة، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربي من جهة ثانية.

ونلاحظ مبدئيا أن اهتمام العرب قبل الإسلام بالأيام وبالأنساب، وروايتهم لما يتعلق بها من أخبار وشعر. يتصل بالآراء الاجتماعية السائدة لديهم حول الحسب والنسب، ومن المنتظر أن تكون الروايات شفوية كما يناسب الوضع الثقافي السائد. وكانت القصص والأخبار التي تروى ملكا مشتركا للعائلة أو القبيلة، تتداول في الوسط الاجتماعي، ولم تكن اختصاص الأفراد. وكانت تؤلف جزءا من الثقافة العامة. وقد استمر هذا الاهتمام بعد ظهور الإسلام.

وجاء الإسلام بفكرة «الأمة»، وقد تركزت هذه الفكرة في المدينة، ثم بدأت تستقر بصورة تدريجية في العراق. ودفع الإسلام بالقبائل إلى الاستقرار في الأمصار، وشجع على ادخال أوليات الكتابة إلى الحياة الثقافية.

وقد بدأت الدراسات التاريخية عند العرب في مدرستين مستقلتين، المدرسة العراقية في الكوفة والبصرة، والمدرسة الحجازية في المدينة. وكان لكل منهما دوافع أدت إلى نشأتها ونموها، ولكل آراؤها التاريخية.

ففي العراق كانت العوامل التالية مسؤولة عن نشأة الدراسات التاريخية. فقد استمر الاهتمام القديم بمآثر القبيلة وبأمجادها الحربية. وظهرت تدريجياً عصبية لدى القبائل للمصر الذي استقروا فيه وتبينت في ولائهم له. وهذه تتصل بصورة وثيقة بمسألة الفتح تمسك القبائل بحقها في التمتع بموارد البلاد التي فتحوها، أو بتعبير أبسط حق القبائل العراقية في العراق، كما تتصل هذه العصبية بشعور أهل العراق الذين كانت لهم رئاسة العالم الإسلامي في زمن الخليفة الرابع، بأنهم أجدر بالصدارة من غيرهم.

وهناك مسألة الامامة أو الخلافة وظهور الأحزاب السياسية. فنلاحظ أن الكثير من العراقيين يشعرون، لأسباب تاريخية، بأن قضية العراق تتصل بالقضية العلوية. وهناك فكرة الدولة أو مفهوم الدولة بالشكل الذي عرضه الأمويون وبشروا به الذي لقي معارضة من الأمصار ومن القبائل.

وهناك التصادم بين مبدأ القدر أو حرية الإرادة، ومسؤولية البشر في الشؤون العامة، وبين مبدأ الجبر أو قبول الأوضاع العامة السائدة بوصفها مقدرة. فقد تبنى الأمويون مبدأ الجبر وبشروا به، في حين أن الأحزاب المعارضة بشرت بمبدأ الحرية ومسؤولية البشر عن الأوضاع.

ومن ناحية ثانية تكون لدى العرب شعور بأهميتهم، وإدراك بأنهم أصحاب رسالة عالمية في الإسلام. وهذا الشعور يتصل بتكوين الامبراطورية العربية الإسلامية، وقد أثر في نظرة العرب إلى الموالي.

ثم إن فكرة الأمة ظهر أثرها في جعل الاهتمام بالاخبار والقصص يتعدى القبيلة إلى المجتمع، وبذلك فتحت الباب للدراسة التاريخية. كما أن

ميول العراقيين ومصالحهم تجاه السياسة الأموية كانت عاملاً آخر في توجيه الدراسة التاريخية.

كل هذه المسائل تظهر في الدراسة التاريخية، ويظهر دورها في العناية ببعض الحوادث، مثل الردة والفتوحات والشورى والفتنة وما اتصل بها من أحداث كوقعتي الجمل وصفين.

وقد عبرت كتب الاخباريين، وهم المؤرخون الأولون في العراق، عن الآراء السائدة في العراق حول المسائل المذكورة. وهكذا نجد سيف بن عمر يتناول «الردة» و«الفتوحات». وأخباره عن الفتوحات تظهر أمجاد القبائل بشكل يغطي إلى حد كبير على دورها في الردة، كما أن الصورة التي يعطيها عن الردة ليست قاتمة كما يتوقع، وتناول أبومخنف الردة، والفتوحات، والشورى، والفتنة، وصفين، ثم شؤون العراق حتى نهاية العصر الأموي. وينعكس في أخباره الولاء للعراق (أو العصبية للمصر)، كما أنه يظهر صحة قضية الامام علي، ويضع معاوية وأتباعه في الخطأ. وهو يربط قضية الامام علي بقضية العراق، ويجعلها قضية واحدة - يعمل ذلك دون أن ينتسب إلى الحزب العلوي. (فمثلا يروي: أدركت الناس وهم يقولون إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد. الطبري ج ٢ ص ١٤٥). كما انه يظهر الأمجاد القبلية في اخباره عن الفتوحات وعن صفين.

ويعطي نصر بن مزاحم في كتابه «صفين» وجهة شيعية، ويبدو في اخباره أثر الحزبية بجلاء، كما أنه يعبر عن المفاخر القبلية بوضوح.

ويحتمل أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً في ميوله؛ أي إنه كان أقرب إلى الأمويين، فنراه يقدم روايات أموية، ونجده يبدي بعض التسامح حتى

مع يزيد؛ إذ يروي عن سكينة قولها: ما رأينا رجلاً كافراً بالله خيراً من يزيد (١) . ومع أنه يعرض رأي جابر بن عبدالله عن بيعة معاوية بأنها «بيعة ضلالة»، إلا انه يظهر الصراع خلال الفتنة على أنه نزاع بين شيعة عثمان وشيعة علي. ويفسح عوانة المجال في اخباره لوجهة النظر الأموية في التأكيد على القضاء والقدر. يورد عوانة رواية تذكر يزيد بن معاوية يخاطب عليّ بن الحسين اثر فاجعة كربلاء، ويبين له أن والده لم يتذكر الآية ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ (٢) .

وعلى كل يؤكد الاخباريون عامة مسؤولية البشر عن الحوادث، ولا يحبذون فكرة الجبر في الشؤون العامة. ونجد في اخبار التوابين مثلاً قوياً لهذا الاتجاه.

ثم إن فكرة الدولة، كما حاول الأمويون تثبيتها، والتأكيد على الطاعة والولاء لرأسها لا تجد التأييد في كتب الاخباريين. بل إننا نجد عطفا على الثورات والحركات في تآليفهم، أو على الأقل تفسيراً مقبولاً لها .

ونجد الشك في قريش والحسد لمكانتها، ولما تتمتع به من امتيازات ينعكس في هذه التآليف. (ان قريشا لا تحتمل هذا ونحوه، وهم أهل حسد.. انهم قوم غدر. الطبري ج ٢ ص ١٩٥٥ - ٦).

ونلاحظ احتقار القبائل للموالي جليًا في بعض ما كتب، ونجد مثلا واضحا لذلك في اخبار ثورة المختار.

(١) الطبري ج ٢ ص ٣٨١.
(٢) الطبري ج ٢ ص ٣٧٨.

وما جاءت نهاية القرن الثاني للهجرة حتى نلاحظ تطورات أخرى. فالصراع بين العرب والموالي، والاحتكاك بين المسلمين وأهل الذمة، وادعاءات الارستقراطية العربية والصلة بين قريش وبقية القبائل - كل هذه كان لها أثرها في الكتابة التاريخية. وظهرت فكرة الاستمرار الثقافي في تاريخ العرب أيضاً. ثم إن تزايد أهمية الاجماع بمفهومه العام - بالمقابلة لاجماع أهل مصر من الأمصار في السابق - أعطى مجالاً للتعبير العملي عن فكرة تجارب الأمة (أو خبراتها) ووحدة هذه التجارب.

وبضوء ما مر، نجد المدائني يجول في حقل التاريخ العربي كله - سياسياً واجتماعياً وثقافياً - قبل الإسلام وبعده. ورجع هشام بن محمد الكلبي إلى تاريخ الانبياء، وتناول التاريخ الفارسي، وتاريخ العرب - شماليين وجنوبيين - قبل الإسلام، ثم التاريخ الإسلامي. وعبر عن فكرة عامة، هي وحدة التاريخ وتكامله. ورجع أبوعبيدة إلى الروايات الفارسية، فكتب «اخبار الفرس»، و«كتاب الموالي»، وهنا نجد أثر تيار الموالي واضحاً فيه. وكتب الهيثم بن عدي كتاب «التاريخ على السنين»، وبذلك أكد فكرة وحدة تجارب الأمة. أما كتابه «كتاب الاشراف الكبير» فيعبر عن نظرة الارستقراطية العربية إلى مكانتها في المجتمع الإسلامي ويعبر عن فكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب.

ونلاحظ أن الاسرائيليات والروايات الفارسية لم تكن موجودة لدى الجيل الأول من الاخباريين، وانها تسربت بعد ذلك عن طريق أصحابها. كما أننا نرى أن المشكلات العملية والتطورات الثقافية أثرت في الأفكار التاريخية ووسعت أفقها.

وإن عدنا إلى المدينة نرى عاملين أثرا في الدراسات التاريخية. أولهما دراسة حديث الرسول وسنته، وثانيهما مبدأ الاجماع الذي كان محليا - أي اجماع المدينة - أول الأمر، ثم توسع فيما بعد. وهذا أدى إلى دراسة سيرة الرسول وسير اتباعه، وإلى دراسة الراشدين ومشكلات «الشورى» و«جمع القرآن» و«الفتنة»، وربما بعض النواحي المتصلة بصدر الدولة الأموية.

أما موضوع «المبتدأ» أو تاريخ الخليقة والأنبياء، فإن دراسته تعتمد بالدرجة الأولى على كتب أهل الكتاب وقصصهم، فهو موضوع طارىء على الدراسة التاريخية، وقد وجد طريقه إليها بتأثير وهب بن منبه بالدرجة الأولى في ابن اسحق، وهذا العنصر الدخيل لم يلق قبولا في مدرسة المدينة. وإذا كان ابن اسحق تناول المبتدأ، فإن الواقدي تجاهله وعبر بتأكيد عن فكرة وحدة تجارب الأمم وتكاملها - وكان الواقدي معاصراً للمدائني ولهشام بن محمد الكلبي.

وشهد القرن الثالث للهجرة تبادل التأثير في الأفكار والوجهات والأساليب التاريخية بين المدارس والأمصار وبخاصة عن طريق الرحلة في طلب العلم. كما أن المبادىء الإسلامية التي تؤثر في الكتابة التاريخية سادت في الأمصار المختلفة بعد أن كانت مهيمنة في المدينة.

فنجد الآن فكرة تكامل النبوات ووحدة الرسالة قد استقرت لدى المؤرخين. ونحس بأثر الحركة العباسية في المؤرخين - مع العلم أن الحركة تنطوي على تفوق التيار الإسلامي على التيار القبلي. ثم ان الحركة الشعوبية أدت إلى التأكيد على الاستمرار الثقافي والوحدة

الثقافية في تاريخ العرب. وشعرت الاستقراطية العربية بالحاجة إلى تسويغ وضعها بعد مشاركة الموالي في السلطة. كما أن الفرس زاد وعيهم قوة بعد انتصار العباسيين. ثم ان الاجماع صار اجماعاً عاماً. أما مبدأ حرية الإرادة والاختيار، فقد تراجع في الحقلين السياسي والثقافي. وأخيراً، تحول مسرح الدراسات التاريخية من مراكز الأمصار إلى عاصمة الخلافة الكبرى بغداد.

كل هذه العوامل والاتجاهات وجدت التعبير عنها لدى مؤرخي القرن الثالث الهجري. ويكفي في هذه اللمحة أن نعطي فكرة أولية عامة.

فالبلاذري، في كتابه «أنساب الاشراف»، يعبر عن فكرة استمرار التاريخ الإسلامي واتصاله، ناسجاً خيوطه حول الاشراف العرب، وهو بذلك يشير إلى موطن الثقل والأهمية في هذا التاريخ، ويعبر بقوة عن النظرة الاجتماعية لدى الارستقراطية العربية.

وكتاب «فتوح البلدان» يعبر عن رسالة العرب في الإسلام وعن دورهم التاريخي (هذا فضلاً عن أنه يساعد في تقديم حلول لمشكلات فقهية وإدارية).

أما اليعقوبي فكتب تاريخاً عاماً، تناول القسم الأول منه التاريخ العالمي لفترة قبل الإسلام، وأعطى هذا التاريخ معنى دينياً وثقافياً. وتبدو ميوله الشيعية، كما يظهر أثر مهنته ككاتب في القسم الثاني من كتابه الذي وضع كما يبدو لفائدة الكتاب.

ويجمع ابن قتيبة في كتابه «المعارف» بين فكرتين تاريخيتين - فكرة التاريخ العالمي وفكرة الوحدة الثقافية في تاريخ العرب، وذلك ليسد حاجة

طبقة الكتاب إلى تاريخ شامل، وليجابه الحركة الشعوبية في الحقل الثقافي.

وكتب الدينوري «الأخبار الطوال»، وهو تاريخ عالمي يؤكد دور كل من العرب والفرس والتاريخ، وقدم تفسيرا تاريخيا لاشتراك العرب والفرس في السلطة في العصر العباسي.

وأخيراً جاء الطبري فثبت بصورة نهائية وجهة المحدثين في كتابة التاريخ، وعبر عن فكرة تكامل الرسالات في التاريخ، وعن فكرة وحدة تجارب الأمة (أو الاجماع). فالتاريخ تعبير عن المشيئة الإلهية، وقد كتبه الطبري على هذا الأساس.

فتاريخه قرين تفسيره، فكما يوضح التفسير إرادة الله في كلامه، يوضح التاريخ إرادة الله في الفعاليات البشرية.

عــروة بــن الزبيــر

نـزول الوحـي :

[معمر بن راشد ومحمد بن عبدالله عن الزهري] عن عروة عن عائشة قـالت: كـان أول مـا بدىء به رسـول الله – صلى الله عليـه وسلـم – من الوحي الرؤيا الصـادقـة، فكان لا يرى رؤيا إلا جـاءت مـثل فلق الصـبح. قـالت: فـمكث على ذلك مـا شـاء الله، وحُبب إليـه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه منها، وكان يخلو بغار حـراء، يتـحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى فـجئه الحق وهو في غار حراء.

(ابن سعد ج ٢ دار صادر، ص ١٩٢).

– عن عروة أن رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – قـال: يا خديجة إني أرى ضوءًا وأسمع صوتاً، لقد خشيت أن أكون كاهناً، فقالت: ان الله لا يفـعل بك ذلك يا ابن عـبـدالله، انك تصـدق الحـديث، وتؤدي الأمـانة، وتصل الرحم.

(ابن سعد ج ٣، ص ١٩٥).

[مالك بن أنس عن هشام بن عروة] عن أبيه عن عائشة: ان الحارث بن هشـام قـال: يا رسـول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقـال رسـول الله – صلى الله عليه وسلم – أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما

يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وان جبينه ليتفصد عرقاً.

(ابن سعد ج ٢، ص ١٩٨).

الهجرة إلى الحبشة :

[هشام بن عروة] عن عروة انه كتب إلى عبد الملك بن مروان: أما بعد فانه، يعني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذي أنزل عليه لم يبعدوا منه أول ما دعاهم وكادوا يسمعون له، حتى ذكر طواغيتهم، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكروا ذلك عليه واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانصفق عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبنائهم وأخوانهم وقبائلهم، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله من أهل الإسلام فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء، فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يخرجوا إلى أرض الحبشة، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه وكان يثني عليه مع ذلك صلاح وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً فأمرهم بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة وخاف عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث بذلك سنوات، يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الإسلام فيها ودخل فيها رجال من أشرافهم.

(الطبري ، الحسينية، ج ٢، ص ٢٢١)

[هشام بن عروة] عن عروة أنه قال: لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجر إليها قبل هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، جعل أهل الإسلام يزدادون ويكثرون، وانه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة الإسلام، فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة، فلما رأت ذلك قريش تذامرت على أن يفتنوهم ويشتدوا عليهم، فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة. وكانت فتنتين فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم بها، وأذن لهم في الخروج إليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المدينة سبعون نقيباً رؤوس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم على انا منك وأنت منا وعلى انه من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه بالخروج إلى المدينة، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله– صلى الله عليه وسلم – أصحابه وخرج وهي التي أنزل الله عز وجل فيها ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

(الطبري، المطبعة الحسينية ج٢، ص ٢٤٠ – ٢٤١).

وقعة بدر الكبرى :

إنه كتب إلى عبدالملك بن مروان: أما بعد، فإنك كتبت إليّ في أبي سفيان ومخرجه تسألني كيف كان شأنه. كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها كانوا تجاراً بالشام فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم، فذكروا

لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك فقتلت قتلى وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلة وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بني المغيرة وفيهم ابن كيسان مولاهم أصابهم عبدالله بن جحش وواقد حليف بني عدي بن كعب في ناس من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعثهم مع عبدالله بن جحش، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين قريش وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام. ثم ان أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال وبقلة عددهم فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه لا يرونها إلا غنيمة لهم لا يظنون ان يكون كبير قتال إذا لقوهم وهي التي أنزل الله عز وجل فيها ﴿وتريدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾، فلما سمع أبوسفيان أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معترضون له بعث إلى قريش ان محمداً وأصحابه معترضون لكم فأجيروا تجارتكم فلما أتى قريشاً الخبر وفي عير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤي كلها نفر لها أهل مكة، وهي نفرة بني كعب بن لؤي ليس فيها من بني عامر أحد إلا ما كان من بني مالك بن حسل، ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا أصحابه حتى قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – بدراً، وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام فحفض أبوسفيان عن بدر، ولزم طريق الساحل، وخاف الرصد على بدر، وسار النبي – صلى الله عليه وسلم –

حتى عرّس قريباً من بدر، وبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر، وليسوا يحسبون ان قريشاً خرجت لهم فبينا النبي - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود فأخذه النفر الذين بعثهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع الزبير إلى الماء وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في معرّسه فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه لا يحسبون إلا أنه معهم فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها وعن رؤوسهم ويصدقهم الخبر وهم اكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه والنبي - صلى الله عليه وسلم - يصلي يركع ويسجد يرى ويسمع ما يصنع بالعبد فطفقوا إذا ذكر لهم انها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه وقالوا انما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه فجعل العبد إذا أذنفوه بالضرب وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه وليس له بهم علم انما هو من روايا قريش قال نعم هذا أبوسفيان والركب حينئذ أسفل منهم كما قال الله عز وجل ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم حتى بلغ أمرا كان مفعولا﴾، فطفقوا إذا قال لهم العبد هذه قريش قد أتتكم ضربوه وإذا قال لهم هذا أبوسفيان تركوه فلما رأى صنيعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم فزعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: والذي نفسي بيده انكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذب، قالوا: فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت، قال: فإنه قد صدق قد خرجت قريش تجير

ركابها، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش وقال لا علم لي بأبي سفيان، فسأله. كم القوم، قال: لا أدري والله هم كثير عددهم، فزعموا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال من أطعمهم أول من أمس، فسمى رجلاً أطعمهم قال كم جزائر نحر لهم، قال تسع جزائر، قال فمن أطعمهم أمس، فسمى رجلاً، قال كم نحر لهم قال عشر جزائر، فزعموا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال القوم ما بين التسعمائة إلى الألف، فكان نفرة قريش يومئذ خمسين وتسعمائة. فانطلق النبي – صلى الله عليه وسلم – فنزل الماء وملأ الحياض وصف عليها أصحابه حتى قدم عليه القوم فلما ورد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدرا قال هذه مصارعهم، فوجدوا النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سبقهم إليه ونزل عليه فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: هذه قريش قد جاءت بجلبتها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني. فلما أقبلوا استقبلهم فحثا في وجوههم التراب فهزمهم الله، وكانوا قبل أن يلقاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه أن ارجعوا والركب الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدراف فنقيم به ثلاث ليالي ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قالوا الله عز وجل ﴿الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس﴾. فالتقوا هم والنبي – صلى الله عليه وسلم – ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المسلمين منهم.

(الطبري ج ١، ١٢٨٤ – ١٢٨٨)

فتــح مكــة :

[هشـام بن عـروة] عن عـروة انه كتب إلى عبدالملك بن مـروان: أما بعد فإنك كتبت إلـي تسألني عن خـالد بن الوليد هل أغار يوم الفتح وبأمـر من أغار. وانه كـان من شـأن خـالد يوم الفـتح انه كان مع النبي - صلى الله عليه وسلـم - فلما ركب النبي بطن مرّ عـامدا إلى مكة وقـد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقيان رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتـوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - إليهم أو إلى الطائف وذاك أيام الفتح، واستتبع أبوسفيان وحكيم ابن حزام بديل بن ورقـاء واحبّا أن يصحبهما ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل، وقـالوا لهم حين بعثـوهم إلى رسـول الله- صلى الله عليه وسلم - لا نؤتين من ورائكم فإنا لا ندري من يريد محمـد ايانا يريد أو هوازن يريد أو ثقيفاً، وكان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين قريش صلح يوم الحديبية وعهد ومدة فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قـريش، فـاقتـتلت طائفة من بني كعب وطائفـة من بني بكر، وكان بين رسـول الله - صلى الله عليه وسلـم - وبين قـريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه لا اغـلال ولا اسـلاب فـأعـانت قـريش بنـي بكر بالسـلاح فاتهمت بنو كعب قريشاً، فمنها غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل مكة، وفي غزوته تلك لقي أبا سفيان وحكيما وبديلا بمر الظهران ولم يشعروا ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نزل مر حتى طلعوا عليه فلمـا رأوه يمر دخل عليه أبوسـفيـان وبديل وحكيم بمنزله بمر الظهـران فـبـايعـوه فلمـا بايعـوه بعثـهم بين يديه إلى قـريش يدعـوهم إلى الإسـلام فـأخبرت انه قال من دخل دار أبي سفيان فـهو آمن وهي بأعلى مكة ومن

دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن، وانه لما خرج أبوسفيان وحكيم من عند النبي- صلى الله عليه وسلم - عامدين إلى مكة بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والأنصار وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال للزبير لا تبرح حيث أمرتك ان تغرز رايتي حتى آتيك ومن ثم دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضاعة وبني سليم وأناس إنما أسلموا قبيل ذلك أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة. وحدثت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا إلا من قاتلكما، فلما قدم خالد على بني بكر والأحابيش بأسفل مكة قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجل ولم يكن بمكة قتال غير ذلك، غير ان كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وابن الاشعر رجلاً من بني كعب كانا في خيل الزبير فسلكا كداء فقتلا ولم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال، ومن ثم قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقام الناس إليه يبايعونه فأسلم أهل مكة وأقام النبي - صلى الله عليه وسلم - عندهم نصف شهر لم يزد على ذلك حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين.

(الطبري: الحسينية، ج ٣ ص ١١٧ - ١١٨)

الزهـــــري

الرسول وقريش :

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر بن راشد] عن الزهري قال: دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام سرا وجهرا فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس، حتى كثر من آمن به، وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبدالمطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك وعادوه.

(ابن سعد، الطبقات، ق ١، ج ١، ص ١٣٣).

[أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا هشام بن سعد] عن الزهري قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفرقوا في الأرض، فقالوا أين نذهب يا رسول الله، قال ها هنا، وأشار إلى الحبشة، وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها فهاجر ناس ذوو عدد من المسلمين منهم من هاجر معه بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة.

(ابن سعد، الطبقات، ق ١ ج ١، ص ١٣٦).

محاولة قريش ارجاع مهاجرة الحبشة :

[قال ابن اسحق] حدثني محمد بن مسلم الزهري، (عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة بنت أبي أمية ابن المغيرة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنًا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ايتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى إلى بلاد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم، ثم إنهما قربا هدايا إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك انه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من

آبائهم وأعمامهم وعشايرهم لتردهم إليهم.. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله ابن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن لا يسمع كلامهم النجاشي، قالت: فقالت بطارقة حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلا بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، قالت فغضب النجاشي وقال لا ها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمورهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول والله علمنا وما أمرنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - كاينا في ذلك ما هو كاين. فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في دين ولا في دين أحد من هذه الملل، قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال له: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد

الله ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبايث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

(ابن هشام، ط. وستنفلد، ص ٢٩٧ – ٢٢٠).

أمر الحديبية :

(قال ابن اسحق) حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عروة ابن الزبير. خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً، وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعماية رجل فكانت كل بدنة عن عشرة نفر.. قال الزهري وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي.. فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين ساير العرب فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش

فوالله لا أزال أجاهد على الذين بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

(ابن هشام ٧٤٠ – ٧٤١)

[يستمر ابن اسحق ويذكر نزول الرسول الحديبية، ثم يعود لحديث الزهري] فقال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه ما الذي جاء به، فأخبرهم انه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زايراً للبيت ومعظماً لحرمته، ثم قال لهم نحوا مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش، فقالوا يا معشر، قريش انكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، إنما جاء زايراً هذا البيت فاتهموهم وجبهوهم، وقالوا وان كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تحدث بذلك عنا العرب. قال الزهري وكانت خزاعة عيبة رسول الله مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة (ابن هشام ٧٤٢ – ٣). (ثم يذكر توافد عدة رسل من قريش وارسال عثمان إلى قريش، ثم يأتي إلى أمر الهدنة).

قال ابن اسحق قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقالوا له أيت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا انه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مقبلاً قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تكلم فأطال الكلام وتراجعا، ثم جرى بينهما

الصلح، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس رسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبوبكر: يا عمر الزم غرزة فإني أشهد انه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد انه رسول الله، ثم أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني، قال فكان عمر يقول مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً، قال ثم دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليٌ بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقال اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، قال: فقال سهيل: لو شهدت انك رسول الله لما أقاتلك، ولكن أكتب اسمك واسم أبيك، قال فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على انه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة، وانه لا أسلال ولا أغلال، وانه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم

دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم، وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها. فبينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبوجندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. (ثم يتم قصة أبي جندل).. فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعبدالله بن سهيل بن عمرو وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة ومكرز بن حفص وهو مشرك وعلي بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة.

(ابن هشام ص ٧٤٦ - ٧٤٩)

ويذكر الزهري بعض الآيات المتعلقة بهذا الموضوع (ابن هشام ص ٧٤٩ - ٧٥٠) وينهي ابن اسحق ما نقله عن الزهري بما يأتي: يقول الزهري فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام

يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

(ابن هشام ص ٧٥١).

اجلاء أهل خيبر :

قال ابن اسحق: وسألت ابن شهاب: كيف كان اعطاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يهود خيبر نخلهم حين أعطاهم النخل على خرجها، أبت ذلك لهم حتى قبض أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟ فأخبرني ابن شهاب ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خمسها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال ان شيت دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعلموها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله، فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبعث عبدالله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفى الله نبيه – صلى الله عليه وسلم – أقرها أبوبكر بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله حتى توفي ثم أقرهم عمر صدراً من امارته ثم بلغ عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في وجعه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال: ان الله قد اذن في جلاءكم فقد بلغني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده

عهد من رسول الله فليأتني به انفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من اليهود ليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهم.

(ابن هشام ص ٧٧٩).

سيـرة عثمـــان :

[حدثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني محمد بن عبدالله] عن الزهري قال: لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً، فمكث ست سنين لا ينقم الناس عليه، وانه لأحب إلى قريش من عمر لشدة عمر ولين عثمان لهم ورفقه بهم، ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأهملهم، وكتب لمروان بن الحكم بخمس افريقية وأعطى أقاربه المال وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال مالاً، وقال ان أبا بكر وعمر تركا من هذا المال ما كان لهما، وإنما آخذه فأصل به ذوي رحمي، فانكر الناس ذلك عليه.

(أنساب الأشراف ج ٥، ص ٢٥).

مسيرة أهل الأمصار إلى عثمان :

حدثنا ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب :

إن المصريين لما قدموا فشكوا عبدالله بن سعد بن أبي سرح سألوا عثمان أن يولي مكانه محمد بن أبي بكر، فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعاً، فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير، وهو يخبط البعير خبطاً

كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب، فقال لهم مرة أنا غلام أمير المؤمنين وقال مرة أخرى أنا غلام مروان وجهني إلى عامل مصر برسالة، قالوا: فمعك كتاب، قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً، وكانت معه اداوة قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الأداة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء إليّ متظلماً منك ان شاء الله، فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة، وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعداً ومن كان من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام، واقرأوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان واجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيراً، ودخل عليَ وطلحة والزبير وسعد وعمار في نفر من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كلهم بدري على عثمان، ومع علي الكتاب والغلام والبعير، فقال له عليَ: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال:

وأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به، ولا علمت شأنه، فقال له علي: أفالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟ فحلف بالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط، وعرفوا أن الخط خط مروان فاسلوه أن يدفع إليهم مروان فأبى، وكان مروان عنده في الدار، فخرج أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - من عنده غضاباً وعلموا انه لا يحلف بباطل إلا أن قوماً قالوا لن يبرأ عثمان في قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه عن الأمر، ونعرف حال الكتاب وكيف يؤمر بقتل رجال من أصحاب رسول الله بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وان يكن مروان كتبه عن لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، فلزموا بيوتهم فأبى عثمان أن يخرج مروان.

فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا:؛ لا، قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت ثم قال: الا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصلت، وبلغ عليا ان القوم يريدون قتل عثمان فقال: إنما أردنا مروان أما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث الزبير ابنه عبدالله وبعث طلحة ابنه على كره، وبعث عدة من أصحاب النبي أبناءهم ليمنعوا الناس الدخول على عثمان، ويسألوه اخراج مروان؛ فلما رأى ذلك محمد ابن أبي بكر، وقد رمى الناس عثمان بالسهام حتى خُضب الحسن بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم وهو في الدار، وخضب محمد بن

طلحة وشُجّ قنبر مولى علي، خشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، وأخذ بيد رجلين فقال لهما: ان جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان، وبطل ما تريدون، ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد، فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان، وما يعلم أحد ممن كان معه؛ لأنهم كانوا فوق البيوت، ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمد بن أبي بكر: أنا أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان: لو رآك أبوك لساءه مكانك مني، فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه..».

(أنساب الأشراف ج ٥، ٦٧ – ٦٩).

لعل هذه القطعة تمثل أطول حديث للزهري، وتستمر روايته إلى بيعة علي.

(أنساب الأشراف ج ٥، ص ٦٩ – ٧٠)

وهـــب بــن منبـــه

ابـن آدم :

[أخبرنا اسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني، قال حدثني عبد الصمد ابن معقل انه] سمع وهب بن منبه يقول: خلق الله ابن آدم كما شاء ومما شـاء، فكان كذلك تبارك الله أحسن الخالقين، خلق من التراب والماء فمنه لحمه ودمه وشعره وعظامه وجسده كله، فهذا بدو الخلق الذي خلق الله منه ابن آدم، ثم جعلت فيه النفس فيها يقوم ويقعد ويسمع ويبصر ويعلم ما تعلم الدواب ويتقي ما تتقي، ثم جعل فيه الروح فيه عرف الحق من الباطل والرشد من الغي وبه حذر وتقدم واستتر وتعلم ودبر الأمور كلها.

(ابن سعد، الطبقات ق ١، ج ١، ص ٦ - ٧)

الخطيئة الأولى :

[حدثنا الحسن بن يحيى قال حدثنا معمر عن عبد الرحمن بن مهران قال:] سمعت وهب بن منبه يقول: لما أسكن الله (تعالى) آدم وزوجته الجنة، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة يُخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد ابليس أن يستنزلهما دخل في جوف الحية وكان للحية أربع قوائم، كأنها بُختية من أحسن دابة خلقها الله (تعالى)، فلما دخلت الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حوا فقال انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأخذت حوا فأكلت منها، ثم

ذهبت بها إلى آدم فقالت انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه يا آدم أين أنت؟ قال أنا هذا يارب، قال ألا تخرج، قال أستحي منك يا رب، قال ملعونة الأرض التي خُلقت منها لعنة حتى تتحول ثمارها شوكاً، قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر، ثم قال يا حوا أنت التي غررت عبدي فإنك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً، وقال للحية أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرّ عبدي ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك.

(الطبري ج ١، ص ١٠٥ - ١٠٦)

بنو إسرائيل :

[عن ابن اسحاق قال كما ذكر لي] عن وهب بن منبه قال: ثم بُني فيهم (يعني بني إسرائيل) بعده (يعني الياس) اليسع فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله إليه وخلفت فيهم الخلوف، وعظمت فيهم الخطايا، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو. والسكينة فيما ذكر ابن اسحاق عن وهب به منبه عن بعض أهل العلم من بني اسرائيل رأس هرة ميتة، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح. ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاف، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من

ايليا، لا يدخله عليهم عدد ولا يحتاجون معه إلى غيره، فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على الصخرة، ثم ينبذ فيه الحب فيخرج الله له ما يأكل سنة هو وعياله، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل هو وعياله سنة. فلما عظمت أحداثهم وتركوا عهد الله إليهم نزل بهم عدو فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى استلب من أيديهم، فأتي ملكهم ايلاف فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب فمالت عنقه فمات كمداً عليه، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطنهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم، فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من أحوالهم يتمادون أحياناً في غيهم وضلالهم، فسلط الله عليهم من ينتقم به منهم ويراجعون التوبة أحياناً، فيكفيهم الله شر من بغاهم سوء حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً، ورد عليهم تابوت الميثاق. وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون، التي كان أمر بني إسرابيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إليهم بشمويل بن بالي، أربعماية سنة وستين سنة.

(الطبري ج ١، ص ٥٤٤ – ٥٤٥)

تاريخ اليمن (سبأ) :

قال وهب: فلما ملك عبد شمس (بن يشجب بن يعرب بن قحطان) قال: يا بني قحطان إنكم إلا تقاتلوا الناس قاتلوكم وإلا تغزوهم غزوكم، ولم يغز قوم قط في عقر دارهم إلا ركبتهم الذلة، فاغزوا الناس قبل أن يغزوكم وقاتلوهم قبل أن يقاتلوكم..

قال وهب: فاجابوه فسار إلى أرض بابل، فافتتحها، وقتل من كان بها

من البوار، حتى بلغ أرض أرمينية وافتتح أرض بني يافث ثم أراد (أن) يعبر نهر الأردن يريد الشام، فلم يستطع ذلك، فقيل له أيها الملك ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبنى قنطرة.. وجاز عليها إلى الشام، والشام اسم أعجمي من لغة بني حام، وهو طيب تفسيره بالعربي، فأخذ الشام إلى الدرب ولم يكن خلف الدرب أحد، ثم نهض إلى المغرب فبلغ النيل فنزل عليه فدعا أهل مشورته، ثم قال لهم: إني رأيت ان أبني مصراً بين هذين البحرين، يكون صلة بين المشرق والمغرب فإنه يلجأ إليه أهل المشرق والمغرب، قالوا له: نعم الرأي أيها الملك، فبنى المدينة، وسميت مصر كما قا لهم، وبنو حام بالمغرب سكنوا براري مصر، فوصل إلى قمونية والقوط من ولد يافث بقمونية. قال وهب: وان عبدشمس كل من قتل من الأمم سبى ذراريهم وعيالاتهم ولذلك سمي سبأ، وان سبأ ولّى على مصر ابنه بابليون وإليه تنسب مصر لملكه عليها، ثم انصرف سبأ عبدشمس يريد مكة فسار بالعساكر على الشام، وأوصى ابنه بابليون وأنشأ يقول:

الا قل لبابليون والقول حكمة ... ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبني حام من الأمر وسطه ... فان صدفوا يوماً عن الحق فاقتل

... الخ

قال وهب ورجع سبأ إلى اليمن، فبنى السد الذي ذكر الله في كتابه، وهو سد فيه سبعون نهراً، ويقبل السيل من مسيرة ثلاثة أشهر في ثلاثة أشهر، وان سبأ لما أسس قواعد السد لم يتم له بناؤه حتى نزل به الموت، وكان عمره خمسمائة عام وسبعين عاماً، وكان ملكه خمسمائة عام..

لما مات سبأ صار الملك بعده إلى ابنه(حمير)، وقال ابنه حمير يرثي أباه سبأ، وهي أول مرثية في العرب، فأنشأ يقول:

عجبت ليومك ماذا فعل	وسلطان عزك كيف انتقل
فاسلمت ملكك لا طائعاً	وسلمت للأمر لما نزل
فيا عبد شمس بلغت المدى	وشيدت مجداً فلم يمتثل
وشيدت ذخراً لدار البقا	فلما افلت إليها أفل
فلم يبق من ذاك إلا التقى	وذاك لعمري أبقى العمل
فاحكمت من هود المحكمات	وآمنت من قبله بالرسل
وأحرمت بالبيت توفي النذور	كما كان هود لديها فعل

(التيجان في ملوك حمير واليمن ص ٤٧ - ٥١)

حمير :

قال وهب وولي حمير بن سبأ الملك فجمع الجيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين، وأمعن في المشرق حتى أبعد ياجوج وماجوج إلى مطلع الشمس، ويقي قبائل من ولد يافث تحت يده وهم الترك والزط والكرد والصد والخزر والقذر (؟) والديلم وفرغان، ثم قفل نحو المغرب كما فعل أبو سبأ فسار حتى نزل بمكة فأتاه قبائل من اليمن من بني هود يشكون إليه ثمود بن عابر بن أرم، وما نزل بهم منه من الخسف والظلم، وأتاه رسول أخيه بابليون من مصر يستدعيه لنصرته على بني حام، وذلك لما بلغ بني حام موت سبأ بن يشجب عتوا على بابليون بمصر، وكان بالشام قبائل من ولد كنعان بن حام وهم بنو ماريع بن كنعان، وكان نزول الحبشة بني كوش بن حام على النيل إلى برية الرمل فتداعوا على مصر يريدون خرابها. فرجع حمير إلى اليمن وأخرج ثموداً من اليمن فانزلهم ايلة من أرض الحجاز، فعمروها من ايلة ذات الآصاد إلى اطراف

جبل نجد، وذات الاصاد نهر من انهار الحجاز وهو يجري في صفا أملس يرده الحافر ولا يرده الخف، تزق فيه، فقطعت فيه ثمود الصخر لطرق الابل لمراعيها ونحتوا في جباله البيوت سترة من حر الشمس في الحجاز، قال الله (تعالى) ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ وقال ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾. وفي ذات الأصاد كان السبق بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري وفيه حبس فرس ابن زهير داحس فقال في ذلك قيس:

كما لاقيت من حمل بن بدر ... واخوته على ذات الاصاد

هم فخروا عليّ بغير فخر ... وردوا دون غايته جوادي

وكنت إذا منيت بخصم سوء ... دلفت له بداهية نآد

... الخ

قال وهب ونزل حمير بدمشق فقاتل بني ماريع حتى غلبهم وأجرى عليهم الخراج، ثم مضى إلى الحبشة فلقيهم بالقيس والبهشة فهزمهم على النيل فتبعهم حتى بلغ بهم إلى البحر المحيط من المغرب، فأذعنوا واجرى عليهم اتاوة يؤدونها في كل عام.. ثم مضى إلى المغرب حتى بلغ إلى البحر المحيط ثم أجرى على القبط الخراج.

قال وهب: ولما توجه حمير إلى المغرب أقام في المغرب مائة عام يبني المدن ويتخذ المصانع..

قال وهب : وان حمير قفل من أرض المغرب راجعاً، وكان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد وفي الأجبال إذا مر عليها، فأكثر من ذلك فرأى في منامه كأن آتياً أتاه فقال له: الله الله يا حمير، قال له: وما لي ؟ قال: تكتب هذا الخط المسند الكريم على الله على الحديد

والحجر والعود يدرس وتعلوه النجاسات والله كرمه واصطفاه وادخره للفرقان يأتي به محمد - صلى الله عليه وسلم - في آخر الزمان فصنه واحفظه، فإن الله تبارك وتعالى اصطفاه للقرآن أكرم الكتب إلى الله واللسان العربي سيد الألسن.. ولكن استخدم هذا الخط أنت وولدك فإن لكم به على الخلق فضيلة إلى مبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - ومر بنيك بعدك بحفظ هذا الخط...

قال وهب: وان حمير ملك الأرض وما عليها حتى لم يبق منها مكان كما ملكها أبوه سبأ. وكان عمر حمير أربعمائة عام وخمسة وأربعين عاماً أقام في الملك أربع مائة عام فلما جاوز مائة قال:

ملكت من عـــدد السنين هنيـــة ذا الملك عـــمـــرك زينة الأيام

وأرى الشباب يميل في لهو الصبا ومع الشـــبـــاب غـــواية الأيام

... الخ

(التيجان في ملوك حمير واليمن، ص ٥١ - ٥٥)

وفـاة الرسول :

[حدثنا عبدالمنعم بن ادريس بن سنان عن أبيه] عن وهب بن منبه عن جابر بن عبدالله وابن عباس، قالا: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخر السورة، قال محمد - صلى الله عليه وسلم -: يا جبريل نفسي قد نعيت، قال جبريل: الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى. فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون، ثم قال: أيها الناس أي نبي كنت لكم؟ قالوا: جزاك

الله من نبي خير، فقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق، أديت رسالات الله وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، فقال لهم: معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني قبل القصاص في القيامة..

(حلية الأولياء ج ٤، ص ٧٣)

[وبعد أن يذكر خبر عكاشة، يبين ان رسول الله مرض ذلك اليوم مرضه الأخير].

فلما كان يوم الأحد ثقل في مرضه فأذن بلال بالآذان ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يا رسول الله الصلاة يرحمك الله. فسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوت بلال فقالت له فاطمة: يا بلال ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اليوم مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها أو استأذن سيدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجع وقام بالباب ونادى السلام عليك يا رسول الله.. فسمع رسول الله صوت بلال فقال: ادخل يا بلال ان رسول الله مشغول بنفسه، مُر أبا بكر يصلي بالناس، فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول واغوثاه بالله وانقطاع رجائي وانفصام ظهري، ليتني لم تلدني أمي وإذ ولدتني ليتني لم أشهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا اليوم! ثم قال: يا أبا بكر ان رسول الله أمرك أن تصلي بالناس، فتقدم أبو بكر - رضي الله عنه - للناس وكان رجلاً رقيقاً، فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يتمالك ان خرّ مغشياً عليه، وصاح المسلمون بالبكاء فسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم

ضجيج الناس.. فلما كان يوم الاثنين اشتد به الوجع، وأوصى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام أن اهبط إلى حبيبي وصفيي محمد - صلى الله عليه وسلم - في أحسن صورة، وارفق به في قبض روحه، فهبط ملك الموت عليه السلام، فوقف بالباب شبه أعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أأدخل؟ [وبعد اصراره على الدخول سمع الرسول صوته وعرفه قال له].. أدخل يرحمك الله يا ملك الموت.. يا ملك الموت جئتني زائراً أو قابضاً؟ قال: جئتك زائراً وقابضاً، وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي...

(الاصبهاني - حلية الأولياء، ج ٤، ص ٧٥ وما بعدها)

موسى بن عقبة

المقاطعة :

قال موسى بن عقبة عن الزهري: ثم ان المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا، حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبدالمطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله ايماناً ويقيناً. فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ولا يأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالاً له، فإذا نام الناس أمر

أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر رسول الله أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه. فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبدمناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، واستخفوا بالحق، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق. ويقال كانت معلقة في سقف البيت، فلم تترك اسماً لله فيها إلا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم، وأطلع الله عز وجل رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي طالب، قال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني، فانطلق يمشي بعصابته من بني عبدالمطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوهم ليعطوهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فتكلم أبوطالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فعله ان يكون بيننا وبينكم صلح، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم، فقال أبوطالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف، ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا كل اسم هو له فيها، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث الذي قال ابن

أخي كما قال فأفيقوا، فوالله لا نسلمه أبداً حتى يموت من عندنا آخرنا، وان كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم، قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - قد أخبر خبرها، فلما رأتها قريش كالذي قال أبوطالب قالوا: والله ان كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم، فارتكسوا وعادوا بشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه. فقال أولئك النفر من بني عبدالمطلب: ان أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس ما كان فيها من اسمه وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبدمناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء من بني هاشم منهم أبو البختري والمطعم بن عدي وزهير بن أبي أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود، وهشام بن عمرو - وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي - في رجال من أشرافهم ووجوهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. قال أبوجهل، لعنه الله، هذا أمر قضي بليل، وأنشأ أبوطالب يقول الشعر في شأن صحيفتهم ويمدح النفر الذين تبرأوا منها، ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي.

(ابن كثير - البداية والنهاية ، ج ٣ ص ٨٤ - ٨٥)

الرسول يعرض نفسه في المواسم :

وقال موسى بن عقبة عن الزهري: فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك السنين يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم

ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤووه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ومن كره لم أكرهه، إنما أريد أن تحرزوني فيما يراد لي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي وحتى يقضي الله لي ولمن صحبني بما شاء، فلم يقبله حد منهم، وما يأت أحداً من تلك القبائل إلا قال: قوم الرجل أعلم به، أترون ان رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه ولفظوه؟ وكل ذلك مما ذخره الله للأنصار وأكرمهم به.

(ابن كثير - البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٤٠)

بيعة العقبة الأولى :

وروى موسى بن عقبة فيما رواه عن الزهري وعروة بن الزبير: أن أول اجتماعه عليه السلام بهم [الأنصار] كانوا ثمانية وهم معاذ بن عفراء وأسعد بن زارة ورافع بن مالك، وذكوان - وهو ابن عبد قيس - وعبادة ابن الصامت وأبوعبدالرحمن يزيد بن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم ابن ساعدة. فأسلموا وواعدوه إلى قابل، فرجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام، وأرسلوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معاذ بن عفراء، ورافع بن مالك أن ابعث إلينا رجلاً يفقهنا. فبعث إليهم مصعب بن عمير فنزل على أسعد بن زرارة. وذكر تمام القصة كما سيوردها ابن اسحاق أتم من سياق موسى بن عقبه، والله أعلم.

(ابن كثير - البداية والنهاية ج ٣، ص ١٤٩)

أول دخول الرسول المدينة :

ذكر موسى بن عقبة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ في طريقه بعبدالله بن أبيّ بن سلول وهو في بيت، فوقف رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - ينتظر أن يدعوه إلى المنزل - وهو يومئذ سيد الخزرج في أنفسهم - فقال عبدالله انظر الذين دعوك فانزل عليهم. فذكر ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفر من الأنصار، فقال سعد بن عبادة يعتذر عنه: لقد منّ الله علينا بك يا رسول الله وانا نريد أن نعقد على رأسه التاج ونملكه علينا.

قال موسى بن عقبة : وكانت الأنصار قد اجتمعوا قبل أن يركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بني عمرو بن عوف، فمشوا حول ناقته، لا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحاً على كرامة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيماً له، وكلما مر بدار من دور الأنصار دعوه إلى المنزل، فيقول - صلى الله عليه وسلم - : دعوها فإنها مأمورة، فإنما أنزل حيث أنزلني الله، فلما انتهت إلى دار أبي أيوب بركت به على الباب، فنزل فدخل بيت أبي أيوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه.

(ابن كثير - البداية والنهاية ج ٣ ص ١٩٩)

وقال موسى بن عقبة عن الزهري : هذه مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي قاتل فيها، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال من سنة أربع، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس، ثم قاتل يوم خيبر سنة ست، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان، ثم قاتل يوم حنين وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان، ثم حج أبوبكر سنة تسع، ثم حج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع سنة عشر، وغزا اثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال، وكانت أول غزوة غزاها الابوآء.

(ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢٤٢)

مـن بـدر :

قـال مـوسى بن عقبـة: قتل يوم بدر من المسلمين من قريش سـتة ومن الأنصـار ثمـانية، وقتل من المشـركين تسـعة وأربعون، وأُسِر منهم تسـعة وثلاثون. هكذا رواه البيهقي عنه.

(ابن كثير – البداية ج ٣ ص ٣٠٠)

بعــد أحــد :

قال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أزقة المدينة إذا النوح والبكاء في الدور، قال: ما هذا؟ قالوا: هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم، فقال: لكن حمزة لا بواكي له، واستغفر له، فسمع ذلك سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن رواحة فمشوا إلى دورهم فجمعوا كل نائحة باكية كانت بالمدينة، فقالوا: والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عم النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة. (وزعموا أن الذي جاء بالنوائح عبدالله بن رواحة). فلما سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ما هذا؟ فأخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم فاستغفر لهم، وقال لهم خيراً، وقال: ما هذا أردت وما أحب البكاء، ونهى عنه.

قال موسى بن عقبة: وأخذ المنافقون عند بكاء المسلمين في المكر والتفريق عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتحزين المسلمين، وظهر غش اليهود، وفارت المدينة بالنفاق فور المرجل، وقالت اليهود لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولا أصيب منه ما أصيب، ولكنه طالب مُلك تكون له الدولة وعليه، وقال المنافقون مثل قولهم، وقالوا للمسلمين: لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذي أصابوا منكم، فأنزل الله القرآن في طاعة من

أطاع ونفاق من نافق وتعزية المسلمين، يعني فيمن قتل منهم، فقال ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾.

قال موسى بن عقبه، بعد اقتصاص وقعة أُحد وذكره رجوعه - عليه السلام - إلى المدينة: وقدم رجل من أهل مكة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله عن أبي سفيان وأصحابه، فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون، ويقول بعضهم لبعض لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم، ولم تبتروهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم. فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وبهم أشد القرح، بطلب العدو ليسمعوا بذلك، وقال: لا ينطلقن معي الا من شهد القتال، فقال عبدالله بن أبيّ: أنا راكب معك، فقال: لا، فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء، فانطلقوا. فقال الله في كتابه ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾. قال: وأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لجابر حين ذكر ان أباه أمره بالمقام في المدينة على اخواته، قال: وطلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العدو حتى بلغ حمراء الأسد.

(ابن كثير - البداية والنهاية ج ٤، ص ٤٨ - ٤٩)

عكرمة بن أبي جهل :

[ذكر محمد بن عمر أن أبا بكر بن عبدالله بن أبي سبرة حدثه] عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير عن عبدالله بن الزبير قال:

لما كان يوم فتح مكة هرب عكرمة بن أبي جهل إلى اليمن، وخاف أن يقتله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة لها عقل، وكانت قد اتبعت رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - فجاءت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فآمنه، قال: قد آمنته بأمان الله فمن لقيه فلا يعرض له، فخرجت في طلبه فأدركته في ساحل من سواحل تهامة، وقد ركب البحر فجعلت تُليح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك منه فآمنك، فقال: أنت فعلت ذلك؟ قالت: نعم أنا كلمته فآمنك، فرجع معها ولما دنا من مكة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت. قال: فقدم عكرمة فانتهى إلى باب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجته معه، فسبقته فاستأذنت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخلت، فأخبر عمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقدوم عكرمة فاستبشر ووثب قائماً على رجليه وما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رداء فرحاً بعكرمة وقال: أدخليه، فدخل فقال: يا محمد ان هذه أخبرتني انك أمنتني، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فأنت آمن، قال عكرمة: فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبدالله ورسوله، وقلت: إنك أبر الناس وأصدق الناس وأوفى الناس، أقول ذلك وأني لمطاطىء رأسي استحياء منه، ثم قلت: يا رسول اله استغفر لي كل عداوة عاديتكها أو مركب أوضعت فيه أريد فيه اظهار الشرك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو مركب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك، قلت: يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فاعمله، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمداً عبده ورسوله، وجاهد في سبيله، ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا ادع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله عزّ وجل، ثم اجتهد في القتال حتى قتل شهيداً يوم أجنادين في خلافة أبي بكر، وقد كان رسول الله استعمله عام حجه على هوازن يصدقها، فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعكرمة يومئذ بتبالة.

(الطبري ج ٣، ص ٢٣٠٦ - ٢٣٠٧)

عمر بن الخطاب :

عن محمد بن صالح انه سمع موسى بن عقبة يحدث أن رهطاً أتوا عمر، فقالوا كثر العيال، واشتدت المؤنة، فزدنا في اعطياتنا. قال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم في مال الله عز وجل، أما والله لوددت أني وإياكم في سفينتين في لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه وان جنف قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت ان تعوج عزلوه، فقال: لا، القتل أنكل لمن بعده، احذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضى ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته.

(الطبري، ج ١، ص ٢٧٥٦)

محمد بن اسحق

ذكر خلق آدم :

قال ابن اسحق: فلما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلي به لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه، وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره البلاء والتمحيص بما فيهم مما لو تعلموا أو أحاط به علم الله منهم جميع الملائكة من سكان السماوات والأرض، ثم قال ﴿إني جاعل في الأرض خليفة.. إلى قوله - إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أي إن فيكم ومنكم، ولم يبدها لهم منه المعصية والفساد وسفك الدماء وقال الله تعالى ﴿قل ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ فلما عزم الله تعالى على خلق آدم قال للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فحفظت الملائكة وعده ووعوا قوله، وأجمعوا لطاعته إلا ما كان من عدو الله ابليس فانه صمت على ما في نفسه من الحسد والبغي والتكبر، وخلق الله آدم من أدمة الأرض من طين لازب من حمأ مسنون بيده تكرمة له وتعظيماً لأمره. فيقال والله أعلم: خلقه ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار، ولم تمسه نار، كان خلقه يوم الجمعة في آخر ساعة منها، وذلك قوله تعالى ﴿هل آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

هذا كله قول محمد بن اسحق صاحب المبتدأ والمغازي..

(المقدسي - البدء والتاريخ ج ٢، ص ٨٣ - ٨٤)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قاين وهابيل :

محمد بن اسحق قال: حدثني بعض أهل العلم من أهل الكتاب أن آدم تغشى حواء قبل أن يُصيب الخطيئة، فحملت بقين بن آدم ويقال قاين وتوأمته قليميا، فلم تجد عليهما وحماً ولا وصباً، ولم تجد بها طلقاً حين ولدتهما، ولم تر معهما دماً لطهر الجنة، فلما ذاقا الشجرة وخطئا هبطا إلى الأرض، فكان مهبطهما فيما يذكر أهل العلم على جبل يقال له واسم من أرض الهند بين قرى الدهنج والمندل. ويرى بعض أهل العلم أن قاينا لما كان نشوؤه في الرحم في ابان معصية آدم لحقته تلك المعصية حتى قتل أخاه. قال: فلما اطمأنت بالأرض تغشّاها فحملت بهابيل وتوأمته لبوذا، ووجدت حين ولدتهما الطلق، ورأت معهما الدم. وكانت حواء لا تحمل إلا توأمين ذكراً وأنثى فحملت حواء لآدم أربعين ولداً لصُلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً. فلما بلغ هابيل وقاين شغل آدم قايناً بالحرث والزرع وهابيل برعاية الماشية، ثم أمر آدم ابنه قاينا أن ينكح لبوذا توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح قليميا توأمة قاين، وكانت أحسن الناس، فسلم لذلك هابيل ورضي، وقال قاين نحن من ولادة الجنة وهابيل وتوأمته من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي، وإنما نفس بها للجمال وضن بها على أخيه، فقال أبوه: يا بني لا تحل لك، فأبى قاين أن يقبل ذلك فقال له أبوه: أي بني قرب قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها. فقرّب قاين قمحاً وقرب هابيل من أبكار غنمه، ويقال قرب بقرة فبعث الله ناراً بيضاء. فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قاين، وبذلك كان الله يقبل القربان إذا قبله بقول أهل الكتاب، ومن ذلك قولهم للنبي -صلى الله عليه وسلم- ان الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى

يأتينا بقربان تأكله النار.. فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له بأخت قاين، غضب قاين وغلب عليه الكبر، واستحوذ عليه الشيطان فاتبع أخاه هابيل، وهو في ماشيته يرعى، فقتله. قال الله تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿واتل عليهم - يعني أهل الكتاب - نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين. فطوّعت له نفسه قتل أخيه فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي..﴾ الآية. وذلك انه خرق بعد قتله، ولم يدر كيف يصنع به ولا كيف يواريه، لأنه أول ميت وأول قتيل، فلما انصرف قاين إلى أبيه قال: يا قاين أين أخوك هابيل؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً. فقال له: ان صوت دم أخيك ليناديني من الأرض التي فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت بيدك في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها وتكون فزعاً تائهاً.

(الهمداني - الاكليل، الكتاب الأول، ed . Oscar Lofgren I. Uppsula, 1954)

ذكر حفر زمزم :

ثم إن عبدالمطلب بينما هو نايم في الحجر إذ أتى فأمر بحفر زمزم وكان أول ما ابتدىء به عبدالمطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري.. قال عبدالمطلب: إني لنايم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال احفر طيبة، قال قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت

إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني، فقال: احفر بَرَّة، قال: فقلت: وما بَرَّة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة، قال: قلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال قلت: وما زمزم؛ قال: لا تنزف أبداً ولا تُذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل. قال فلما بُيّن له شأنها ودُلَّ على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحضر، فلما بدا لعبدالمطلب الطَّيُّ كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب انها بير أبينا اسماعيل وان لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيه، قال: ما أنا بفاعل ان هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم، قالوا: له فانصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هُذَيم، قال: نعم، وكانت باشراف الشام. فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال والأرض إذ ذاك مفاوز، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبدالمطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبايل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شيت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه

في حفرته، ثم واروه حتى يكون آخركم واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به. فقام كل رجل منهم بحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم ان عبدالمطلب قال لأصحابه: والله ان القاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب ولا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبايل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عينٌ من ماء عذب، فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبايل من قريش فقال هَلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا، فجاؤوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قُضي لك علينا يا عبدالمطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، ان الذي سقاك هذا الماء بهذ الفلاة لهو سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها.

(ابن هشام ص ٩١ – ٩٣)

[ثم يورد خبراً آخر يختلف نوعاً ما عن هذه القصة، ذلك انه بعد أن استيقظ من منامه].

فغدا عبدالمطلب ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فوجد قرية النمل.. بين الوثنين اساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبايحها، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر، فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبدالمطلب لابنه الحارث: دعني حتى احفر فوالله لامضين لما أمرت

به، فلما عرفوا انه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفّوا عنه، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطّيُّ فكبّر وعرف انه قد صدق، فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافاً قلعية وادراعاً، فقالت له قريش: يا عبدالمطلب لنا معك في هذا شرك وحق، قال: لا ولكن هلم إلى أمر نصفٍ بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح..

(ابن هشام ص ٩٤)

ابتداء النصرانية بنجران :

قال ابن اسحق حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثه ان موقع ذلك الدين بنجران كان ان رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام يقال له فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة وكان سايحاً ينزل القرى لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي، قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينا هو يصلي إذ أقبل نحوه التنّين الحية ذات الرؤوس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف

عليه فعيًل عولة، فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف انه قد عرف وعرف صالح انه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون تعلم والله اني ما أحببت شيئاً قط حُبك وقد أردت محبتك والكينونة معك حيث كنت، قال: ما شيت أمري كما ترى فإن علمت انك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح، وقد كان أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاء جاءه العبد به الضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له انه لا يأتي أحداً دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له: يا فيميون: اني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له: ما تريد أن تعمل من بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي وقال: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فيميون فقام الصبي ليس له باس، وعرف فيميون انه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة فناداه رجل فقال: افيميون؟ قال: نعم، قال: مازلت أنظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت انك هو لا تبرح حتى تقوم عليَّ فإني ميت الآن، قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل

ثوب حسن وجدوه وحليّ النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً، فابتاع فيميون رجلٌ من أشرافهم وابتاع صالحاً آخر، فكان فيميون إذا قام من الليل في بيت له أسكنه إياه سيده يصلي استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، ان هذه النخل لا تضر ولا تنفع، ولا دعوت عليها إلهي الذي أعبد لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، قال: فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها فأرسل الله عز وجل ريحاً فجعفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب، قال ابن اسحق فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران.

(ابن هشام ص ٢٠ – ٢٢)

بدء الوحي :

قال ابن اسحق فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة انها حدثته أن أول ما ابتدىء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من النبوة حين أراد كرامته ورحمة العباد به الرؤى الصادقة، لا يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا في منامه إلا جاءت كفلق الصبح، قالت وحبّب الله إليه الخلوة، فلم يك شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

(ابن هشام، ص ١٥١)

غـزوة الخنـدق :

[زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي]

قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

فحدثني يزيد بن رومـان مولـى آل الزبير عـن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبدالله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض، قالوا: انه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلاّم ابن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوايلي، وأبو عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني ايل وهم الذي حزبّوا الأحزاب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟، قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾ إلى قوله ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾. فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن

قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقايدها أبوسفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مُرة، ومسعر بن رُخيله ن نويرة بن طريف بن سحمة.. فيمن تابعه من قومه أشجع.

فلما سمع به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترغيباً للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُورّون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ولا اذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النايبة من الحاجة التي لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -ويستأذن في اللحوق بحاجته، فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له. فأنزل الله عز وجل في أولئك من المؤمنين: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد

يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. إلا أن لله ما السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾، قال ابن اسحق من صدق أو كذب، ﴿ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم﴾. قال ابن اسحق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعيل سماه رسول الله عمراً فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمرواً　　　وكان للبايس يوماً ظهراً

.... قال ابن اسحق : وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله عبرة في تصديق رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون.. (يذكر ابن اسحق بعضها ويقول): ومنها ما أراه الله تعالى من الفتح. قال وحدثت عن سلمان الفارسي انه قال: ضربتُ في ناحية من الخندق، فغلظت عليّ ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريب مني، فلما رآني اضرب ورأى شدة المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقةٌ، قال ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت نعم، قال: أما الأولى فإن الله فتح عليّ بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق...

قال ابن اسحق : ولما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقمَى إلى

جانب أحد. وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلعٍ في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم. قال ابن اسحق: وأمروا بالذراري والنساء فجعلوا في الأطام.

قال: وخرج عدو الله حُيَيّ بن أخطب النَضَري حتى أتى كعب بن أسد القُرَظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قومه وعاقده على ذلك، فلما سمع كعب حيي ابن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حُيَيٌ ويحك يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله ان أغلقت دوني إلا عن جشيشتك ان آكل معك منها، فاحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، قال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب ابن أسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

قال: فلما انتهى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحه أخو بني الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقٌ ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا: من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة دع عنك ما شتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلموا عليه ثم قالوا: عَضلٌ والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.

قال : وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغايط.. قال ابن اسحق: وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن املاء من رجال قومه، فاذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج

من المدينة. فأقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– [كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا اتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري] إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُري وهما قايدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ان يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا: قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا وما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا علينا.

قال: فأقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون وعدوهم محاصرهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن

عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة ابن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبّسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيأوا للقتال يا بني كنانة فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. قال ابن اسحق: ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تُعنق نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو انك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا فقتله عليٌّ وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نَصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب
فصددت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعففتُ عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطَّر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب

قال ابن اسحق : وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فــــرّ وألقى لنا رمـــحـــه لـعلـك عـكـرمَ لـم تـفـــــعـل
ووليت تعـــدو كـــعـــدو الظليم مـــا ان تجـــور عن المعـــدل
ولم تلق ظهـرك مـســتــأنســاً كـــأن قـــفـــاك قـــفـــا فُرعُل

... قـال ابن اسـحق : وأقـام رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة؛ لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال : ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله اني قد أسلمت، وان قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شيت. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودّي إياكم وبخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وان قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على

أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً وانه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني فقال نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان انكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - انه أرسل أبوسفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخشى إن ضرّستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة انا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا، فأبوا علهيم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم.

قال: فلما انتهى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا. قال ابن اسحق: [فحدثني يزيد بن زياد عن عمر ابن كعب القرظي قال] قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبدالله أرأيتم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض وحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالخندق وصلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هوياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة اسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يكن لي بدٌّ من القيام

حين دعاني فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثني شيئاً حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبوسفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم قال أبوسفيان: يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكُراع والخُف وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا تستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قايم، ولولا عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليّ ان لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح عليّ طرف المِرط، ثم ركع وسجد، واني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. قال ابن اسحق: ولما أصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح.

[ثم يذكر غزوة بني قريظة. ويسمي بعدها شهداء يوم الخندق، ثم ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة].

(ابن هشام – ص ٦٦٨ وبعدها)

مقتل عمر وتعيين مجلس الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن اسحق لما طعن عمر أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة شغل الناس الغمر (الغم؟) عن/ الصلاة حتى استقروا ثم صلى بالناس عبدالرحمن بن عوف فقرأ انا أعطيناك الكوثر/ وإذا جاء نصر الله ثم خرج اذن عمر فناد يا أهل المدينة يا أهل الشام يا أهل البصرة/ يا أهل الكوفة ثم أدخلهم وكان أهل الكوفة آخر من دعي فما سأله أحد/ الوصية غيرهم فقالوا له أوص يا أمير المؤمنين فقال ان حدث عليّ حدث فالأمر إلى/ هؤلاء الستة نفر الذين توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض/ قال ابن اسحق عن أبي اسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون الأودي قال: شهدت يوم طعن عمر/ فقال عمر: ادعوا لي عليا وعثمان وطلحة وسعد والزبير وعبدالرحمن فلما دخلوا/ عليه لم يكلم منهم غير علي وعثمان فقال يا علي لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك/ بالنبي عليه السلام وعلمك وما أتاك الله من الفقه فإن وليت بعدي الأمر فاتق/ الله ثم قال لعثمان: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك برسول الله وسنك/ وشرفك فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تجعلن بني أبي معيط على رقاب الناس/ ثم قال: ادعوا لي صهيباً فقال: يا صهيب صل بالناس ثلاثاً وادخلوا هؤلاء النفر بيتاً فان/ اجتمع رأيهم على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا عنقه وإياكم والهوينا فإنها تقطع/ المتصل

وتهري الشفقة. قال ابن اسحق: فلما أمر بالشورى تطاول/ عمرو بن العاص فانظره عمر فقال: اطمئن كما وضعك الله فوالله لا أجعل/ فيها أحداً حمل السلاح على النبي عليه السلام ولولا ما طمعت بمعاوية ما طمع فيها/ طليق فليعلم الطليق ان هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء ولا لمهاجرة الفتح/ فإن اختلفتم فلا تطمعوا فيها الطلقاء ولا تظنوا ان عبدالله بن أبي ربيعة عنكم/ افلا. قال ابن اسحق: فلما دخل الشورى يشاورون قال لهم عبدالله بن أبي ربيعة بن / المغيرة ادخلوني معكم قالوا: لا ولا حبا ولا كرامة قال تسمعوا مني قالوا: فاما شئت/ قال: ان بايعتم عليا سمعنا وعصينا وان بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا/ قال: ابن اسحق: قال لهم المقداد بن الأسود لا تبايعوا لمن لم يشهد بيعة الرضوان/ ولم يشهد يوم الفرقان وفر يوم التقى الجمعان يريد عثمان فقال عثمان أما قوله / لم يشهد بيعة الرضوان فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسلني إلى أهل مكة/ وكانت البيعة بعدي فبايع لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشماله وسما/ رسول الله خير يجيبني. وأما قوله لم يشهد يوم الفرقان فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جعلني على بنته وكانت ساكتة، وضرب لي سهمي وأعطاني أجري/ وأما قوله فر يوم التقا الجمعان فقد عفا الله عني فيما يوشي/ قال: ابن اسحق وأقبل المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص فجلسا عند باب أصحاب الشورى/ فمر بهم سعد بن أبي وقاص فقال: أتريدان أن يراكما أحد فيظن انكما من أهل أصحاب/ الشورى قوماً، فأقامهما فمكث أصحاب/ الشورى يومين لا يقضون شيء (هكذا) فقال لهم

عبدالرحمن/ ابن عوف ما عليكم أكلكم يرجو الخلافة، هل لكم تولونيها، وأخرج منها نفسي وابن عمي.

Nabia Abbott : Studies in Arabic Literary Papyri - I. historical texts. University of Chicago Press 1957, p. 80 - 1.

(ترى المؤلفة أن ورقة البردي هذه من الثلث الثاني أو الربع الثالث للقرن الثاني للهجرة ص ٩٠).

خالد في العراق :

[حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة] عن ابن اسحق عن صالح بن كيسان، أن أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد، يقال لها بانقيا وباروسما وأليس، فصالحه أهلها وكان الذي صالحه عليها ابن صلُوبا وذلك في سنة ١٢هـ. فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه: «من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومنزله بشاطىء الفرات، انك آمن بأمان الله؛ إذ حقن دمه باعطاء الجزية، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسما الف درهم فقبلتها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك، وله ذمة الله وذمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وذمة المسلمين على ذلك، وشهد هشام ابن الوليد».

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمره عليها كسرى

بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق، وهي القريات التي صالح عليها ابن صلوبا.

(الطبري ج ١ ص ٢٠١٦ - ٢٠١٨)

خالد يذهب إلى الشام :

وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم.. فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمّر عليهم عمير بن سعد الأنصاري واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني، ثم سار حتى نزل على عين التمر فأغار على أهلها فأصاب منهم ورابط حصنا بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم فضرب أعناقهم وسبي من عين التمر ومن أبناء تلك المرابطة سبايا كثيرة فبعث بها إلى أبي بكر، فكان من تلك السبايا أبو عمرة مولى شبان وهو أبو عبدالأعلى بن أبي عمرة.. ويسار وهو جد محمد بن اسحق مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف.. ثم أراد السير مفوّزاً من قُراقر وهو ماء لكلب إلى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً فدل على رافع بن

عميرة الطائي، فقال له خالد: انطلق بالناس، فقال له رافع: انك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ولا يسلكها إلا مغرراً انها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء مع فصلتها، فقال له خالد: ويحك انه والله لابد من ذلك انه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك، قال: استكثروا من الماء من استطاع منكم ان يصر إذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله أبغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسانٌ. فأتاه بهن خالد فعمد إليهن رافع فظمأهن حتى إذا تملان عمد إليهن فقطع مشافرهن ثم كعمهن لئلا يجتررن ثم أخلى أدبارهن ثم قال لخالد سر، فسار خالد معه مغذا بالخيول والأثقال فكلما نزل منزلاً افتظ أربعاً من تلك الشوارف فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء فلما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد: ويحك يا رافع ما عندك، قال أدركت الري ان شاء الله، فلما دنا من العلمين قال للناس انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل؟ قالوا: ما نراها، قال انا لله وانا إليه راجعون هلكتم والله إذاً وهلكت لا أبالكم انظروا فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية فلما رآها المسلمون كبروا وكبر رافع بن عميرة ثم قال: احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا حتى روي الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل، فقال رافع: والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة وردته مع أبي وانا غلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عينا رافع انى اهتدى ... فوّز من قُراقر إلى سُوى
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى ... ما سارها قبلي إنسيٌ يُرى

فلما انتهى خالد إلى سُوى أغار على أهله وهم بهراء قبيل الصبح وناس منهم يشربون خمراً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول:

ألا عطلاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري
ألا عللانـي بالزجـاج وكـررا عليّ كميت اللون صافية تجري

الخ القصيدة..

ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبوعبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين فكانت أول مدينة من مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين، بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم.

(الطبري ج ١، ص ٢١٢١ - ٢١٢٥)

الواقــــدي

فلما أفلت أبو سفيان بالعير ورأى أن قد أحرزها أرسل إلى قريش قيس بن امرىء القيس وكان مع أصحاب العير خرج معهم من مكة، فأرسله أبوسفيان يأمرهم بالرجوع ويقول: قد نجت عيركم فلا تحرزوا أنفسكم أهل يثرب فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم وقد نجاها الله، فإن أبوا عليك فلا يأبوا خصلة واحدة يردون القيان فإن الحرب إذا أكلت انكلت. فعالج قريشاً وأبت الرجوع وقالوا أما القيان فسنردها، فردوهن من الجحفة ولحق الرسول أبا سفيان بالهدّة، (والهدّة على سبعة أميال من عقبة عُسفان على تسعة وثلاثين ميلا من مكة). فأخبره بمضي قريش فقال: واقوماه، هذا عمل عمرو بن هشام كره أن يرجع؛ لانه قد ترأس على الناس وبغى والبغي منقصة وشؤم، إ أصاب أصحاب محمد النفير دللنا إلى أن ندخل مكة... وقال أبو جهل لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً، وكان بدر موسماً من مواسم الجاهلية يجتمع بها العرب لها بها سوق، تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم ثلاثاً على بدر ننحر الجُزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبداً..

[حدثنا الواقدي قال: فحدثني عبدالملك بن جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قال:] قال الأخنس بن سريق وكان أعرابياً وكان حليفاً لبني زهرة فقال: يا بني زهرة قد نجى الله عيركم وخلص أموالكم ونجى صاحبكم مخرمة بن نوفل فإنما خرجتم لتمنعوه وماله وإنما محمد رجل

منكم ابن أختكم فإن يك نبياً فأنتم أسعد به وان يكُ كاذباً يلي قتله غيركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم فارجعوا واجعلوا جبنها بي فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير صنعة لا ما يقول هذا الرجل فانه مهلك قومه سريع في فسادهم، فأطاعوه وكان فيهم مطاعاً وكانوا يتيمنون به، قالوا فكيف نصنع بالرجوع ان ترجع؟ قال الأخنس: نخرج مع القوم فإذا أمسيت سقطت عن بعيري فيقولون نهش الأخنس فإذا قالوا امضوا فقولوا لا نفارق صاحبنا حتى نعلم أحيٌ هو أم ميت فندفنه فإذا مضوا رجعنا، ففعلت بنو زهرة فلما أصبحوا بالأبوا راجعين تبين للناس ان بني زهرة رجعوا، فلم يشهدها أحد من بني زهرة، قال: وكانوا مائة أو أقل من المائة وهو أثبت، وقد قال قائل كانوا ثلثمائة. وقال عدي بن أبي الزغباء في منحدره إلى المدينة من بدر وانتشرت الركاب عليه فجعل عدي يقول:

أقم لها صدورها يا بسبس	ان مطايـا القوم لا تُحبّس
وحملها على الطريق أكيس	قد نصر الله وفرّ الأخنس

.. حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: [فحدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي بكر بن عمر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال]: خرجت بنو عدي مع النفير حتى كانوا بثنية لفت فلما كان في السحر عدلوا في الساحل منصرفين إلى مكة فصادفهم أبوسفيان فقال: يا بني عدي كيف رجعتم لا في العير ولا في النفير؟ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش ان ترجع فرجع من رجع ومضى من مضى ولم يشهدها أحد من بني عدي، ويقال انه لاقاهم بمر الظهران فقال تلك المقالة لهم..

ومضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان صبيحة أربع

عشرة من شهر رمضان بعرق الظبية.. ثم سار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فصلى عند بئر الروحاء.

.. حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال: [فحدثني عبدالملك بن عبدالعزيز عن أبان بن صالح عن سعيد بن المسيب] أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما رفع رأسه عن الركعة الأخيرة من وتره لعن الكفرة، وقال اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الأمة، اللهم لا تفلتن زمعة ابن الأسود، اللهم وأسخن عين زمعة بزمعة، اللهم واعم بصر أبي زمعة، اللهم لا تفلتن سهيل، اللهم انج سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين [من المؤمنين]..

ومضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى إذا كان دوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمسيرهم، واستشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الناس، فقام أبوبكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قال عمر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول الله انها والله قريش وعزها والله ما ذلّت منذ عزت والله ما آمنت منذ كفرت والله لا تسلم عزها أبداً ولتقاتلنك فاتهب لذلك أهبته واعد لذلك عدته. ثم قام المقداد بن عمر فقال: يا رسول الله امض لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا (وبرك الغُماد من ورا مكة بخمس ليال من ورا الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمين). فقال له رسول الله – صلى الله

عليه وسلم - خيراً ودعا له بخير. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشيروا عليّ أيها الناس، وإنما يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأنصار وكان يظن أن الأنصار لا تنصره إلا في الدار وذلك انهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشيروا عليّ، فقام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار كأنك يا رسول الله تريدنا، قال: أجل، قال: انك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره، فإنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن كل ما جئت به حق وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل وصل من شئت وقطع من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق قط وما لي بها من علم وما نكره أن يلقانا عدونا غداً انا لصُبُر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا بعض ما يقر به عينيك.

... الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال] قال سعد: يا رسول الله إنا قد خلفنا من قومنا قوماً ما نحن بأشد حبالك منهم ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا يا رسول الله انك ملاقٍ عدوا ما تخلفوا ولكن ظنوا انها العير، نبني لك عريشاً فتكون فيه ونعد عندك رواحلك ثم نلقى عدونا فإن أعذنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من ورانا، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - خيراً، وقال: أويقضي الله خيراً من ذلك يا سعد. قالوا: فلما

فرغ سعد من المشورة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سيروا على بركة الله فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني انظر إلى مصارع القوم، وقال وأرانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصارعهم يومئذ هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فما عدا كل رجل مصرعه، قال: فعلم القوم انهم يلاقون القتال وأن العير تفلت ورجوا النصر لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - .

... الواقدي قال: [فحدثني أبو اسماعيل بن عبدالله بن عطية بن عبدالله بن أنيس عن أبيه قال]: فمن يومئذ عقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الألوية وهي ثلاثة وأظهر السلاح وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود. وخرج رسول الله من الروحا فسلك المضيق ثم جاء الخبيرتين فصلاً بينهما ثم تيامن فتشام في الوادي حتى مر على خيف المعترضة فسلك في ثنية المعترضة حتى سلك على التيا وبها لقي سفيان الضمري.. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أخبرنا عن قريش، قال الضمري: بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم بجنب هذا الوادي، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرنا عن محمد وأصحابه، فقال خبرت أنهم خرجوا من يثرب كذا وكذا، فإن كان الذي خبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي، قال الضمري فمن أنتم؟ قال النبي - صلى الله عليه وسلم - نحن من مآ وأشار بيده نحو العراق فقال الضمري: من مآ العراق، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أصحابه ولا يعلم واحد من الفريقين بمنزل صاحبه بينهم قوز من رمل.. ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأدنى عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت

من رمضان فبعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقاص يتحسبون على الماء وأشار لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ظريب فقال أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب الذي يلي الظُّريب والقليب بئر بأصل الظري والظريب جبل صغير، فاندفعوا تلقاء الظريب فيجدون على تلك القليب التي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - روايا قريش فيها سقاؤهم ولقي بعضهم بعضاً فأفلت عامتهم.. وأخذ تلك الليلة يسار غلام عبيد بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمير بن خلف فأتى بهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قايم يصلي فقالوا سُقَّاء قريش بعثوا بسقيهم من الماء وكره القوم خبرهم ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير فضربوهم فلما أذلفوهم بالضرب قالوا نحن لأبي سفيان ونحن في العير وهذه العير بهذا القوز فيمسكون عنهم. فسلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من صلاته ثم قال: إن صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم، فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبرونا يا رسول الله ان قريش قد صابرت، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السُقاء فقال: أين قريش؟ قالوا: خلف هذا الكثيب الذي ترى، قال: كم هي؟ قالوا كثير، قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري كم هو، قال: كم ينحرون؟ قالوا: يوماً عشرة ويوماً تسعة، قال القوم ما بين الألف والتسع مائة. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للسقاء: من خرج من مكة؟ قالوا: لم يبق أحد به طعم إلا خرج، فأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت أفلاذ كبدها. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: أشيروا عليَّ في المنزل، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله

أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: فإن هذا ليس بمنزل، انطلق بنا إلى أدنى ماء القوم، فإني عالم بها وبقُلُبها، بها قليب قد عرفت عذوبة مائه وماء كثير لا ينزح، ثم نبني عليها حوضاً ونقذف فيه الآنية فنشرب ونقاتل ونعوّر ما سواها من القلب.

... الواقدي قال، [فحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، عن عكرمة عن ابن عباس، قال]: نزل جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: الرأي ما أشار ابن الحباب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا حباب أشرت بالرأي، فنهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففعل كل ذلك.

... الواقدي قال: [فحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة عن أبيه، قال]: بعث الله السما، وكان الوادي دهساً (الدهس الكثير الرمل) فأصابنا ما لبّد الأرض ولم يمنعنا من المسير، وأصاب قريش ما لم يقدروا أن يرتحلوا منه، وإنما بينهم قوز من رمل. قالوا: وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس ألقي عليهم، فناموا، وما أصابهم من المطر ما يؤذيهم.

... الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، قال:] لما نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على القليب بني له عريش من جريد، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشح السيف، فدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - هو وأبوبكر.

... الواقدي قال: [فحدثني يحيى بن عبدالله بن أبي قتادة عن عبدالله ابن أبي بكر بن حزم، قال:] صف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أصحابه قبل أن تنزل قريش، وطلعت قريش ورسول الله يصفهم، وقد أترعوا عوضاً يفرطون فيه من السحر، وقذف فيه الآنية، ودفع رايته إلى مصعب بن عمير تقدم بها إلى موضعها الذي يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يضعها فيه. ووقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى الصفوف، فاستقبل المغرب، وجعل الشمس خلفه، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعُدوة الشامية، ونزلوا بالعدوة اليمانية، فجاءه رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله ان كان هذا منك عن وحي نزل إليك فامض له، وإلا فإني أرى أن تعلوا الوادي، فإني أرى ريحاً قد هاجت من أعلا الوادي، وإني أراها بعثت بنصرك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صففت صفوفي ووضعت رايتي فلا أغير ذلك، ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه فنزل عليه جبريل، إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين بعضهم اثر بعض.

.. الواقدي قال: [فحدثني يحيى بن المغيرة بن عبدالرحمن عن أبيه قال]: كان على خيل المشركين الحارث بن هشام، وعلى الميمنة هبيرة بن أبي وهب، وعلى الميسرة زمعة بن الأسود، وقال قائل: كان على الميمنة الحارث بن عامر، وعلى ميسرتهم عمرو بن عبد.

.. الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن يزيد بن رومان وابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالا:] ما كان على الميمنة ميمنة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر ولا على ميسرته أحد يسمى، وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ما سمعنا فيها بأحد، قال ابن واقد وهذا الثبت عندنا.

.. الواقدي قال: [حدثني محمد بن قدامه عن عمرو بن حسين قال:] كـان لواء رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - يومـئـذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير، ولواء الخوارج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سـعـد بن مـعـاذ، ومع قـريش ثلاثة ألوية: لواء مـع أبي عزين، ولواء مع النصر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة...

... الواقدي قال: [فحدثني محمد بن عبدالله عن الزهري عن عروة بن الزبير، ومحمد بن صالح عن عاصم بن عمر ويزيد بن رومان قال:] لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريشاً تصوب الوادي، وكان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوأ للقوم منزلاً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم انك أنزلت عليّ الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني إحدى الطائفتين وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي، وعدتني اللهم احنهم الغداة..
(الواقدي، كتاب المغازي، ص ٣٦ - ٥٦)

غـزوة أحـد :

يوم السبت لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً، واستخلف رسول الله - صلى الله عليـه وسلم - على المدينة ابن أم مكتوم.

... الواقدي قال: [أخبرنا محمد بن عبدالله بن مسلم، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحرث، وعبدالله بن جعفر وابن أبي سبرة ومحمد ابن دينار ومعاذ بن محمد وابن أبي حبيبة ومحمد بن يحيى بن سهل بن

أبي حثمة وعبدالرحمن بن عبدالعزيز ويحيى بن عبدالله بن أبي قتادة ويونس بن محمد الظفري ومعمر بن راشد وعبدالرحمن بن أبي الزناد وأبومعشر في رجال لم اسم، فكل قد حدثني بطايفة ما هذا الحديث وبعض القوم كان ادعى له من بعض وقد جمعت كل الذي حدثوني قالوا:]
لما رجع من حضر بدراً من المشركين إلى مكة، والعير التي قدم بها أبوسفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة وكذلك كانوا يصنعون فلم يحركها أبوسفيان ولم يفرقها لغيبة أهل العير، مشت أشراف قريش إلى أبي سفيان بن حرب الأسود بن المطلب بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة وحويطب بن عبدالعزى وحجير بن أبي هبا، فقالوا: يا أبا سفيان انظر هذه العير التي قدمت بها فاحتسبها فقد عرفت انها أموال أهل مكة ولطيمة قريش وهم طيبو أنفس يجهزون بهذه العير جيشاً كثيفاً إلى محمد وقد ترى ما قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا، قال أبوسفيان: وقد طابت أنفس قريش بذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبدمناف معي فأنا والله الموتور الثاير، قد قتل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي. فلم تزل العير موقوفة حتى تجهزوا للخروج إلى أحد فباعوها فصارت ذهباً عيناً فوقف عند أبي سفيان. ويقال إنما قالوا يا أبا سفيان بع العير ثم أعزل أرباحها وكانت العير ألف بعير وكان المال خمسين ألف دينار وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً وكان متجرهم من الشام غزة لا يعدونها إلى غيرها، وكان أبوسفيان قد حبس عير زهرة؛ لأنهم رجعوا من طريق بدر وسلم ما كان لمخرمة بن نوفل ولبني أبيه وبني عبدمناف بن زهرة فأبى مخرمة أن يقبل عيره حتى يسلم إلى بني زهرة جميعاً، وتكلم الأخنس فقال: وما لعير بني زهرة من

بين عيرات قريش؟ قال أبوسفيان: لأنهم رجعوا عن قريش، قال الأخنس: أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير لا يخرجوا في غير شيء فرجعنا، فأخذت زهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشاير لهم ولا منعة كل ما كان لهم في العير، فهذا بين إنما أخرج القوم أرباح العير وفيهم نزلت ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله..﴾ الآية. فلما أجمعوا على المسير قالوا نسير في العرب فنستنصرهم فإن عبدمناة غير متخلفين عنا هم أوصل العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش، فاجتمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يشيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم.. فألبوا العرب وجمعوها وبلغوا ثقيفاً فأوعبوا، فلما أجمعوا المسير وتألب من كان معهم من العرب وحضروا اختلفت قريش في اخراج الظعن معهم.

.. الواقدي قال: [فحدثني بكر بن مسمار عن زياد مولى سعد عن نسطاس قال:] قال صفوان بن أمية: اخرجوا بالظعن فأنا أول من فعل فإنه أقمن أن يحفظنكم ويذكرنكم قتلى بدر فإن العهد حديث ونحن قوم مستميتون لا نريد أن نرجع إلى دارنا حتى ندرك ثأرنا أو نموت دونه، فقال عكرمة بن أبي جهل أنا أول من أجاب إلى ما دعوت إليه، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك، فمشى في ذلك نوفل بن معاوية الديلي فقال يا معشر قريش ليس هذا برأي أن تعرضوا حرمكم عدوكّم، ولا آمن ان تكون الدبرة لهم فتفتضحوا في نسائكم، فقال صفوان بن أمية: لا كان غير هذا أبداً، فجاء نوفل إلى أبي سفيان فقال له تلك المقالة فصاحت هند بنت عتبة: انك والله سلمت يوم بدر فرجعت إلى نسائك نعم نخرج فنشهد القتال فقد ردّت القيان من الجحفة في سفرهم إلى بدر فقتلت

الأحبة يومئذ، قال أبوسفيان: لست أخالف قريشاً أنا رجل منها ما فعلت فعلتُ، فخرجوا بالظعن. [ثم يسمي النساء].

.. وكانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة ألوية عقدوها في دار الندوة لواء يحمله سفيان بن عويف ولواء في الأحابيش يحمله رجل منهم ولواء يحمله طلحة بن أبي طلحة، قال ابن واقد وهو الثبت عندنا. وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضموا إليها وكان فيهم من ثقيف مائة رجل وخرجوا بعدة وسلاح كثير وقادوا مائتي فرس وكان فيهم سبع مائة دارع وثلثة آلاف بعير. فلما أجمعوا السير كتب العباس بن عبدالمطلب كتاباً وختمة واستأجر رجلاً من بني غفار وشرط عليه ان يسير ثلاثاً إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخبره ان قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه وقد وجهوا وهم ثلاثة آلاف وقدر مائتي فرس وفيهم سبع مائة دارع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا من السلاح، فقدم الغفاري فلم يجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة، وجده بقباء فخرج حتى يجد رسول الله على باب مسجد قباء يركب حماره. فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا ما فيه فدخل منزل سعد بن ربيع فقال: في البيت أحد، فقال سعد: لا، فتكلم بحاجتك، فأخبره بكتاب العباس بن عبدالمطلب وجعل سعد يقول: يا رسول الله، والله اني لأرجو أن يكون في ذلك خير. وقد أرجف يهود المدينة والمنافقون وقالوا: ما جاء محمداً شيء يحبه، فانصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة واستكتم سعداً بالخبر.. وشاع الخبر في الناس بمسير قريش وقدم عمرو بن سالم الخزاعي في نفر من خزاعة ساروا من مكة أربعاً فوافوا قريشاً قد عسكروا بذي طوى فأخبروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الخبر..

... محمد بن عمر الواقدي قال : [فحدثني عبدالله بن عمرو بن زهير عن عبدالله بن عمرو بن أبي حكيمة الأسلمي قال:] لما أصبح أبوسفيان أحلف بالله انهم جاؤوا محمداً فخبروه مسيرنا وحذروه وأخبروه بعددنا فهم الآن يلزمون صياصيهم فما يغيب منهم شيئاً في وجهنا، فقال صفوان: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه فتركناهم ولا أموال لهم فلا يجتبرونها أبداً وإن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل ولا خيل معهم ونحن نقاتل على وتر عندهم ولا وتر لهم عندنا. وكان أبوعامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلاً من أوس الله حتى قدم بهم مكة حين قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة فأقام مع قريش وكان دعا قومه فقال لهم: إن محمداً ظاهر فأخرجوا بنا إلى قوم نؤازرهم فخرج إلى قريش يحرضها ويعلمها انها على الحق وما جاء به محمد باطل، فسارت إلى بدر ولم يسر معها، فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها وكان يقول إني لو قدمت على قومي لم يختلف عليكم منهم رجلان وهؤلاء معي نفر من قومي وهم خمسون رجلاً فصدقوه بما قال وطمعوا بنصره. وخرج النساء معهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكرونهم قتلى بدر في كل منزل، وجعلت قريش ينزلون كل منهل ينحرون ما نحروا من الجزر مما جمعوا من العير ويتقوون به في مسيرهم ويأكلون من أزوادهم مما جمعوا من الأموال...

وبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - عينين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا بالوطأ فأتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبراه، وكان

المسلمون قد ازدرعوا العرض و(العرض ما بين الوطأ بأحد إلى الجرف إلى العرصة عرصة البقل اليوم)، وكان أهله بنو سلمة وحارثة وظفر وعبدالأشهل.. فقدم المشركون على زرعهم وخلوا فيه ابلهم وخيولهم، وقد سرب الزرع في الدفيف، وكان لأسيد بن حضير عشرون ناضحاً يسقي شعيراً. وكان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمالهم وآلة حرثهم. وكان المشركون يرعون يوم الخميس حتى أمسوا، فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل، وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة، فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم في الزرع وخيلهم، حتى تركوا العرض ليس به خضراً، فلما نزلوا واطمأنوا بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم، فدخل فيهم وحزر وبصر إلى جميع ما يريد، وبعثه سراً، وقال للحباب لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة فرجع إليه فأخبره خالياً، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ما رأيت؟ قال: رأيت يا رسول الله عدداً حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلاً، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبع مائة درع، قال: هل رأيت ظعناً؟ قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار (الأكبار الطبول)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم، لا تذكر من شأنهم حرفاً، حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول...

وكان مقدمهم يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال.. وباتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة في عدة ليلة الجمعة

عليهم السلاح في المسجد بباب النبي خوفاً من المشركين، وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا. ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ليلة الجمعة، فلما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واجتمع المسلمون خطب.

... الواقدي قال: [فحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال:] ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني رأيت في منامي رؤيا، رأيت كأني في درع حصينة ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته ورأيت بقراً تذبح ورأيت كأني مردف كبشاً، فقال الناس: يا رسول الله فما أولتها؟ قال: اما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها. وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي. واما البقر المذبح فقتلى في أصحابي. وأما مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله..

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : أشيروا عليّ، ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب ان يوافق على مثل ما رأى وعلى مثل ما عبّر عليه الرؤيا، فقام عبدالله بن أبيّ فقال: يارسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي ونجعل معهم الحجارة والله لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة اعداداً لعدونا ونشبّك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية وترمي المرأة والصبي مما فوق الصياصي والأطام ونقاتل بأسيافنا في السكك يا رسول الله، إن مدينتنا عذراء ما فُضت علينا قط وما خرجنا إلى عدو قط منها إلا أصاب منا وما دخل علينا قط إلا أصبناه فدعهم يا رسول الله

فإنهم ان أقاموا بشر محبس وان رجعوا خائبين مغلولين لم ينالوا خيراً يا رسول الله أطعني في هذا الأمر واعلم أني ورثت هذا الرأي من أكابر قومي وأهل الرأي منهم فهم كانوا أهل الحرب والتجربة، وكان رأي رسول الله مع رأي ابن أبيّ، وكان ذاك رأي الأكابر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين والأنصار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : امكثوا في المدينة واجعلوا النساء والذراري في الآطام، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقة فنحن أعلم بها منهم ورموا من فوق الصياصي والآطام، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن. فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً وطلبوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة وأحبوا لقاء العدو، وقال رجال من أهل السن وأهل النية منهم حمزة بن عبدالمطلب وسعد بن عبادة والنعمان بن ثعلبة في غيرهم من الأوس والخزرج: انا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقائهم فيكون هذا أجرة منهم علينا وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل فظفرك الله عليهم ونحن اليوم بشر كثير فقد كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما يرى من إلحاحهم كاره، وقد لبسوا السلاح يخصرون بسيوفهم يتسامون كأنهم الفحول [ثم يذكر أمثلة من أقوال المتحمسين]..

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إني أخاف عليكم الهزيمة. قال: فلما أبوا إلا الخروج صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة بالناس ثم وعظ الناس وأمرهم بالجد والجهاد وأخبرهم

أن لهم النصر ما صبروا ففرح الناس بذلك حيث أعلمهم رسول الله بالشخوص إلى عدوهم وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ثم صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العصر بالناس وقد حشد الناس وحضر أهل العوالي ورفعوا النساء في الآطام فحضرت بنو عوف ولفها والبنيت ولفها وتلبَّسوا السلاح، فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته ودخل معه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه ولبساه وصف الناس له ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه، فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: قلتم لرسول الله ما قلتم واستكرهتموه على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوا وما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأطيعوه.. فبينما القوم على ذلك من الأمر وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد وبعضهم قد لبس لامته على البصيرة على الشخوص وبعضهم للخروج كاره؛ إذ خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد لبس لامته وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم، كانت عند آل أبي رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعدُ واعتم وتقلد السيف، فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ندموا جميعاً على ما صنعوا، وقال الذين يلحون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان لنا أن نلح على رسول الله في أمر يهوى خلافه وندّمهم أهل الرأي الذين كانوا يشيرون بالمقام، وقالوا: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أن نستكرهك، والأمر إلى الله ثم إليك، فقال رسول

الله - صلى الله عليه وسلم -: قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم...

(الواقدي - المغازي ص ١٩٧ - ٢١٤)

تدوين الدواوين :

حدثنا ابن سعد قال: حدثنا محمد بن عمر (الواقدي) قال: [حدثني عائذ بن يحيى عن جبير بن الحويرث بن فقيد] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئاً، وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وان لم يُحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر، فقال له الوليد بن هشام ابن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً، فدوّن ديواناً وجند جنداً، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من نسّاب قريش فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا، فبدأوا ببني هاشم ثم اتبعوهم أبابكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: وددت والله انه هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله.

.. محمد بن عمر قال : [حدثني أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال :] رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض عليه الكتاب وبنو تيم على أثر بني هاشم، وبنو عدي على أثر بني تيم فاسمعه يقول ضعوا عمر موضعه وابدأوا بالأقرب فالأقرب من رسول الله، فجاءت بنو عدي إلى عمر فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال : أو خليفة أبي بكر وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا : وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم، قال : بخ بخ بني عدي أردتم الأكل على ظهري وان أذهب حسناتي لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة وان أطبق عليكم الدفتر ولو ان تكتبوا في آخر الناس، إن لي صاحبين سلكا طريقا فإن خالفتهما خولف بي والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا الا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب فالأقرب ان العرب شرفت برسول الله ولعل بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة وما بيننا وبين ان نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم الا آباء يسيرة مع ذلك، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل إلى قرابة وليعمل لما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

.. محمد بن عمر قال : [حدثني حزام بن هشام الكعبي عن أبيه قال :] رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمل ديوان خزاعه حتى ينزل قديدا فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى توفي.

محمد بن عمر قال : [حدثني عبدالله بن جعفر الزهري وعبد الملك بن سليمان عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن السائب بن يزيد قال :]

سمعت عمر بن الخطاب يقول : والله الذي لا إله إلا هو ثلاثاً ما من أحد الا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحد أحق به من أحد الا عبد مملوك وما أنا فيه الا كأحدهم، ولكنا على منازل من كتاب الله وقسمنا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه.

(الطبري ج ١ ص ٢٧٥٠-٢٧٥٢)

الشـــورى :

الواقدي [عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه]، أن عمر رضي الله عنه قال : إن رجالاً يقولون ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، وان بيعة عمر كانت من غير مشورة، والأمر بعدي شورى فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الأربعة وإذا اجتمع رأي ثلاثة فاتبعوا رأي عبدالرحمن فاسمعوا وأطيعوا وإن صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه...

.. الواقدي [عن محمد بن عبيد الله الزهري عن عبيد الله بن عبدالله ابن عتبة عن ابن عباس] قال : قال عمر، لا أدري ما أصنع بأمة محمد وذلك قبل أن يطعن، فقلت : ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم، يعني عليا، قلت : نعم هو أهل لها في قرابته برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصهره وسابقته وبلائه، فقال عمر : إن فيه بطالة وفكاهة، قلت : فأين أنت عن طلحة؟ قال : فأين الزهو والنخوة، قلت : عبد الرحمن بن عوف، قال : هو رجل صالح على ضعف، قلت : فسعد، قال : ذاك صاحب مقنب وقتال، لا يقوم بقرية لو حمل أمرها، قلت : فالزبير،

قال : لقيس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح، إن هذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، جواد في غير سرف، قلت : فأين أنت عن عثمان؟ قال : لو وليها لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه.

.. الواقدي [عن عبدالله بن جعفر عن عبد الرحمن بن عبدالله عن أبيه] قال : ذكر عمر من يستخلف فقيل : أين أنت عن عثمان؟، قال : لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس، قيل الزبير، قال مؤمن الرضى كافر الغضب، قيل طلحة، قال : أنفه في السماء واسته في الماء، قيل سعد، قال صاحب مقنب قريةٌ له كثير، قيل عبد الرحمن، قال : بحسبه أن يجري أهل بيته...

عن الواقدي في إسناده ان المسور بن مخرمة قال : كان عمر بن الخطاب وهو صحيح يسأل ان يستخلف فيأبى ذلك، ثم صعد المنبر فتكلم بكلمات ثم قال : إن مت فأمركم إلى هؤلاء السته النفر الذين فارقوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو عنهم راض علي بن أبي طالب ونظيره الزبير، وعبد الرحمن بن عوف ونظيره عثمان وطلحة ونظيره سعد ابن مالك، إلا وإني أوصيكم بتقوى الله في الحكم والعدل في القسم.
(البلاذري – أنساب ج ٥ ص ١٥-١٨)

مقتل عبدالله بن الزبير :

محمد بن عمر قال : [حدثني إسحق بن عبدالله عن المنذر بن جهم الاسدي قال]: رأيت ابن الزبير يوم قتل وقد تفرق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديداً، وجعلوا يخرجون إلى الحجاج حتى خرج إليه نحو من عشرة آلاف.

وذكر أنه كان ممن فارقه، وخرج إلى الحجاج ابناه حمزة وخبيب فاخذا منه لأنفسهما أماناً، فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر [عن أبي الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبي] قال : دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال : يا أمه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني اميه وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وان قلت كنت على حق فلما وهن اصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا، القتل احسن، فدنا ابن الزبير فقبل رأسها وقال : هذا والله رأيي والذي قمت به داعيا إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج الا الغضب لله أن يستحل حرمه ولكني احببت ان اعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي فانظري يا أمه فاني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله فإن ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي، اللهم اني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي أنت أعلم بي ولكني اقوله تعزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه : اني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنا ان تقدمتني وان تقدمتك ففي نفسي اخرج حتى انظر إلى ما يصير أمرك، قال : جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت : لا أدعه

أبداً، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت بما قضيت فاثبني في عبدالله ثواب الصابرين الشاكرين.

قال محمد بن عمر : [حدثني موسى بن يعقوب بن عبدالله عن عمر] قال : دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها، فقالت : هذا وداع فلا تبعد، قال ابن الزبير : جئت مودعا إني لارى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بي، واعلمي يا امه اني ان قتلت فانما أنا لحم لا يضرني ما صنع بي، قالت : صدقت يا بني اتمم على بصيرتك، ولا تمكن ابن أبي عقيل، وادن مني أودعك، فدنا منها فقبلها وعانقها، وقالت حيث مست الدرع : ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال : ما لبست هذا الدرع الا لأشد منك، قالت العجوز : فانه لا يشد مني، فنزعها، ثم ادرج كميه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت القميص فادخل اسفلها في المنطقة، وأمه تقول البس ثيابك مشمرة. ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول:

إني إذا اعرف يومي اصبر ... اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر والله إن شاء الله، أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب.

.. محمد بن عمر قال : [حدثنا ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال : رأيته يوم الثلاثاء وانا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا وحده في اثرنا، ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له:

انى إذا أعـرف يومـي اصبـــر   وانمـــا يعـــرف يوميـــه الحـــر

إذ بعضهـــم يعـــرف ثم ينكـــر

فأقول أنت والله الحر الشريف، فلقد رأيته في الابطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا انه لا يقتل.

محمد بن عمر قال : [حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بني أسد قـال : رأيت الأبواب قـد شـحنت من أهل الشـام يوم الثـلاثاء، واسلم أصـحاب ابن الزبير المحارس، وكثرهم القوم فأقاموا على كل باب رجالا وقـائدا وأهل بلد، فكان لأهل حمص الباب الذي يواجه باب الكعبة ولاهل دمشق باب بني شيبة، ولأهل الاردن باب الصفا، ولأهل فلسطين باب بني جمح ولاهل قنسرين باب بني سهم وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الابطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية ومرة في هذه الناحية، فلكأنه أسد في أجمة، ما يقدم عليه الرجال فيعدو في أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز:

اني إذا اعرف يومي اصبر   وانما يعرف يوميـــه الحـــر

ثم يصيح يا باصفوان ويل أمه فتحاً لو كان له رجال.

لو كان قرني واحدا كفيته

قال ابن صفوان : إي والله والف.

(ثم يصف مقتل ابن الزبير في حديث اشترك فيه مع آخر)

محمد بن عمر قال : [حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبدالله بن أبي بكر بن محـمـد بن عمـر بن حزم قـال : بعث الحجاج برأس ابن الزبير،

ورأس عبدالله بن صفوان، ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة، فنصبت بها ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان، ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان.

(الطبري ج ٢ ص ٨٤٤-٨٥٢)

الأندلـــس :

قال الواقدي : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نصير الأندلس وهو أول من غزاها وذلك في سنة ٩٢ فلقيه أليان وهو وال على مجاز الاندلس فآمنه طارق على ان حمله واصحابه إلى الاندلس في السفن، فلما صار إليها حاربه أهلها ففتحها وذلك في سنة ٩٢ وكان ملكها فيما يزعمون من الاشبان وأصلهم من أصبهان. ثم ان موسى بن نصير كتب إلى طارق كتابا غليظا لتغريره بالمسلمين وافتتانه عليه بالرأي في غزوة وأمر ان لا يجاوز قرطبة، وسار موسى إلى قرطبة من الاندلس فترضاه طارق فرضي عنه فافتتح طارق مدينة طليطله، وهي مدينة مملكة الاندلس وهي مما يلي فرنجة وأصاب بها فائدة عظيمة اهداها موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك بدمشق حين قضى سنة ٩٦ والوليد مريض فلما ولي سليمان بن عبد الملك أخذ موسى بن نصير بمائة الف دينار فكلمه فيه يزيد بن المهلب فامسك عنه. ثم لما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز [رضي الله عنه] ولى المغرب اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر مولي بني مخزوم فسار احسن سيرة ودعى البربر إلى الإسلام وكتب اليهم عمر بن عبد العزيزكتابا يدعوهم بعدُ إلى ذلك فقرأها اسماعيل عليهم في النواحي فغلب الإسلام على المغرب.

(البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٣٠-١)

(ليدن ١٨٦٦)

ابــن ســعــد

صفة أخلاق رسول الله :

[أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن يونس بن الحسن] قال : سئلت عائشة عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: كان خلقه القرآن.

[اخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا قيس بن سليمان العنبري، حدثني رجل] حدثني مسروق بن الأجدع انه دخل على عائشة فقال لها حدثيني بأخلاق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : الست رجلا عربيا تقرأ القرآن، قال : بلى، قالت : فإن القرآن خلقه.

[أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زارة بن أوفى] عن سعد بن هشام قال : قلت لعائشة أنبئيني عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالت : الست تقرأ القرآن؟ قال : قلت: بلى، قالت : فإن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن، قال قتادة: وان القرآن جاء بأحسن أخلاق الناس.

[اخبرنا خداش، حدثنا حماد بن زيد عن المعلى بن زياد عن الحسن] ان رهطا من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – اجتمعوا فقالوا: لو ارسلنا إلى أمهات المؤمنين فسألناهن عما نحلو عليه، يعني النبي – صلى الله عليه وسلم –، من العمل، لعلنا ان نقتدي به، فأرسلوا إلى هذه ثم هذه فجاء الرسول بأمر واحد، انكم تسألون عن خلق نبيكم –صلى

الله عليه وسلم - وخلقه القرآن ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبيت يصلي وينام ويصوم ويفطر ويأتي أهله.

[أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، حدثنا أبو التياح)عن أنس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احسن الناس خلقا.

[أخبرنا يزيد بن هارون واسحق بن يوسف الأزرق قالا : حدثنا زكريا عن أبي اسحق] عن أبي عبدالله الجدلي قال : سألت عائشة كيف كان خلق النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته؟ قالت : كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح.

[أخبرنا عبدالله بن نمير ومحمد بن عبيد الطنافسي قالا : حدثنا الأعمش عن شقيق عن مسروق] قال : قال عبدالله بن عمر : ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاحشا ولا متفحشا.

[أخبرنا عبدالله بن يزيد المقرىء، حدثنا الليث بن سعد، حدثني أبو عثمان الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة بن زيد بن ثابت حدثه] عن خارجة بن زيد بن ثابت قال : دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا : حدثنا عن أخلاق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ماذا أحدثكم، كنت جاره، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إلي فكتبته له، وكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، أفكل هذا أحدثكم عنه.

[أخبرنا يعلى بن عبيد الطنافسي وعبدالله بن نمير الهمداني قالا :

حدثنا حارثة بن أبي الرجال] عن عمرة عن عائشة أنها سئلت كيف كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خلا في بيته، قالت : كان الين الناس واكرم الناس، وكان رجلا من رجالكم الا انه كان ضحاكا بساما.

[أخبرنا وهب بن جرير بن حازم وعفان بن مسلم وعمرو بن الهيثم قالوا : حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم] عن الأسود قال : قلت لعائشة ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع في بيته؟ قالت : كان في مهنة أهله، قال وهب بن جرير في حديثه : واذا حضرت الصلاة خرج فصلى، وقال عفان في حديثه: واذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة، قال شعبة وفي الصحيفة، خرج إلى الصلاة، وحفظ شعبة قام إلى الصلاة.

[أخبرنا مؤمل بن اسماعيل عن سفيان] عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قيل لعائشة ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصنع في بيته، قالت : ما يصنع أحدكم، يرقع ثوبه ويخصف نعله.

[أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا مهدي بن ميمون، وأخبرنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام بن يحيى كلاهما] عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قلت لعائشة ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع في بيته، قالت: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله، ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم.

[أخبرنا هشام بن القاسم الكلابي، حدثنا شعبة عن الحكم عن إبراهيم] عن الاسود قال : سألت عائشة ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصنع في أهله؟ قالت كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة، وربما قالت: قام، تعني بالمهنة في خدمة أهله.

[أخبرنا أحمد بن الحجاج الخراساني، حدثنا عبدالله بن المبارك، حدثنا الحجاج بن الفرافصة عن عقيل] عن ابن شهاب أن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعمل عمل البيت، وكثيرا ما يعمل الخياطة.

[أخبرنا عبدالله بن نمير الهمداني، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه] عن عائشة قالت: ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر الا اختار الذي هو الأيسر.

[أخبرنا معن بن عيسى الاشجعي وموسى بن داود قالا : حدثنا مالك ابن انس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير] عن عائشة قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله.

[أخبرنا محمد بن مصعب القرقساني، وحدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة] عن عائشة قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين امرين الا اختار أيسرهما.

[أخبرنا عفان بن مسلم وسعيد بن سليمان قالا، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معمر بن راشد ونعمان، قال عفان أو أحدهما عن الزهري عن عروة] عن عائشة قالت : ما لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسلما من لعنة تذكر ولا انتقم لنفسه شيئا يؤتى إليه الا أن تنتهك حرمات الله ولا ضرب بيده شيئا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله ولا سئل شيئا قط إلا ان يسأل مأثما فانه كان أبعد الناس منه، ولا خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما.

[أخبرنا وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه] عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خادما له ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله...

(ابن سعد - الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٨٩-٩٢)

ذكر دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأوس والخزرج:

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني نافع بن كثير عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة، قال : وحدثنا إسحق بن إبراهيم ابن أبي منصور عن إبراهيم بن يحيى بن زيد ثابت عن ام سعد بنت سعد بن ربيع، قال : وحدثنا داود بن عبد الرحمن العشار عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر، قال : وحدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن نافع أبي محمد، قال : سمعت أبا مريرة، قال: وحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه عن جده، قال: وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، دخل حديث بعضهم في بعض] قالوا : أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله، ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له ويؤذى ويشتم حتى أراد الله اظهار دينه ونصر نبيه وانجاز ما وعده فساقه إلى هذا الحي من الانصار لما أراد الله بهم من الكرامة فانتهى إلى نفر منهم وهم يحلقون رؤوسهم فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله فاسرعوا وآمنوا وصدقوا وآووا ونصروا وواسوا، وكانوا والله أطول الناس السنة وأحدّهم سيوفا، فاختلف علينا في أول من أسلم من

الأنصار وأجاب فذكروا الرجل بعينه وذكروا الرجلين وذكروا انه لم يكن أحد أول من الستة وذكروا ان أول من أسلم من الانصار أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس خرجا إلى مكة يتنافران إلى عتبة بن ربيعة فقال لهما قد شغلنا هذا المصلي عن كل شيء يزعم انه رسول الله كما قال، وكان أسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان متكلمان بالتوحيد بيثرب، فقال ذكوان بن عبد قيس لأسعد بن زرارة حين سمع كلام عتبة: دونك هذا دينك فقاما إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرض عليهما الإسلام فاسلما ثم رجعا إلى المدينة فلقي أسعد أبا الهيثم بن التيهان فاخبره باسلامه وذكر له قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما دعا إليه، فقال أبو الهيثم: فانا اشهد معك انه رسول الله واسلم. ويقال إن رافع بن مالك الزرقي ومعاذ بن عفراء خرجا إلى مكة معتمرين فذكر لهما امر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتياه فعرض عليهما الإسلام فأسلما فكانا أول من أسلم وقدما المدينة فأول مسجد قرئ فيه القرآن في المدينة، مسجد بني زريق. ويقال إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج من مكة فمر على نفر من أهل يثرب نزول بمنى ثمانية نفر .. فعرض عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإسلام فأسلموا. وقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تمنعون لي ظهري حتى أبلغ رسالة ربي؟ فقالوا : يا رسول الله نحن مجتهدون لله ولرسوله، نحن فاعلم أعداء متباغضون وانما كانت وقعة بعاث عام الأول يوماً من أيامنا اقتتلنا فيه فإن تقدم ونحن كذا لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وموعدك الموسم العام المقبل . ويقال خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الموسم الذي لقي فيه الستة النفر من الأنصار فوقف عليهم، فقال :

أحلفاء يهود؟ قالوا : نعم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلموا (ويذكر اسماءهم)..

قال محمد بن عمر عندنا أثبت ما سمعنا فيهم، وهو المجتمع عليه.. [ثم رجع الحديث إلى الأول قالوا): ثم قدموا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام فأسلم من أسلم ولم يبق دار من دور الأنصار الا فيها ذكر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيراً.

ذكر العقبة الأولى الإثنى عشر :

ليس فيهم عندنا اختلاف.

[أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر ابن قتادة عن محمود بن لبيد، قال : وحدثنا يونس بن محمد الظفري عن أبيه، قال : وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت] قالوا : لما كان العام المقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلا بعد ذلك بعام، وهي العقبة الأولى، من بني النجار أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ وهما ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، ومن بني زريق ذكوان بن عبد قيس ورافع ابن مالك، ومن بني عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن، ومن بني عامر بن عوف عباس بن عبادة بن نضلة، ومن بني سلمة عقبة بن عامر بن نابيء، ومن بني سواد قطبة بن عامر بن حديدة، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الاوس رجلان أبو الهيثم بن التيهان من بلّى حليف في بن عبد الأشهل، ومن بني عمرو بن عوف عويم ابن ساعدة؛ فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء على أن لا نشرك بالله

شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، قال : فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئا كان أمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ولم يفرض يومئذ القتال، ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله الاسلام. وكان أسعد بن زرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابعث الينا مقرئا يقرئنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير العبدري فنزل على أسعد بن زرارة فكان يقرئهم القرآن فروى بعضهم أن مصعبا كان يجمع بهم، ثم خرج مع السبعين حتى وافوا الموسم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ذكر العقبة الآخرة :

[أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال حدثني محمد بن سهل عن أبيه عن جده عن أبي بردة بن نيار، قال: وحدثني أسامة بن زيد الليثي عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، قال وحدثني عبدالله ابن يزيد عن أبي البداح بن عاصم عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن أبيه، قال : وحدثني عبيد بن يحيى عن معاذ بن رفاعة، قال وحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن أبي سفيان، قال: وحدثني ابن أبي سبرة عن الحارث بن الفضل عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: وحدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان، دخل حديث بعضهم في حديث بعض] قالوا : لما حضر الحج مشى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج، وموافاة رسول الله والإسلام يومئذ فاش بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين في خمر

الأوس والخزرج وهم خمسائة، حتى قدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة فسلموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم وعدهم منى وسط ايام التشريق ليلة النفر الأولى، إذا هدأت الرجل ان يوافوه في الشعب الايمن إذا انحدروا من منى باسفل العقبة حيث المسجد اليوم وامرهم ان لا ينهبوا نائما ولا ينتظروا غائبا، قال فخرج القوم بعد هدأة يسلّلون الرجل والرجلان وقد سبقهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك الموضع معه العباس بن عبد المطلب ليس معه أحد غيره فكان أول من طلع على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رافع بن مالك الزرقي ثم توافى السبعون ومعهم امرأتان. قال أسعد بن زرارة فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج انكم قد دعوتم محمدا إلى ما دعوتموه إليه ومحمد من أعز الناس في عشيرته يمنعه والله منا من كان على قوله ومن لم يكن منا على قوله يمنعه الحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتؤوا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملأ منكم واجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، فقال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت وانا والله لو كان في أنفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : وتلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عليهم القرآن، ثم دعاهم إلى الله ورغبهم في الرسلام وذكر الذي اجتمعوا له فأجابه البراء بن معرور بالإيمان والتصديق، ثم قال يا رسول الله : بايعنا فنحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر، ويقال إن أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصدقه،

وقالوا نقتله على مصيبة الأموال، وقتل الاشراف، ولغطوا فقال العباس بن عبد المطلب وهو آخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اخفوا جرسكم فإن علينا عيونا وقدموا ذوي اسنانكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم فانا نخاف قومكم عليكم ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم، فتكلم البراء بن معرور فأجاب العباس بن عبد المطلب، ثم قال : ابسط يدك يا رسول الله، فكان أول من ضرب على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البراء بن معرور ويقال أول من ضرب على يده أبو الهيثم بن التيهان، ويقال أسعد بن زرارة، ثم ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن موسى أخذ من بني اسرائيل اثنى عشر نقيبا، فلا يجدن منكم أحد في نفسه ان يؤخذ غيره، فانما يختار لي جبريل، فلما تخيرهم قال للنقباء: أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي، قالوا: نعم...

(ابن سعد - الطبقات ج ١ ق ١ ص ١٤٥-١٥٠)

أبــو مخــنــف

صفـــــين :

قــال أبو مــخنف: [وحــدثني تميم بن الحــارث الأزدي عن جندب بن عبدالله قال:] إنا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل افيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الاعور يمنعها ويحميها، فارتفعنا على الفرات رجاء ان نجد شريعة غيرها نستغنى بها عن شريعتهم، فلم نجدها، فاتينا عليا فاخبرناه بعطش الناس وإنا لا نجد شريعة غير شريعة القوم، قال : فقاتلوهم عليها. فجاء الأشعث بن قيس الكندي فقال : أنا أسير اليهم، فقال له علي: فسر اليهم، فسار وسرنا معه حتى إذا دنونا من الماء ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل، ورشقناهم والله بالنبل ساعة، ثم أطعنا والله بالرماح طويلا ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف، فاجتلدنا بها ساعة، ثم ان القوم أتاهم يزيد بن أسد البجلي ممدا في الخيل والرجال فاقبلوا نحونا: فقلت في نفسي فأمير المؤمنين لا يبعث الينا بمن يغني عنا هؤلاء فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو اكثر قد سرحوا الينا ليغنوا عنا يزيد ابن أسد وأصحابه، عليهم شبث بن ربعي الرياحي، فوالله ما ازداد القتال الا شدة وخرج الينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد وخرج الأشتر من قبل علي في جمع عظيم فلما رأى الاشتر عمرو بن العاص يمد أبا الأعور ويزيد بن

اسد أمد الأشعث بن قيس وشبث بن ربعي، فاشتد قتالنا وقتالهم، فما أنسى قول عبدالله بن عوف بن الأحمر الأزدي :

خلوا لنا مـــاء الفـــرات الجـــاري — أو اثبـــتـــوا لجـــحـــفل جـــرار
لكل قـــرم مـــســـتـــميت شـــاري — مطاعن برمـــحـــه كـــرار
ضراب هامات العدا مغوار

قال أبو مخنف : وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي ان ظبيان بن عمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول:

هل لك يا ظبـــيـــان من بقـــاء — في ســاكن الارض بغـــيـــر مـــآء
لا وإلـه الأرض والســـمـــاء — فـــاضـــرب وجـــوه الـغـــدر الاعـــداء
بالســـيـف عند همَس الوغـــاء — حـــتى يجـــيـــبـــوك إلى الســـواء

قال ظبيان فضربناهم والله حتى خلونا وإياه.

(الطبري ج ٥، ص ٢٤٠)

قال أبو مخنف: [حدثني عبد الملك بن أبي حرة الحنفي] أن علياً قال هذا يوم نصرتم فيه بالحمية. وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم، فمكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً، ولا يرسل إليه معاوية. ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محصن الانصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال: ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، فقال له شبث بن ربعي: يا امير المؤمنين الا تطمعه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها اثرة عندك ان هو بايعك؟ فقال علي: ائتوه فالقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه، وهذا في أول ذي الحجة، فأتوه ودخلوا عليه، فحمد الله واثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو وقال:

يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة، وان الله عز وجل محاسبك بعملك وجازيك بما قدمت يداك، واني انشدك الله عز وجل ان تفرق جماعة هذه الأمة وان تسفك دماءها بينها، فقطع عليه الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرة: إن صاحبي ليس مثلك ان صاحبي أحق البرية كلها بهذا الامر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: فيقول ماذا؟ قال: يأمرك بتقوى الله عز وجل وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فانه اسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك، قال معاوية: ونطل دم عثمان [رضي الله عنه)؟ لا والله لا افعل ذلك أبداً. فذهب سعيد ابن قيس يتكلم فبادره شبث بن ربعي فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن انه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب، انك لم تجد شيئا تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك قتل امامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمني أمر وطالبه الله عز وجل يحول دونه بقدرته وربما أوتي المتمني امنيته وفوق امنيته ووالله مالك في واحدة منها خير، لئن أخطأت ما ترجو انك لشر العرب حالا في ذلك ولئن اصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صُلّيّ النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر اهله. فحمد الله معاوية واثنى عليه ثم قال: اما بعد فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت ايها الاعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت، انصرفوا من عندي فانه ليس بيني وبينكم الا

السيف وغضب، وخرج القوم، وشبث يقول أفعلينا تهول بالسيف اقسم بالله ليجعلن بها اليك، فاتوا علياً وأخبراه بالذي كان من قوله وذلك في ذي الحجة.

فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ويخرج إليه من أصحاب معاوية آخر معه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ورجالهما ثم ينصرفان، وأخذوا يكرهون ان يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك، فكان علي يخرج مرة الاشتر ومرة حجر بن عدي الكندي ومرة شبث بن ربعي ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثي ومرة زياد بن حفص التميمي ومرة سعيد بن قيس ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد وكان أكثر القوم خروجا اليهم الاشتر، وكان معاوية يخرج اليهم عبد الرحمن ابن خالد المخزومي وأبا الأعور السليمي ومرة حبيب بن مسلمة الفهري ومرة ابن ذي الكلاع الحميري ومرة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومرة شرحبيل بن السمط الكندي ومرة حمزة بن مالك الهمداني، فاقتتلوا من ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين أوله وآخره.

(الطبري ج ٥، ص ٢٤٢-٢٤٣)

قال أبو مخنف: [حدثني فضيل بن خديج قال]: خرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكندي ثم الطحمي، فتجاولا ساعة، ثم ان عبد الرحمن حمل على الشامي فطعنه في ثغرة نحرة فصرعه، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه... وخرج رجل من عك يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس بن فهدان الكناني ثم البدني، فحمل عليه العكي فضربه واحتمله أصحابه، فقال قيس بن فهدان:

لقـــد علمت عك بصـــفين اننا إذا التـقت الخـيـلان نطعنهـا شـزرا
ونحـمل رايات الطعـان بحـقـهـا فنوردها بيـضـا ونصـدرها حـمـرا

قال أبو مـخنف: وحدثني فضيل بن خديج، ان قيس بن فهدان كان يحرض أصحابه فيقول: شدوا إذا شددتهم جميعا، وإذا انصرفتم فاقبلوا معا وغضوا الأبصار واقلوا اللفظ واعتوروا الاقران ولا يؤتين من قبلكم العرب. قال: وقتل نهيك بن عزيز من بني الحارث بن عدي وعمرو ابن يزيد هما بني ذهل وسعيد بن عمرو. وخرج قيس بن يزيد، وهو ممن فر إلى معاوية من علي، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه أخوه أبو العمرطة ابن يزيد فتعارفا فتوافقا وانصرفا إلى الناس، فأخبر كل واحد منهما انه لقي أخاه.

قال أبو مخنف: [حدثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوير الطائي] ان طيّأ يوم صفين قاتلت قتالا شديدا، فعبيت لهم جموع كثيرة، فجاءهم حمزة بن مالك الهسداني فقال: ممن انتم لله انتم، فقال عبدالله ابن خليفة البولاني، وكان شيعيا شاعرا خطيبا: نحن طيء السهل وطيء الرمل وطيء الجبل الممنوع ذي النخل، نحن حماة الجبلين إلى ما بين العذيب والعين نحن طيء الرماح وطيء النكاح، وفرسان الصباح، فقال حمزة بن مالك بخ انك لحسن الثناء على قومك، فقال:

ان كنت لم تشعر بنجدة معشر فاقدم علينا ويب غيرك تشعر

ثم اقتتل الناس أشد القتال فأخذ يناديهم، ويقول: يا معشر طيء فدى لكم طارفي وتالدي، قاتلوا على الأحساب وأخذ يقول:

انـا الذي كنت إذا الداعي دعـــا مـصـمـمـا بالسـيف ندبا اروعـا
فـــأنزل المســـتلئم المقنعـــا واقـــتل المبـــالط السـمـيـدعـا

وقال بشير بن العسوس الطائي ثم الملقطي:

يا طيىء السهول والأجبال

الا انهدوا بالبيض والعوالي ... وبالكماة منكم الأبطال
فقارعوا أيمة الجهّال ... السالكين سبل الضلال

ففقئت يومئذ عين أبي العسوس فقال في ذلك:

الا ليت عيني هذه مثل هذه ... فلم امش في الآناس الا بقائد
ويا ليتني لم ابق بعد مطرف ... وسعد وبعد المستنير بن خالد
فوارس لم تغذُ الحواضن مثلهم ... اذا الحرب ابدت عن خدام الخرائد
ويا ليت رجلي ثم طنت بنصفها ... ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي

(الطبري ج ٦، ص ١٦-١٨)

مسير الحسين إلى الكوفة :

قال أبو مخنف: [وحدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عتبة بن سمعان] أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبدالله بن عباس فقال: يا ابن عم انك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبين لي ما أنت صانع، قال: إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال له ابن عباس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم، فإن كانوا قد فعلوا فسر اليهم، وان كانوا قد دعوك اليهم واميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فانهم انما دعوك إلى الحرب والقتال ولا آمن عليك ان يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك وان يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك. فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون. قال فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدثه ساعة، ثم قال: ما

ادري مـا تركنا هـؤلاء القوم وكفنا عنهم نحن أبناء المهـاجـرين وولاة هذا الأمـر دونهم، خـبـرني مـا تريد أن تصنع، فـقـال الحـسـين: والله لقد حـدثت نفسي باتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها واشراف اهلها واستخير الله. فـقـال له ابن الزبـير: امـا لو كـان لي بهـا مـثل شـيـعـتك مـا عدلت بـهـا. قـال: ثم خـشـي أن يتـهـمـه فـقـال: امـا انك لـو اقـمت بالـحـجـاز ثم اردت هذا الأمـر هـهـنا مـا خـولف عليك إن شـاء الله. ثم قـام فـخـرج من عنده، فـقـال الـحـسـين: هـا ان هـذا لـيس شـيء يؤتاه مـن الدنيـا احب إليـه من ان اخـرج من الـحـجـاز إلى الـعـراق، وقـد علم انه ليس له من الأمـر مـعـي شـيء، وان الناس لم يعدلوه بي، فود اني خرجت منها لتخلو له.

(الطبري – المطبعة الحسينية، ج ٧ ص ٢١٦)

قال أبو مخنف: [حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن عقبة بن سمعان قال:] لما خرج الحسين من مكة اعترضـه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له أتعرف أين تذهب، فابى عليهم ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم ان الحسين واصحابه امتنعوا منهم امتناعا قوياً، ومضى الحسين [عليه السلام] على وجهه، فنادوه يا حسين الا تتقي الله، تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الامة، فتأول حسين قول الله جل وعز: لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون. قال: ثم ان الحسين اقبل حتى مر بالتنعيم، فلقي بها عيرا قد اقبل من اليمن، بعث بها بحير بن ريسان الحميري إلى يزيد بن معاوية، وكان عاملة على اليمن، وعلى العير الورس والحلل، ينطلق بها إلى يزيد، فاخذها الحسين فانطلق بها ثم قال لأصحاب الابل لا اكرهكم من أحب أن يمضي معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنا صحبته ومن

احب ان يفارقنا من مكاننا هذا اعطيناه من الكراء على قدر ما قطع من الأرض. قال: فمن فارقه منهم حوسب فاوفي حقه، ومن مضى منهم معه أعطاه كراءه وكساه.

قال أبو مخنف: [عن أبي جناب عن عدي بن هرملة عن عبدالله بن سليم والمذري قالا:] أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر، فوافق حسينا، فقال له: اعطاك الله سؤلك واملك فيما تحب، فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك، فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت لله الأمر والله يفعل ما يشاء وكل يوم في شأن، ان نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد من كان الحق نيته والتقوى سريرته. ثم حرك الحسين راحلته فقال: السلام عليك، ثم افترقا.

(الطبري ج ٧، ص ٢١٧-٢١٨)

قال أبو مخنف: [حدثني يونس بن أبي اسحق السبيعي قال:] ولما بلغ عبيد الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانة، وإلى لعلع، وقال الناس: هذا الحسين يريد العراق.

قال أبو مخنف: [وحدثني محمد بن قيس]: أن الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي

إلى اخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، أما بعد، فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع قلبكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله ان يحسن لنا الصنع وان يثيبكم على ذلك أعظم الاجر، وقد شخصت اليكم من مكة، يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فاذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم، وجدوا، فاني قادم عليكم في ايامي هذه ان شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وكان مسلم بن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل ان يقتل لسبع وعشرين ليلة: اما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، ان جمع الكوفة معك فاقبل حين تقرأ كتابي والسلام عليك. قال: فأقبل الحسين بالصبيان والنساء معه لا يلوي على شيء، واقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين حتى إذا انتهي إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله: اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب، فصعد ثم قال: ايها الناس ان هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله وانا رسوله اليكم وقد فارقته بالحاجز فأجيبوه ثم لعن عبيد الله بن زياد واباه واستغفر لعلي بن أبي طالب. قال: فأمر به عبيد الله بن زياد ان يرمى به من فوق القصر فرمي به فتقطع فمات. ثم اقبل الحسين سيرا إلى الكوفة فانتهى إلى ماء من مياه العرب فاذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي وهو نازل ههنا فلما رأى الحسين قام اليه فقال: بأبي أنت وامي يابن رسول الله ما اقدمك واحتمله فانزله فقال له الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك فكتب إلى أهل العراق يدعونني إلى انفسهم، فقال له عبدالله بن مطيع: اذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام ان تنتهك انشدك الله في حرمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

انشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك احدا، والله انها لحرمة الإسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعترض لبني امية. قال: فأبى إلا ان يمضي...

(الطبري ج ٧، ص ٢٢٣-٢٢٤)

قال أبو مخنف: [حدثني أبو جناب الكلبي عن عدي بن حرملة الأسدي عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا:] لما قضينا حجنا لم يكن لنا همة الا اللحاق بالحسين لننظر ما يكون من امره وشأنه فاقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلما دنونا إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، قالا: فوقف الحسين كأنه يريده ثم تركه ومضى. ومضينا نحوه فقال احدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا فلنسأله فإن كان عنده خبر الكوفة علمنا، فمضينا حتى انتهينا إليه... ثم قلنا: اخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم لم اخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق. قالا: فاقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسيا فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا فقلنا له: يرحمك الله إن عندنا خبرا فإن شئت حدثنا علانية وان شئت سرا، قال فنظر إلى أصحابه وقال: ما دون هؤلاء سر، فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلنا عشاء امس؛ قال: نعم، وقد اردت مسألته، فقلنا قد استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو ابن امرىء من اسد منا ذو رأي وصدق وفضل وعقل وانه حدثنا انه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وحتى رآهما يجران في السوق بأرجلهما، فقال: إنا لله

وإنا إليه راجعوان، رحمة الله عليهما فردد ذلك مرارا، فقلنا: ننشدك الله في نفسك واهل بيتك الا انصرفت من مكانك هذا فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف ان تكون عليك، قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل ابن أبي طالب.

قال أبو مخنف: [حدثني عمر بن خالد عن زيد بن علي بن حسين وعن داود بن علي بن عبدالله بن عباس:] ان بني عقيل قالوا لا والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق اخونا.

قال أبو مخنف: [عن أبي جناب الكلبي عن عدي بن حرملة عن عبدالله ابن سليم والمذري بن المشمعل الاسديين قالا:] فنظر الينا الحسين فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، قالا فعلمنا انه قد عزم له رأيه على المسير، قالا: فقلنا خار الله لك، قالا: فقال رحمكما الله، قالا: فقال له بعض أصحابه انك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك اسرع. قال الأسديان، ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه: اكثروا من الماء فاستقوا واكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة.

(الطبري ج ٧ ص ٢٢٥)

[عن هشام] عن أبي مخنف قال: [حدثني أبو جناب عن عدي بن حرملة عن عبدالله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديين قالا:] اقبل الحسين [عليه السلام] حتى نزل شراف، فلما كان في السحر امر فتيانه فاستقوا من الماء فاكثروا، ثم ساروا منها فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم إن رجلا قال الله أكبر، فقال الحسين: الله اكبر ما كبرت؟ قال: رأيت النخل، فقال له الأسديان: إن هذا المكان ما رأينا به

نخلة قط، قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟ قلنا: نراه رأى هوادي الخيل، فقال: أنا والله أرى ذلك، فقال الحسين: اما لنا ملجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقلنا له: بلى هذا ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد. قال: فاخذ إليه ذات اليسار. قال: وملنا معه فما كان باسرع من ان طلعت علينا هوادي الخيل فتبيناها وعدلنا، فلما رأونا قد عدلنا عن الطريق عدلوا الينا كأن اسنتهم اليعاسيب وكأن راياتهم اجنحة الطير، قالا: فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه فنزل الحسين فأمر بابنتيه فضربت وجاء القوم وهم الف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حر الظهيرة والحسين واصحابه معتمون متقلدو اسيافهم. فقال الحسين لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفا. فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفا فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتى أرووهم واقبلوا يملأون القصاع والانوار والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس فاذا عب فيه ثلاثاً أو اربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

(الطبري ج ٧، ص ٢٢٢)

قال أبو مخنف: [عن عقبة بن العيزار]: إن الحسين خطب أصحابه وأصحابه الحر بالبيضة، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة

الشـيطان وتركـوا طاعـة الرحـمن واظهـروا الفسـاد وعطلوا الحـدود واسـتـأثروا بالفيء واحلوا حـرام الله وحـرموا حـلاله وانا احق من غـيّر، وقـد اتتني كـتبكم وقـدمت عليّ رسلكم ببـيعـتكم انكم لا تسلمـوني ولا تخذلوني فـإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم فانا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسي مع انفسكم واهلي مع اهلكم فلكم فيّ اسوة وان لم تفعلوا ونقضتم عـهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ما هي لكم بنكر لقد فـعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم والمغرور من اغتربكم فحظكم اخطأتم ونصيبكم ضيعتم ومن نكث فـانما ينكث على نفسـه وسـيغني الله عنكم والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(الطبري ج ٧، ص ٢٢٩)

قال أبو مـخنف: [حدثني جميل بن مرثد من بني معن عن الطرماح بن عدي انه دنا من الحسين فقال له: والله اني لأنظر فما ارى معك احدا ولو لم يقـاتلك الا هـؤلاء الذين أراهم مـلازميك لكان كـفى بهم وقـد رأيت قـبل خروجي من الكوفة اليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مـا لم تر عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين فانشدك الله ان قدرت على ان لا تقدم عليهم شبرا الا فـعلت فـإن اردت ان تنزل بلدا يمنعك الله به حـتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع فسر حتى انزلك مناع جبلنا الذي يدعى أجا، امـتنعنا والله بـه من ملوك غـسـان وحـمـيـر ومن النعـمـان بن المنذر ومن الأسـود والأحـمـر والله ان دخل علينا ذل قط، فـأسـيـر مـعك حتى انزلك

القرية ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجا وسلمى من طي فوالله لا يأتي عليك عشرة ايام حتى يأتيك طي رجالا وركبانا. ثم اقم فينا ما بدا لك فإن هاجك هيج فانا زعيم لك بعشرين الف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم والله لا يوصل اليك أبدا ومنهم عين تطرف، فقال له: جزاك الله وقومك خيرا انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ولا ندري على ما تنصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة.

(الطبري ج ٧، ص ٢٣٠-٢٣١)

ولاية البحرين :

وقال أبو مخنف: كتب عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] إلى العلاء بن الحضرمي وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه، وولى عثمان بن أبي العاصي الثقفي البحرين وعمان. فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل اليها حتى مات وذلك في سنة ١٤ هـ أو في أول سنة ١٥ هـ ثم إن عمر ولى قدامة بن مظعون الجمحي جباية البحرين وولى أبا هريرة الاحداث والصلاة، ثم عزل قدامة وحدّه على شرب الخمر، وولى أبا هريرة الصلاة والاحداث ثم عزله وقاسمه أمواله، ثم ولى عثمان بن أبي العاصي البحرين وعمان.

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٨٢)

فتح الري :

[حدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه] عن أبي مخنف، أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من

وقعة نهاوند يأمره أن يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي إلى الري ودستبي في ثمانية الاف ففعل. وسار عروة إلى ما هناك، فجمعت له الديلم وأمدهم أهل الري فقاتلوه فاظهره الله عليهم فقتلهم واجتاحهم. ثم خلف حنظلة بن زيد أخاه وقدم على عمار فسأله ان يوجهه إلى عمر وذلك انه كان القادم عليه بخبر الجسر فأحب أن يأتيه بما يسره، فلما رآه عمر قال: إنا للّه وإنا إليه راجعون، فقال عروة: بل أحمد الله فقد نصرنا واظهرنا وحدثه بحديثه، فقال: هلا اقمت وارسلت؟ قال: قد استخلفت أخي وأحببت أن آتيك بنفسي فسماه المبشر، وقال عروة:

برزت لاهل القادسية معلما	وما كل من يغشى الكريهة يعلم
ويوماً باكناف النخيلة قبلها	شهدت فلم ابرح ادمي وأكلم
وأيقنت يوم الديلميّين أنني	متى ينصرف وجهي إلى القوم يهزموا
محافظة إني امرؤ ذو حفيظة	إذا لم أجد مستأخراً اتقدم

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٣١٧)

الشورى :

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن] أبي منخف في إسناده: أن عمر ابن الخطاب أمر صهيبا، مولى عبدالله بن جدعان، حين طعن ان يجمع إليه وجوه المهاجرين والانصار، فلما دخلوا عليه قال لهم: اني قد جعلت امركم شورى إلى الستة نفر المهاجرين الأولين قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض؛ ليختاروا أحدهم لإمامتكم وسماهم. ثم قال لأبي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الانصار يكونون معك، فإذا توفيت فاستحث هؤلاء النفر حتى يختاروا لانفسهم وللأمة أحدهم، ولا يتأخر عن أمرهم فوق ثلاث، وأمر صهيبا ان

يصلي بالناس إلى ان يتفقوا على امام. وكان طلحة بن عبيد الله غائبا في ماله بالسراة، فقال عمر: ان قدم طلحة في الثلاثة الايام والا فلا تنتظروه بعدها، وابرموا الامر واصرموه وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه. قال: فبعثوا إلى طلحة رسولا يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة الا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يفتات؟ فاتاه عثمان فقال له طلحة: ان رددت الأمر اترده؟ قال: نعم. قال: فاني امضيته فبايعه. وقد قال بعض الرواة إن طلحة كان حاضرا لوفاة عمر والشورى، والأولى أثبت.

وقال أبو مخنف: امر عمر اصحاب الشورى ان يتشاوروا في امرهم ثلاثا، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى، فإن اجتمعوا أربعة على واحد واباه واحد كانوا مع الاربعة، وان كانوا ثلاثة [وثلاثة] كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف اذ كان الثقة في دينه ورأيه، المأمون على الاختيار للمسلمين.

(البلاذري، الأنساب ج ٥ ص ١٨-١٩)

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه] عن أبي منخف في إسناد له، قال: لما دفن عمر امسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يومهم فلم يحدثوا شيئا، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال. وكان دفن عمر يوم الأحد، وهو الرابع من يوم طعن، وصلى عليه صهيب بن سنان. قال: فلما رأى عبد الرحمن طول تناجي القوم وتناظرهم وان كل واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا اخرج نفسي وسعدا من الأمر على أن اختار يا معشر الأربعة، أحدكم ،فقد طال التناجي وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وامامهم، واحتاج من اقام لانتظار ذلك من أهل

البلدان إلى الرجوع إلى اوطانهم. فأجابوا إلى ما عرض عليهم الا عليا فانه: أنظر، واتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وباجابة القوم اياه الا عليا، فاقبل أبو طلحة على علي فقال: يا أبا الحسن إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين فما بالك تخالفه وقد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمل المأثم لغيره، فاحلف عليٌّ عبد الرحمن بن عوف ان لا يميل إلى هوى، وان يؤثر الحق، وان يجتهد للامة، وان لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسددا، وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة.

ثم ان عبد الرحمن أحلف رجلا رجلا منهم بالأيمان المغلظة واخذ عليهم المواثيق والعهود انهم لا يخالفونه ان بايع منهم رجلا وان يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك. ثم اخذ بيد علي فقال له: عليك عهد الله وميثاقه ان بايعتك ان لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرن بسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها، فقال علي: لا احمل عهد الله وميثاقه على ما لا ادركه ولا يدركه أحد، من ذا يطيق سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكني اسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني وبقدر علمي، فارسل عبد الرحمن يده. ثم أحلف عثمان واخذ عليه العهود والمواثيق، ان لا يحمل بني امية على رقاب الناس وعلى ان يسير بسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئا من ذلك فحلف له. فقال علي: قد اعطاك أبو عبدالله الرضاء فشأنك فبايعه. ثم ان عبد الرحمن عاد إلى علي فاخذ بيده وعرض عليه ان يحلف بمثل تلك اليمين، ان لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر، فقال علي:

عليّ الاجتهاد، وعثمان يقول: ونعم عليّ عهد الله وميثاقه واشد ما اخذ على انبيائه ان لا اخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر في شيء، ولا اقصر عنها، فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه اصحاب الشورى. وكان علي قائما فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع والا ضربت عنقك، ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فيقال إن عليا خرج مغضبا فلحقه أصحاب الشورى وقالوا: بايع والا جاهدناك فاقبل معهم يمشي حتى بايع عثمان.

(البلاذري، الانساب ج ٥ ص ٢١-٢٢)

سعيد بن العاص :

[عباس بن هشام عن أبيه] عن أبي مخنف في اسناده، قال: لما عزل عثمان [رضي الله عنه] الوليد بن عقبة عن الكوفة ولاها سعيد بن العاص وأمره بمداراة أهلها فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم، فيجتمع عنده مالك بن الحارث الاشتر النخعي، وزيد وصعصعة ابنا صوحان العبديان وحرقوص بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الازدي، وشريح بن اوفى.. العبسي وكعب بن عبدة النهدي... وعدي بن حاتم... الطائي ويكنى أبا طريف... وغيرهم. فانهم لعنده وقد صلوا العصر اذ تذاكروا السواد والجبل ففضلوا السواد، وقالوا هو ينبت ما ينبت الجبل وله هذا النخل، وكان حسان بن محدوج بن بشر بن حوط بن سعنة الذهلي، الذي ابتدأ الكلام في ذلك، فقال عبد الرحمن بن حنيس الأسدي صاحب شرطه: لوددت انه للأمير وان لكم افضل منه، فقال له الأشتر: تمن للأمير افضل منه، ولا تمن اموالنا، فقال عبد الرحمن: ما يضرك من تمني، حتى تزوي ما بين عينيك، فوالله لو شاء كان له، فقال الأشتر: والله

لو رام ذلك ما قدر عليه. فغضب سعيد وقال: انما السواد بستان لقريش، فقال الأشتر: اتجعل مراكز رماحنا وما افاء الله علينا بستانا لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه، ووثب بابن خنيس فأخذته الأيدي. فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إني لا أملك من الكوفة مع الاشتر وأصحابه الذين يدعون القراء، وهم السفهاء شيئا، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام، وكتب إلى الاشتر: إني لاراك تضمر شيئا لو اظهرته لحل دمك وما اظنك منتهيا حتى يصيبك قارعة لا بغيا بعدها فاذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لافسادك من قبلك وإنك لا تألوهم خبالا. فسير سعيد الاشتر ومن كان وثب مع الاشتر وهم زيد وصعصعة ابنا صوحان وعائذ بن حملة الطهوي من بني تميم وكميل بن زياد النخعي وجندب بن زهير الازدي والحارث بن عبدالله الاعور الهمداني من بني حوث بن سبع بن صعب اخوة السبيع بن سبع بن صعب ويزيد بن المكفف النخعي وثابت بن قيس بن المنقع بن الحارث النخعي واصعر بن قيس بن الحارث بن وقاص الحارثي من بني المعقل.

فكتب جماعة من القراء إلى عثمان منهم معقل بن قيس الرياحي وعبدالله بن الطفيل العامري ومالك بن حبيب التميمي ويزيد بن قيس الارحبي وحجر بن عدي الكندي... وسليمان بن صرد الخزاعي ... وزيد ابن حصن الطائي...، ان سعيدا كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في امرهم على ما لا يحل في دين ولا يحسن في سماع، وانا نذكرك الله في امة محمد فقد خفنا ان يكون فساد امرهم على يديك؛ لانك قد حملت بني ابيك على رقابهم، واعلم ان لك ناصرا ظالما وناقماً عليك مظلوما فمتى نصرك الظالم ونقم عليك الناقم تباين الفريقان

واختلفت الكلمة، ونحن نشهد عليك الله وكفى به شهيداً، فانك اميرنا ما اطعت الله واستقمت، ولن تجد دون الله ملتحدا ولا عنه منتقذا. لم يسم أحد منهم نفسه في الكتاب، وبعثوا به مع رجل من عنزة يكنى أبا ربيعة، وكتب كعب بن عبدة كتابا من نفسه تسمى فيه ودفعه إلى أبي ربيعة، فلما قدم أبو ربيعة على عثمان سأله عن أسماء القوم الذين كتبوا الكتاب فلم يخبره فاراد ضربه وحبسه فمنعه علي من ذلك وقال: انما هو رسول ادى ما حمل. وكتب عثمان إلى سعيد ان يضرب كعب بن عبدة عشرين سوطا ويحول ديوانه إلى الري ففعل. ثم ان عثمان تحوب وندم، فكتب في اشخاصه إليه ففعل. فلما ورد عليه قال له: انه كانت مني طيرة، ثم نزع ثيابه والقى عليه سوطاً، وقال: اقتص، فقال: قد عفوت يا أمير المؤمنين.

(البلاذري، الانساب ج ٥ ص ٣٩-٤٢)

ابن الزبير :

وقال أبو مخنف في رواية: مكث أهل الشام يقاتلون ابن الزبير حتى إذا مضى من شهر ربيع الأول أربعة عشر يوما مات يزيد، فمكثوا أربعين يوما لا يعلمون بموته، وبلغ ابن الزبير موته قبل ان يبلغ الحصين، وقد ضيقوا على ابن الزبير مكة وحصروه حصرا شديدا، فقال: يا أهل الشام لماذا تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟ فجعلوا لا يصدقوا حتى قدم عليهم ثابت بن المنقع النخعي، واسم المنقع قيس، وهو من أهل الكوفة، وكان صديقا للحصين، فاخبره بهلاك يزيد.

(البلاذري، الانساب ١ ص ٥١)

عـوانـــة بـــن الحكـــم

[قال هشام بن الكلبي فحدثني] عوانة قال: أرسل يزيد إلى عبدالله بن الزبير اني قد جعلت علي نذرا ان يؤتى بك في سلسلة، قال: فلا أبر الله قسمه ولا وفق له الوفاء بنذره، فقال له اخوه عروة بن الزبير أو غيره وما عليك ان تبر قسم ابن عمك؟ قال: قلبي إذا مثل قلبك، فقال أبو دهبل الجمحي، وهو وهب بن زمعة بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذاقة بن جمح:

لا يجـــعلنك في قـــيـــد وسلسلة ... كـــيـــمـــا يقـــول اتانا وهو مـــغلول

بين الحـــواري والصـــديق ذو نسب ... صـاف وسيف على الاعداء مسلول

وأراد ابن الزبير عباس على البيعة وقد بايعه، فامتنع عليه نحوا من سنة ثم بايعه بعد، ويقال انه لم يبايعه حتى توفي. وكان امتناع ابن عباس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيد فظن ان ذلك لتمسكه ببيعته، فكتب يزيد إليه: أما بعد فقد بلغني ان الملحد ابن الزبير دعاك إلى نفسه وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيرا، وفي المأثم شريكا وانك امتنعت من طاعته واعتصت عليه في بيعته وفاء منك لنا وطاعة لله بتثبيت ما عرّفك من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم كأفضل جزاء الواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما انس من الاشياء لا أنس برك وحسن مكافأتك وتعجيل صلتك، فانظر من قبلك من الافاق ممن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله فاعلمهم حسن رأيك في طاعتي وتمسكك ببيعتي، فانهم لك اطوع ومنك اسمع منهم للمُحلّ الحارب الملحد المارق والسلام.

فاجابه عبدالله بن عباس بجواب طويل يقول فيه:

سألتني ان أحث الناس عليك واثبطهم عن نصره ابن الزبير واخذلهم عنه، فلا ولا كرامة ولا مسرة... أتحسبني لا ابالك نسيت قتلك حسينا وفتيان بني عبد المطلب مصابيح الدجى... ومهما أنس من الاشياء فلن انسى تسليطك عليهم ابن مرجانة الدعيّ... الذي اكتسب أبوك في ادعائه إياه لنفسه العار والخزي والمذلة...

(البلاذري، الانساب ج ٤ ص ١٨-٩)

ابن الزبير والحصين بن نمير :

وأما عوانة بن الحكم فانه قال: [فيما ذكر هشام عنه، قال:] لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيقوا عليه اخذ يناديهم هو وأهل مكة، علام تقاتلون؟ قد هلك طاغيتكم، واخذوا لا يصدقونه، حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع الحنفي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق فمر بالحصن بن نمير وكان له صديقا وكان بينهما صهر وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله واسلامه وشرفه، فسأل عن الخبر فاخبره بهلاك يزيد. فبعث الحصين بن نمير إلى عبدالله بن الزبير فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة الابطح، فقال له الحصين: ان يك هذا الرجل قد هلك فانت احق الناس بهذا الامر هلم فلنبايعك ثم اخرج معي إلى الشام فإن هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة. فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه ان يبايعهم ويخرج إلى الشام الا تطير؛ لان مكة التي منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان، وان عبدالله والله لو سار معهم حتى يدخل الشام ما اختلف عليه منهم اثنان.

فزعم بعض قريش أنه قال: أنا اهدر تلك الدماء أمَ والله لا أرض أن اقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر جهراً وأخذ يقول لا والله لا افعل، فقال له الحصين بن نمير: قبح الله من يعدك بعد هذه داهيا قط أو أربيا، قد كنت أظن بك رأيا ألا اراني أكلمك سرا وتكلمني جهرا، وادعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة، قام وخرج وصاح في الناس، فاقبل فيهم نحو المدينة. وندم ابن الزبير على الذي صنع فأرسل إليه أما ان اسير إلى الشام فلست فاعلا واكره الخروج من مكة ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمنكم وعادل فيكم، فقال له الحصين أرأيت إن لم تقدم بنفسك ووجدت هنالك اناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانع! فاقبل باصحابه ومن معه نحو المدينة... واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الا أخذ بلجام دابته ثم نكس عنها فكانوا يجتمعون في معسكرهم، فلا يفترقون، وقالت لهم بنو امية: لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام وقد اوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث الا ثلاثة أشهر حتى مات.

(الطبري: ج ٢ ص ٤٣٠-٤٣٢)

وضع الامويين بعد يزيد :

[هشام بن محمد] عن عوانة بن الحكم :

إن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده، وكان معاوية بن يزيد ابن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته فنودي بالشام: «الصلاة جامعة»، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اما بعد فاني قد نظرت في امركم فضعفت

عنه، فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب [رحمه الله] حين فزع إليه أبو بكر فلم اجده، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر فلم اجدها، فانتم أولى بأمركم، فاختاروا له من احببتم. ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيب حتى مات. فقال بعض الناس دس إليه فسقي سما، وقال بعضهم طعن...

ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهري، فثار زفر بن عبدالله الكلابي بقنسرين يبايع لعبدالله بن الزبير، وبايع النعمان بن بشير الانصاري بحمص لابن الزبير. وكان حسان بن مالك ابن بحدل الكلبي بفلسطين عاملا لمعاوية بن أبي سفيان، ثم ليزيد بن معاوية بعده، وكان يهوى هوى بني امية وكان سيد أهل فلسطين، فدعا حسان بن مالك روح بن زنباع الجذامي، فقال اني مستخلفك على فلسطين، وادخل هذا الحي من لخم وجذام ولست بدون رجل إذا كنت عينهم، قاتلت بمن معك من قومك. وخرج حسان بن مالك إلى الاردن واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فاخرجه فاستولى على فلسطين، وبايع لابن الزبير. وقد كان عبدالله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة ان ينفي بني امية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشام فقدمت بنو امية دمشق وفيها مروان بن الحكم.

فكان الناس فريقين، حسان بن مالك بالاردن يهوى هوى بني امية ويدعو إليهم، والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى هوى عبدالله بن الزبير ويدعو إليه. قال: حسان بن مالك بالاردن فقال: يا أهل الاردن ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرة؟ قالوا: نشهد ان ابن الزبير منافق وان قتلى أهل الحرة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد

ابن معاوية وقتلاكم بالحرة؟ قالوا: نشهد أن يزيد على الحق، وأن قتلانا في الجنة. قال: وانا اشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقا يومئذ وشيعته على حق، وان كان ابن الزبير وشعيته على باطل انه اليوم على باطل وشيعته. قالوا له: قد صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل من خالفك من الناس واطاع ابن الزبير على ان تجنبنا هذين الغلامين فانا نكره ذلك يعنون ابني يزيد بن معاوية عبدالله وخالدا فانهما حديثة أسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبي.

وقد كان الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه عن اظهار ذلك ان بني امية كانوا بحضرته وكان يعمل إلى ذلك سرا فبلغ ذلك حسان بن مالك بن بحدل فكتب إلى الضحاك كتابا يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بني امية عنده، وصنيعهم إليه ويدعوه إلى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع خليفتين، وامره ان يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلا من كلب يدعى ناغضة فسرح بالكتاب معه إلى الضحاك بن قيس، وكتب حسان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه إلى ناغضة وقال: ان قرأ الضحاك كتأبي على الناس والا فقهم فاقرأ هذا الكتاب على الناس، وكتب حسان إلى بني امية يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بني امية إليهم. فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام إليه ناغضة فقال: اصلح الله الامير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس، فقال له الضحاك: اجلس، ثم قام إليه الثانية فقال له: اجلس، ثم قام إليه الثالثة، فقال له: اجلس، فلما رآه ناغضة لا يفعل اخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس، فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسانا وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن

أبي النمس الغساني، فصدق مقاله حسان وكتاب، وشتم ابن الزبير... واضطرب الناس تبعا لهم.

ثم أمر الضحاك بالوليد بن عتبة ويزيد بن أبي النمس وسفيان بن الابرد الذين كانوا صدقوا مقاله حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم في بعض، ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمي فضربوه وحرقوه بالنار وخرقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان ابن الابرد، وجاءت غسان فاخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة: لو كنت من كلب اوغسان اخرجت، قال: فجاء ابنا يزيد ابن معاوية خالد وعبدالله معهما أخوالهما من كلب فاخرجوه من السجن، فكان ذلك اليوم يسميه أهل الشام يوم جيرون الأول.

واقام الناس بدمشق وخرج الضحاك إلى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام إليه شاب من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوس في الحلق متقلدي السيوف فقام بعضهم إلى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو إلى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو إلى بني امية ثم إلى خالد بن يزيد ويتعصبون ليزيد، ودخل الضحاك دار الامارة واصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر، وكان من الاجناد ناس يهوون هوى بن امية وناس يهوون هوى ابن الزبير. فبعث الضحاك إلى بني امية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم عند مواليه وعنده وانه ليس يريد شيئا يكرهونه، قال فتكتبون إلى حسان ونكتب فيسير من الاردن حتى ينزل الجابية، ونسير

نحن وانتم حتى نوافيه بها، فنبايع لرجل منكم، فرضيت بذلك بنو امية وكتبوا إلى حسان وكتب إليه الضحاك، وخرج الناس وخرجت بنو امية فاستقبلت الرايات، وتواجهوا بريدون الجابية. فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الاخنس الاسلمي إلى الضحاك فقال: دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير، فبايعناك على ذلك وانت تسير إلى هذا الاعرابي من كلب تستخلف ابن اخته خالد بن يزيد، فقال له الضحاك: فما الرأي؟ قال: الرأي أن نظهر ما كنا نسر، وندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها، فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم، ثم اقبل يسير حتى نزل بمرج راهط.

.. عوانة بن الحكم الكلبي قال: مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان بن مالك فعطفهم ثم اقبل يسير حتى نزل بمرج راهط واظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني امية وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم. قال: وسارت بنو امية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجانبية فصلى بهم حسان اربعين يوما والناس يتشاورون. وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حمص وإلى زفر بن الحارث وهو على قنسرين وإلى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فامده النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع وامده زفر باهل قنسرين وامده ناتل باهل فلسطين فاجتمعت الاجناد إلى الضحاك بالمرج. وكان الناس بالجابية لهم اهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد ابن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم واما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى ان تكون الخلافة لمروان بن الحكم، فقال مالك بن هبيرة

لحصين بن نمير: هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه، وهو ابن اختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه، فانه يحملنا على رقاب العرب غداً، يعني خالد بن يزيد، فقال الحصين: لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي، فقال مالك: هذا ولم تردي تهامة ولما يبلغ الحزام الطبيين، فقالوا مهلا يا با سليمان، فقال له مالك: والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن اختكم خالد، فقال حصين: إني رأيت في المنام قنديلا معلقا من السماء وان من يمد عنقة إلى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه، فقال له مالك: ويحك يا حصين اتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس. فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان بن الحكم قام روح بن زنباع الجذامي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ايها الناس انكم تذكرون عبدالله بن عمر الخطاب وصحبته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجل ضعيف وليس بصاحب امة محمد الضعيف واما ما يذكر الناس من عبدالله بن الزبير ويدعون إليه من امره فهو والله كما يذكرون انه لابن الزبير حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن أسماء ابنة أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد، وابنه معاوية بن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين، وليس صاحب امر امة محمد - صلى الله عليه وسلم - المنافق، واما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع قط الا كان مروان ممن يشعب

ذلك الصدع، وهو الذي قاتل عن امير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل وانا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعني بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد ابن يزيد بن معاوية. قال: فاجمع رأي الناس على البيعة لمروان، ثم لخالد ابن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وامارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية. قال: فدعا حسان بن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال: ابنيّ اختي ان الناس قد ابوك لحداثة سنك، واني والله ما اريد هذا الأمر الا لك ولاهل بيتك وما ابايع مروان الا نظرا لكم، فقال له خالد بن يزيد: بل عجزت عنا، قال: لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأي لك ما رأيت. ثم دعا حسان بمروان فقال: يا مروان ان الناس والله ما كلهم يرضى بك، فقال له مروان: ان اراد الله ان يعطينيها لا يمنعني اياها أحد من خلقه وان يرد ان يمنعنيها لا يعطنيها أحد من خلقه، قال: فقال له حسان صدقت. وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال: يا أيها الناس إنا نستخلف يوم الخميس ان شاء الله، فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له. وسار مروان إلى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الاردن من كلب، واتته السكاسك والسكون وغسان ورجع حسان بن مالك ابن بحدل إلى الاردن. قال: وعلى ميمنته اعني مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلي، وعلى ميسرته رجل آخر لم احفظ اسمه.

وكان يزيد بن أبي النمس الغساني لم يشهد الجابية وكان مختبئا بدمشق، فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبي نمس بأهل دمشق في عبيدها، فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها، وغلب على الخزائن

وبيت المال، وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح فتح على امية. قال: وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقتل الضحاك وقتل يومئذ من اشراف الناس ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلا كلهم كان يأخذ القطيفة، والذي كان يأخذ القطيفة ياخذ ألفين في العطاء، وقتل أهل الشام يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها... قال: وجاء برأس الضحاك رجل من كلب، وذكروا ان مروان حين أتى برأسه ساءه ذلك، وقال: الآن حين كبرت سني ودق عظمي وصرت في مثل ظمء الحمار، اقبلت بالكتائب اضرب بعضها ببعض. قال: وذكروا انه مر يومئذ برجل قتيل فقال:

وما ضرهم غير حين النفو   س أيّ أميريّ قريش غلب

وقال مروان حين بويع له ودعا إلى نفسه :

لما رأيت الامر أمرا نهبا   يسرت غسّان لهم وكلبا
والسكسكين رجالا غلبا   وطيئا تاباه الاضربا
والقين تمشي في الحديد نكبا   ومن تنوخ مشمخر صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا   وان دنت قيس فقل لا قربا

(الطبري، ج ٢، ص ٤٦٨-٤٧٨)

عبد الملك وعمرو بن سعيد الأشدق :

واما عوانة بن الحكم فانه قال: [فيما ذكر هشام بن محمد عنه] إن عبد الملك بن مروان لما رجع من بطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ثم سار يريد قرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابي ومعه عمرو بن سعيد حتى إذا كان ببطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي، وزهير بن الابرد الكلبي،

حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي قد استخلفه عبد الملك، فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها.

قال [عوانة]: ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن ام الحكم فلم يصبه، فأمر بداره فهدمت، واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس إنه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر الا زعم ان له جنة ونارا يدخل الجنة من اطاعه والنار من عصاه، واني أخبركم أن الجنة والنار بيد الله وأنه ليس إلى من ذلك شيء، غير ان لكم على حسن المواساة والعطية، ونزل. واصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فاخبر خبره، فرجع عبد الملك إلى دمشق فاذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياما وكان عمرو بن سعيد إذا اخرج حمية بن حريث الكلبي على الخيل أخرج إليه عبد الملك سفيان بن الابرد الكلبي واذا أخرج عمرو بن سعيد زهيرة بن الأبرد الكلبي أخرج إليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي.

[قال هشام] حدثني عوانة... فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الابرد ولابن بحدل الكلبي: علام تقتلون انفسكم لسلطان قريش، فحلف كل واحد منهما ان لا يرجع صاحبة فلما اجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان اكبر من حريث فطلبوا إلى حريث فرجع، ثم ان عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا، وآمنه عبد الملك، وذلك عشية الخميس.

[قال هشام] فحدثني عوانة، ان عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلدا قوسا سوداء فاقبل حتى اوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك، فانقطعت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأطناب، وسقط السرادق، ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو: يابا امية كانك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس، قال: لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية، ثم قام مغضبا والخيل معه حتى دخل دمشق.

ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث إلى عمرو ان اعط الناس أرزاقهم، فارسل إليه عمرو ان هذا ليس لك ببلد فاشخص عنه. فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق باربع بعث إلى عمرو ان ائتني وهو عند امرأته الكلبية، وقد كان عبد الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري فاستشاره في امر عمرو بن سعيد فقال له في هذا هلكت حمير لا ارى لك ذلك لا ناقتي في ذا ولا جملي.

فلما أتى رسول عبد الملك عمروا يدعوه صادف الرسول عبدالله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبدالله لعمرو بن سعيد يا أبا أمية والله لأنت أحب إلي من سمعي وبصري وقد ارى هذا الرجل قد بعث إليك ان تأتيه وأنا أرى لك ان لا تفعل، فقال له عمرو: ولم؟ قال: لان تبيع ابن امرأة كعب الأحبار قال ان عظيما من عظماء ولد اسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يقتل، فقال له عمرو: والله لو كنت نائما ما تخوفت ان ينبهني ابن الزرقاء ولا كان ليجترىء على ذلك مني مع ان عثمان بن عفان اتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه. وكان عبدالله بن يزيد زوج ام موسى بنت عمرو بن سعيد، فقال عمرو للرسول: ابلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية أن شاء الله. فلما كان العشي لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قوهي وقميص قوهي وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث بن بحدل الكلبي، فلما نهض

متوجها عثر بالبساط، فقال له حميد: اما والله لئن اطعتني لم تاته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت إلى قولهم ومضى في مائة رجل من مواليه. وقد بعث عبد الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده، فلما بلغ عبد الملك انه بالباب امر ان يحبس من كان معه واذن له فدخل ولم تزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا وصيف له فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فاذا حوله بنو مروان وفيهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وقبيصه بن ذؤيب الخزاعي فلما رأى جماعتهم احس بالشر فالتفت إلى وصيفه فقال انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد فقل له يأتيني فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبيك، فقال له: اغرب عني في حرق الله وناره، وقال عبد الملك لحسان وقبيصة إذا شئتما فقوما فالتقيا وعمرا في الدار.. ثم التفت عمرو إلى وصيفه فقال انطلق إلى يحيى فمره أن يأتيني، فقال له: لبيك! ولم يفهم عنه، فقال عمرو: اغرب عني. فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالابواب فغلقت ودخل عمرو فرحب به عبد الملك وقال ها هنا يابا امية يرحمك الله فاجلسه معه على السرير وجعل يحدثه طويلا، ثم قال: يا غلام خذ السيف عنه، فقال عمرو: إنا لله يا أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: أو تطمع ان تجلس معي متقلدا سيفك؟ فأخذ السيف عنه، ثم تحدثا ما شاء الله، ثم قال له عبد الملك: يابا أمية، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: إنك حيث خلعتني آليت بيمين ان انا ملأت عيني منك وانا مالك لك ان اجمعك في جامعة، فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين؟ قال: ثم اطلقه وما عسيت ان اصنع بأبي امية، فقال بنو مروان ابرّ قسم امير المؤمنين، فقال عمرو: قد ابر الله قسمك يا أمير المؤمنين، فاخرج من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه، ثم قال يا غلام: قم فاجمعه فيها، فقام الغلام فجمعه فيها، فقال عمرو:

اذكرك الله يا أمير المؤمنين ان تخرجني فيها على رؤوس الناس، فقال عبد الملك: امكرا أبا امية عند الموت لا ها الله اذن، ما كنا لنخرجنك في جامعة على رؤوس الناس، ولما نخرجها منك الا صعدا، ثم اجتبذه اجتباذه اصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو: اذكرك الله يا أمير المؤمنين ان يدعوك إلى كسر عظم مني ان تركب ما هو اعظم من ذلك، فقال له عبد الملك: والله لو اعلم انك تبقى على ان أبقي عليك وتصلح قريش لاطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه الا أخرج احدهما صاحبه. [ثم يورد مقتل عمرو بن سعيد].

(الطبري ج ٢ ص ٧٨٣ وما بعدها)

عبد الملك وآل الزبير :

قال عوانة: وكان ابراهيم بن الاشتر عاملا للمختار حين قتل على الموصل ونواحيها، فكتب إليه المصعب يدعوه إلى طاعته والبعية لعبدالله ابن الزبير فسارع إلى ذلك وقدم عليه فولى المهلب ما كان يليه من الموصل والجزيرة ثم عزله واعاد ابراهيم بن الاشتر إلى عمله. فلما صح عنده وصول عبد الملك يريده بعث إلى ابن الاشتر فاقدمه عليه فجعله على مقدمته وسار حتى اتى دمماً وهي من عمل الانبار ثم قطع منها حتى نزل بقرب أوانا وهناك دجيل ودير الجاثليق وباجميرا، فعسكره وموضع وقعته بين هذه المواضع. وكاتب عبد الملك وجوه أهل الكوفة والبصرة ورغبتهم في الاموال والاعمال وكتب إليه جماعة منهم يستجعلونه على نصرتهم اياه وانحرافهم عن المصعب ولاية اصبهان، فكان يسأل عنها ويقول ما اصبهان هذه أتنبت الذهب والفضة لقد كتب إلي فيها اربعون كتابا. وكتب عبد الملك إلى ابراهيم بن الاشتر فجعل له ولاية العراقين،

فأخذ كتابه فدفعه إلى المصعب وقال له اصلح الله الامير إن عبد الملك لم يكتب إلي بهذا الكتاب الا وقد كتب إلى هؤلاء الوجوه بمثله، وقد افسدهم عليك فانا ارى ان تأخذ وجوه أهل المصرين فتشدهم بالحديد، فقال له:

يا أبا النعمان أنأخذ الناس بالظنة؟ قال: فاجمعهم في ابيض المدائن لئلا يشهدوا الحرب معك، قال: إذا أفسد قلوب عشائرهم، قال: فابعث بهم إلى أخيك بمكة، فقال: ليس هذا برأي، قال: فإن لقيت العدو فلا تمدني بأحد منهم واتهمهم.

(البلاذري - أنساب الاشراف ج ٥ ص ٣٣٦-٧)

[قال الهيثم عن] عوانة: قال عبدالله بن صفوان الجمحي لأبي العباس الأعمى: أخبرني عن مروان ويوم المرج، فقال: لم اسمع بمثله وانه لكما قال حصين بن الحمام المري:

ترى الموت لا ينحاش عنه تكرّماً ... وصبرا وان كان القيام على الجمر
حفاظاً على ما اورثتنا جدودنا ... وصبراً وما في الناس خير من الصبر
بذلك أوصانا ابن عوف فلم نزل ... على الملك نمضي لا نضج من الدهر

فقال: ما ابصرك بأبي عبد الملك وان قدر الله لابن الزبير شيئاً فهو كائن، وان اكبر ظني انه وبنيه سيملكون؛ لان عثمان ضم عبد الملك إلى صدره، وقال: رأيتني وقد اخذت برنسي فوضعته على رأسه، وقد ولده أبو العاص مرتين.

(البلاذري - انساب الاشراف ج ٤ ص ١٤٠)

وقال عوانة بن الحكم: دخل عبد الملك بن مروان الكوفة حين قتل مصعباً، فاقام بها أياما. ثم وجه جيشاً إلى ابن الزبير وهو بمكة، واستعمل عليه الحجاج بن يوسف الثقفي، فاقبل عليه الهيثم بن الاسود

النخعي فقال له: يا أمير المؤمنين اوص هذا الغلام الثقفي بالكعبة، ومره ان لا ينفر اطيارها ولا يهتك استارها ولا يرمي احجارها وان يأخذ على ابن الزبير بشعابها وفجاجها وانفاقها حتى يموت فيها جوعا أو يخرج عنها مخلوعا. فقال عبد الملك للحجاج افعل ذلك واجتنب الحرم وانزل الطائف، فسار الحجاج حتى نزل الطائف. ثم انه كتب إلى عبد الملك انك متى تدع ابن الزبير وتكف عنه ولا تأمر بزحمه ومصادمته يكثر عدده وعُدده وسلاحه فاذن لي في قتاله ومناجزته، فكتب إليه افعل ما ترى، فأمر أصحابه ان يتجهزوا للحج ثم اقبل من الطائف وقدم مقدمته فنصبوا المنجنيق على أبي قبيس، فلما هبطوا إلى منى رأى من في عسكر الحجاج المنجنيق منصوبة، فقال الأقيبل بن شهاب الكلبي، وهو ينسب في القين بن جسر فيقال القيني:

لعمر أبي الحجاج لو خفت ما أرى ... من الأمر ما ألفيت تعذلني نفسي
فلم ار جيشاً عز بالحج قبلنا ... ولم ار جيشاً مثلنا غير ما خرسِ

يقول لا يتكلم ولا ينكر:

خرجنا لبيت الله ترمي ستوره ... وأحجاره زفنّ الولائد في العرس
ذلفنا له يوم الثلاثاء من منى ... بجيش كصدر الفيل ليس بذي رأس
فألا ترجنا من ثقيف وملكها ... نصلّ لايام السباسب والنحس

فبلغ الحجاج الشعر، فطلبه ليقتله، فهرب حتى لحق بدمشق..

(البلاذري - الانساب ج ٥ ص ٣٥٧-٨)

وقال عوانة: رميت الكعبة حتى ارتجت ووهت، فارتفعت سحابة ذات برق ورعد، فسقطت صاعقة على المنجنيق فاحرقتها وقتلت من اصحابها اثني عشر رجلا، فذعر أهل الشام من ذلك، وكفوا عن القتال. فقال

الحجاج: أنا ابن تهامة، وهي بلاد كثيرة الصواعق، فلا يروعنكم ما ترون، فإن من قبلكم كانوا إذا قربوا قربانا بعثت نار فأكلته فيكون ذلك علامة تقبل ذلك القربان، فأتى بمنجنيق وعاود الرمي.

(البلاذري، انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٦٣)

لما قتل الحجاج ابن الزبير وصلبه بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين لتأتيه، فابت أن تفعل. فبعث اليها لتقبلن أو لابعثن اليك من يجرك بقرونك، فقالت لرسوله: قل لابن أبي رغال لست افعل أو تبعث إلي من يجرني بقروني. فلبس سبته وجعل يتوذف في مشيته حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيت ما صنعت بطاغيتك؟ قالت من عنيت؟ قال عبدالله، قالت: رأيتك افسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، وان اعجب مما فعلت تعييرك اياي بالنطاقين، فليت شعري باي نطاقي عيرتني، ابالذي كنت أحمل به الطعام إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في الغار ام بنطاقي الذي تنتطق الحرة بمثله في بيتها؟ أما اني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول يكون في ثقيف مبير وكذاب، فأما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فأنت هو فانصرف وهو يقول مبير المنافقين مبير المنافقين، قالت بل عمودهم.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٦٩-٣٧٠)

[عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن] عوانة عن رجل من أهل مكة قال: لما اتى عبدالله بن الزبير مقتل مصعب اضرب عن ذكره أياما، ثم تحدث به الاماء بمكة في الطرق، ثم صعد المنبر، فجلس عليه مليّاً لا يتكلم، واذا الكآبة بادية في وجهه وجبينه يرشح عرقا، قال: فقلت لصاحب لي ألا تراه؟ اتراه يهاب المنطق، والله إنه لخطيب جريء، فما

تظنه تهيب؟ قال أراه يريد ذكر مصعب سيد العرب، فهو يفظع ذكره. ثم قام فقال: الحمدلله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير. الا وانه لم يذل امرءا كان معه الحق وان كان فردا ولم يعز احدا من اولياء الباطل ولو كان الناس معه طرا. انه اتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا وساءنا وسرنا، اتانا قتل مصعب بن الزبير رحمه الله فأما الذي أحزننا فما ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يرعوي بعد ذو الرأي والدين والحجى والنهي إلى جميل الصبر وكريم العزاء، وأما الذي سرنا من ذلك فانا قد علمنا ان قتله شهادة وان الله جاعل ذلك لنا وله خيرة . ان أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه باقل ثمن وأخسه فقتل، وان قتل فمه قد قتل ابوه وعمه، وهما من الخيار الصالحين، إنا والله ما نموت جحبا ما نموت الا قتلا قعصا باطراف الأسنة وظباة السيوف، ليس كما يموت بنو مروان في حجالهم، فوالله ما قتل منهم رجل قط في جاهلية ولا اسلام، ولئن ابتليت بالمصيبة لقد ابتليت قبله بالمصيبة بامامي عثمان بن عفان، ألا وانما الدنيا عارية من الملك الجبار الذي لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه، فإن تقبل علي لا آخذها اخذ الا شر البطر، وان تدبر عني لا ابك عليها بكاء الخرف المهتر، ثم نزل وهو يقول:

خذيني فجريني ضباع وابشـري   بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

(البلاذري - انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٤٧-٨)

[عمر بن بكير عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي عن] عوانة قال: كان خالد بن يزيد بن معاوية قد حج في السنة التي قتل فيها الحجاج

عبدالله بن الزبير، فخطب رملة بنت الزبير، فبلغ ذلك الحجاج فأرسل إليه حاجبه، وقال: قل له ما كنت اراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولا كنت اراك تخطب إليهم وليسوا لك باكفاء، وقد قاتلوا اباك على الخلافة ورموه بكل قبيح. فلما بلغه الرسالة، نظر إليه خالد طويلا ثم قال: لو كانت الرسل تعاقب لقطعتك آرابا، ثم القيتك على باب صاحبك، قل له ما كنت اظن ان الامر بلغ بك إلى أن تؤهل نفسك لأن اشاورك في مناكحة قريش، قلت ليس القوم لك باكفاء فقاتلك الله يا ابن ام الحجاج، تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خديجة بنت خويلد وتزوج العوام صفية بنت عبد المطلب، ولا تراهم اكفاء لآل أبي سفيان وبني أمية! واما قولك قاتلوا اباك على الخلافة ورموه بكل قبيح، فهي قريش تقارع بعضها بعضا، حتى إذا أقر الله الامر مقره عادت إلى احلامها وفضلها.

فرجع إليه رسوله فادى إليه قوله.

(البلاذري - أنساب الاشراف ج ٤ ص ٦٦-٦٧)

سيـــف بـن عــمر

الســــردة :

سيف [عن هشام بن عروة عن أبيه] قال: لما مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفصل أسامة ارتدت العرب عوام أو خواص وتوحّى مسيلمة وطليحة فاستغلظ أمرهما، واجتمع على طليحة عوام طيء واسد، وارتدت غطفان إلى ما كان من اشجع وخواص من الافناء فبايعوه، وقدمت هوازن رجلا واخرت رجلاً، امسكوا الصدقة الا ما كان من ثقيف ولفها فانهم اقتدى بهم عوام جديلة والاعجاز، وارتدت خواص من بني سليم وكذلك سائر الناس بكل مكان. قال: وقدمت رسل النبي – صلى الله عليه وسلم – من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود من كان كاتبه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمر امره في الأسود ومسيلمة وطليحة بالاخبار والكتب فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر وأخبره الخبر، فقال لهم أبو بكر: لا تبرحوا حتى تجيء رسل امرائكم وغيرهم بادهي مما وصفتم وأمر وانتقاض الامور، فلم يلبثوا ان قدمت كتب امراء النبي – صلى الله عليه وسلم – من كل مكان بانتقاض عامة أو خاصة وتبسطهم بانواع المثل على المسلمين، فحاربهم أبو بكر بما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حاربهم بالرسل فرد رسلهم بامره، واتبع الرسل رسلاً وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة، وكان أول من صادم عبس وذبيان عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة.

(الطبري، الحسينية، ج ٣ ص ٢٢١-٢)

ردة طليحـــة :

[عبيد الله بن سعيد – قال: اخبرنا عمي، قال: اخبرني سيف، وحدثني السري – قال: حدثنا شعيب] عن سيف، عن طلحة بن الاعلم، عن حبيب ابن ربيعة الأسدي، عن عمارة بن فلان الأسدي قال:

ارتد طليحة في حياة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فادعى النبوة، فوجه النبي – صلى الله عليه وسلم – ضرار بن الأزور إلى عماله على بني اسد في ذلك، وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد، فاشجوا طليحة واخافوه، ونزل المسلمون بواردات ونزل المشركون بسميراء فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان حتى هم ضرار بالمسير إلى طليحة، فلم يبق الا اخذه سلما الا ضربة كان ضربها بالجراز، فنبا عنه فشاعت في الناس، فاتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم – صلى الله عليه وسلم –. وقال ناس من الناس لتلك الضربة ان السلاح لا يحيك في طليحة فما امسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان وارفض الناس إلى طليحة واستطار امره. واقبل ذو الخمارين عوف الجذمي حتى نزل بازائنا وارسل إليه ثمامة بن اوس بن لام الطائي ان معي خمسمائة، فإن دهمكم امر فنحن بالقردودة والانسردوين الرمل، وارسل إليه مهلهل بن زيد ان معي حد الغوث، فإن دهمكم امر فنحن بالاكناف بحيال فيد. وانما تحدبت طيء على ذي الخمارين عوف انه كان بين اسد وغطفان وطيء حلف في الجاهلية... فلما مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قام عيينة بن حصن في غطفان فقال: ما اعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد، واني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم، ومتابع طليحة، والله لان

نتبع نبياً من الحليفين احب الينا من ان نتبع نبيا من قريش، وقد مات محمد وبقي طليحة، فطابقوه على رأيه ففعل وفعلوا.

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة لطليحة هرب ضرار وقضاعي وسنان، ومن كان قام بشيء من امر النبي - صلى الله عليه وسلم - في بني اسد إلى أبي بكر وارفض من كان معهم فاخبروا أبا بكر الخبر وأمروه بالحذر.، فقال ضرار بن الازور: فما رأيت احدا... املأ بحرب شعواء من أبي بكر فجعلنا نخبره ولكانما نخبره بما له ولا عليه، وقدمت عليه وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطيء، وتلقت وفود قضاعة أسامة بن زيد فحوزها إلى أبي بكر فاجتمعوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين لعاشرة من متوفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة، واجتمع ملأ من انزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون، فلم يبق من وجوه المسلمين أحد الا انزل منهم نازلا الا العباس. ثم اتوا أبا بكر فاخبروه خبرهم وما اجمع عليه ملأهم الا ما كان من أبي بكر فانه أبي الا ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأخذ، وأبوا فردهم واجلهم يوما وليلة فتطايروا إلى عشائرهم.

(الطبري ج ٣ ص ٢٢٩-٢٣١)

خبر مسيلمة الكذاب :

.. فلما قدم خالد على أبي بكر من البطاح... وجهه إلى مسلمة واوعب معه الناس، وعلى الانصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان وعلى المهاجرين أبو حنيفة وزيد، وعلى القبائل على كل قبيلة رجل. وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة، فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير.

.. عن سيف [عن أبي عمرو بن العلاء عن رجال قالوا:] كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل في قراها وحجرها، فسار خالد حتى إذا أظل عليهم اسند خيولا لعقة والهذيل وزياد وقد كانوا اقاموا على خرج اخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سجاح وكتب إلى القبائل من تميم فيهم فنفروهم حتى اخرجوهم من جزيرة العرب. وعجل شرحبيل بن حسنة وفعل عكرمة وبادر خالدا بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه فنكب فحاجز فلما قدم عليه خالد لامه وانما اسند خالد لتلك الخيول مخافة ان يأتوه من خلفه وكانوا بافنية اليمامة...

... سيف، [عن طلحة بن الاعلم عن عبيد بن عمير عن أثال الحنفي وكان مع ثمامة بن أثال، قال:] وكان مسيلمة يصانع كل واحد ويتألفه ولا يبالي ان يطلع الناس منه على قبيح. وكان معه نهار الرجّال بن عنفوة وكان قد هاجر إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقرأ القرآن وفقه في الدين فبعثه معلما لاهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من امر المسلمين فكان اعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، شهد له انه سمع محمداً - صلى الله عليه وسلم - يقول انه قد اشرك معه فصدقوه واستجابوا له وامروه بمكاتبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ووعده إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه، فكان نهار الرجّال بن عنفوة لا يقول شيئا الا تابعه عليه وكان ينتهي إلى أمره، وكان يؤذن للنبي - صلى الله عليه وسلم - ويشهد في الاذان ان محمداً رسول الله، وكان الذي يؤذن له عبدالله بن النواحة، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير ويشهد له، وكان مسيلمة إذا دنا حجير من الشهادة قال: صرح حجير فيزيد في صوته، ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهار وتضليل من كان قد اسلم، فعظم وقاره في انفسهم.

قال: وضرب حرما باليمامة فنهى عنه واخذ الناس به، فكان محرما فوقع في ذلك الحرم قرى الاحاليف افخاذ من بني أسيد كانت دارهم باليمامة، فصار مكان دارهم في الحرم، والاحاليف سيحان ونمارة ونمر والحارث بنو جروة، فإن اخصبوا اغاروا على ثمار أهل اليمامة واتخذوا الحرم وغلا فإن نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم، وان لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون، فكثر ذلك منهم حتى استعدوا عليهم فقال: انتظر الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم، ثم قال لهم: والليل الاطهم والذئب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت أسيد من محرم. فقالوا: اما محرم استحلال الحرم وفساد الأموال، ثم عادوا للغارة وعادوا للعدوى. فقال انتظر الذي يأتيني. فقال: والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس. فقالوا: اما النخيل مرطبة فقد جدوها واما الجدران يابسة فقد هدموها. فقال: اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم. وكان فيما يقرأ لهم فيهم: ان بني تميم قوم طهر لقاح لا مكروه عليهم ولا اتاوة، نجاورهم ما حيينا باحسان، نمنعهم من كل انسان، فاذا متنا فامرهم إلى الرحمن. وكان يقول: والشآء والوانها، واعجبها السود والبانها، والشاة السوداء واللبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تمجّعون. وكان يقول: ضفدع ابنة ضفدع نقي ما تنقين اعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين. وكان يقول: والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، اهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوءوه».

(الطبري ج ١ ص ١٩٣٠-١٩٣٤)

المعركة الحاسمة مع مسيلمة :

عن سيف، [عن طلحة بن الاعلم عن عبيد بن عمير] ان المهاجرين والانصار جبّنوا أهل البوادي وجبنهم أهل البوادي، فقال بعضهم لبعض امتازوا كي نستحيا من الفرار اليوم ونعرف اليوم من أين نؤتى ففعلوا، وقال أهل القرى: نحن اعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية ان أهل القرى لا يحسنون القتال ولا يدرون ما الحرب فسترون إذا امتزتما من أين يجيء الخلل، فامتازوا فما رئي يوم كان أحد ولا اعظم نكاية مما رئي يومئذ ولم يدر أي الفريقين كان اشد فيهم نكاية، الا ان المصيبة كانت في المهاجرين والانصاراكثر منها في أهل البادية...

عن سيف، [عن الضحاك بن يربوع عن أبيه عن رجل من بني سحيم شهدها مع خالد قال:] لما اشتد القتال، وكانت يومئذ سجالاً، انما تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين. فقال خالد: ايها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى، فامتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل من أهل البادية واهل الحاضرة فوقف بنو كل اب على رايتهم فقاتلوا جميعا، فقال أهل البوادي يومئذ: الآن يستمر القتل في الاجذع الاضعف فاستمر القتل في أهل القرى وثبت مسيلمة ودارت رحاهم عليه، فعرف خالد انها لا تركد الا بقتل مسيلمة ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قتل منهم. ثم برز خالد حتى إذا كان امام الصف دعا إلى البراز وانتمي وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد،ونادى بشعارهم يومئذ وكان شعارهم يومئذ يا محمداه فجعل لا يبرز له أحد الا قتله وهو يرتجز:

انا ابن اشياخ وسيفي السخت   اعظم شيء حين يأتيك النّفت

ولا يبرز له شيء الا أكله ودارت رحى المسلمين وطحنت ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ان مع مسيلمة شيطانا لا يعصيه، فاذا اعتراه ازبد كان شدقية زبيبتان لا يهم بخير ابدا الا صرفه عنه فاذا رأيتم منه عورة فلا تقيلوا العثرة، فلما دنا خالد طلب تلك وراءه ثابتاً ورحاهم تدور عليه وعرف انها لا تزول الا بزواله، فدعا مسيلمة طلباً لعورته فاجابه فعرض عليه اشياء مما يشتهي مسيلمة، وقال ان قبلنا النصف فاي الانصاف تعطينا فكان إذا هم بجوابه اعرض بوجهه مستشيراً فينهاه شيطانه ان يقبل، فاعرض بوجهه مرة من ذلك وركبه خالد فارهقه فأدبر، وزالوا فذمر خالد الناس وقال: دونكم لا تقيلوهم، وركبوهم فكانت هزيمتهم. فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه، وقال قائلون: فأين ما كنت تعدنا؟ فقال: قاتلوا عن احسابكم، قال ونادى المحكم: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة. ويأتي وحشي على مسيلمة وهو مزبد متساند من الغيظ فخرط عليه حربته فقتله واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها فقتل في المعركة وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل.

(الطبري ١ ص ١٩٤٦-١٩٤٨)

القادسيـــة :

يوم أرمات :

عن سيف، [عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا:] وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس، والذين انتهت إليهم بخدمتهم واصناف الفضل منهم إلى الناس فكان منهم من ذوي الرأي... المغيرة وحذيفة... ومن أهل الخبرة طلحة وقيس الأسدي وغالب وعمرو بن معدي كرب

وامثـالهم، ومن الشعـراء الشـمـاخ والحطيئـة... ومن سـائر الاصناف امثالهم، وقال قبل ان يرسلهم: انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مـواطن البـأس فـانكم من العـرب بالمكان الذي انتم به وانتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس، فذكروهم وحرضوهم على القتال، فساروا فيهم فقال قيس بن هبيرة الاسدي: أيها الناس احمدوا الله على ما هداكم له وابلاكم يزدكم، واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه في عاداته فإن الجنة أو الغنيمة امامكم وانه ليس وراء هذا القصر الا العراء والارض القفر والظراب الخشن والفلوات التي لا يقطعها الادلة، وقال غالب: ايها الناس احمدوا الله على ما ابلاكم وسلوه يزدكم وادعوه يجبكم يا معشر معد ما علتكم اليوم وانتم في حصونكم، يعني الخيل، ومعكم من لا يعصيكم، يعني السيوف، اذكروا حديث الناس في غد فانه بكم غداً يبدأ عنده وبمن بعدكم يثنّى... وقال عاصم بن عمرو: يا معشر العرب إنكم اعيان العرب وقد صمدتم لاعيان العجم وانما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكونن على دنياهم، احوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم امرا تكونون به شيئاً على العـرب غـداً... وقـام كلهم بنحـو من هذا الكلام وتواثق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم.

(الطبري ج ١ ص ٢٢٩١-٤)

عن سيف [الاسناد نفسه] قالوا: قال سعد: الزموا مواقفكم لا تحركوا شيئا حتى تصلوا الظهر، فاذا صليتم الظهر فإني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا... ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستتم عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فاذا كبرت

الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله...

عن سيف [الاسناد نفسه قالوا:] لما فرغ القراء كبر سعد، فكبر الذين يلونه تكبيرة، وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتحشحش الناس ثم ثنى فاستتم الناس، ثم ثلث فبرز أهل النجدات فانشبوا القتال وخرج من أهل فارس أمثالهم، فاعتوروا الطعن والضرب، وخرج غالب بن عبدالله الأسدي وهو يقول:

قد علمت واردة المسائح ذات اللّبان والبنان الواضح
إني سمام البطل المشايخ وفارج الامر المهمّ الفادح

فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجاً فاسره غالب أسراً فجاء به سعداً، فادخل وانصرف غالب إلى المطاردة، وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول:

قد علمت بيضاء صفراء اللبب مثل اللُّجين اذ تغشّاه الذهب
اني امرؤ لا من يُعينه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

فطرد رجلاً من أهل فارس فهرب منه واتبعه حتى إذا خالط صفهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرجل حتى أفضى به إلى الصف، فاذا هو خباز الملك، واذا الذي معه لطف الملك الاخبصة والعسل المعقود.

(الطبري ج ١ ص ٢٢٩٤-٦)

نصر بن مزاحم

طلب التحكيم :

نصر، [حدثنا عمرو بن شمر قال: حدثني أبو ضرار قال: حدثني عمار ابن ربيعة] قال: غلس عليّ بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل عاشر شهر صفر. ثم زحف إلى أهل الشام، بعسكر العراق والناس على راياتهم وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب اكلت الفريقين ولكنها في أهل الشام اشد نكاية واعظم وقعا فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت اركانهم. قال: فخرج رجل من أهل العراق، على فرس كميت ذنوب، عليه السلاح لايرى منه الا عيناه وبيده الرمح، فجعل يضرب رؤوس أصحاب علي بالقناة ويقول: سووا صفوفكم رحمكم الله، حتى إذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولى أهل الشام ظهره، ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال: الحمدلله الذي جعل فينا ابن عم نبيه، اقدمهم هجرة وأولهم اسلاماً سيف من سيوف الله صبه على أعدائه، فانظروا إذا حمي الوطيس وثار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالابطال فلا اسمع الا غمغمة أو همهمة فاتبعوني وكونوا في اثري قال: ثم حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه فاذا هو الأشتر. قال: وخرج من أهل الشام ينادي بين الصفين، يا أبا الحسن، يا علي، ابرز إلي. قال: فخرج إليه علي حتى إذا اختلف اعناق دابتيهما بين الصفين قال: يا علي ان لك قدماً في الإسلام وهجرة فهل لك في امر اعرضه عليك، يكون فيه حقن هذه الدماء، وتأخير هذه الحروب حتى ترى

من رأيك؟ فقال له علي: وما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك، فنخلي بينك وبين العراق ونرجع إلى شامنا فتخلي بيننا وبين شامنا. فقال له علي: لقد عرفت، إنما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد اهمني هذا الامر واسهرني وضربت انفه وعينيه، فلم اجد الا القتال أو الكفر بما انزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - ان الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه ان يعصى في الارض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال اهون علي من معالجة الاغلال في جهنم، فرجع الشامي وهو يسترجع.

قال: وزحف الناس بعضهم إلى بعض، فارتموا بالنبل حتى فنيت، ثم تطاحنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت، ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف وعمد الحديد، فلم يسمع السامع الا وقع الحديد بعضه على بعض لهو اشد هولا في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضا. قال: وانكشفت الشمس بالنقع وثار القتام وضلت الألوية والرايات. قال: وأخذ الاشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالاقدام على التي تليها. قال: فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل، لم يصلو لله صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الاشتر بالناس حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا عن سبعين الف قتيل في ذلك اليوم، وتلك الليلة هي «ليلة الهرير»...

قال: وان علياً قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد بلغ الأمر بكم وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس، وان الامور إذا اقبلت اعتبر آخرها باولها، وقد صبر لكم القوم على غير دين

حتى بلغنا منهم ما بلغنا، وانا غاد عليهم احاكمهم إلى الله [عز وجل].

فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفضل فما ترى؟ قال: ان رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله، هو يقاتلك على امر واحد وانت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، واهل العراق يخافون ان ظفرت بهم. ولكن الق إليهم امراً إن قبلوه اختلفوا، وان ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك في القوم، فاني لم ازل اؤخر هذا الامر لوقت حاجتك إليه. فعرف ذلك معاوية فقال: صدقت.

نصر [عن عمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصاري] قال: والله لكأني اسمع علياً يوم الهرير حين سار أهل الشام، وذلك بعدما طحنت رحى مذجح فيما بينها وبين عك ولخم وجذام والاشعريين بامر عظيم تشيب منه النواصي، من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة. ثم إن علياً قال: حتى متى نخلي بين هذين الحيين؛ قد فنيا وانتم وقوف تنظرون إليهم، اما تخافون مقت الله. ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا الله، يا إله محمد، اللهم إليك نقلت الاقدام وافضت ورفعت الأيدي وامتدت الاعناق وشخصت الابصار وطلبت الحوائج اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا – صلى الله عليه وسلم – وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا، «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»، سيروا على بركة الله. ثم نادى: لا اله الا الله والله اكبر، كلمة التقوى. ثم قال [الراوي]: لا والله الذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق نبيًا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما

أصاب، انه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيا فيقول: معذرة إلى الله [عز وجل] وإليكم من هذا، لقد هممت ان اصقله ولكن حجزني عنه اني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول كثيراً : «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي»، وانا اقاتل به دونه. قال: فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من ايدينا فيتقحم به في عرض الصف. فلا والله ما ليث باشد نكاية في عدوه منه. رحمة الله عليه رحمة واسعة.

نصر [عن عمرو بن شمر عن جابر] قال: سمعت تميم بن جذيم يقول: لما اصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فاذا اشباه الرايات امام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما اسفرنا فاذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة ارماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الاعظم يمسكه عشرة رهط. وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليًا بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبةٍ مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف. ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والاتراك واهل فارس غداً إذا فنيتم. الله الله في دينكم. هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال علي: اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك أنت الحكيم الحق المبين. فاختلف أصحاب علي في الرأي، فطائفة قالت القتال، وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب. فعند ذلك بطلت الحروب، ووضعت أوزارها. فقال محمد ابن علي: فعند ذلك حكّم الحكمان.

قال نصر: [وفي حديث عمرو بن شمر باسناده قال:] فلما كان اليوم الاعظم قال اصحاب معاوية: والله ما نحن لنبرح اليوم العرصة حتى يفتح الله لنا أو نموت. فبادروا القتال غدوة في يوم من ايام الشعري طويل شديد الحر، فتراموا حتى فنيت النبل، ثم تطاعنوا حتى تقصفت رماحهم ثم نزل القوم عن خيولهم فمشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها، وقامت الفرسان في الركب، ثم اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد فلم يسمع السامع الا تغمغم القوم وصليل الحديد في الهام وتكادم الافواه، وكسفت الشمس وثار القتام، وضلت الالوية والرايات ومرت مواقيت اربع صلوات لم يسجد لله فيهم الا تكبيراً.

ونادت المشيخة في تلك الغمرات: يا معشر العرب، الله الله في الحرمات من النساء والبنات. قال جابر: فبكى جعفر وهو يحدثنا بهذا الحديث، قال: واقبل الاشتر على فرس كميت محذوف قد وضع مغفره على قربوس السرج وهو يقول: اصبروا يا معشر المؤمنين فقد حمي الوطيس. ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضاً، فهم كما قال الشاعر:

مضت واستأخر القرعاء عنها وخُلّي بينهم الا الوريع

قال: يقول واحد [لصاحبه] في تلك الحال: اي رجل هذا لو كانت له نية. فيقول له صاحبه: واي نية اعظم من هذه ثكلتك امك وهبلتك، ان رجلاً فيما قد ترى قد سبح في الدماء، وما اضجرته الحرب، وقد غلت هام الكماة من الحر، وبلغت القلوب الحناجر، وهو كما تراه جذعاً يقول هذه المقالة! اللهم لا تبقنا بعد هذا.

نصر [عن عمر بن شمر، عن جابر، عن الشعبي، عن صعصعة] قال:

قام الاشعث بن قيس الكندي ليلة الهرير في أصحابه من كندة فقال: الحمدالله أحمده وأستعينه واؤمن به وأتوكل عليه واستنصره، واستغفره واستخيره واستهديه [واستشيره واستشهد به)، فإنه من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له... ثم قال: لقد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد الغائب إنا ان نحن تواقفنا غداً انه لفناء العرب وضيعة الحرمات. اما والله ما اقول هذه المقالة جزعاً من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنينا. اللهم انك تعلم اني قد نظرت لقومي ولاهل ديني فلم آل، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وإليه انيب، والرأي يخطىء ويصيب، وإذا قضى الله أمراً امضاه على ما احب العباد أو كرهوا، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال صعصعة: فانطلق عيون معاوية إليه بخطبة الاشعث، وقال: اصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلنّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وانما يبصر هذا ذوو الاحلام والنهى، اربطوا المصاحف على اطراف القنا. قال صعصعة: فثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق، من لذرارينا ان قتلتمونا، ومن لذراريكم ان قتلناكم؟ الله الله في البقية. فاصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الاعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. وأقبل أبو الأعور السلمي على برذون أبيض، وقد وضع

المصحف على رأسه ينادي: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم. واقبل عدي بن حاتم فقال: يا أمير المؤمنين، ان كان أهل الباطل لا يقومون باهل الحق فانه لم يصب عصبة منا الا وقد اصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكنا أمثلُ بقية منهم، وقد جزع القوم وليس بعد الا ما تحب فناجز القوم. فقام الاشتر النخعي فقال: يا أمير المؤمنين، ان معاوية لا خلف له من رجاله ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثلُ رجالك لم يكن له مثلُ صبرك، ولا تصبرك، فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما اجبناك ولا نصرناك عصبية على الباطل ولا اجبنا الا الله عز وجل، ولا طلبنا الا الحق، ولو دعانا غيرك إلى دعوت إليه لاستشري فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأي.

وقام الاشعث بن قيس مغضبا فقال: يا أمير المؤمنين أنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس أمرنا كأوله وما من القوم احدٌ احنى على أهل العراق ولا أوتر لاهل الشام مني . فأجب القوم إلى كتاب الله فانك احق به منهم، وقد احب الناس البقاء وكرهوا القتال. فقال علي [عليه السلام]: ان هذا امر ينظر فيه.

وذكروا ان أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية، ما نرى أهل العراق اجابوا إلى ما دعوناهم إليه فاعدها جذعة، فانك قد غمرت بدعائك القوم واطمعتهم فيك. فدعا معاوية عبدالله بن عمرو بن العاص وامره ان يكلم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق، أنا عبدالله بن عمرو بن العاص، انما قد كانت بيننا وبينكم امور للدين والدنيا ، فإن تكن للدين فقد والله اعذرنا واعذرتم، وان تكن للدنيا فقد

والله اسرفنا واسرفتم، وقد دعوناكم إلى امر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فإن يجمعنا واياكم الرضا فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجة لعله ان يعيش فيها المحترف، وينسى فيها القتيل، فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام انه قد كان بيننا وبينكم امور حامينا فيها على الدين والدنيا سميتموها غدراً وسرفاً، وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، ولم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر اجمل من ان يحكم بما انزل الله، فالأمر في ايدينا دونكم والا فنحن نحن وانتم انتم.

وقام الناس إلى علي وقالوا: اجب القوم إلى ما دعوك إليه، فانا قد فنينا. ونادى انسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس وهو:

رؤوس العراق اجيبوا الدعاء ... فقد بُلغت غاية الشدّة
وقد اودت الحرب بالعالمين ... واهل الحفائظ والنجدة
فلسنا ولستم من المشركين ... ولا المجمعين على الردّة
فان تقبلوها ففيها البقاء ... وامن الفريقين والبلدة
وان تدفعوها ففيها الفناء ... وكل بلاء إلى مدة
ثلاثة رهط هم اهلها ... وان يسكتوا تخمد الوقدة
سعيد بن قيس وكبش العراق ... وذاك المسود من كندة

نصر: هؤلاء النفر المسمون في الصلح. قال: فأما المسود من كندة فهو الأشعث، فانه لم يرض بالسكوت، بل كان من اعظم الناس قولاً في اطفاء الحرب والركون إلى الموادعة، واما كبش العراق وهو الأشتر فلم يكن يرى الا الحرب، ولكنه سكت على مضض، واما سعيد بن قيس فتارة هكذا وتارة هكذا.

قال: ذكروا ان الناس ماجوا، وقالوا: اكلتنا الحرب، وقتلت الرجال، وقال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلناهم عليه امس، ولم يقل هذا الا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة. وثارت الجماعة بالموادعة، فقام علي امير المؤمنين فقال: انه لم يزل امري معكم على ما أحب إلى ان اخذت منكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت واخذت من عدوكم فلم تترك وانها فيهم انكى وأنهك، الا اني كنت امس امير المؤمنين فاصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهيا فاصبحت منهياً، وقد احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون، ثم قعد. ثم تكلم رؤساء القبائل فأما من ربيعة، وهي الجبهة العظمى، فقام كردوس بن هانيء البكري فقال: ايها الناس إنا والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من علي منذ توليناه، وان قتلانا لشهداء وان احياءنا لابرار، وان عليًا لعلى بينة من ربه ما احدث الا الانصاف، كل محق منصف، فمن صلّم له نجا ومن خالفه هلك.

ثم قام شفيق بن ثور البكري فقال: ايها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردوه علينا، فقاتلناهم عليه، وانهم دعونا إلى كتاب الله فإن رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم، ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله، وان عليًا ليس بالراجع الناكص ولا الشاك الواقف، وهو اليوم على ما كان عليه امس، وقد اكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا في الموادعة.

ثم قام حريث بن جابر البكري فقال: أيها الناس، إن عليًا لو كان خلْفًا من هذا الامر لكان المفزع إليه فكيف وهو قائده وسائقه، وانه والله ما قبل من القوم اليوم الا ما دعاهم إليه أمس، ولو رده عليهم كنتم له أعنت، ولا يلحد في هذا الأمر الا راجع على عقبيه أو مستدرج بغرور، فما بيننا وبين من طغى علينا الا السيف.

ثم قام خالد بن المعمر فقال: يا أمير المؤمنين، إنا والله ما اخترنا هذا المقام أن يكون أحد هو أولى به منا، غير أنا جعلناه ذخراً وقلنا: احب الامور إلينا ما كفينا مؤونته، فأما إذا سبقنا المقام فانا لا نرى البقاء الا فيما دعاك إليه القوم ان رأيت ذلك، فإن لم تره فرأيك افضل.

ثم ان الحضين الربعي، وهو أصغر القوم سنا، قام فقال: ايها الناس، انما بني هذا الدين على التسليم فلا توفروه بالقياس ولا تهدموه بالشفقة، فانا والله لولا أنا لا نقبل الا ما نعرف لاصبح الحق في ايدينا قليلاً، وتركنا ما نهوى لكان الباطل في ايدينا كثيراً، وان لنا داعياً قد حمدنا ورده وصدره، وهو المصدق على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال لا قلنا لا، وان قال نعم قلنا نعم.

فبلغ ذلك معاوية فبعث إلى مصقلة بن هبيرة فقال: يا مصقلة ما لقيت من أحد ما لقيت من ربيعة. قال: ما هم منك بأبعد من غيرهم، وانا باعث إليهم فيما صنعوا. فبعث مصقلة إلى الربعيين فقال:

من يهلك القوم ان تبدي نصيحتهم ... الا شقيق اخو ذهل وكردوس
وابن المعمر لا تنفك خطبته ... فيها البيان وامر القوم ملبوس
كل القبائل قد أدى نصيحته ... الا ربيعة رغم القوم محبوس

وقال النجاشي:

ان الاراقم لا يغشاهم بوس ... ما دافع الله عن حوباء كردوس
نمته من تغلب الغلبا فوارسها ... تلك الرؤوس وابناء المرائيس
ما بال كل امير يستراب به ... دين صحيح وراس غير ملبوس
وإلى عليا بغدر بذ منه اذا ... ما صرح الغدر عن رد الضغابيس

... (إلى آخر الأبيات)..

وقال فيما قال خالد بن المعمر:

وفت لعلي من ربيعة عصبة — بصم العوالي والصفيح المذكّرِ
شقيق وكردوس ابن سيد تغلب — وقد قام فيها خالد بن المعمّر
وقارع بالشورى حريثُ بن جابر — وفاز بها لولا حضين بن منذر

.. (إلى آخر الابيات)

وقال الصَّلتان:

شقيق بن ثور قام فينا بخطبة — يحدِّثها الركباني أهل المشاعر
بما لم يقف فينا خطيب بمثلها — جزى الله خيراً من خطيب وناصر
وقد قام فينا خالد بن معمّر — وكردوس الحامي ذمار العشاير
بمثل الذي جادا به حذو فعله — وقد بيّن الشورى حريث بن جابر

... (إلى آخر الأبيات)

وقال حريث بن جابر:

أتى نبأ من الانباء يمني — وقد يُشفى من الخبر الخبير

قال: فلما ظهر قول حضين رمته بكر بن وائل بالعدوة، ثم ان عليًا اصلح بينهم. وقال رفاعة بن شداد البجلي: ايها الناس، إنه لا يفوتنا شيء من حقنا، وقد دعونا في آخر امرنا إلى ما دعونا إليه في أوله، وقد قبلوه من حيث لا يعقلون، فإن يتم الامر على ما نريد فبعد بلاء وقتل والا أثرناها جذعة، وقد رجع إليها جدنا. وقال في ذلك:

تطاول ليلي للهموم الحواضر — وقتلي اصيبت من رؤوس المعاشر
بِصفّين امست والحوادث جَمّةٌ — يهيل عليها التُّربَ ذيلُ الاعاصر
فانّهم في ملتقى الخيلِ بُكرةً — وقد جالت الابطال دون المساعر
فان يكُ اهلُ الشام نالوا سراتنا — فقد نيلَ منهم مثلُ جزرة جازر
اثرنا التي كانت بصفين بكرة — ولم نك في تسعيرها بعواثر
فإن حكما بالحق كانت سلامة — ورأي وقانا منه من شؤم ثائر

وفي حديث عمر بن سعد قال: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن قال علي [رضي الله عنه]: عباد الله إني احق من اجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح ليسوا باصحاب دين ولا قرآن، اني اعرف بهم منكم صحبتهم اطفالا وصحبتهم رجالاً فكانوا شر اطفال وشر رجال، انها كلمة حق يراد بها باطل، انهم والله ما رفعوها انهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعة ولم يبق الا ان يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه زهاء عشرين الفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين، وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوا باسمه لا بامرة المؤمنين: يا علي، اجب القوم إلى كتاب الله اذ دعيت إليه، والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها ان لم تجبهم. فقال لهم: ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني ان ادعى إلى كتاب الله فلا اقبله، اني انما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما امرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم، وانهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الاشتر ليأتيك. وقد كان الاشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على معسكر معاوية ليدخله.

نصر [فحدثني فضيل بن خديج، عن رجل من النخع قال: رأيت إبراهيم بن الاشتر دخل على مصعب الزبير فسأله عن الحال كيف كانت،

فقال: كنت عند علي حين بعث إلى الاشتر أن يأتيه، وقد كان [الاشتر] اشرف على معسكر معاوية ليدخله، فارسل [إليه] علي يزيد بن هانيء فاتاه فبلغه، فقال الاشتر: ائته فقل له ليس هذه الساعة [التي] ينبغي لك ان تزيلني فيها عن موقفي، اني قد رجوت الله ان يفتح لي فلا تعجلني. فرجع يزيد بن هانيء إلى علي فاخبره، فما هو الا ان انتهي الينا حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر، وظهرت دلائل الفتح والنصر لاهل العراق ودلائل الخذلان والادبار على أهل الشام، فقال له القوم: والله ما نراك الا أمرته بقتال القوم.

قال: أرأيتموني ساررت رسولي؟ أليس انما كلمته على رؤوسكم علانية وانتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك والا فوالله اعتزلناك. قال: ويحك يا يزيد، قل له اقبل إلي فإن الفتنة. فاتاه فاخبره، فقال له الاشتر: ألرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: اما والله لقد ظننت بها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة، انها من مشورة ابن النابغة - يعني عمرو بن العاص - قال: ثم قال ليزيد: [ويحك] الا ترى إلى الفتح، الا ترى إلى ما يلقون، ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا، أينبغي ان ندع هذا وننصرف عنه؟ فقال له يزيد: اتحب انك ظفرت ههنا وان امير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه؟ قال: سبحان الله، لا، والله ما احب ذلك، قال: فإنهم قالوا لترسلن إلى الاشتر، فليأتينك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك. قال: فاقبل الاشتر حتى انتهى إليهم فصاح، وقال: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا انكم لهم قاهرون، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد والله تركوا ما امر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم، امهلوني فواتاً فإني قد

أحسست بالفتح. قالوا: لا، قال: فامهلوني عدوة الفرس، فاني قد طمعت بالنصر. قالوا: اذن ندخل معك في خطيئتك.

قال: فحدثوني عنكم - وقد قتل أماثلكم وبقي اراذلكم - متى كنتم محقين، أحين كنتم تقتلون [تقاتلون] أهل الشام، فانتم الآن حين امسكتم عن القتال مبطلون، ام [انتم] الآن [في امساككم عن القتال] محقون؟ فقتلاكم اذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار. قالوا: دعنا منك يا اشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال: خدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فاجبتم.

يا اصحاب الجباه السود، كنا نظن ان صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله، فلا ارى فراركم الا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحاً يا اصحاب النيب الجلاّلة، ما انتم برائين بعدها عزًّا ابداً... فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم علي فكفوا.وقال الاشتر: يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يُصرع القوم فتصايحوا: ان عليًا امير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن، ولا يسعه الا ذلك. قال الاشتر: ان كان امير المؤمنين قد قبل ورضي بحكم القرآن فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين. فاقبل الناس يقولون: قد رضي امير المؤمنين، قد قبل امير المؤمنين، وهو ساكت لا يبصّ بكلمة، مطرق إلى الارض.

قال: ولما صدر علي من صفين انشأ يقول:

وكم قد تركنا في دمشق وارضها ... من اشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانية صاد الرمّاحُ حليلَها ... فاضحت تُعَدّ اليوم احدى الارامل
تبكّي على بعل لها راح غادياً ... فليس إلى يوم الحساب بقافل
وإناَ اناسٌ ما تصيب رماحنا ... اذا ما طعنّا القوم غير المقاتل

قال: وقال الناس: قد قبلنا ان تجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً. وبعث معاوية أبا الأعور السلمي على برذون أبيض فسار بين الصفين صف أهل العراق وصف أهل الشام والمصحف على رأسه وهو يقول: كتاب الله بيننا وبينكم. فأرسل معاوية إلى علي: «ان هذا الامر قد طال بيننا وبينك وكل واحد منا يرى انه على الحق فيما يطلب من صاحبه ولن يعطى واحد منا الطاعة للآخر، وقد قتل فيما بيننا بشر كثير وانا اتخوف ان يكون ما بقي اشد مما مضى وانا سوف نسأل عن ذلك الموطن، ولا يحاسب به غيري وغيرك، فهل لك في امر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأمة وحقن للدماء وألفة للدين وذهاب للضغائن والفتن، ان يحكم بيننا وبينك حكمان رضيان احدهما من اصحابي والآخر من اصحابك فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فانه خير لي ولك واقطع لهذه الفتن. فاتق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن ان كنت من اهله والسلام.»

فكتب إليه علي بن أبي طالب: «من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. اما بعد فإن افضل ما شغل به المرء نفسه اتباع ما يحسن به فعله، ويستوجب ويسلم من عيبه، وان البغي والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه ويبديان من خلله عند من يغنيه ما استرعاه الله ما لا يغني عنه تدبيره. فاحذر الدنيا فانه لا فرح في شيء وصلت إليه منها، ولقد علمت انك غير مدرك ما قضي فواته، وقد رام قوم امراً بغير الحق فتأولوا على الله فاكذبهم ومتعهم قليلا، ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ. فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم فيه من امكن الشيطان من قياده ولم يحادّه فغرته الدنيا واطمأن إليها. ثم انك قد دعوتني إلى حكم القرآن، ولقد علمت انك لست من أهل القرآن، ولست حكمه تريد،

والله المستعان، ولقد أجبنا القرآن إلى حكمه، ولسنا اياك اجبنا، ومن لم يرض بحكم القرآن، فقد ضل ضلالا بعيداً.»

(صفين ص ٥٤٦-٥٦٦)

المدائنـــي

فتوح السند :

علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف [المدائني] قال: لما ولى عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة ١٥هـ، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان، فاقطع جيشاً إلى تانه، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك. فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دودا على عود، واني احلف بالله ان لو اصيبوا لأخذت من قومك مثلهم. ووجه الحكم أيضاً إلى بروص، ووجه أخاه المغيرة بن أبي العاصي إلى خور الديبل فلقي العدو فظفر. فلما ولى عثمان بن عفان [رضي الله عنه] وولى عبدالله بن عامر بن كريز العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكم بن جبلة العبدي فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد، فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها، قال: فصفها لي، قال: ماؤها وشل وثمرها دقل، ولصها بطل، ان قل الجيش فيها ضاعوا، وان كثروا جاعوا، فقال له عثمان: اخابرة ام ساجع؟ قال: بل خابر، فلم يغزها احداً.

فلما كان آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ في خلافة علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] توجه إلى الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعاً باذن علي، فظفر وأصاب مغنما وسبيا، وقسم في يوم وأحد الف رأس، ثم إنه قتل ومن معه بأرض القيقان الا قليلا، كان مقتله في سنة ٤٢. والقيقان

من بلاد السند مما يلي خراسان. ثم غزا ذلك الثغر المهلب بن أبي صفرة في أيام معاوية سنة ٤٤ هـ، فاتى بنّة والأهوار، وهما بين الملتان وكابل، فلقيه العدو فقاتله ومن معه، ولقي المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك على خيل محذوفه، فقاتلوه فقتلوا جميعاً، فقال المهلب: ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا؟ فحذف الخيل فكان أول من حذفها من المسلمين. وفي بنّة يقول الازدي:

ألم تر أن الازد ليلة بيتوا   ببنّة كانوا غير جيش المهلب

ثم ولى عبدالله بن عامر في زمن معاوية بن أبي سفيان عبدالله بن سوار العبدي، ويقال ولاه معاوية من قبله ثغر الهند، فغزا القيقان فاصاب مغنما، ثم وفد إلى معاوية واهدى إليه خيلا قيقانية، واقام عنده ثم رجع إلى القيقان فاستجاشوا الترك فقتلوه، وفيه يقول الشاعر:

وابن سوّارٍ على عِدّاته   موقد النار وقتّال السغب

وكان سخيا لم يوقد أحد نارا غيره في عسكر، فرأى ذات ليلة نارا فقال ما هذه؟ فقالوا: امرأة نفساء يعمل لها خبيص، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثا. وولى يزيد بن أبي سفيان في ايام معاوية سنان بن مسلمة بن المحبّق الهذلي، وكان فاضلا متألها، وهو أول من أحلف الجند بالطلاق، فاتى الثغر ففتح مكران عنوة ومقرها وأقام بها وضبط البلاد، وفيه يقول الشاعر:

رأيت هذيلاً احدثت في يمينها   طلاق نساء ما يسوق لها مهرا
لهان عليّ حِلفةُ ابن محبق   إذا رفعت أعناقها حُلُقاً صُقْراً

(البلاذري - فتوح البلدان ص ٤٣١-٤٣٣)

فتوح خراسان :

ذكر علي بن محمد [المدائني] [أن مسلمة بن محارب أخبره عن السكن ابن قتادة العريني قال:] فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة واستعمل على اصطخر شريك بن الأعور الحارثي فبنى شريك مسجد اصطخر فدخل على ابن عامر رجل من تميم، قال كنا نقول انه الاحنف ويقال أوس بن جابر الجشمي جشم تميم فقال له: ان عدوك منك هارب، وهو لك هائب والبلاد واسعة فسر، فإن الله ناصرك ومعز دينه. فتجهز ابن عامر وامر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً وسار إلى كرمان، ثم اخذ إلى خراسان، فقوم يقولون: أخذ طريق اصبهان ثم سار إلى خراسان.

قال علي: [حدثنا المفضل الكرماني عن أبيه قال:] كان أشياخ كرمان يذكرون ان ابن عامر نزل العسكر بالسيرَجان، ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي، واخذ ابن عامر على مفازة رابر [لعله: روار]، وهي ثمانون فرسخا، ثم سار إلى الطبسين يريد ابرشهر وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته الا حنف بن قيس فأخذ إلى قهستان، وخرج إلى ابرشهر، فلقيه الهياطلة، وهم أهل هراة، فقاتلهم الاحنف فهزمهم، ثم اتى ابن عامر نيسابور.

قال علي: [وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي قال:] أخذ ابن عامر على مفازة خبيص، ثم على خواست، ويقال على يزد ثم على قهستان، فقدم الاحنف فلقيه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم ثم اتى ابرشهر فنزلها ابن عامر، وكان سعيد بن العاص في جند أهل الكوفة، فأتى جرجان وهو يريد خراسان، فلما بلغه نزول ابن عامر ابرشهر رجع إلى الكوفة.

قال علي: [حدثنا علي بن مجاهد قال:] نزل ابن عامر على ابرشهر فغلب على نصفها عنوة وكان النصف الآخر في يد كناري ونصف نسا وطوس فلم يقدر ابن عامر ان يجوز إلى مرو فصالح كناري فأعطاه ابنه أبا الصلت بن كناري، وابن اخيه سليماً رهناً، ووجه عبدالله بن حازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو، فأخذ ابن عامر ابني كناري، فصارا إلى النعمان بن الافقم النصري فاعقتهما.

قال علي: [واخبرنا أبو حفص الأذري عن ادريس بن حنظلة العمّي، قال:] فتح ابن عامر مدينة ابرشهر عنوة وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحمران، وذلك سنة ٣١هـ.

قال علي: [حدثنا أبو السري المروزي عن أبيه قال:] سمعت موسى بن عبدالله بن عامر من ابرشهر، وصالح ابن عامر أهل ابرشهر صلحا فاعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطميهج أو طمهيج، فاقبل بهما معه وبعث أمية بن احمر اليشكري ففتح ما حول ابرشهر وطوس وبيورد ونسا وحمران حتى انتهى إلى سرخس.

قال علي: [وأخبرنا أبو الذيّال زهير بن هنيد العبيدي العدوي عن اشياخ من أهل خراسان] أن ابن عامر سرح الأسود بن كلثوم العدوي عدويّ الرباب إلى بيهق، وهي من ابرشهر بينها وبين مدينة ابرشهر ستة عشر فرسخا، وقتل الاسود بن الكلثوم. قال: وكان فاضلا في دينه كان من اصحاب عامر بن عبدالله العنبري، وكان عامر يقول بعد ما اخرج من البصرة ما آسى من العراق على شيء الا على ظِماء الهواجر، وتجاوب المؤذنين واخوان مثل الاسود بن كلثوم.

قال علي: واخبرنا زهير بن هنيد عن بعض عمومته، قال غلب ابن عامر على نيسابور، وخرج إلى سرخس فأرسل أهل عمرو يطلبون الصلح،

فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي، فصالح إبراز مرزبان مرو على الفي ومائتي الف.

(الطبري ج ١ ص ٢٨٨٤)

قتيبة بن مسلم الباهلي :

ذكر علي بن محمد: [أن كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمي والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير العمي قال اخبرني عمي قال:] رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ٨٦ هـ فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو آخرون وشومان، فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال: إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقما ووعد نبيه - صلى الله عليه وسلم - النصر بحديث صادق وكتاب ناطق، فقال: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال: ﴿ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله﴾ إلى قوله: ﴿احسن ما كانوا يعملون﴾، ثم أخبر عمن قتل في سبيله انه حي مرزوق فقال: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾. فتنجزوا موعود ربكم، ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وامضى الم واياي والهوينا.

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع، وسار واستخلف بمرو على حربها اياس بن عبدالله بن عمرو، وعلى الخراج عثمان بن السعدي، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ، وبعض عظمائهم فساروا معه، فلما قطع النهر تلقاه بيش الاعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب، فدعاه إلى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ودعاه إلى بلاده، فمضى مع بيش إلى الصغانيان فسلم إليه بلاده وكان ملك اخرون وشومان قد

أساء جوار بيش وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة إلى آخرون وشومان وهما من طخارستان، فجاءه غيسلشتان فصالحه على فدية أراها إليه فقبلها قتيبة ورضي. ثم انصرف إلى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم وتقدم جنده فسبقهم إلى مرو، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة باسار الحصن [؟]، وكان معه نصر بن سيار فابلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانة، ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ.

(الطبري ج ٢، ص ١١٧٨-١١٨٠)

ذكر علي بن محمد [أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبلة بن فروخ عن محمد بن المثني] أن نيزك طرخان كان في يديه أسراه من المسلمين. وكتب إليه قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم، ويهدده في كتابه، فخاف نيزك فاطلق الأسرى، وبعث بهم إلى قتيبة. فوجه إليه قتيبة سليما الناصح مولى عبيدالله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح وإلى ان يؤمنه وكتب إليه كتاباً يحلف فيه بالله لئن لم يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك، فقدم سليم على نيزك بكتاب قتيبة، وكان يستنصحه، فقال له يا سليم ما اظن عند صاحبك خيراً كتب إلي كتاباً لا يكتب إلى مثلي، قال له سليم يا أبا الهياج ان هذا الرجل شديد في سلطانه سهل إذا سوهل، صعب إذا عوسر، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك، فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر. فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذ غيس في سنة ٨٧هـ على أن لا يدخل باذغيس.

(الطبري ج ٢ ص ١١٨٤ - ٥)

ذكر علي بن محمد: [أن أبا الذيّال أخبره عن المهلب بن اياس عن أبيه عن حسين بن مجاهد الرازي وهارون بن عيسى عن يونس بن أبي إسحاق وغيرهم] أن قتيبة لما صالح نيزك، وأقام إلى وقت الغزو ثم غزا في تلك السنة سنة ٨٧ بيكند فسار من مرو واتى مرو روذ ثم أتى آمل ثم مضى إلى زم فقطع النهر وسار إلى بيكند وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر، يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارا. فلما نزل بعقوتهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا بالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولم يجر له خبر شهرين، وابطأ خبره على الحجاج، فاشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار، وهم يقتتلون في كل يوم. قال: وكان لقتيبة عينٌ يقال له تنذر من العجم، فاعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على ان يفثأ عنهم قتيبة، فاتاه فقال أخلني فنهض الناس واحتبس قتيبة ضرار بن حصين الضبي فقال تنذر: هذا عامل يقدم عليك وقد عزل الحجاج، فلو انصرفت بالناس إلى مرو فدعا قتيبة سياه مولاه فقال اضرب عنق تنذر فقتله، ثم قال لضرار: لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك وإني اعطي الله عهداً ان ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لالحقنّك به فاملك لسانك فان انتشار هذا الحديث يفت في اعضاد الناس،ثم اذن للناس. قال: فدخلوا فراعهم قتل تنذر فوجموا واطرقوا، فقال قتيبة ما يروعكم من قتل عبد أهانه اللّه؟ قالوا: إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين، قال: بل كان غاشاً، فأهانه اللّه بذنبه فقد مضى لسبيله، فاغدوا على قتال عدوكم والقوهم بغير ما كنتم تلقونهم به. فغدا الناس متأهبين واخذوا مصافّهم، ومشى قتيبة فحض أهل الرايات، فكانت بين الناس مشاولة، ثم تزاحفوا والتقوا، واخذت

السيوف مأخذها، وانزل الله على المسلمين الصبر، فقاتلوهم حتى زالت الشمس. ثم منح الله المسلمين اكتافهم فانهزموا يريدون المدينة واتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فتفرقوا، وركبهم المسلمون قتلاً واسراً كيف شاؤوا، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة وهم قليل، فوضع قتيبة الفعَلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم رجلاً من بني قتيبة، وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة أو اثنتين، وكان منهم على خمس فراسخ، نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه وجدعوا أُنُفهم واذانهم، وبلغ قتيبة فرجع إليهم وقد تحصنوا فقاتلهم شهراً ثم وضع الفَعَلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد إذا فرغ من تعليقها ان يحرق الخشب فتنهدم، فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل اربعين من الفعلة، فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بها عنوةً فقتل من كان فيها من المقاتلة. وكان فيمن اخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة: أنا افدي نفسي، فقال له سليم الناصح: ما تبذل؟ قال خمسة الاف حريرة صينية قيمتها الف الف، فقال قتيبة: ما ترون؟ قالوا: نرى أن فداه زيادة في غنائم المسلمين، وما عسى ان يبلغ من كيد هذا، قال: لا والله لا تروع بك مسلمة ابداً وامر به فقتل.

قال علي: [قال أبو الذيّال عن المهلب بن اياس عن ابيه والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس] ان قتيبة لما فتح بيكند اصابوا فيها من انية الذهب والفضة ما لا يحصى فولى الغنائم والقسم عبدالله بن وألان العدوي أحد بني ملكان، وكان قتيبة يسميه الأمين بن الأمين واياس بن بيهيس الباهلي فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه إلى قتيبة، ورفعا إليه خبث ما اذابا، فوهبه لهما، فأعطيا به اربعين الفاً فاعلماه فرجع فيه وامرهما

ان يذيباه، فاذاباه فحرج منه خمسون ومائة الف مثقال أو خمسون الف مثقال. وأصابوا في بيكند شيئاً كثيراً وصار في ايدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة إلى مرو وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيل، وجلبت إليهم الدواب، وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت:

ويوم بيكند لا تحصى عجائبه　　　وما بخـــاراء مما أخطأ العدد

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدوا. فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال: إني اغزيكم قبل ان تحتاجوا إلى حمل الزاد وانتقلكم قبل ان تحتاجوا إلى الأدْفاء. فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح، فاتى آمل ثم عبر من زم إلى بخارا فاتى نومشكث، وهي من بخارا فصالحوه.

(الطبري ج ٢ ص ١١٨٥ - ١١٨٩]

الوليد بن عبدالملك :

حدثني علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد بن عبدالملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم، بنى المساجد، مسجد دمشق ومسجد المدينة، ووضع المنار، وأعطى الناس وأعطى المجذمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً، وفتح في ولايته فتوح عظام، فتح موسى بن نصير الأندلس، وفتح قتيبة كاشغر، وفتح محمد بن القاسم الهند. قال: وكان الوليد يمر بالبقال، فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه؟ فيقول بفلس، فيقول زد فيها. قال: وأتاه رجل من

بني مخزوم يسأله في دينه، فقال نعم ان كنت مستحقاً لذلك، قال يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي، قال: اقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني، فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال لرجل ضم إليك هذا، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن. فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فقال: يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً، قال: اقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الأنفال، وعشر آيات من براءة فقرأ، فقال: نعم نقضي عنكم ونصل أرحامكم على هذا.

قال: ومرض الوليد فرهقته غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتاً فبكى عليه وخرجت البرد بموته، فقدم رسول على الحجاج فاسترجع ثم امر بحبل فشد في يده ثم أوثق إلى اسطوانة وقال: اللهم لا تسلط عليّ من لا رحمة له فقد طال ما سألتك ان تجعل منيتي قبل منيته وجعل يدعو، فانه لكذلك إذ قدم عليه بريد بافاقته. قال علي: ولما افاق الوليد قال: ما أحد أسر بعافية أمير المؤمنين من الحجاج، فقال عمر بن عبدالعزيز: ما أعظم نعمة الله علينا بعافيتك، وكأني بكتاب الحجاج قد اتاك يذكر فيه انه لما بلغه برؤك خر لله ساجداً واعتق كل مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند، فما لبث إلا أياماً حتى جاء الكتاب بما قال. قال ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد، فقال خادم للوليد: اني لاوضىء الوليد يوماً للغداء، فمد يده، فجعلت اصب عليه الماء وهو ساه، والماء يسيل ولا استطيع ان اتكلم ثم نفح الماء في وجهي، وقال أناعسٌ انت، ورفع رأسه إليّ وقال: ما تدري ما جاء الليلة، قلت لا، قال: ويحك مات الحجاج، فاسترجعت، قال: اسكت ما يسر مولاك ان في يده تفاحة يشمها.

قال علي: وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع، وكان الناس يلتقون في زمانه، فانما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان، فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجواري، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وردك الليلة، وكم تحفظ من القرآن، ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر. ورثى جرير الوليد فقال:

يا عين جودي بدمع هاجه الذكر ... فما لدمعك بعد اليوم مدّخر
ان الخليفة قد وارت شمائله ... غبراء ملحدة في جولها زور
اضحى بنوه وقد جلّت مصيبتهم ... مثل النجوم هوى من بينها القمر
كانوا جميعاً فلم يدفع منيّته ... عبدالعزيز ولا رَوْحٌ ولا عُمَرُ

حدثنا علي [بن محمد المدائني] قال: كان الوليد وسليمان وليي عهد عبدالملك، فلما افضى الأمر إلى الوليد أراد ان يبايع لابنه عبدالعزيز، ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فاراده على ان يجعله له من بعده فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة فأبى، فكتب إلى عماله ان يبايعوا لعبدالعزيز ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس. فقال عباد بن زياد: ان الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب إلى سليمان فليقدم عليك فان لك عليه طاعة فأرده على البيعة لعبدالعزيز من بعده فانه لا يقدر على الامتناع وهو عندك فان ابي كان الناس عليه. فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ. فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى ان يخلعه، فأمر الناس بالتأهب وامر بحجره فأخرجت فمرض ومات قبل ان يسير وهو يريد ذلك...

قال علي: [وأخبرنا أبو عاصم الزيادي عن الهلواث الكلبي قال: كنا

بالهند مع محمد بن القاسم، فقتل الله داهراً، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان ان ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبدالعزيز فاقفلنا.

قال علي: أراد الوليد ان يبني مسجد دمشق، وكانت فيه كنيسة، فقال الوليد لأصحابه: اقسمت عليكم لما اتاني كل رجل منكم بلبنةٍ، فجعل كل رجل ياتيه بلبنة، ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين، فقال له: ممن انت، قال: من أهل العراق، قال: يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة. وهدموا الكنيسة وبناها مسجداً. فلما ولي عمر بن عبدالعزيز شكوا ذلك إليه، فقيل ان كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة، فقال لهم عمر: نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما، فانها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً، فلما قال لهم ذلك، قالوا: بل ندع لكم هذا الذي هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما، ففعل عمر ذلك.

[الطبري ج ٢ ص ١٢٧١ - ١٢٧٥]

وقعة الزاب ومصرع مروان:

ذكر علي بن محمد: [ان ابا السري وجبلة بن فروخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزي وغيرهم أخبروه،] أن ابا عون عبدالملك بن يزيد الأزدي وجهه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل. وبلغ مروان ان عثمان قد قتل فاقبل من حران فنزل منزلاً في طريقه، فقال ما اسم هذا المنزل؟ قالوا: بلوى، قال بل علوى وبشرى، ثم اتى رأس العين ثم اتى الموصل، فنزل على دجلة، وحفر خندقاً، فسار إليه أبو عون فنزل الزاب فوجه أبوسلمة إلى أبي عون عيينه

ابن موسى والمنهال بن فتان واسحاق بن طلحة كل واحد في ثلاثة الاف. فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في الفين وعبدالله الطائي في الف وخمسمائة، وعبدالحميد بن ربعي الطائي في الفين، ومرداس بن فضلة في خمسمائة إلى أبي عون، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل بيتي؟ فقال عبدالله بن علي: أنا، فقال سر على بركة الله، فسار عبدالله ابن علي فقدم على أبي عون فتحول له أبو عون عن سرادقه، وخلاه وما فيه. وصير عبدالله بن علي على شرطته حياش بن حبيب الطائي وعلى حرسه نصير بن المحتضر، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبدالله بن علي. فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ سأل عبدالله بن علي عن مخاضة فدل عليها بالزاب، فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى امسوا ورفعت لهم النيران، فتحاجزوا ورجع عيينة فعبر المخاضة إلى عسكر عبدالله بن علي، فاصبح مروان فعقد الجسر وسرح ابنه عبدالله يحفر خندقاً اسفل من عسكر عبدالله بن علي. فبعث عبدالله ابن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف، فاقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبدالله بن علي، فسرح عبدالله بن مروان إليه الوليد بن معاوية فلقي المخارق فانهزم أصحابه واسروا وقتل منهم يومئذ عدة فبعث بهم إلى عبدالله، وبعث بهم عبدالله إلى مروان مع الرؤوس، فقال مروان: ادخلوا عليّ رجلاً من الأسارى، فأتوه بالمخارق، وكان مخيفاً فقال: انت المخارق، فقال: لا أنا عبد من عبيد أهل العسكر. قال: فتعرف المخارق؟ قال: نعم، قال: فانظر في هذه الرؤوس هل تراه؟ فنظر إلى رأس منها فقال: هو هذا، فخلى سبيله. فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه، لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم.

... وبلغ عبدالله بن علي انهزام المخارق، فقال له موسى بن كعب: أخرج إلى مروان قبل ان يصل الفلّ إلى العسكر، فيظهر ما لقي المخارق، فدعا عبدالله بن علي محمد بن سول فاستخلفه على العسكر وسار على ميمنته أبو عون. وعلى ميسرة مروان الوليد بن معاوية ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الدوكانية والصحصحية والراشدية. فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز: ان زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم وان قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا إليه راجعون. وارسل مروان إلى عبدالله بن علي يسأله الموادعة، فقال عبدالله: كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله. فقال مروان لأهل الشام: قفوا لا تبدأوهم بقتال فجعل ينظر إلى الشمس، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته فغضب وشتمه، وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة فانحاز أبو عون إلى عبدالله بن علي، فقال موسى بن كعب لعبدالله: مر الناس فلينزلوا فنودي الأرض فنزل الناس فاشرعوا الرماح وجثوا على الركب فقاتلوهم، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ومشى عبدالله قدماً وهو يقول: يا رب حتى متى نقتل فيك، ونادى: يا أهل خراسان يا لثارات إبراهيم يا محمد يا منصور، واشتد بينهم القتال وقال مروان لقضاعه انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا فارسل إلى السكاسك ان احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فارسل إلى السكون ان احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا، فقال لصاحب شرطه انزل، قال لا والله ما كنت لاجعل نفسي غرضاً، قال: اما والله لاسوءنك، قال: وددت والله انك قدرت على ذلك ثم انهزم أهل الشام وانهزم مروان وقطع الجسر فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل... وامر عبدالله بن علي فعقد الجسر على الزاب

واستخرجوا الغرقى فكان فيمن اخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك، فقال عبدالله بن علي: وإذ فرقنا بكم البحر فنجيناكم واغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون. واقام عبدالله بن علي في عسكره سبعة أيام، فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعير مروان:

لجَّ الفرار بمروانَ فقلت له ... عاد الظَّلومُ ظَليماً همُّه الهرب

أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت ... عنك الهوينا فلا دين ولا حسب

فراشةُ الحلم فرعونُ العقاب وان ... تطلب نداء فكلبٌ دونه كلب

وكتب عبدالله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ولم يجدوا فيه إمرأة الا جارية كانت لعبدالله بن مروان. فلما اتى أبا العباس كتاب عبدالله بن علي صلى ركعتين، ثم قال: «فلما فَصَل طالوتُ بالجنود قال ان اللّه مبتليكم بنَهَرٍ» إلى قوله: «وعلَّمهُ ممَّا يشاء». وأمر لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ورفع أرزاقهم إلى ثمانين.

علي بن محمد قال: [قال عبدالرحمن بن أمية] كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً الا كان فيه الخلل والفساد. قال: بلغني انه كان يوم انهزم واقفاً بالناس يقتتلون إذ أمر بأموال فاخرجت، فقال للناس اصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم، فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال، فارسلوا إليه ان الناس قد مالوا على هذا المال ولا نأمنهم ان يذهبوا به فارسل إلى ابنه عبدالله ان سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك فاقتل من اخذ من ذلك المال وامنعهم، فمال عبدالله برايته وأصحابه فقال الناس الهزيمة فانهزموا.

(الطبري ج ٣ ص ٣٨ -٤٢]

فانهزم مروان حتى أتى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة الأسدي، وقطعوا الجسر فناداهم أهل الشام هذا مروان، قالوا: كذبتم أمير المؤمنين لا يفر، فسار إلى بلد فعبر دجلة فاتى حران ثم اتى دمشق، وخلف بها الوليد بن معاوية، وقال قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام.

ومضى مروان حتى اتى فلسطين فنزل نهر ابي فطرس وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبعان الجذامي، فارسل مروان إلى عبدالله بن يزيد بن روح بن زنباع فاجازه، وكان بيت المال في يد الحكم. وكتب أبوالعباس إلى عبدالله بن علي يأمره باتباع مروان فسار عبدالله إلى الموصل، فتلقاه هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة وقد سودا في أهل الموصل ففتحوا له المدينة. ثم سار إلى حران ولى الموصل محمد بن صول فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم بن محمد. ثم سار من حران إلى منبج وقد سودوا فنزل منبج وولاها أبا حميد المروروذى وبعث إليه أهل قنسرين ببيعتهم إياه بما أتاه به عنهم أبو أمية التغلبي، وقدم عليه عبدالصمد بن علي في أربعة آلاف فاقام يومين بعد قدوم عبدالصمد. ثم سار إلى قنسرين فاتاها وقد سود أهلها فاقام يومين ثم سار حتى نزل حمص فأقام بها أياماً وبايع أهلها. ثم سار إلى بعلبك وأقام يومين، ثم ارتحل فنزل مزة، قرية من قرى دمشق، فأقامه وقدم عليه صالح بن علي مدداً فنزل مرج عذراء في ثمانية آلاف معه بسام بن إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام. ثم سار عبدالله بن علي فنزل على باب شرقي ونزل صالح بن علي على باب الجابية وأبو عون على باب كيسان، وبسام على باب الصغير وحميد بن قحطبة على باب توما وعبدالصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس وفي دمشق الوليد بن

معاوية فحصروا أهل دمشق والبلقاء وتعصب الناس بالمدينة فقتل بعضهم بعضاً وقتلوا الوليد ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة ١٣٢هـ فكان أول من صعد سور المدينة من باب الشرقي عبدالله الطائي ومن قبل باب الصغير بسام ابن إبراهيم فقتل بها علي ثلاث ساعات وأقام عبدالله بن علي بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم سار يريد فلسطين، فنزل نهر الكسوة فوجه منها يحيى بن جعفر الهاشمي إلى المدينة ثم ارتحل إلى الأردن فأتوه وقد سودوا، ثم نزل بيسان، ثم سار إلى مرج الروم، ثم اتى نهر ابي فطرس، وقد هرب مروان فأقام بفلسطين وجاءه كتاب ابي العباس ان وجه صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح بن علي من نهر ابي فطرس في ذي القعدة سنة ١٣٢هـ ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل، فقدم صالح بن علي ابا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي وسار فنزل الرملة، ثم سار فنزلوا ساحل البحر وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان وهو بالفرماء فسار على الساحل والسفن حذاءه في البحر حتى نزل العريش، وبلغ مروان فاحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ومضى صالح بن علي فنزل النيل، ثم سار حتى نزل الصعيد، وبلغه ان خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه اليهم قواداً فاخذوا رجالاً فقدموا بهم على صالح وهو بالفسطاط. فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ومضى صالح يتبعه فالتقى هو وخيل لمروان على النيل فاقتتلوا فهزمهم صالح، ثم مضى إلى خليج فصادف عليه خيلاً لمروان فاصاب منهم طرفاً وهزمهم. ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ورأوا رهجاً فظنوه مروان فبعث طليعة عليهم الفضل ابن دينار ومالك بن قادم فلم يلقوا أحداً ينكرونه فرجعوا إلى صالح فارتحل فنزل موضعاً يقال له ذات

الساحل ونزل فقدم أبا عون عامر بن إسماعيل الحارثي ومعه شعبة بن كثير المازني فلقوا خيلاً لمروان، فهزموهم واسروا منهم رجالاً فقتلوا بعضهم واستحيوا بعضاً، فسألوا عن مروان فاخبروهم بمكانه على ان يؤمنوهم، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بوصير فوافوهم في آخر الليل فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير فاحاطوا به فقتلوه. قال علي [واخبرني إسماعيل بن الحسن] عن عامر بن إسماعيل قال: لقينا مروان ببوصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا فانضوينا إلى نخل ولو يعلموا بقلتنا لاهلكونا، فقلت لمن معي من أصحابي: فان اصبحنا فرأوا قلتنا وعددنا لم ينج منا أحد، وذكرت قول بكير بن ماهان: «انت والله تقتل مروان كأني اسمعك تقول دهيد يا جوانكان»فكسرت جفن سيفي وكسر أصحابي جفون سيوفهم وقلت: دهيد يا جوانكان، فكانها نار صبت عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فضربه بسيفه فقتله وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن علي فكتب صالح بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس: إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون فقتلته بأرضه. قال علي: [حدثنا أبو طالب الأنصاري قال:] طعن مروان رجل من أهل البصرة يقال له المعود وهو لا يعرفه فصرعه فصاح صائح صرع أمير المؤمنين وابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى ابي عون فبعث بها أبو عون إلى صالح بن علي وبعث صالح بن علي برأسه مع يزيد بن هانىء وكان على شرطه إلى أبي العباس يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ ورجع صالح إلى الفسطاط، ثم انصرف إلى الشام فدفع الغنائم إلى أبي عون

والسـلاح والأمـوال والرقـيق إلى الفـضل بن دينار وخلف أبا عـون على مصر.

(الطبري ج ٣ ص ٤٤ - ٥٠]

أبو مسلم الخراساني :

.. علي بن محمد قال: [حدثنا مسلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزدي والنعمان أبو السري ومحرز بن إبراهيم وغيرهم] أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحج وذلك في سنة ١٣٦هـ وإنما أراد ان يصلي بالناس فاذن له، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وارمنية واذربيجان ان أبا مسلم كتب إليّ يستأذن في الحج وقد اذنت له، وقد ظننت انه إذا قدم يريد ان يسألني ان أوليه اقامة الحج للناس فاكتب إليّ تستأذنني في الحج فإنك إذا كنت بمكة لم يطمع ان يتقدمك. فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحج فاذن له فوافى الأنبار، فقال أبو مسلم اما وجد ابو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا، واضطغنها عليه.. لما صدر الناس عن الموسم نفر أبو مسلم مثل أبي جعفر فتقدمه فاتاه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع، فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب اكتب إليه كتاباً غليظاً، فلما أتاه كتاب أبي جعفر كتب إليه بالخلافة. فقال يزيد بن اسيد السلمي لأبي جعفر: إني أكره ان تجامعه في الطريق والناس جنده وهم له أطوع وله أهيب وليس معك أحد، فأخذ برأيه فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم، وامر أبو جعفر أصحابه فقدموا فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم فما كان في عسكره إلا ستة أدرع فمضى أبو مسلم إلى الأنبار ودعا عيسى بن موسى إلى

ان يبايع له فاتى عيسى فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة وأتاه ان عبدالله بن علي قد خلع فرجع إلى الأنبار فدعا أبا مسلم فعقد له وقال سر إلى ابن علي...

قال علي: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بارمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن ان يوافيه ويسير معه، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فاقام أياماً فلما أراد ان يسير قلت للحسن: أنتم تسيرون إلى القتال وليس بك إليّ حاجة فلو أذنت لي فاتيت العراق فاقمت حتى تقدموا ان شاء الله، قال: نعم لكن اعلمني إذا أرادت الخروج، قلت: نعم. فلما فرغت وتهيأت اعلمته وقلت: اتيتك لاودعك. قال: قف لي بالباب حتى اخرج إليك، فخرجت فوقفت وخرج فقال: اني أريد أن القي إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ولولا ثقتي بك لم أخبرك ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك فابلغ أبا أيوب اني قد ارتبت بأبي مسلم منذ قدمت عليه انه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر فيقرأه ويضحكان استهزاء، قلت: نعم قد فهمت، فلقيت أبا أيوب وانا أرى ان قد أتيته بشيء فضحك وقال: نحن لأبي مسلم أشد تهمة بنا لعبدالله بن علي الا انا نرجو واحدة نعلم ان أهل خراسان لا يحبون عبدالله بن علي وقد قتل منهم من قتل، وكان عبدالله بن علي حين خلع خاف أهل خراسان فقتل منهم سبعة عشر الفاً أمر صاحب شرطه حياش بن حبيب فقتلهم.

قال علي: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبدالله بن علي فهزمه وجمع ما كان في عسكره من الأموال فصيره في حظيرة وأصاب عيناً ومتاعاً وجواهر كثيراً فكان منثوراً في تلك الحظيرة ووكل بها ويحفظها قائداً من قواده...

ولما انهزم عبدالله بن علي بعث أبو جعفر أبا الخصيب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال، فافترى أبو مسلم على أبي الخصيب وهم بقتله فكلم فيه وقيل إنما هو رسول فخل سبيله، فرجع إلى أبي جعفر. وجاء القواد إلى أبي مسلم فقالوا: نحن ولينا أمر هذا الرجل وغنمنا عسكره فلم يسئل عما في أيدينا إنما لأمير المؤمنين من هذا الخمس. فلما قدم أبو الخصيب على أبي جعفر أخبره ان أبا مسلم هم بقتله فخاف ان يمضي أبو مسلم إلى خراسان فكتب إليه كتاباً مع يقطين ان قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان فوجه إلى مصر من احببت واقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فان أحب لقاءك اتيته من قريب. فلما اتاه الكتاب غضب وقال: هو يوليني الشام ومصر وخراسان لي، واعتزم بالمضي إلى خراسان، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك...

وخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغماً مشاقاً، فلما دخل أرض العراق ارتحل المنصور من الأنبار فاقبل حتى نزل المدائن، واخذ أبو مسلم طريق حلوان، فقال رب أمر لله دون حلوان. وقال أبو جعفر لعيسى ابن علي وعيسى بن موسى ومن حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم فكتبوا له يعظمون امره ويشكرون ما كان منه ويسألونه ان يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة ويحذرونه عاقبة الغدر ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين وان يلتمس رضاه، وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي جميد المروروذي وقال له: كلم أبا مسلم بألين ما تكلم به أحداً ومنّه واعلمه اني رافعه وصانع به ما لم يصنعه به أحد ان هو صلح وراجع ما أحب، فان أبى ان يرجع فقل له يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس وانا بريء من محمد ان مضيت مشاقاً، ولم تأتني ان وكلت امرك إلى أحد

سواي وان لم آلِ طلبك وقتالك بنفسي ولو خضت البحر لخضته ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى اقتلك أو أموت قبل ذلك، ولا تقولن له هذا الكلام حتى تيأس من رجوعه، ولا تطمع منه في خير.

فسار أبوحميد في ناس من أصحابه ممن يثق بهم حتى قدموا على أبي مسلم بحلوان فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما فدفع إليه الكتاب وقال له: ان الناس يبلغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله وخلاف ما عليه رأيه فيك حسداً وبغياً يريدون إزالة النعمة وتغييرها فلا تفسد ما كان منك، وكلمه وقال: يا أبا مسلم إنك لم تزل أمين آل محمد يعرفك بذلك الناس وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك فلا تحبط أجرك ولا يستهوينك الشيطان. فقال له أبو مسلم: متى كنت تكلمني بهذا الكلام؟ قال: انك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بني العباس وامرتنا بقتال من خالف ذلك فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم وألف بين قلوبنا بمحبتهم اعزنا بنصرنا لهم ولم نلق منهم رجلاً الا بما قذف الله في قلوبنا حتى اتيناهم في بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة افتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى املنا ان تفسد امرنا وتفرق كلمتنا وقد قلت لنا من خالفكم فاقتلوه وان خالفتكم فاقتلوني. فاقبل على أبي نصر فقال: يا مالك اما تسمع ما يقول لي هذا ما هذا بكلامه يا مالك، قال: لا تسمع كلامه ولا يهولنك هذا منه فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ولما بعد هذا اشد منه فامض لأمرك ولا ترجع فوالله لئن اتيته ليقتلنك، ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً. فقال: قوموا فنهضوا، فارسل أبو مسلم إلى نيزك وقال: يا نيزك اني والله ما رأيت

طويلاً اعقل منك فما ترى فقد جاءت هذه الكتب وقد قال القوم ما قالوا، قال: لا أرى أن تأتيه وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين خراسان والري لك وهم جندك ما يخالفك أحد فان استقام لك استقمت له وان أبى كنت في جندك وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك. فدعا أبا حميد فقال ارجع إلى صاحبك فليس من رأيي ان آتيه، قال: قد عزمت على خلافه؟ قال: نعم، قال: لا تفعل، قال: ما اريد ان القاه. فلما آيسه من الرجوع قال له ما امره به أبو جعفر فوجم طويلاً ثم قال: قم فكسره ذلك القول ورعبه.

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود وهو خليفة أبي مسلم بخراسان حين اتهم أبا مسلم: ان لك امرة خراسان، ما بقيت. فكتب أبو داود إلى أبي مسلم: انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا بإذنه. فوافاه كتابه على تلك الحال فزاده رعباً وهماً، فارسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما: اني قد كنت معتزماً على المضي إلى خراسان ثم رأيت ان أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتيني برأيه فانه ممن اثق به فوجهه. فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب، وقال له أبو جعفر اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان واجازه، فرجع أبو اسحق إلى أبي مسلم فقال له: انكرت شيئاً، رأيتهم معظمين لحقك يرون لك ما يرون لانفسهم، وأشار عليه ان يرجع إلى أمير المؤمنين، فيعتذر إليه مما كان منه، فاجمع على ذلك فقال له نيزك: قد اجمعت على الرجوع، قال: نعم وتمثل:

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقوام

فقال: إذا عزمت على هذا فخار الله لك، احفظ عني واحدة، إذا دخلت

عليه فاقتله، ثم بايع لمن شئت، فان الناس لا يخالفونك، وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره انه منصرف إليه....

قال علي عن أبي حفص الأزدي قال: كنت مع أبي مسلم فقدم عليه أبو اسحق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم، وقال: رأيت القوم على غير ما ترى، كل القوم يرون لك ما يرون للخليفة، ويعرفون ما ابلاهم الله بك. فسار إلى المدائن وخلف أبا نصر في ثقله وقال: أقم حتى ياتيك كتابي، قال: فاجعل بيني وبينك آية اعرف بها كتابك، قال: ان اتاك كتابي مختوماً بنصف خاتم فانا كتبته، وان اتاك بالخاتم كله فلم اكتبه ولم اختمه. فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قواده فسلم عليه فقال له: اطعني وارجع فانه ان عاينك قتلك، قال: قد قربت من القوم فاكره ان ارجع. فقدم المدائن في ثلاثة الاف، وخلف الناس بحلوان. فدخل على أبي جعفر فأمره بالانصراف في يومه، واصبح يريده فتلقاه أبو الخصيب فقال: أمير المؤمنين مشغول فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً، فأتى منزل عيسى بن موسى وكان يحب عيسى فدعا له بالغداء، وقال أمير المؤمنين للربيع، وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصيب: انطلق إلى أبي مسلم ولا يعلم أحد، فقل له ما قال لك مرزوق ان اردت أمير المؤمنين خالياً فالعجل. فقام فركب وقال له عيسى لا تعجل بالدخول حتى احضر ادخل معك، فابطأ عيسى بالضوء، ومضى أبو مسلم فدخل، فقتل قبل ان يجيء عيسى، وجاء عيسى وهو مدرج في عباءة فقال: أين أبو مسلم قال: مدرج في الكساء، قال: انا لله، قال: اسكت فما تم سلطانك وامرك الا اليوم، ثم رمي به في دجلة.

قال علي: قال أبو حفص: دعا أمير المؤمنين عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس، فقال لهم: إذا ضربت بيدي احداهما على الأخرى، فاضربوا عدو الله.

فدخل عليه أبو مسلم فقال له: أخبرني عن نصلين أصبتهما في متاع عبدالله بن علي، قال: هذا أحدهما الذي عليَّ، قال: ارنيه، فانتضاه، فناوله، فهزه أبو جعفر، ثم وضعه تحت فراشه. واقبل عليه يعاتبه فقال: اخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات أردت ان تعلمنا الدين، قال: ظننت اخذه لا يحل فكتب إليّ، فلما اتاني كتابه علمت ان أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم، قال: فاخبرني عن تقدمك اياي في الطريق، قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس، فتقدمتك التماس المرفق، قال: فقولك حين اتاك الخبر بموت أبي العباس لمن أشار عليك ان تنصرف إليّ تقدم فنرى من رأينا ومضيت فلا انت اقمت حتى نلحقك ولا انت رجعت إلي ّ، قال: منعني من ذلك ما اخبرتك من طلب المرفق بالناس وقلت نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف، قال: فجارية عبدالله بن علي أردت أن تتخذها؟ قال: لا! ولكني خفت ان تضيع فحملتها في قبة، ووكلت بها من يحفظها، قال: فمراوغتك وخروجك إلى خراسان؟ قال: خفت ان يكون قد دخلك مني شيء، فقلت: آتى خراسان فاكتب إليك بعذري وإلى ذاك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ، قال: تالله ما رأيت كاليوم قط والله ما زدتني الا غضباً، وضرب بيده فخرجوا عليه فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه.

قال علي: قال يزيد بن أسيد، قال أمير المؤمنين: عاتبت عبدالرحمن فقلت: المال الذي جمعته بحران، قال: انفقته واعطيته الجند تقوية لهم واستصلاحاً، قلت: فرجوعك إلى خراسان مراغماً، قال: دع هذا فما أصبحت أخاف أحداً إلا الله، فغضبت فشتمته فخرجوا فقتلوه.

(الطبري ج ٣ص ٩٩ - ١٠٣، ص ١٠٣ - ١٠٨، ص ١١١ - ١١٤]

ابن الكلبي [هشام بن محمد]

عبد مناف :

اخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: لما هلك قصي ابن كلاب قام عبد مناف بن قصي على أمر قصي بعده، وامر قريش إليه، واختط بمكة رباعاً بعد الذي كان قصي قطع لقومه، وعلى عبد مناف اقتصر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] حين انزل الله تبارك وتعالى عليه، ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾.

اخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: ولد عبد مناف ابن قصي ستة نفر وست نسوة، المطلب بن عبد مناف، وكان أكبرهم وهو الذي عقد الحلف لقريش من النجاشي في متجرها إلى أرضه، وهاشم ابن عبد مناف واسمه عمرو، وهو الذي عقد الحلف لقريش من هرقل لان تختلف إلى الشام آمنة، وعبد شمس بن عبد مناف، وأمهم عاتكة الكبرى بنت مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ونوفل بن عبد مناف وهو الذي عقد الحلف لقريش من كسرى إلى العراق، وابا عمرو بن عبد مناف وأبا عبيد درج وأمهم واقده بنت ابي عدي، وهو عامر ابن عبد نهم بن زيد بن مازن بن صعصعة، وريطة بنت عبد مناف ولدت بني هلال بن معيط من بني كنانة بن خزيمة وأمها الثقفية.

(ابن سعد، الطبقات ق ١ ج ١ ص ٤٢ – ٣]

نسب النبي :

اخبرنا هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي قال: علمني أبي وأنا غلام نسب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - الطيب المبارك بن عبدالله بن عبدالمطلب، واسمه شيبة الحمد بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر والى فهر جماع قريش، وما كان فوق فهر فليس يقال له قريشي، يقال له كناني وهو فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان.

قال هشام [واخبرني مخبر عن أبي ولم اسمعه منه] أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أود بن الهميسع بن سلامان بن عوص بن يوز بن قموال بن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلداس بن تدلاف بن طابخ ابن جاحم بن ناحش بن ماخي بن عيفي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربي بن نخرن بن يلحن بن ارعوى بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن اقناد بن ابهام بن مقصى بن ناحث بن زارح بن مشمّى بن مزّي بن عوص بن عرّام بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم [صلى الله عليه وسلم].

اخبرنا هشام بن محمد قال: وكان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بني اسرائيل قد قرأ من كتبهم، وعلم علمهم فذكر ان بورخ بن ناريا كاتب ارميا اثبت نسب معد بن عدنان عنده ووضعه في كتبه وانه معروف عند احبار أهل الكتاب وعلمائهم، مثبت في أسفارهم وهو مقارب

لهذه الاسماء، ولعل خلافا مما بينهم من قبل اللغة؛ لان هذه الاسماء ترجمت من العبرانية.

[(ابن سعد، الطبقات ق ١ ج ١ ص ٢٨ – ٩]

وثائـــق :

وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال: «إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها».

[(الطبري، الطبعة الحسينية، ج ٢ ص ٣٧]

الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك :

فحدثت عن هشام بن محمد قال: لما مات بختنصر انضم الذين كان أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار، وبقيت الحيرة خراباً فغبروا بذلك زماناً طويلاً لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب، ولا يقدم عليهم قادم، وبالانبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان، فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وملأوا بلادهم من تهامة وما يليهم فرقتهم حروب وقعت بينهم واحداث حدثت فيهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام واقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها... فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر والتناصر فصاروا يداً واحدة على الناس وضمهم اسم تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كانهم عمارة من العمائر . قال: وتنخ عليهم بطون من نمارة بن لخم، قال: ودعا مالك بن زهير جذيمة

الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الازدي إلى التنوخ معه، وزوجه اخته لميس ابنة زهير فتنخ جذيمة بن مالك وجماعة ممن كان بها من قومهم من الازد فصار مالك وعمرو ابنا فهم والازد حلفاء دون سائر تنوخ وكلمة تنوخ كلها واحدة. وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم ازمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فارس إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف وقهرهم ودان له الناس وضبط له الملك. قال: وإنما سموا ملوك الطوائف؛ لان كل ملك منهم كان ملكه قليلاً من الارض إنما هي قصور وأبيات وحولها خندق وعدوه قريب منه له من الارض مثل ذلك ونحوه يغير أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة.

قال: فتطلعت انفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق وطمعوا في غلبة الاعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فأجمع رؤساؤهم بالمسير إلى العراق ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين، وهم ملوك الطوائف وهم فيما بين [نفر] وهي قرية من سواد العراق إلى الابلة واطراف البادية فلم تدن لهم فدفعوهم عن بلادهم. قال: وكان يقال لعاد إرم فلما هلكت قيل لثمود إرم ثم سموا الارمانيين، وهم بقايا ارم وهم نبط السواد ويقال لدمشق ارم. قال: فارتفعوا عن سواد العراق فصاروا اشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب الحيرة منهم اشلاء قنص بن معد وإليهم ينسب عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة وعمرو بن

الحارث بن سعود بن مالك بن عمم بن نمارة بن لخم، وهذا قول مضر وحماد الراوية وهو باطل ولم يأت في قنص بن معد شيء اثبت من قول جبير بن مطعم ان النعمان كان من ولده.

قال: وانما سميت الأنبار أنبار لانها كانت تكون فيها انابير الطعام وكانت تسمى الاهراء؛ لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها...

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيه إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والاخبية لا يسكنون بيوت المدر ولا يجامعون اهلها فيها واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة وكانوا يسمون عرب الضاحية. فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الأنبار، ثم مات مالك فملك من بعده اخوة عمرو بن فهم، ثم هلك عمرو بن فهم فملك من بعده جذيمة بن الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الازدي.

قال ابن الكلبي: دوس بن عدنان بن عبدالله.. [ويوصل نسبه إلى سبأ]. قال ابن الكلبي: ويقال ان جذيمة الابرش من العاربة الاولى من بني وبار بن اميم بن لوذ بن سام بن نوح. قال: وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وابعدهم مغاراً واشدهم نكاية واظهرهم حزماً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب وغزا بالجيوش،وكان به برص فكنت العرب عنه وهابت العرب ان تسميه به وتنسبه إليه اعظاماً له فقيل: جذيمة الوضاح وجذيمة الابرش، وكانت منازله فيما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر إلى الغمير والقطقطانة وخفية وما والاها وتجبى إليه الأموال وتفد إليه الوفود وكان غزا طسماً وجديساً في منازلهم... وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية فاصاب حسان بن تبع اسعد ابي كرب قد اغار على طسم وجديس

باليمامة فانكفأ جذيمة راجعاً بمن معه، واتت خيول تبع على سرية لجذيمة فاجتاحتها، وبلغ جذيمة خبرهم فقال جذيمة:

ربما اوفيتُ في علَمٍ	ترفعَنْ بُردي شمالاتُ
في فُتُوّ انا كالئُهم	في بلايا غزوة باتوا
ثم أبنَا غانمي نَعم	وأناسٍ بعدنا ماتوا
نحن كنَّا في ممرّهُم	إذ ممرّ القوم خُوَّاتُ
ليت شعري ما اماتهم	نحن اولجنا وهم باتوا
ولنا كانوا ونحنُ إذا	قال منا قائل صاتوا
ولنا البيدُ البعاد التي	اهلُها السودان اشتاتُ
ثبوةُ الاخيار شاهدةٌ	ذاكُمُ قومي واولاتُ
قد شربت الخمر وسطهم	ناعماً في غير اصواتُ
فعلى من كان من كرم	فستبكني بُنَيّاتُ
انا ربّ الناس كلّهمُ	غير ربي الكافتِ الفاتُ

يعني بالكافت الذي يكفت ارواحهم، والفات الذي يفتهم انفسهم، يعني الله عز وجل. قال ابن الكلبي ثلاثة ابيات منها حق، والبقية باطل. قال وفي مغازيه وغاراته على الأمم الخالية من العاربة الاولى يقول الشاعر في الجاهلية:

اضحى جذيمة في يَبْرين منزله	قد حاز ما جمعت في دهرها عادُ

فكان جذيمة قد تنبأ وتكهن واتخذ صنمين يقال لهما الضيزنان، قال ومكان الضيزنين بالحيرة معروف، وكان يستسقي بهما، ويستنصر بهما على العدو، وكانت أياد بعين اباغ، واباغ رجل من العماليق بتلك العين، فكان يغازيهم، فذكر لجذيمة غلام من لخم في اخواله من أياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمم

ابن نمارة بن لخم، له جمال وظرف فغزاهم جذيمة، فبعث أياد قوماً فسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوا الصنمين فأصبحا في أياد فبعث إلى جذيمة ان صنميك أصبحا فينا زهداً فيك ورغبة فينا، فإن أوثقت لنا ان لا تغزونا رددناهما إليك، قال: وعدي بن نصر تدفعونه إلي، فدفعوه إليه مع الصنمين فانصرف عنهم وضم عدياً إلى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش ابنة مالك أخت جذيمة فعشقته وراسلته وقالت: يا عدي اخطبني إلى الملك فإن لك حسباً وموضعاً، فقال: لا اجترىء على كلامه في ذلك ولا اطمع في أن يزوجنيك، قالت: إذا جلس على شرابه وحضر ندماؤه فاسقه صرفاً واسق القوم مزاجاً فإذا أخذت الخمرة فيه فاخطبني إليه فانه لن يردك ولن يمتنع منك فإذا زوجك فاشهد القوم، ففعل الفتى ما امرته به فلما اخذت الخمرة مأخذها خطبها إليه فاملكه إياها فانصرف إليها فاعرس بها من ليلته واصبح مضرجاً بالخلوق، فقال له جذيمة - وانكر ما رأى به -: ما هذه الاثار يا عدي؟ قال: آثار العرس، قال: أي عرس؟ قال: عرس رقاش، قال: من زوجكها ويحك؟ قال: زوجنيها الملك، فضرب جذيمة بيده على جبهته واكب على الأرض ندامة وتلهفاً وخرج عدي على وجهه هارباً فلم ير له أثر ولم يسمع له بذكر، وارسل إليها جذيمة فقال:

حدثيني وانت لا تكذبيني ... أبحرٍّ زنيتِ ام بهجين
أم بعبدٍ فانت أهلٌ لعبْدٍ ... ام بدونٍ فانتِ أهل لدونِ

فقالت: لا بل انت زوجتني امرأ عربياً معروفاً حسيباً، ولم تستأمرني في نفسي، ولم اكن مالكة لامري، فكف عنها وعرف عذرها.

ورجع عدي بن نصر إلى أياد فكان فيهم، فخرج ذات يوم مع فتية

متصيدين فرمى به فتى منهم من لهب فيما بين جبلين فتنكس فمات واشتملت رقاش على حبل فولدت غلاماً فسمته عمراً، ووشمته حتى إذا ترعرع عطرته والبسته وحلته وأزارته خاله جذيمة فلما رآه اعجب به والقيت عليه منه مقة ومحبة فكان يختلف مع ولده ويكون معهم، فخرج جذيمة مبتدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكلئة، فضربت له ابنية في روضة ذات زهرة وغُدر وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها وإذا أصابها عمرو خبأها في حجرته فانصرفوا إلى جذيمة يتعادون وعمرو يقول:

هـذا جَنَاي وخيارُهُ فـــيه إذ كلُّ جـان يدُه إلى فيـه

فضمه جذيمة إليه والتزمه، وسر بقوله وفعله، وامر فجعل له حلى من فضة وطوق فكان أول عربي البس طوقاً فكان يسمى عمرو ذا الطوق...

(الطبري، المطبعة الحسينية، ج ٢ ص ٢٧ - ٣٠]

أصنام قريش في الكعبة وحولها :

وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان أعظمها عندهم هبل. وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة الانسان، مكسور اليد اليمنى، ادركته قريشٌ كذلك فجعلوا له يداً من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وكان يقال له هبل خزيمة.

وكان في جوف الكعبة قدامه سبعة أقدح مكتوب في أولها «صريح» والآخر «ملصق»، فإذا شكوا في مولود اهدوا له هدية، ثم ضربوا بالقداح، فان خرج «صريح» الحقوه، وان خرج «ملصق» دفعوه، وقدحٌ على الميت وقدح على النكاح، وثلاثة لم تفسر لي على ما كانت. فإذا

اختصموا في امر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه، وعنده ضرب عبد المطلب على ابنه عبدالله [والد النبي صلى الله عليه وسلم]، وهو الذي يقول له أبو سفيان بن حرب حين ظفر يوم أحد: أعل هبل، أي علا دينك، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم -: الله أعلى وأجل.

وكان لهم إساف ونائلة، لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة، ليتعظ الناس بهما، فلما طال مكثهما، وعبدت الأصنام عبدا معها، وكان أحدهما بلصق الكعبة، والآخر في موضع زمزم، فنقلت قريش الذي كان بلصق الكعبة إلى الآخر. فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما.

فلهما يقول أبو طالب [وهو يحلف بهما، حين تحالفت قريش على بني هاشم في أمر النبي عليه الصلاة والسلام]:

احضرتُ عند البيت رَهطي ومَعْشري ... وامسكتُ من اثوابه بالوصائل

وحيثُ ينيخ الاشعرون ركابهم ... بمُفضي السيول من إسافٍ ونائل

(قال: والوصائل البرود].

ولاساف يقول بشر بن أبي خازم [الاسدي]:

عليه الطير ما يَدْنون منه ... مقامات العوارك من إسافِ

وقد كانت العرب تسمى باسماء يعبدونها، لا ادري أعبدوها للاصنام ام لا، منها: «عبد يا ليل» و «عبد غنم» و «عبدكلال» و «عبدرضى». وذكر بعض الرواة ان رضى كان بيتاً لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة، فهدمه المستوغر [وهو عمر بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة وإنما سمي المستوغر؛ لانه قال:

ينُشّ المـــاء فـــي الرَّبَلاتِ منهـــا … نشيش الرُّضف في اللبن الوغير

قال: الوغير الحار

وقال: المستوغر في كسره رضى في الاسلام، فقال:

ولقـــد شـــددتُ على رُضَاء شَدَّة … فـتـركـتـهـا ثَلاً تنازع اسـحـمـا
ودعـوتُ عـبـدالله في مكروهـهـا … ولمثلُ عـبـدالله يغـشـى المَـحْرَمَا

وقال ابن ادهم [رجل من بني عامر بن عوف من كلب]:

ولقـد لقـيتُ فـوارسـاًمن قـومنا … غنظوك غنظ جـــرادة العَيَّارِ
ولقـــد رأيتُ مكانَهم فكرهتـــهم … ككراهة الخنزير لـلايغـــارِ

(قال: الايغار الماء الحار، والعيار رجل من كلب وقع في غداة قَرَّة على جراد وكان اثرم فجعل يأكل الجراد، فخرجت واحدة من ثرمته، فقال: هذه والله حية! [يعني لم تمت] وغنظوك = دفعوك دفع الجرادة العيار].

فلما ظهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة، فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً»، ثم امر بها فكفئت على وجوهها، ثم اخرجت من المسجد فحرّقت.

فقال في ذلك راشد بن عبدالله السلمي:

قـالت: هلمّ إلى الحـديث، فـقلت لا … يـأبـى الالـهُ عـليـكِ والاســـــلام
أو مـا رأيت مـحـمـداً وقـبـيله … بـالـفـــتـح حـين تُكَسَّرُ الاصنام
لرأيت نور الله أضـحـى سـاطعـاً … والشـركُ يغـشـى وجـهُه الإظلام

قال: وكان لهم أيضاً «مناف»، فيه كانت تسمى قريش «عبد مناف»، ولا أدري أين كـان ولا من نصـبـه، ولم تكن الحـيض من النسـاء تدنو من أصنامهم، ولا تمسّح بها، إنما كانت تقف ناحية منها.

ففي ذلك يقول بلعاء بن قيس بن عبدالله بن يعمر، وهو الشداخ الليثي، وكان ابرص، [قال هشام بن محمد أبو المنذر: وحدثني خالد بن سعيد بن العاص عن ابيه قال: قيل له: ما هذا يا بلعاء! قال: هذا سيف الله جلاه]:

[تركت ابن الحريز على ذمام   وصحبتُه تلوذ به العوافي
ولم يصرف صدور الخيل الأ   صوايح من اياتيم ضعاف]
وقِرْنٍ قد تركتُ الطيرَ منه   كمُعْتَنِزِ العوارِكِ من مَنَافِ

(قال: المعتنز المتنحى في ناحية].

قال: وكان لاهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله ان يتمسح به أيضاً.

فلما بعث الله نبيه واتاهم بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قالوا: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب»، يعنون الأصنام.

واشتهر العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم وامام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الانصاب. فإذا كانت تماثيل دعوها الأصنام والأوثان، وسموا طوافهم الدوار. فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل ثلاث اثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك. فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليها، وهم على ذلك عارفون بفضل الكعبة عليها يحجونها ويعتمرون إليها.

(ابن الكلبي، الأصنام، ليبزج ١٩٤١ ص ١٧ – ٢١]

يزيد والعبادلة :

قال هشام بن محمد [عن أبي مخنف]: ولي يزيد في هلال رجب سنة ٦٠ وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري وأمير البصرة عبيدالله بن زياد وأمير مكة عمر بن سعيد بن العاص ولم يكن ليزيد همة حين ولي الا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته، وانه ولي عهده بعده والفراغ من أمرهم فكتب إلى الوليد: «بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، اما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام». وكتب إليه في صحيفة كانها اذن فأرة: «اما بعد فخذ حسينا وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام.» فلما اتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه فبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه إليه، وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان فحبس عنه مروان وصرمه فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد. فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما امر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة فزع عند ذلك إلى مروان ودعاه فلما قرأ عليه كتاب يزيد استرجع وترحم عليه واستشاره الوليد في الأمر وقال: كيف ترى أن نصنع؟ قال: فاني أرى ان تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فان فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وان ابوا قدمتهم فضربت اعناقهم قبل ان يعلموا بموت معاوية فانهم ان علموا بموت معاوية وثب كل امرىء منهم في جانب واظهر الخلاف والمنابذة ودعا إلى نفسه لا أدري، اما ابن عمر

فاني لا أراه يرى القتال ولا يحب انه يولى على الناس الا ان يدفع إليه هذا الأمر عفواً. فارسل عبدالله بن عمرو بن عثمان وهو إذ ذاك غلام حدث إليهما يدعوهما فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فاتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها، فقال: اجيبا الأمير يدعوكما، فقالا له: انصرف الآن نأتيه. ثم اقبل احدهما على الآخر فقال عبدالله بن الزبير للحسين: ظن فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها. فقال حسين: قد ظننت ارى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر، قال: وانا ما اظن غيره، قال: فما تريد ان تصنع؟ قال: أجمع فتياني الساعة ثم أمشي إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه ثم دخلت عليه، قال: فاني أخافه عليك إذا دخلت، قال: لا آتيه الا وانا على الامتناع قادر. فقام فجمع إليه مواليه وأهل بيته ثم اقبل يمشي حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه: اني داخل فان دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فاقتحموا عليَّ باجمعكم والا فلا تبرحوا حتى اخرج إليكم، فدخل فسلم عليه بالأمرة ومروان جالس عنده. فقال حسين كأنه لا يظن ما يظن من موت معاوية: الصلة خير من القطيعة اصلح الله ذات بينكما، فلم يجيباه في هذا بشيء وجاء حتى جلس فاقرأه الوليد الكتاب ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة. فقال حسين: إنا لله وإنا إليه راجعون ورحم الله معاوية وعظم لك الأجر اما ما سألتني من البيعة فان مثلي لا يعطي بيعته سراً ولا أراك تجتزىء بها مني سراً دون ان نظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى

يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء انت تقتلني أم هو؟ كذبت وأثمت، ثم خرج فمر باصحابه فخرجوا معه حتى اتى منزله. فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبّخ غيرك يا مروان انك اخترت لي التي فيها هلاك ديني والله ما أحب ان لي ما طلعت عليه الشمس وغربت من مال الدنيا وملكها وأني قتلت حسيناً، سبحان الله اقتل حسيناً ان قال لا ابايع والله اني لأظن امرأ يحاسب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة، فقال له مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد اصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه واما ابن الزبير فقال: الآن آتيكم ثم اتى داره فكمن فيها، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمعاً في أصحابه متحرزاً فألح عليه بكثرة الرسل والرجال في اثر الرجال. اما حسين فقال: كف حتى تنظر وننظر وترى ونرى، واما ابن الزبير فقال: لا تعجلوني فاني آتيكم امهلوني، فالحوا عليهما عشيتهما تلك وأول ليلهما وكانوا على حسين اشد ابقاء.

وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالي له فشتموه وصاحوا به: يا ابن الكاهلية والله لتأتين الأمير أو ليقتلنك، فلبث بذلك نهاره كله وأول ليله يقول: الآن أجيء، فإذا استحثوه قال: والله لقد استربت بكثرة الارسال وتتابع هذه الرجال فلا تعجلوني حتى ابعث إلى الأمير من يأتيني برأيه وامره، فبعث إليه اخاه جعفر بن الزبير فقال: رحمك الله كف عن عبدالله فانك قد افزعته وذعرته بكثرة رسلك وهو آتيك غداً ان شاء الله فمر رسلك فلينصرفوا عنا، فبعث إليهم فانصرفوا وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق الفرع هو واخوه جعفر ليس معهما ثالث وتجنب الطريق الأعظم مخافة الطلب وتوجه نحو مكة، فلما أصبح بعث إليه فوجده قد

خرج، فقال مروان: والله إن أخطأ مكة فسرح في اثره الرجال، فبعث راكباً من موالي بني أمية في ثمانين راكباً فطلبوه فلم يقدروا عليه فرجعوا فتشاغلوا عن حسين بطلب عبدالله يومهم ذلك حتى أمسوا. ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفوا عنه تلك الليلة ولم يلحوا عليه، فخرج حسين من تحت ليلته وهي ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦٠هـ، وكان مخرج ابن الزبير قبله بليلة خرج ليلة السبت فاخذ طريق الفرع، فبينا عبدالله بن الزبير يساير أخاه جعفراً إذ تمثل جعفر بقول صبرة الحنظلي:

وكـــل بـــني ام سيمـــسون ليلـة ولم يبق من أعقابهم غير واحد

فقال عبدالله: سبحان الله ما أردت إلى ما أسمع يا أخي؟ قال: والله يا أخي ما أردت به شيئاً مما تكره، فقال: فذاك والله أكره إليّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمد، قال كأنه تطير منه اما الحسين فانه خرج ببنيه واخوته وبني أخيه وجل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فانه قال له: يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ ولست اذخر النصيحة لأحد من الخلق أحق بها منك، تنح بتبعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فان بايعوا لك حمدت الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا يذهب به مروءتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون بينهم فمنهم طائفة معك وطائفة عليك فيقتتلون وتكون لأول الاسنة فإذا خير هذه الامة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً واذلها أهلاً، قال له الحسين: فإني ذاهب يا أخي، قال: فانزل مكة فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وان نبت بك

لحقت بالرحال وشعف الجبال وخرجت من بلد إلى بلد، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فانك اصوب ما يكون رأياً واحزمه عملاً حتى تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون عليك أبداً اشكل منها حين تستدبرها استدباراً، قال: يا أخي قد نصحت فاشفقت فارجو ان يكون رأيك سديداً موفقاً.

(الطبري، ج ٢ ص ٢١٦ - ٢٢١]

زيد بن علي :

أما هشام بن محمد الكلبي، فانه ذكر [أن أبا مخنف حدثه] أن أول أمر زيد بن علي كان ان يزيد بن خالد القسري ادعى مالاً قبل زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن ابي طالب وداود بن علي بن عبدالله بن العباس... فكتب فيهم يوسف ابن عمر إلى هشام بن عبدالملك، وزيد بن علي يومئذ بالرصافة يخاصم بني الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب في صدقة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ومحمد بن عمر بن علي يومئذ مع زيد بن علي، فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام ابن عبدالملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر إليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فانكروا، فقال لهم هشام: فانا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينهم، فقال له زيد: انشدك الله والرحم ان تبعث بي إلى يوسف بن عمر، قال: وما الذي تخاف من يوسف بن عمر، قال: أخاف ان يعتدي ابن علي، قال هشام: ليس ذلك له ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف عمر: اما بعد فإذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد ابن خالد القسري فان هم اقروا بما ادعي عليهم فسرح به إليّ وان هم انكروا فسله بينة فان هو لم يقم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم يزيد بن خالد القسري وديعة ولا له قبلهم شيء ثم خل سبيلهم.

فقالوا لهشام: انا نخاف أن يتعدى كتابك ويطول علينا، قال: كلا انا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ، فقالوا: جزاك الله والرحم خيراً لقد حكمت بالعدل. فسرح بهم إلى يوسف واحتبس أيوب ابن مسلمة لان ام هشام بن عبدالملك ابنة هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وهو في اخواله، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف.

فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد بن علي قريباً منه والطفه في المسألة ثم سألهم عن المال فنكروا جميعاً وقالوا: لم يستودعنا مالا ولا له قبلنا حق، فاخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم فجمع بينه وبينهم وقال له: هذا زيد بن علي وهذا محمد بن عمر بن علي وهذا فلان وفلان الذين كنت ادعيت عليهم ما ادعيت، فقال: مالي قبلهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أفبي تهزأ ام بأمير المؤمنين؟ فعذبه يومئذ عذاباً ظن أنه قد قتله، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وامر بالقوم فبسط عليهم ما عدا زيد بن علي فانه كف عنه فلم يقتدر عند القوم على شيء فكتب إلى هشام يعلمه الحال فكتب إليه هشام أن أستحلفهم وخل سبيلهم، فخلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بن علي بالكوفة...

قال هشام بن محمد الكلبي [عن أبي مخنف]: فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن علي وتأمره بالخروج ويقولون: انا لنرجو أن تكون المنصور وان يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية. فاقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ها هنا فيبعث إليه ان اشخص فيقول: نعم ويعتل له بالوجع، فمكث ما شاء الله ثم سأل أيضاً عنه فقيل

له: هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح، فبعث إليه فاستحثه بالشخوص فاعتل عليه بأشياء يبتاعها واخبره انه في جهازه ورأى جد يوسف في امره فتهيأ ثم شخص حتى اتى القادسية،وقال بعض الناس: أرسل معه رسولاً حتى بلغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له: أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك باسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشام الا عدة قليلة لو ان قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكلفتكهم بإذن الله تعالى، فننشدك الله لما رجعت، فلم يزالوا به حتى ردوه إلى الكوفة...

قال: فرجع زيد إلى الكوفة فاستخفى. قال: فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، حيث أراد الرجوع إلى الكوفة: اذكرك الله يا زيد لما لحقت باهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه فانهم لا يفون لك، فلم يقبل منه ذلك ورجع.

قال هشام: [قال أبو مخنف:] فاقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ويبايعون له حتى احصى ديوانه خمسة عشر الف رجل فاقام بالكوفة بضعة عشر شهراً الا انه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين، ثم اقبل إلى الكوفة فاقام بها وارسل إلى أهل السواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه. قال: وتزوج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبدالله السلمي أحد بني فرقد وتزوج ابنة عبدالله بن أبي العنبس الأزدي...

قال: وكان زيد بن علي ينزل بالكوفة منازل شتى في دار امرأته في الأزد مرة، ومرة في اصهاره السلميين ومرة عند نصر بن خزيمة في بني عبس، ومرة في بني غبر، ثم انه تحول من بني غبر إلى دار معاوية بن

اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري في اقصى جبانة سالم السلولي وفي بني نهد وبني تغلب عند مسجد بني هلال بن عامر. فاقام يبايع اصحابه، وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: انا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه [صلى الله عليه وسلم] وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم واقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا، اتبايعون على ذلك؟ فإذا قالوا نعم وضع يده على ايديهم، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن لي في السر والعلانية، فإذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد. فمكث بذلك بضعة عشر شهراً فلما دنا خروجه امر اصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد ان يفي ويخرج معه يستعد ويتهيأ فشاع امره في الناس...

ذكر هشام [عن ابي مخنف]: ان زيد بن علي لما امر اصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما امرهم به من ذلك فانطلق سليمان بن سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فاخبره خبره وأعلمه انه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر وإلى رجل من تميم يقال له طعمة ابن اخت البارق وهو نازل فيهم، فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندها وأخذ الرجلان فأتي بهما فلما كلمهما استبان له امر زيد وأصحابه، وتخوف زيد بن علي ان يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة... قال: فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه ان يوسف بن عمر قد بلغه امر زيد وانه يدس إليه ويستبحث عن امره، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم، فقالوا: رحمك الله

ما قولك في ابي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما الا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت الا ان وثبا على سلطانكم فنزعاه من ايديكم؟ فقال لهم زيد: ان اشد ما اقول فيما ذكرتم انا كنا احق بسلطان رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من الناس اجمعين وان القوم استأثروا علينا ودفعوه عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة،قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ فقال: ان هؤلاء ليسوا كأولئك، ان هؤلاء ظالمون لي ولكم ولانفسهم وانما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه [صلى الله عليه وسلم] وإلى السنن ان تحيا وإلى البدع ان تطفأ فان انتم اجبتمونا سعدتم وان انتم ابيتم فلست عليكم بوكيل. ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الامام وكانوا يزعمون ان ابا جعفر محمد بن علي اخا زيد بن علي هو الامام وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حيا فقالوا: جعفر امامنا اليوم بعد ابيه وهو احق بالامر بعد ابيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بامام، فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون ان الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث رافقوه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له: ان زيد بن علي فينا يبايع، افترى لنا ان نبايعه؟ فقال لهم نعم بايعوه فهو والله افضلنا وسيدنا وخيرنا فجاؤوا فكتموا ما امرهم به.

قال: واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ وبلغ يوسف بن عمر ان زيداً قد ازمع على الخروج فبعث إلى الحكم بن الصلت فامره ان يجمع أهل الكوفة في

المسجد ليحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فادخلهم المسجد ثم نادى مناديه الا ان الأمير يقول من ادركناه في رحله فقد برئت منه الذمة، ادخلوا المسجد الأعظم، فاتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيداً في دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري فخرج ليلاً وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن اسحق، فرفعوا الهراوي فيها النيران ونادوا: يا منصور أمت أمت يا منصور، فكلما اكلت النار هروياً رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر، فلما اصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التنعي ثم الحضرمي ورجلاً آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبدالقيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم التنعي وارتث القاسم فأتي به الحكم فكلمه فلم يرد عليه شيئاً فامر به فضربت عنقه على باب القصر، فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علي هو وصاحبه. وامر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت ابواب المسجد على أهل الكوفة، وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة إبراهيم بن عبدالله بن جرير البجلي وعلى مذحج واسد عمرو بن ابي بذل العبدي وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي وعلى تميم وهمدان محمد ابن مالك الهمداني ثم الخيواني. قال: وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر فاخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشام: من يأتي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتيني بخبرهم؟ فقال جعفر بن العباس الكندي أنا، فركب في خمسين فارساً ثم اقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولي فاستخبرهم ثم رجع إلى يوسف بن عمر فأخبره، فلما أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة فنزل

عليه ومعه قريش واشراف الناس، وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزني فبعث الريان بن مسلمة الاراشي في الفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجالاً معهم النشاب، واصبح زيد بن علي فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله أين الناس؟ فقيل له هم في المسجد الأعظم محصرون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر.

.... وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة العائديين وبها خمسمائة من أهل الشام فحمل عليهم زيد بن علي فيمن معه فهزمهم...

قال: وانتهى زيد بن علي إلى باب دار رجل من الأزد يقال له انس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودي وهو في الدار، فجعل لا يجيب فناداه زيد: يا انس اخرج اليّ رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً، فلم يخرج إليه، فقال زيد ما اخلفكم قد فعلتموها الله حسيبكم.

... قال: وأقبل زيد بن علي وقد رأى خذلان الناس اياه فقال يا نصر ابن خزيمة أخاف ان يكونوا قد جعلوها حسينية، فقال له: جعلني الله لك الفداء اما انا فوالله لاضربن معك بسيفي هذا حتى اموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة. ثم ان نصر بن خزيمة قال لزيد بن علي: جعلني الله لك الفداء ان الناس في المسجد الأعظم محصورون فامض بنا نحوهم فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن عرفطة، وبلغ عبيد الله بن العباس الكندي اقباله فخرج في أهل الشام واقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص فكع صاحب لواء عبيدالله وكان لواءه مع سلمان مولاه فلما اراد عبيد الله الحملة وراه قد كع عنه قال احمل يا ابن

الخبيثة، فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم، ثم ان عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحناط فاضطربا بسيفهما فقال للاحول خذها مني وانا الغلام الحناط وقال الآخر قطع الله يدي ان كلت بقفيز أبداً ثم ضربه فلم يصنع شيئاً وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حريث، وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا من الذل إلى العز اخرجوا إلى الدين والدنيا فانكم لستم في دين ولا دنيا، فاشرف عليكم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها وقيل في جبانة سالم وانصرف الريان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن علي فيمن معه، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة فنزل في دار الرزق...

(ثم يتابع المناوشات إلى استشهاد زيد ص ١٧٠٦ - ١٧١١].

(الطبري ج ٢، ص ١٦٦٨ - ١٦٧٠، ص ١٦٧٦ - ٧؛ ص ١٦٨٥ - ١٦٨٨؛ ص ١٦٩٨ - ١٧٠٦]

مصعب الزبيري

ولد معد بن عدنان :

قال: فولد معد بن عدنان: نزاراً وقضاعة، وأمهما:معانة بنت جوشم ابن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم، وقد انتسبت قضاعة إلى حمير، فقالوا قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ، وأمه: عكبرة امرأةٌ من سبأ، خلف عليها معد، فولدت قضاعة على فراش معد، وزوروا في ذلك شعراً فقالوا:

يا أيهـــا الداعي ادعُنا وأبشرِ　　وكُن قـــضـــاعـــيـــا ولا تَنَزَّرِ
قُضـــاعَةُ بنُ مـــالكِ بن حِمْيَرِ　　النسبُ المعـــروف غـــيـــرُ المنكرِ

قال: واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدل على ان نسبهم في معد. قال جميل: وهو من بني الحارث بن سعد، اخوة عذرة، وهم من قضاعة:

وأيُّ مَعَدّ كان فيءُ رِمَاحِهـــم　　كما قد أفائنا والمفاخِرُ منْصِفُ

وقال زيادة بن زيد، وهو منهم :

وإذا مَعَدٌّ اوقدت نيرانهـــا　　للمجدِ أَغْضَت عامرٌ وتقنّعوا

وعامر هؤلاء رهط هدبة بن خشرم، وهم اخوة عذرة من بني الحارث ابن سعد بن قضاعة. قال: كان الوليد في سفر، فرجز به ابن العذري، والوليد على نجيب، فقال:

يا بكرُ هل تعلمُ من عَلاكا   خليفةُ اللـــه علـى ذُراكـا

فقال الوليد لجميل: انزل، فارجز. فنزل، فقال:

أنا جميلٌ فـي السَّنام مـن مَعَدّ   في الذروة العلياء والركنِ الأشَدّ

فقال له: اركب لا حملك الله، ولم يمدح جميل احداً قط، والشعر في هذا كثير، والله اعلم.

فولد نزار: مضر وإياداً، وأمهما: خبية بنت عك بن عدنان، وربيعة وانمار ابني نزار، وأمهما: حدالة بنت وعلان بن جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم، وكان يقال: ربيعة وعمر الصريحان من ولد اسماعيل. فدخل من كان منهم بالعراق في النخع، وكان منهم بالشام على نسبهم في نزار، وقد قال امرؤ القيس بن حجر:

ولقـد رَحَلتُ العـيس ثُمَّ زَجَرْتُهـا   وَهْناً وقلتُ: عَلَيكِ خـيـرَ مَعَدّ
فعليك سعدَ بن الضباب فأسرعي   سـيـراً إلى سـعـدٍ عليك بسَعْدِ
قـومٌ تفـرّع من إيادٍ بيـتُهـا   بين النَّبـيـت الاكـرمينَ وبُردِ
سـعـدٌ يجـيـر الخـائفين وكـفُّه   تَنْدى نـوالاً مـن طـريـف وتـلْدِ

واما انمار بن نزار فمنهم: بجيلة، انتسبوا إلى اليمن الا من كان منهم بالشام والمغرب، فانهم على نسبهم إلى انمار بن نزار. وقال جرير بن عبدالله حين نافر الفرافصة الكلبي إلى الاقرع بن حابس:

يا اقرعَ بن حابسٍ يا اقرعُ   ان يصرع اليوم اخوك تُصرَع

وقال أيضاً:

يا ابني نزار انصرُا اخاكما   إنّ ابـي وجَدْتهُ اباكمـا
لن يُخذَل اليوم اخٌ والاكُما

فنفره الأقرع على الفرافصة بن الاحوص.

ومنهم: خزيمة، وهم يشكر، وقد انتسبوا في الازد ومنهم: خثعم،وهو أقبل بن أنمار بن نزار، وانما خثعم جبل تحالفوا عنده فنسبوا إليه، وهم بالسراة على نسبهم إلى أنمار بن نزار. وإذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين مضر حرب كانت خثعم مع اليمن على مضر.

قال أبو عبدالله الزبيري: فولد مضر بن نزار: إلياس، والناس، وهو عيلان، وامهما: الحنفاء ابنة إياد بن معد. فولد إلياس بن مضر: مدركة واسمه عامر، وطابخة واسمه عمرو، وقمهة واسمه عمير، وامهم: خندف، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، ويقال لهم خندف باسم أمهم، وينتسبون إليها، واما قمعة وهو عمير فيزعمون انه ابو خزاعة، يقولون: كعب بن لحي بن قمعة بن خندف. ويروى عن النبي [صلى الله عليه وسلم] انه قال: أول من سيب السائبة وبحر البحيرة وحمى الحامي عمرو بن لحي بن قمعة [أبو بني كعب هؤلاء]، رأيته في النار يجر قصبه، واشبه ولده بن اكثم بن أبي الجون. فقال اكثم: أيضرني ذلك يا رسول الله؟ قال: انت مؤمن وهو كافر.

وخزاعة تقول: كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن غسان، ويأبون هذا النسب والله اعلم. ان كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال ما روي، فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- اعلم وما قال فهو الحق.

واما طابخة، وهو أبو تميم وضبة وعكيل وتميم بنو أد بن طابخة أخي مزينة ومر.

فولد مدركة، وهو عامر بن إلياس: خزيمة وهذيلاً، أمهما سلمى بنت اسد بن ربيعة بن نزار.

فولد خزيمة بن مدركة: كنانة، وامه: عوانة بنت قيس بن عيلان، وأسداً واسدة والهون بني خزيمة، وأمهم: برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار، وهي اخت تميم بن مر، وقال جرير بن الخطفي:

فما الأمّ التي ولدت قريشاً بمقرفة النّجار ولا عَقِيم
فما ولدٌ باكرم من ابيكم ولا خالٌ باكرَمَ مِن تميم

فأما أسدة فيزعمون انه جذام ولخم وعاملة، واسم جذام عامر، وقد انتسب بنو أسدة في اليمن، فقالوا: جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان، وقد قال أبو سمال الاسدي، واسمه سمعان بن هبيرة بن مساحق بن بجير بن عمير بن اسامة بن نصر بن قعين، وهو يذكر نسب جذام ولخم وعاملة:

أبلغ جُذاماً ولخماً إنْ عرضتَ بهم والقومُ ينفعهُم علماً إذا عَلِموا
والقومُ عاملةُ الاثرين قُلْ لَهُم قولاً ستبلُغهُ الوسّاجَة الرُسُمُ
لأنتمُ في صميم الحق اخوتُنا إذ يخلق الماءُ في الارحام والنَّسَمُ
لم أرَ مثل الذي يأتون جاء به قومٌ يَذُرّ على مختومِهم خُتَمُ

وقال بعض من يعلم: لما قدم خالد بن عبدالله القسري أميراً على العراق، ومعه قوم من جند الشام، فيهم من لخم وجذام، فاهدت لهم بنو اسد بن خزيمة، فقالوا: انتم قومنا، واحدثوا هذا الشعر الا بيتاً منه «لم ار مثل الذي يأتون جاء به»، فانه قديم لا يدري لمن هو ولا من عني به.

(نسب قريش ص ٥ – ٦]

ولد عبدالله بن عبدالمطلب :

فولد عبدالله بن عبد المطلب: رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وأمها برة بنت عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي، وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي، وأمها برة بنت عدي بن عويج بن عدي بن كعب، وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش بن عادية بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، وأمها قلابة بنت الحارث، وهو أبو قلابة الشاعر، وهو أقدم من قال الشعر في هذيل، وهو الذي يقول:

ان الرشـــاد وان الغيَّ في قَرَن   بكل ذلك يأتيك الجـــديدان
لا تأمنن وان اصـــبحتَ في حَرَم   ان المنايا بجنبي كل انســـان

واسم أبي قلابة الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل، وأمها ربة بنت الحارث بن تميم، وأمها لبنى بنت الحارث بن النمر ابن جروة بن أسيِّد بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار.

فولد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القاسم، وهو أكبر ولده، ثم زينب، ثم عبدالله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. هم هكذا، الأول فالأول. ثم مات عبدالله ثم ولدت مارية بنت شمعون إبراهيم، وهي القبطية التي أهداها إلى رسول الله المقوقس صاحب الاسكندرية، واهدى معها اختها سيرين وخصيا يقال له مأبور، فوهب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبدالرحمن بن حسان، وقد انقرض ولد حسان بن ثابت.

وام بني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غير إبراهيم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب، وأمها فاطمة بنت زائدة ابن جندب وهو الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن رمعيص، وأمها هالة بنت عبد مناف ابن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص، وأمها العرقة، واسمها قلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر، وحبان بن عبد مناف، اخو هالة لابيها وامها، هو الذي رمى سعد بن معاذ يوم الخندق، فقال: خذها وانا ابن العرقه، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: عرق الله وجهه في النار، فأصاب أكحل سعد، فمات منها شهيداً.

وكان مولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، مات بالمدينة وهو ابن ثمانية عشر شهراً، واخوة ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لامهم: هند بنت عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، وهند بنت أبي هالة نباش بن زارة، وهالة بنت أبي هالة، وأبو هالة من بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبدالدار بن قصي.

وكانت زينب بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند أبي العاصي بن الربيع بن وائل، فولدت له عليا، انقرض، وكان غلاماً، زعموا ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أردفه خلفه يوم فتح مكة وهو رديف رسول الله -صلى الله عليه وسلم -؛ وأمامة بنت أبي العاصي أوصى بها أبو العاصي إلى الزبير بن العوام، فتزوجها علي بن أبي طالب فقتل عنها، فتزوجها المغيرة بن نوفل، فهلكت عنده، ولم تلد، فليس لزينب عقب.

وكانت رقية عند عتبة بن أبي لهب، وكانت ام كلثوم عند عتيبة بن ابي

لهب. فلما نزلت ﴿تبَّت يدا أبي لهب﴾ أمرهما أبوهما وأمهما ففارقاهما. فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، فولدت له عبدالله، به كان يكنى، وقدمت المدينة معه، وتخلف عن بدر عليها بامر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم تزوج أم كلثوم، فهلكت عنده.

وكانت فاطمة عند علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، أخذته عن محمد بن سعد كاتب الواقدي، يعني مولد الحسن، وسماه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حسناً وكان يشبّه بالنبي -صلى الله عليه وسلم-. مر به أبو بكر الصديق ومعه علي يمشي إلى جانبه، والحسن يلعب مع الصبيان، وذلك بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- فاحتمله على رقبته وهو يقول:

[وابأبي] شبه النبي
ليس شبيهاً بعلي

وذكر لي عن عبدالله البهي مولى آل الزبير قال: تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي [صلى الله عليه وسلم]، فدخل علينا عبدالله بن الزبير، فقال: انا احدثكم باشبه اهله به واحبهم إليه الحسن بن علي، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزل حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر وقال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: انه ريحانيتي من الدنيا، وان ابني هذا السيّد، وعسى ان يصلح الله به فئتين من المسلمين وقال: اللهم إني أحبه وأحب من يحبه، وسئل الحسن: ماذا سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال: سمعته يقول: دع ما يريبك إلى

ما لا يريبك فان الشر ريبة وان الخير طمأنينة، وعقلت منه اني بينما انا امشي معه إلى جنب جرين الصدقة تناولت تمرة فالقيتها في فمي فادخل اصبعه فاستخرجها في لعابها فألقاها وقال: انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وعقلت منه الصلوات الخمس، وعلمني كلمات اقوالهن عند انقضائهن: اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما اعطيت، وقنا شر ما قضيت، انك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت....

قال: وروى ابن عون عن عمير بن اسحاق قال: ما تكلم احد عندي كان أحب إليّ إذا تكلم الا يسكت من الحسن بن علي، وما سمعت منه كلمة فحش قط الا مرة، فانه كان بين حسين بن علي وعمرو بن عثمان خصومة في أرض فعرض حسين ولم يرضه عمرو، فقال الحسن: ليس عندنا الا ما يرغم أنفه. فهذه أشر كلمة فحش سمعتها منه قط.

وذكر عن علي بن زيد بن جدعان التميمي قال: خرج الحسن بن علي خمس عشرة مرة ماشياً، وخرج من ماله لله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات، حتى ان كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفاً ويمسك خفاً.

والحسين بن علي، يكنى ابا عبدالله، ولد لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة. ذكر ان ام الفضل، امرأة العباس، قالت: يا رسول الله! رأيت فيما يرى النائم كأن عضواً من اعضائك في بيتي. قال خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبان ابنك قثم فولدت حسيناً فكفلته أم الفضل...

وام كلثوم بنت علي، خطبها عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب، وقال: زوجني يا أبا الحسن، فاني سمعت رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- يقول: كل سبب وصهر منقطع يوم القيامة الا سببي وصهري. فزوجه إياها، فولدت لعمر زيداً ورقية، ثم قتل عنها عمر، فتزوجها محمد ابن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها عون بن جعفر بن أبي طالب، فمات عنها فتزوجها عبدالله بن جعفر فمات عنها.

وزينب بنت علي زوجها علي من عبدالله بن جعفر، فولدت له علي بن عبدالله، وأم كلثوم.

[نسب قريش ص ٢٠ - ٢٥)

الهيثم بن عدي

اختيار موقع الكوفة :

... حدثني الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر فكتب إليه عمر ان تنزلهم منزلاً غريباً، فارتاد كويفة بن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والاقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها.

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٧٧]

عبدالملك وعمرو بن سعيد :

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي، [عن ابن عياش الهمداني وأبي خباب قالا:] قال قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: كنت عند عبدالملك بن مروان انا وحسان بن بحدل الكلبي وولده واخوته وابو الزعيزعة مولاه فجاء الآذن فاستأذن لعمرو بن سعيد، فأذن له وجعل يقول:

احذر عدوك ان يكون صديقا ... وإذا هممت بقتله فتمكّن
ادنيته مني ليسكن روعه ... فأصول صولة حازم مستمكن
غضبا ومحمية لديني (انه) ... ليس المسيء سبيله كالمحسن

ثم التفت إليّ وإلى حسان فقال: إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو، قال عبدالملك، وهو يتضاحك: يا حسان انت أطول من قبيصة

ثم خرجنا. فقال حسان: هو والله قاتله، ان عبدالملك ليس في منطقه فضل وانما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به. قال: وسلم عمرو ثم جلس مع عبدالملك على سريره فحادثه ساعة، ثم اقبل أبو الزعيزعة فاخذ السيف عن عاتقه، فقال:أمير المؤمنين أيؤخذ سيفي؟ فضحك عبدالملك ثم قال: أو تطمع لا ابا لغيرك ان تقعد معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فاطرق عمرو ثم قال له عبدالملك: يا أبا أمية اني كنت اعطيت الله عهداً ان ملأت عيني منك مستمكناً ان اجمع يديك إلى عنقك، ثم اثقلك حديداً، فقال عبدالعزيز ابن مروان:ثم تصنع ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: اطلقه وما عسيت ان اصنع بابي أمية، قم يا أبا الزعيزعة فات بجامعة وقيد فأتى بهما وكانا قد اعدا له فصيرهما في عنقه ورجليه فقال عمرو: نشدتك الله يا أمير المؤمنين ان تخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أو مكراً يا أبا أمية! لعمري ما أخرجك فيهما ولا اخرجهمامنك الا صعدا. ثم جذبه ابو الزعيزعة جذبة سقط منها على وجهه، فاصابت قائمة السرير ثنيته فانكسرت. فقال: يا عبدالملك نشدتك الله ان يدعوك كسر عظم مني إلى ان تركبني باشد منه، فقال: يا ابا أمية لو علمت ان العرب والعجم يبقون هملاً ويصلح امر قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنه الله ما اجتمع فحلان في هجمة قط الا قتل احدهما صاحبه، قم يا عبدالعزيز فاضرب عنقه وخرج عبدالملك لصلاة العصر، فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألف من مواليه من أهل حمص، فلما احس به عبدالملك امسك انفه بيده كالرعيف وقدم ابن ام الحكم الثقفي وكان خلفه، فصلى ابن ام الحكم بالناس، ودخل عبدالملك القصر فقال لعبدالعزيز: ما صنعت؟ قال: يا أمير المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال:.... ادنه يا غلام فاضجع له ثم ذبحه بيده بالسيف وهو يقول:

يا عمرز إلا تدع شتمي ومنقصتي   اضربك حيث تقول الهامة اسقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه واصحابه فكثر ضجيجهم وجعلوا يقولون: اسمعنا صوتك يا أبا أمية فخرج إليهم الوليد ابن عبدالملك في موالي عبدالملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على اليته وذلك الصحيح، ويقال على رأسه، فاخذه ابن أرقم فادخله بيتاً واجاف عليه الباب ودخل عبدالرحمن بن ام الحكم من باب المسجد فقال لعبدالملك: أيها الرجل ما صنعت فقد حل الخطب، قال: قتلته، قال: أصاب الله بك الخير والرشد. فاخذ ابن ام الحكم الرأس فرمى به إلى أصحاب الاشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وامر عبدالملك ببيت المال ففتح ونادى في الناس ان احضروا اعطياتكم فاقبل الناس وتركوا ما كانوا فيه ووضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول أين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد ادركوا ثأرهم فاخبر بمكانه وانه لم يصب فامسك وأمر عبدالملك فنودي من أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله الف دينار، فاخذوا جميعاً من ساعتهم فأمر باشخاصهم إلى الكوفة، فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

(البلاذري – انساب الاشراف ج ٤ ص ١٤١ – ١٤٤]

عبدالملك وابن الاشتر :

وقال الهيثم بن عدي: كتب عبدالملك إلى إبراهيم بن الاشتر وهو مع مصعب كتاباً فاتى به المصعب قبل ان يقرأه فلما قرأه قال له: يا أبا النعمان أتدري ما فيه؟ قال: لا، قال: يعرض عليك ما سقت دجلة أو ما سقى الفرات فان ابيت جمعهما لك وان هذا لما يرغب فيه، فقال إبراهيم: ما كنت لأتقلد الغدر والخيانة، وما عبدالملك من احد بأيأس منه مني، وما

ترك أحداً ممن معك الا وقد كتب إليه فابعث إليهم واضرب اعناقهم والا فاوقرهم حديداً ثم القهم في ابيض كسرى ووكل بهم حفظة فان ظفرت عفوت عنهم أو عاقبت، فقال: يا أبا النعمان اني أخاف في هذه القالة ووالله لو لم أجد إلا النمل لقتلت به أهل الشام.

قال: فلما اصطف الناس مال عتاب بن ورقاء فذهب وكان على خيل أهل الكوفة وجعل إبراهيم يقول لرجل رجل تقدم فيلتوي عليه فيتقدم هو فيقاتل فلم يزل يفعل ذلك حتى قتل. ثم تقدم مصعب فخذله الناس، فقال لحجار بن أبجر: تقدم يا أبا اسيد [قال]: إلى هؤلاء الانتان؟ قال: ما تتأخر إليه انتن. ثم قال للغضبان بن القبعثري: تقدم يا أبا السمط، فقال: ما أرى ذاك، فالتفت إلى قطن بن عبدالله الحارثي وهو على مذجح واسد فقال: تقدم، فقال: اسفك دماء مذجح في غير شيء، فقال: اف لكم. ثم اقبل في عدة فلما برز قال زياد بن عمر العتكي لعبد الملك: يا أمير المؤمنين ان أبا البختري إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله كان لي صديقاً وقد خفت ان يقتل فآمنه، قال: هو آمن. ودنا محمد بن مروان فاعطى مصعباً الامان فأباه ورمي مصعب من كل جانب فأثخن، وقاتل ابنه عيسى حتى قتل، وقتل ابن ظبيان مصعباً، ويقال ضربه غلام له على جبينه، واعتوره الناس، فقتل ووقف ابن ظبيان فاحتز رأسه واتي به عبدالملك.

(البلاذري - انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٤١]

خالد القسري :

قال الهيثم بن عدي: [أخبرني الحسن بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال:] كنت كثيراً ما أقول لأصحابي إني أحسب هذا الرجل قد تخلى منه

ان قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يظهر ما يظهر، فقلت له يوماً: أيها الأمير إن الناس قد رموك بابصارهم وهي قريش وليس بينك وبينها إلٌ وهم يجدون منك بداً وانت لا تجد منهم بداً فانشدك الله الا ما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فما اقدرك على ان تتخذ مثلها وهو لا يستفسدك وان كان حريصاً على ذلك فلعمري لان يذهب بعض ويبقى بعض خير من ان تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن ان يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائعاً خير من ان تعطيه كارهاً، فقال:ما انت بمتهم ولا يكون ذلك ابداً. قال: فقلت اطعني واجعلني رسولك فوالله لا يحل عقدة الا شددتها ولا يشد عقدة الا حللتها، قال: انا والله لا نعطي على الذل، قال قلت: هل كانت لك هذه الضياع الا في سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه ان اخذها؟ قال: لا، قلت: فبادره فانه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن له عندك يد الا ما ابتدأك به كنت جديراً ان تحفظه، قال: لا والله لا يكون ذلك ابداً. قال قلت: فما كنت صانعاً إذا عزلك واخذ ضياعك فاصنعه فان اخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك واكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام، قال: قد ابصرت ما تقول وليس إلى ذلك سبيل وكان العريان يقول كانكم به قد عزل واخذ ماله وتجنى عليه ثم لا ينتفع بشيء. قال فكان كذلك.

[الطبري، ج ٢، ص ١٦٥٥ - ١٦٥٧]

اختيار موقع بغداد :

ذكر عن الهيثم بن عدي [عن ابن عياش قال:] لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً رافقاً بالعامة والجند فنعت له موضعاً قريباً من بارمّا وذكر له عنده غذاء طيب فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيباً، فقال لجماعة من أصحابه منهم سليمان بن مجالد وابو أيوب الخوزي وعبدالملك بن حميد الكاتب وغيرهم: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: ما رأينا مثله هو طيب صالح موافق، قال: صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وانما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الاسعار ولا تشتد فيه المؤنة فاني ان اقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الاسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فانا نازل فيه وبائت به فان اجتمع لي ما اريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيه.

قال الهيثم بن عدي: فخبرت انه اتى ناحية الجسر فعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وكان في صيف وكان في موضع القصر بيعة قس ثم بات ليلته حتى اصبح فبات اطيب مبيت في الأرض وارفقه واقام يومه فلم ير الا ما يحب، فقال: هذا موضع ابني فيه فانه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ولا يحمل الجند والعامة الا مثله. فخطها وقدر بناءها ووضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله

والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. ثم قال: ابنوا على بركة الله.

[الطبري ج٣ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤]

وفـــاة المنصور :

وذكر الهيثم بن عدي، عن الربيع، أن المنصور رأى في حجته التي مات فيها وهو بالعذيب أو غيره من منازل طريق مكة رؤيا، وكان الربيع عديله وفزع منها وقال: يا ربيع ما احسبني الا ميتاً في وجهي هذا وانك تؤكد البيعة لأبي عبدالله المهدي، قال الربيع: فقلت له: يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويبلغ أبو عبدالله محبتك في حياتك ان شاء الله. قال: وثقل عند ذلك وهو يقول: بادر بي إلى حرم ربي وامنه هارباً من ذنوبي واسرافي على نفسي، فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون، فقلت له: هذه بئر ميمون وقد دخلت الحرم، فقال: الحمدلله وقضى من يومه.

قال الربيع: فأمرت بالخيم فضربت وبالفساطيط فهيئت وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويل والدراعة وسندته والقيت في وجهه كلة رقيقة يرى منها شخصه ولا يفهم أمره وادنيت أهله من الكلة حيث لا يعلم بخبره ويرى شخصه ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أوهمهم انه يخاطبني، ثم خرجت فقلت: أمير المؤمنين مفيق بمن الله وهو يقرأ عليكم السلام، ويقول: اني أحب ان يؤكد الله امركم ويكبت عدوكم ويسر وليكم وقد احببت ان تجددوا بيعة ابي عبدالله المهدي؛ لئلا يطمع فيكم عدو ولا باغ، فقال القوم كلهم: وفق الله أمير المؤمنين نحن إلى ذلك اسرع. قال: فدخل فوقف ورجع إليهم فقال: هلموا للبيعة فبايع القوم كلهم فلم يبق أحد من خاصته والاولياء ورؤساء من حضره الا بايع المهدي. ثم دخل

وخرج باكياً مشقوق الجيب لاطماً رأسه، فقال بعض من حضر: ويلي عليك يا بن شاة، يريد الربيع، وكانت امه ماتت وهي ترضعه، فارضعته شاة.

قال: وحفر للمنصور مائة قبر ودفن في غيرها للخوف عليه. قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس، لا يعرف لاحد منهم قبر. قال: فبلغ المهدي، فلما قدم عليه الربيع قال: يا عبد الم تمنعك جلالة أمير المؤمنين ان فعلت ما فعلت به؟ وقال قوم انه ضربه، ولم يصح ذلك.

(الطبري ج ٣، ص ٤٥٦ – ٤٥٧]

أبو عبيدة (معمر بن المثنى)

حديث يوم الكلاب :

قال أبو عبيدة: وكان من حديث يوم الكلاب الأول فيما حدث خراش وابن الكلبي هشام بن محمد، أن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي كان فرق بنيه في قبائل العرب، قال فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بني عمرو بن تميم الرباب، قال: وصار سلمة بن الحارث في بني تغلب والنمير بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم. قال: وكانت طوائف من بني دارم بن مالك بن حنظلة من ولد أسيدة بنت عمرو بن عامر بن امرىء القيس بن قتيبة بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة مع اخوتهم التغلبيين لأمهم في بني تغلب.... ومع سلمة الصنائع، وهم الذين يقال لهم بنو رقية رجال كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس؛ أي ممن شذ منهم أي طرداء الأحياء. قال: فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو تشتت أمرهم وتفرقت كلمتهم، قال: ومشت الرجال بينهم فكانت المغادرة بين الأحياء التي معهم يغير بعضهم على بعض وتفاقم امرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف بعضهم إلى بعض بالجيوش. قال: فسارت بكر بن وائل ومن معهم من قبائل حنظلة وبني أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب فنزلت الكُلاب، وهو ماء بين البصرة والكوفة. وذلك على بضع عشرة ليلة من اليمامة [على سبع ليال أو نحوها]، واقبل سلمة

في بني تغلب والنمر وأحلافها، وفي بني سعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع [قال وهم اتباع الملوك] يريدون الكلاب. قال: وكان نصحاء شرحبيل وسلمة قد نهوهما عن التفاسد والتحاسد، وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها. قال: فلم يقبلا ذلك وأبيا الا التتايع واللجاجة، فقال سلمة في ذلك:

انّى عليّ استتبّ لومكما ولم تلوما عمراً ولا عُصَمَا
كلاّ يمين الاله يجمعنا شيء واخوالَنا بني جُشَمَا
حتى تزور الضِّباعُ ملحمةً كأنها من ثمود أو إرما

قال: وكان أول من ورد الكلاب من جموع سلمة بن الحارث الملك سفيان بن مجاشع جد الفرزدق.. قال: وكان نازلاً في بني تغلب مع اخوته لامه، قال: فقتلت بكر بن وائل ستة بنين له فيهم مرة بن سفيان [قتله سالم بن كعب بن عمر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان] وقرط بن سفيان وبيبة بن قرط بن سفيان، فقال سفيان حين قتل ابنه مرّة:

الشيخ شيخٌ ثكلان والجوف جوف حَرّان
والوِردُ وردُ عجلان الفي إليك مُرّة بن سفيان

قال: وفي ذلك اليوم قال الفرزدق:

فوارسُ منهم عدس بن زيد وسفيان الذي ورد الكلابا

ويروى شيوخ. قال: وأول من ورد الماء من تغلب رجلان رجل من بني عبيد بن جشم على فرس له يقال له الخروب وبه كان يعرف وهو نعمان ابن قريع بن حارثة بن معاوية بن عبيد بن جشم. قال: ثم ورد سلمة ببني تغلب وسعد وجماعة الناس، قال: وعلى بني تغلب السفاح، وهو سلمة بن خالد بن زهير بن كعب بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب، وهو يقول:

ان الكُلاب ماؤنا فخلّوه　　　　وساجراً واللّه لن تحلُّوه

قال: فاقتتل القوم قتالاً شديداً وثبت بعضهم لبعض، قال: حتى إذا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل، قال: وانصرفت بنو سعد والفافها عن بني تغلب وصبر ابنا وائل وتغلب ليس معهم غيرهم حتى غشيهم الليل ونادى منادي شرحبيل: من اتاني براس سلمة فله مائة من الابل، ونادى منادي سلمة: من أتاني براس شرحبيل فله مائة من الابل. قال: وكان شرحبيل نازلاً في بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب ففروا عنه، قال: وعرف أبو حنش وهو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر مكان شرحبيل فقصد نحوه، قال: فلما نظر إليه رآه جالساً وطوائف من الناس يقتتلون حوله فطعنه بالرمح ثم نزل إليه فاحتز رأسه وأتى به سلمة والناس حوله فطرح الرأس بين يديه، فانحازت بكر بن وائل لما قتل صاحبهم من غير هزيمة تذكر.

قال: وقال أناس آخرون إن بني حنظلة وعمرو بن تميم والرباب لما انهزمت خرج معهم شرحبيل ولحقه ذو السنينة، وذلك انه كانت له سن زائدة، واسمه حبيب بن بعيج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم...، قال: فالتفت إليه فضرب ذا السنينة على ركبته فأطنّ رجله، [وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه أمها سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي كليب ومهلهل] فقال ذو السنينة: يا أبا حنش قتلني الرجل، فقال أبو حنش: قتلني الله إن لم اقتله، قال: ومات ذو السنينة فحمل أبو حنش على شرحبيل فادركه فالتفت إليه شرحبيل فقال: يا أبا حنش اللبن اللبن، قال: قد هرقت لنا لبناً كثيراً، فقال: يا أبا حنش أمَلِكٌ بسوقة؟ قال: إنه كان ملكي، يعني أخاه،

قال: فطعنه أبو حنش فأصاب رادفة سرجه فورعت عنه ثم اهوى له فالقاه عن الفرس ثم نزل إليه فاحتز رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له يقال له أبو أجأ بن كعب بن مالك بن عتاب فاتى به سلمة فطرحه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت القيته القاء رفيقاً، قال: ما صنع به وهو حي شر من هذا، قال: وعرف القوم الندامة في وجهه والجزع على أخيه، وهرب أبو حنش فتنحى عنه. فقال معدي كرب أخو شرحبيل، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن حربهما، ويقال إن الشعر لسلمة لا لمعدي كرب:

ألا أبلغ أبا حنش رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثواب
تعلّم أنّ خير الناس طرًا ... قتيل بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشمُ بن بكر ... واسلمه جعاسيس الرباب
قتيلٌ ما قتيلك يا ابن سلمى ... تضُرّ به صديقك أو تحابي

فاجابه أبو حنش فقال :

أحاذر ان أجيئك ثم تحبو ... حباء أبيك يوم صُنيبعان
وكانت غدرةٌ شنعاء سارت ... تَقلّدها أبوك إلى الممات
تتابع سبعةٌ كانوا لأمّ ... كأجرام النعام الحائرات

.... قال: وكان أخذ درع شرحبيل منه فطلبها منه أبو حنش ورهطه فأبى أن يدفعها إليهم، فاغار رهط ابي حنش، فأخذوا ابلا لرجل من بني تيم بن أسامة بن مالك رهط معدي كرب، فقال الذي اخذت ابله:

ألا ابلغ بني تيم رسولاً ... فاني قد كبرت وطال عمري
وانّ الدُهْم قد علمت مَعَدّ ... محبّسة لدى عُصُم بن عمرو
وطار بها بنو حسان عني ... بأفراس لهم حُوّ وشقر
وأرماحٍ لهم سُمر طوال ... كأن كعوبهن حبابُ قطر

قال: وبلغ الخبر غلفاء معدي كرب أخا شرحبيل فقال يرثى أخاه ويذكر مصابه:

إنَّ جنبي عن الفراش لنابِ   كتجافي الأسرّ فوق التّرابِ

قوله الأسر من الشرر وهو داء يأخذ البعير في كركرته فتسيل ماء، فإذا برك في موضع غليظ تجافى لشدة الوجع:

من حديث نَمَى إليّ فما تَرْقأ   عيني وما اسيغُ شرابي
مرّةٌ كالذّعاف اكتمها الناس   على حَرِّ مِلّةٍ كالشهاب
من شرحبيلَ إذ تعاوره   الارماح من بعد لذّة وشباب
يا ابن أمّي ولو شهدتك إذ تدعو   تميماً وانت غير مجاب
لتشددتُ من ورائك حتى   تبلغ الرُّحبَ أو تُبزّ ثيابي
أحسنت وائل وعاداتها الاحسـ   ـان بالحنو يوم ضرب الرقاب
يوم فرّت بنو تميم وولّت   خيلهم يتّقين بالاذناب
ويحكم يا بني أُسيّد إني   ويحكم ربكم وربُّ الرباب
أين معطيكم الجزيل وحابيـ   ـسكم على الفقر بالمائين الكُباب
والثمانين قد تخيّرها الراعي   ككرم الزبيب ذي الأعناب
فارس يضرب الكتيبة بالسيف   على نحره كنضح الملابش

قوله [أجزرونا] أبا سلمى يقول: صيرونا جزراً للاعدء، و [أبوسلمى] من بني رياح أحد بني هرميّ بن رياح، و(سفيان] بن حارثة بن سليط بن يربوع، وفي نسخة ابن سعدان [جارية بن سليط]. وقال السفاح في ذلك أيضاً:

وردنا الكُلاب على قومنا باحسن وِرْدٍ لهيجا شِعاراً
وقد جمعوا جمعهم كلّه وجمع الرِّباب لنا مستعاراً

وقال أبو اللحام التغلبي واسمه سريع بن عمرو، وعمرو هو اللحام بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حبيب :

ربعنا بالكُلابِ وما ربعتم وانهبنا الهجائن بالصعيد
سقينا الابل غِبّاً بعد عِشر وغبّاً بالمزاد من الجلود
وجُردٍ كالقداح مسوَّماتٍ شوازب مُحْلَسات باللّبود
بكل فتىً أطار الغزو عنه بشاشَةَ كلّ سربالٍ جديد

وقال جابر بن حنّى في ذلك أيضاً :

ويوم الكلاب قد ازالت رماحنا شرحبيل إذ آلى ألِيَّةَ مُقْسِمِ
ليستلبن أدراعنا فأزاله أبو حنش عن ظهر شقّاء صِلْدِمِ
تناوله بالرمح ثم ثنى له فخرَّ صريعاً لليدين وللفم
وكان معادينا تهِرُّ كلابه مخافة جمع ذي زُهاءٍ عرمرمِ

قال: فلما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى الحقوهم بقومهم ومأمنهم، قال: وولي ذلك عوير بن شِجنة بن الحارث بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة، قال: فحشد له في ذلك رهطه ونهضوا معه فيه فاثنى عليه امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بذلك في أشعاره وامتدحهم وذكر ما كان من كريم وفائهم وفعالهم ووصف ما كان من صبر قبائل بكر بن وائل وما كان من محاماتهم وخص بني قرّان وهو عبدالله بن عبدالعزى ابن سحيم بن مرة بن الدّوَل بن حنيفة ومحرق بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وبني مرثد بن سعد بن مالك، قال: وهجا بني

حنظلة، وذكر ما كان من خذلانهم وفرارهم واسلامهم شرحبيل وانهزامهم وفصّل قبائل حنظلة قبيلة قبيلة فعم البراجم وغيرهم من بني دارم بن مالك بن حنظلة وخص قبائل نهشل وقطن بن نهشل وامهما مادية المنقرية [امرأة من الاراقم من بني تغلب] الذي قال امرؤ القيس:

بلّغ ولا تترك بني ابنة منْقر   وفقّرهم انـي افقّر جابراً

قوله [ففقرهم] يقول: فصّلهم فقرة فقرة؛ أي قبيلة قبيلة، يعني بني عوف رهط عوير بن شجنة، وهو عوف بن كعب بن سعد، وقال امرؤ القيس:

انَّ بني عوف ابتنوا حسبا   ضيّعه الدُّخللونَ إذ غدروا
ادّوا إلى جارهم ذمامهم   ولم يُضيعوا بالغيب من نصروا

ويروى خفارته، ويروى، ولم يضع بالمغيب.

لم يفعلوا فعل حنظلٍ بهم   بئس لعمري بالغيب ما ائتمروا...

وقال امرؤ القيس أيضاً:

احنظلُ لو حاميتم وكرمتم   لاثنيتُ خيراً صالحاً ولارضاني

وقال أيضاً:

ألا قبّح الله البراجم كلّها   وقبّح يربوعاً وجدّع دارماً

قال أبو عبيدة: وكان الكلاب يوماً من أيام العرب المشهورة المذكورة فقال فيه شعراء الاسلام وافتخروا بفضلهم فيه، وعير بعضهم بعضاً فقال الأخطل في ذلك، مما يدل على تصديقه:

ابني كليب انّ عمّيّ اللّذا   قتلا الملوك وفكّكا الاغلالا
وأخوهما السفاح ظمّأ خيله   حتى وَرِدْن جبى الكُلاب نهالا

(كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق
باعتناء بفان، ليدن ١٩٠٥ ص ٤٥٢ – ٤٦١]

ذو قـــار :

قـال أبو عثـمـان: حـدثنا أبو عبـيدة [قـال: حدثنا أبو المختـار فـراس بن خندق القيسـي قيس بن ثعلبة وعدة من علمـاء العرب قد سمـاهـم فراس بن خندق، واثبت الحديث الاصمعي فيمـا اثبته وعرفـه،] ان الذي جر يوم ذي قار قتل النعمـان بن المنذر اللخمي عدي بن زيد العبـادي، قال: وكان عدي من تراجمة برواز كسـرى بن هرمز، قال: فلمـا قتل النعمان عدياً كان اخو عدي وابنه زيد عند كسـرى وحرفـا كتـاب اعتذاره إليه بشيء غضب منه كسـرى فـامر بقتله، وكـان النعمـان لما خـاف كسـرى اسـتـودع هانـىء بن مسعود بن هانـىء بن عامر الخصيب [قال: والخصيب لقبه وهو الخصيب ابن عمرو المزدلف، والمزدلف لقبه، وهـو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة] حلقته ونعمه وسـلاحاً غير ذلك، قـال: وذلك ان النعمـان بنّاه بنتين له. قال أبو عبيدة: قال بعضـهم: لم يدرك هانـىء بن مسعود هذا الأمـر، قـال: وهـو اثبت عند ابي عـبيدة.... قـال: فلمـا قتل كسرى النعمـان استعمل إياس بن قبيصـة الطائي على الحيرة، وما كان عليه [النعمان].

قـال أبو عبيدة: قـال عمـر: وكـان كسـرى لما هرب من بهرام جوبين يوم هزمـه بالهزدان مـر كسـرى بإياس فـاهدى له فرسـاً وجزوراً فشكر ذلك له كسرى، قـال: فبعث كسـرى إلى إياس أين تركة النعمـان، قال: قد خزنـهـا [يريد قد أحـرزها] في بكر بن وائل، قال: فـأمر كسـرى ان يضـم مـا كـان للنعـمـان ويبـعث به إليـه، قـال: فـبـعث اياس إلى هانـىء ان أرسل إليّ بما استـودعك النعمان من الدروع وغيرها فـالمقلل يقول كانت اربعمائة درع والمكثر يقول ثمانمائة درع فـابى هانـىء أن يسلم خفـارته، قال: فلما منعـها هانـىء غضـب كسرى فاظهر انه مستاصل بكر بن وائل وعنده النعمان بن

زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر، فقال لكسرى: يا خير الملوك أدلك على عدو يطلبهم وعلى غرة بكر، قال: نعم، قال: امهلنا حتى نقيظ فانهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار تساقط الفراش في النار فأخذتهم كيف شئت وانا عندك إلى ان اكفيكهم ومع ذلك فان مطالبيهم في ذلك الوقت كثير وذلك مما يوهن كيدهم ويكون ايسر على الملك مطالبتهم لمن يشغلهم ممن يطلبهم بالذحل، فترجموا له قوله [تساقط الفراش في النار] فأقرهم حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو حنو ذي قار وهو من ذي قار على مسيرة ليلة. قال: فارسل كسرى إليهم النعمان بن زرعة ان اختاروا من ثلاث خصال واحدة اما ان تعطوا بايديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء واما ان تعروا الديار واما ان تأذنوا بالحرب، قال: فنزل النعمان على هانيء فقال: انا رسول الملك اليكم اخيركم احدى ثلاث خصال اما كذا واما كذا واما كذا على ما مضى. قال: فتوامروا بينهم ثم انهم اختاروا الحرب فولوا امرهم حنظلة ابن ثعلبة بن سيار العجلي وكانوا يتيمنون به في حروبهم وما ينوبهم فقال لهم: اني لا أرى الا القتال فلأن يموت الرجل كريماً خير له من ان يحيى مذموماً لانكم ان اعطيتم بايديكم قتلتم وسبيت ذراريكم وان هربتم قتلكم العطش وتلقاكم تميم فتهلككم فآذنوا الملك بحرب.قال: فبعث كسرى إلى إياس وإلى الهامرز التستري وكان مسلمة بالقطقطانة وإلى خنابزين وكان مسلمة أيضاً ببارق. قيل: وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين وكان كسرى استعمله على طف سفوان أن يوافوا اياساً فإذا اجتمعوا فاياس على الناس.

قال: وجاءت الفرس ومعها الجنود والفيول عليها الاساورة [وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: وقد رق امر الفرس وادبر ملكهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: اليوم انتصفت العرب من العجم بي.

قال: فحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الوقعة]. قال: فلما دنت جنود الفرس من بكر بمن معها انسلّ قيس بن مسعود ليلاً فاتى هانئاً فقال: اعط قومك سلاح النعمان فيقوا به انفسهم فان هلكوا كان تبعاً لانفسهم وكنت قد اخذت بالحزم وان ظهروا ردوه عليك، ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذي القوة والجلد من قومه. فلما دنا الجمع من بكر بن وائل قال لهم هانىء: يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب فاركبوا الفلاة، قال فتسارع الناس إلى ذلك فوثب حنظلة بن سيار فقال له: انما اردت نجاتنا فلم تزد على ان القيتنا في التهلكة فرد عليه الناس فقطع وضن الهوادج، قال: وانما فعل ذلك لئلا تستطيع بكر ان تسوق بالنساء ان هربوا فسمي مقطع الوضن. قال: ويقال مقطع البطن [والبطن حزم الاقتاب. والوضن حزم الرحال، قال أبو عثمان: وسمعت ام صبيح الكلابين ويقال لها الذلفاء وكانت من افصح الناس وسألتها عن النسوع فقالت: إنا لنضنها معشر النساء]. وضرب حنظلة قبة على نفسه ببطحاء ذي قار وآلى ان لا يفر حتى تفر القبة فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم، قال: فاستقوا ماء لنصف شهر، قال: فاتتهم العجم فقاتلتهم بالحنو حنو قراقر فجزعت العجم من العطش فهربت ولم تقم لمحاصرتهم فهربت إلى الجبابات، قال: فتبعتهم بكر وعجل أوائل فتقدمت عجل وابلت يومئذ بلاء حسناً، قال: واضطمت عليهم جنود العجم فقال الناس: هلكت عجل، ثم حملت بكر فوجدت عجلاً ثابتة تقاتل وامرأة منهم تقول:

ان يظفروا يحرزوا فينا الغُرْل ... ايه فدى أبي لكم بني عجل

وتقول أيضاً تحرض الناس :

إن تهـزموا نعانــق ... ونفـــرش النمــارق

أو تهزمــوا نفــارق ... فــراق غيــر وامــق

قال: فقاتلوهم بالجبابات يوماً ثم عطشت الاعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار، قال: وارسلت اياد إلى بكر سرا وكانوا اعوانا على بكر مع اياس بن قبيصة؛ اي الامرين اعجب اليكم ان نطير تحت لياتنا فنذهب او نقيم حتى نفر حتى تلاقوا القوم، قالوا: بل تقيمون فاذا التقى الناس انهزمتم بهم. فصبحتم بكر بن وائل والظعن واقفة يذمون الرجال على القتال ويحضضنهم على لقائهم والصبر على ذلك، وقال يزيد بن حمار السكوني وكان حليفا لبني شيبان: اطيعوني واكمنوا لهم كمينا ففعلوا وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذي قار يسمى إلى اليوم الخبيء قال: فاجتلدوا وعلى ميمنة هانيء بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة ابن سيار العجلي، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون، فقال حنظلة بن ثعلبة:

قد جدَّ استياعكمُ فجدّوا ... ما عِلّتي وأنا مُؤدٍ جَلْدُ

[قال: مؤدٍ أي ذو أدواة من السلاح تامةٍ يقول فلا عذر لي] :

والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ ... مثل ذراع البكر او اشدّ

قد جَعَلَت اخبار قومي تبدو ... إنَّ المنايا ليس منها بُدّ

هذا عبيدٌ تحته ألدُّ ... يقدمه ليس له مَرَدّ

حتى يعود كالكميتِ الوَرْدُ ... خَلُّوا بني شيبان فاستبدّوا

نفسي فدتكم وأبي والجدّ

وقال حنظلة أيضاً:

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا ... أجدرُ يوم ان تفلّوا الفرسا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار:

مـن فَرَّ مـنـكـم فَرَّ عـن حــــــريمـه   وجــــــاره وفــــــرّ عـن نـديمـه
انـا ابن ســيـــار على شكيــمـــه   إنّ الـــشرّاك قُدّ مــــن اديمـــه
وكلهـم يجـــري على قـــديمـه   من قــارح الـهـجنة او صـمـيـمـة

قال فراس: ثم صيروا الامر بعد هانيء إلى حنظلة بن ثعلبة بن سيار فمال إلى مارية ابنته وهي ام عشرة نفر احدهم جابر بن أبجر فقطّع وضينها فوقعت إلى الارض وقطع وضن النساء فوقعن إلى الارض، ونادت بنت القرين الشيبانية، حين وقعت النساء إلى الأرض:

ويهاً بني شيبان صفاً بعدَ صَفْ   ان تُهزموا يصبغـوا فينا القُلَف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أقبيتهم من قبل مناكبهم وذلك لان تخفّ أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم ونادى الهامرز مرد ومرد [يريد رجل ورجل] فقال برد بن حارثة اليشكري: ما يقول؟ قال: يدعو إلى البراز رجل ورجل، قال: وابيكم لقد انصف. قال: فحمل عليه برد بن حارثة اليشكري فقتله، ويقال يزيد بن حارثة. فقال سويد بن أبي كاهل في ذلك:

منّا يزيد اذا تحدّى جموعكم   فلم تُقربوه المرزبان المسوّدا

ويروى المسورا. قال: ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار: يا قوم لاتقفوا لهم فيستغرقكم النشاب، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش وقد قتل يزيد رئيسهم الهامرز وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش وعليهم خنابزين. قال: وخرج عليهم الكمين من خبيء ذي قار من ورائهم وعليهم يزيد بن حمار فشدوا على قلب الجيش قال: وفيهم اياس بن قبيصة وولت اياد منهم وانهزمت الفرس.

قال سليط: فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ قالوا: فلما التقى

الناس وولت الفرس منهزمة قلنا: يريدون الماء فلما قطعوا الوادي وصاروا من ورائه وجازوا قلنا هي الهزيمة، قال: وذاك في حد الظهيرة في يوم قائظ شديد حره، قال: فاقبلت كتيبة عجل كأنهم طن قصب لا يفوت بعضهم بعضا يطرفون لا يمعنون هربا ولا يخالطون القوم ثم تذامروا [يقول لام بعضهم بعضا] فرجعوا فرموا بجباههم فلم يكن الا اياها فأمالوا بأيديهم فولوا فقتلوا الفرس ومن معهم بين بطحاء ذي قار حتى بلغوا الراخصة.

قال فراس: فحدثت انهم تبعهم تسعون فارسا لم ينظروا إلى سلب ولا إلى شيء حتى تعارفوا بأدم وهو قريب من ذي قار فوجد منهم ثلاثون فارسا من بني عجل وستون فارسا من سائر بكر وقتلوا خنابزين قتله حنظلة بن ثعلبة بن سيار، وقال ميمون أعشى بني قيس ثعلبة يمدح بني شيبان خاصة في قوله:

فدىً لبني ذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبُها يوم اللقاء وقلَّتِ
همُ ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُراقر ... مقدمه الهامرز حتى تولَّتِ
وأفْلتنا قيسٌ وقلتُ لعلّه ... يثيبُ وان كانت به النعلُ زلَّتِ

قال: فهذا يدل على ان قيسا شهد ذا قار. وقال بكير: أصم بني الحارث بن عباد، يمدح شيبان:

ان كنتِ ساقيةَ المدامة اهلها ... فاسقي على كرم بني همّام
وأبا ربيعةَ كُلها ومُحَلِّماً ... سبقا بغاية أمجدِ الايّام
ضربوا بني الامرار يوم لقوهمُ ... بالمشرفيّ على مقيل الهام
عرباً ثلاثة آلفٍ وكتيبة ... الفينِ أعْجَم من بني الفَدّام
شدَّ ابنُ قيسٍ شَدَّةً ذهبت لها ... ذِكرى له في مُعرقٍ وشآم
عمرو وما عمرو بقَحْمٍ دالفٍ ... فيها ولا غُمرٍ ولا بغُلام

فلما مدح الاعشى والأصم بني شيبان خاصة غضبت اللهازم فقال أبو كلبة أحد بني قيس بن ثعلبة يؤنبهما بذلك:

جُدعتما شاعري قوم ذوي حسب حُزّت انوفكما حَزًّا بمنشار
اعني الأصَمّ وأعشانا اذا اجتمعا فلو استعانا على سمع وإبصار
لولا فوارسُ لا ميلٌ ولا عُزُلٌ من اللهازم ما قاظوا بذي قار
نحن اتيناهم من عند اشملهم كما تَلَبّس ورّادٌ بصُدّار

قال أبو عمرو بن العلاء: فلما بلغ الاعشى قول أبي كلبة قال: صدق...

وقال اعشى ابي ربيعة:

ونحن غداة ذي قار اقمنا وقد شهد القبائل مُحلبينا
وقد جاؤوا بها جَأواء فلْقًا ململمةً كتائبها طحونا
ليوم كريهة حتى تَجلّت ظلالُ دُجاهُ عنا مُصلتينا
فولّونا الدوابر واتّقونا بنُعمان بن زرعة اكتَعينا
وذدنا عارض الاحرارِ وردًا كما ورد القطا الثُمَدَ الَمعينا

وقال أبو النجم العجلي في الإسلام يفخر بيوم ذي قار:

نحن ابحنا الريف للمُمتار يوم استلبنا رايَةَ الجبّار

بأسفل البطحاءِ من ذي قار

وقال العذيل بن الفرخ العجلي:

ما اوقد الناسُ من نار لمكرمة الا اصطلينا وكنّا موقدي النار
وما يعدّون من يوم سمعتُ به للناس أفضل من يومٍ بذي قار
جئنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ يوم استلبنا لكسرى كُلّ اسوار

وقال الاخطل، يفخر على جرير أنهم شهدوا يوم ذي قار:

هلاّ كفيتم مَعَدًّا يوم معضلةٍ — كما كفينا مُعَدًّا يوم ذي قار
جاءت كتائب كسرى وهي مغضبةٌ — فاستأصلوها وأردوا كلَّ جبَّار

قال أبو عبيدة وقال عامر ومسمع قد ادرك الحوفزان بن شريك يوم ذي قار وقاتل، وقال في ذلك الشعر:

لما رأيت الخيل شَكَّ نحورها — حرابٌ ونُشَّابٌ صبرتُ جناحا

[جناح اسم فرسه]

على الموت حتى أنزل اللهُ نصره — وودَّ جناحٌ لو قضى فاستراحا

وقال عائذ الله: ويقال بل قالها رجل من بني شيبان آخر ولم يدرك الحوفزان ذا قار وقالها بشر أخو الحوفزان. قال: واما من شهد يوم ذي قار من تميم فان أبا عبيدة حدثنا قال: أخبرني سليط قال: لما كان يوم ذي قار وكان في بكر أسراء من تميم اكثرها من بني يربوع قالوا لهم: خلونا نقاتل معكم فانا طلقاء خير لكم من أسراء، قالوا: انا نخاف ان تهربوا فتواثقوا بان لا تفعلوا فواثقوهم ان يرجع من لم يقتل منهم حتى يضع يده في ايديهم، قال: فخلوهم فقاتلوا معهم. قال ابو عبيدة فحدثني بتصديق هذا مسحل بن زيداء بنت جرير قال: اخبرنا جرير قال: لما كان يوم ذي قار وكان في بكر اسراء من تميم قريب مائتي اسير وفيهم جزء ابن سعد الرياحي احد بني رياح بن يربوع اسيرا فقال: خلونا نقاتل معكم فانا نذب عن انفسنا، قال: فواثقوهم ليرجعن اليهم ان سلموا وقالوا لهم: نخاف ان لا تناصحوا، فقالوا لهم: دعونا فلنعلم حتى تروا مكاننا ويرى غناؤنا قال: فاعلموا فذلك قول جرير:

منّا فـــوارس ذي بَهْدا وذي نَجَب ... والمُعلمون صـبـاحـاً يوم ذي قـار
مُسـتـرعـفـاتٍ بجـزء في أوائلـهـا ... وقـعنب وحـمـاةٍ غـيـرِ اغـمـار

... قال: وأما عامر بن عبد الملك فزعم أن فارساً لما غزتهم تسامعت بذلك العرب فجاء ثمانون من أهل بيت من بني يربوع وناس من بني ضبة فقالوا نكون قريبا فاذا انهزمت بكر أغرنا فيمن يغير فبلغ ذلك بكرا فقالوا: نبدأ بهؤلاء فوجهوا اليهم المكسر الأضجم الضراري واسروا بقية القوم فلم يزالوا عندهم حتى التقوا وفارس فحلوهم من وثاقهم فقاتلوا معهم. قال عامر بن عبد الملك المسمعي: فلم تفخر تميم بهذا. قال ضرار ابن سلامة العجلي في ذلك :

كـسـونا الأضـجم الضبّيّ لما ... أتانا حـدٌّ مـصـقـولٍ رقـيق
وفـرَّ ضـبّةُ الجـعـراء لمّا ... أجَدَّ بهن إتْعـابُ الوسـيق
اسـرنا منهم تسـعين كـهـلا ... نقـودهـم إلى وَضَح الطريق
وجـالوا كـالنَّعـام وأسلمـونا ... إلى خـيل مـسـوَّمـةٍ ونوق

(النقائض ص ٦٣٨-٦٤٨)

[أخبار] عبيد الله بن زياد :

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في روايته: عاد ابن زياد عبدالله بن نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ثم خرج من عنده فلقيه حمران مولاه وكان قد وجهه إلى يزيد فأسر إليه موت يزيد واختلاف اهل الشام، فأمر عبيد الله فنودي الصلاة جامعة ثم خطب فنعى يزيد وحض الناس على الطاعة وقال: اختاروا لانفسكم فماسحوه ثم بدا لهم في بيعته وجعلوا يمسحون ايديهم منها بالحيطان. وكان في سجنه نافع بن الازرق الحنفي ونجدة بن عامر الحنفى وعبدالله ابن اباض وعبيدة بن هلال العنزي

وعمرو القنا ابن عميرة من بني ملادس بن عبدشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكانوا غضبوا للبيت فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد اهل الشام ثم انهم قدموا البصرة فالتقطهم ابن زياد وحبسهم، فيقال انه كان في سجنه من الخوارج مائة واربعون.

قال ابو عبيدة في بعض روايته: لما كان موت يزيد بن معاوية واظهار ابن زياد اياه بالبصرة خرج سلمة بن ذؤيب الرياحي الفقية وهو على فرس له شهباء وقد لبس سلاحة ومعه لواء فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير وطاعته وقال: عليكم بالعائذ البيت وابن حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبايعه جماعة يسيرة، وبلغ ابن زياد ذلك فخطب الناس فاختص أول أمره وأمر ابيه بالبصرة وعدد بلاءه عند اهلها ثم قال: بايعتموني ثم مسحتم ايديكم بالحيطان وقلتم ما قلتم ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعوكم إلى الخلاف إرادة أن يفرق جماعتكم؛ ليضرب بعضكم جباه بعض، وكان الذي اخبر ابن زياد بامر سلمة بن ذؤيب عبد الرحمن ابن بكرة، ويكنى ابا الحر، فقال الاحنف بن قيس والناس: نحن نجيئك بسلمة، فأتوا سلمة فإذا معه جمع كثيف قد سافر إليه واذا الفتق قد اتسع فامتنع عليهم فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد فلم يأتوه، فقال: والله لقد لبسنا الخز حتى أجمته جلودنا فما بنا إلى ان نعقبها الحديد اياما والله لو اجتمعتم على قرن عنز لتكسروه ما كسرتموه ودعا البخارية ومن كان من اصحاب السلطان إلى المحاربة معه فلم يجيبوه واعتلوا عليه فانغمس في الازد في بيت مسعود.

قال: وكان في بيت مال ابن زياد نحو ثمانية الاف الف درهم، فقال للناس حين خطب: هذا فيئكم فخذوا أرزاقكم وارزاق عيالاتكم وذريتكم

وامر الكتاب بتحصيل الناس وتقرير مالهم فلما رأي قعود الناس عنه وظهر سلمة كف عن ذلك وأمر بنقل المال حين هرب فهو يتردد في آل زياد. وقال له اخوته: والله ما من خليفة نقاتل عنه ولا تأمن ان يدال عليك فتعطب وتهلك ويذهب اموالنا، وقال له عبدالله اخوه وهو ابن مرجانة: والله لئن قاتلت القوم لاقتلن نفسي بسيفي هذا، فلما رأى عبيد الله ذلك ارسل إلى الحارث بن قيس بن صهبان الجهضمي فسأله ان يسأل مسعودا ان يجيره فسأله ذلك فأباه فقال له الحارث: يا معشر الازد إنكم اجرتم زيادا فبقي لكم شرف ذلك وذكره وفخره، فقال مسعود: أترى ان نعادي اهل مصرنا في عبيد الله وقد أبليناه فلم يكافينا ولم يشكر ما كنت أحب ان يكون هذا رأيك، فقال: قد بايعته فيمن بايع ولن يعاديك احد على الوفاء له فلما ابى مسعود على الحارث اجارة ابن زياد أنس إلى ام بسطام امرأة مسعود وهي ابنة حمه فقال لها: اني دعوت مسعودا إلى مكرمة فاباها وانا ادعوك إلى ان تسودي نساء قومك ابدا وكلمها في اجازة ابن زياد فأجارته، ويقال انه اعطاها مائة الف درهم كانت مع ابن زياد فادخلته حجلتها والبستة ثوبا لزوجها فلما جاء مسعود أعلمته ذلك فغضب واخذ برأسها حتى خرج عبيد الله والحارث فحجزا بينهما وقال له عبيد الله اجارتني عليك وألبستني ثوبك واكلت من طعامك وقد التف علي منزلك وتلطف الحارث له حتى رضي، فلم يزل في منزل مسعود حتى قتل مسعود ثم شخص إلى الشام. وقال ابو عبيدة: وآل زياد ينكرون أن يكون ابن زياد شخص قبل قتل مسعود وان يكون مسعود بعث معه من يردفه.

وقال يزيد بن ربيعة بن مفرغ شعرا ذكر فيه فرار ابن زياد من دار

الامارة إلى الازد ثم إلى الشام بعد مقتل مسعود وخذلانه وذكر هربه عن امه وامرأته هند الفزارية:

أقــــرُّ لعـــــيني أنه عقَّ امّه ... دعـتـه فـولاها استـه وهو يهـرب
وقـال عليكِ البـأسُ كـوني سـبـيّة ... كـمـا كنتِ او مـوتي فللمـوت أقـرب
وقـد هتـفت هندٌ به مـا امـرتني ... ابنِ لي وخـبـرني إلى أين اذهب
فـقـال أريد الازد في عـقـر دارهم ... وبكراً فـمـالي عنهم مـتـجنّب
بما قـدّمت كـفّاك مـا لك مـهـرب ... من القــوم يومـاً والدهاء تصـبّب
ولو كنتَ صلبَ العود أو ذا حـفـيظة ... كـــررتَ على هندٍ وهندٌ تشـــجّب
وغـادرتَ مـسـعـوداً رهينة حـتـفـه ... يمجّ نجـيـعَ الخـوف وهـو مُلحّب
ولو لم يَفُت ركضـاً حثيثاً لحلّقت ... بأشـلائه في الجـو عنقـاءُ مُغـرِبُ

وقال أيضاً:

قـدّمتَ مـسـعـوداً ليـصلى حـرّها ... وفَأَلتَ لمّا ان نـعـــــاه النـاعـي
أفَلا مَررتَ وراءه مـــتـشـرّياً ... لما أُصـيب دعـا بحـتـفك داع
وتركتَ أمّك والرمـاحُ شـوارع ... يا ليـتني لك ليلةَ الأفـزاع
ليس الكريم بمن يفـارقُ أُمّه ... وبـنـايـة بـالمـنـزلِ الجَعْجَاع
وخـذلتَ مـسـعـوداً وطرتَ مـولّياً ... مـثلَ الظليم أثرتُه بالقـاع

قال أبو عبيدة: فهذا دليل على انه انما هرب إلى الشام بعد مسعود وانه حين قتل مسعود كان بالمصر لم يبرح.

قال ابو عبيدة: ولما هرب ابن زياد بقي الناس بغير أمير فلما لم يكن لهم امير ارتضوا بنعمان بن صهبان الراسبي وقيس بن الهيثم يختاران لهم فكان رأي قيس في عبدالله بن الأسود الزهري ورأي النعمان بن صهبان في بَبّة وقال النعمان:

هو هاشمي وابن اخت القوم الذين الملك فيهم لأن ام ببة هند بنت ابي سفيان، وكان النعمان شيعيا شهد مع علي صفين واقبلوا ببة فنزل دار الامارة. قال أبو عبيدة: وكان ذلك برضا جميع الناس الازد وغيرهم، وقوم يقولون إن ذلك لم يكن برضى الازد فقولهم باطل. قال الفرزدق:

وبايعتُ اقواماً وَفَيْتُ بعهدهم   وبَبَّةُ قد بايعتُه غيرَ نادم

وقوم يروونه: وهو نائم.

(البلاذري - أنساب الأشراف ٤ ص ١٠١-١٠٥)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــــــلاذري

الفتنـــة :

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف في اسناده، قالوا: التقى أهل الامصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام وكان رئيس اهل الكوفة كعب بن عبدة الهندي ورئيس اهل البصرة المثنى بن مخر بن العبدي ورئيس اهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما اعطى من نفسه وعاهد الله عليه وقالوا لا يسعنا الرضى بهذا فاجتمع رأيهم على ان يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصر. فيكون رسول من شهد مكة من اهل الخلاف على عثمان إلى من كان على مثل رأيهم من اهل بلده وان يوافوا عثمان في العام المقبل في داره فيستعتبوه فان اعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، فعلوا ذلك. فلما حضر الوقت خرج الاشتر إلى المدينة في مائتين وخرج حكم ابن جبلة العبدي في مائة ولحق به بعد ذلك خمسون فكان في مائة وخمسين وجاء اهل مصر وهم اربع مائة، ويقال خمسة مائة ويقال سبع مائة ويقال ست مائة، عليهم امراء اربعة ابو عمرو بن بديل بن ورقاء بن عبد العزى الخزاعي على ربع وعبد الرحمن بن عديس البلوي على ربع وكنانة بن بشر التجيبي على ربع وعروة بن شييم بن البياع الكناني ثم الليثي على ربع، فلما اتوا المدينة اتوا دار عثمان ووثب معهم رجال من اهل المدينة منهم عمار بن ياسر العنسي ورفاعة بن رافع الانصاري وكان

بدريا والحجاج بن غزوية وكانت له صحبة وعامر بن بكير أحد بني كنانة فحصروا عثمان الحصار الأول.

وقال الواقدي في اسناده: لما كانت سنة اربع وثلاثين كتب بعض اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمّاله ويكثرون عليه ويسأل بعضهم بعضا ان يقدموا المدينة ان كانوا يريدون الجهاد، ولم يكن احد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه الا زيد بن ثابت وأبو اسيد الساعدي وكعب بن مالك بن ابي كعب من بني سلمة من الانصار وحسان بن ثابت الانصاري، فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى علي فسألوه ان يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له: ان الناس ورائي قد كلموني في امرك ووالله لا ادري ما اقول لك ما أعرّفك شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه وانك لتعلم ما تعلم وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، لقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا وما ابن ابي قحافة وابن الخطاب بأولى بالحق منك ولأنت اقرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحما ولقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك لا تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، فقال له عثمان: والله لوكنت مكاني ما عنفتك ولا اسلمتك ولا عتبت عليك ان وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعاً ووليت من كان عمر يوليه، نشدتك الله ألم يول عمر المغيرة بن شعبة وليس هناك! قال نعم، قال: أو لم يول معاوية فقال علي: ان معاوية كان اشد خوفا وطاعة لعمر من يرفأ وهو الآن يبتز الامور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس هذا امر عثمان ويبلغك فلا تغير. ثم خرج وخرج

عثمان بعده فصعد المنبر فقال: أما بعد فان لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون لكم ما تكرهون مثل النعام يتبعون أول ناعق احب مواردهم إليهم البعيد، والله لقد نقمتم علي ما اقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وخبطكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما احببتم وكرهتم وألنت لكم كنفي وكففت عنكم لساني ويدي فاجترأتم علي، فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: اسكت ودعني واصحابي.

وقال الواقدي في رواية: وكان محمد بن ابي بكر ومحمد بن ابي حذيفة لا يفتران من التحريض على عثمان بمصر فخرج ابن عديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي وعروة بن شييم الليثي في خمس مائة واظهروا انهم يريدون العمرة وكان خروجهم في رجب، ووجه عبدالله بن سعد بن ابي سرح إلى عثمان بخبرهم رسولا سار احدى وعشرين ليلة وساروا المنازل حتى نزلوا بذي خشب، فقال عثمان: هؤلاء يظهرون انهم يريدون العمرة ووالله ما يريدون الا الفتنة لقد طال على الناس عمري ولئن فارقتهم ليتمنون يوما من ايامي. فاتى عثمان عليا في منزله فقال له يا ابن عم إن قرابتي قريبة وحقي عظيم والقوم فيما بلغني على أن يصبحوني ليقتلوني وانا اعلم ان لك عند الناس قدرا وانهم يسمعون منك فأحب ان تركب اليهم فتردهم على ان اصير إلى ما تشير به وتراه ولا اخرج عن امرك ولا اخالفك، فركب علي ومعه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أبو الاعور وابو الجهم بن حذيفة العدوي وجبر بن مطعم وحكيم بن حزام وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد ومن الانصار ابو حميد الساعدي وابو أسيد الساعدي وزيد بن

ثابت وكعب بن مالك ومحمد بن مسلمة، وقال بعضهم: ان عمار بن ياسر كان معهم، فكلمهم علي ومحمد بن مسلمة حتى انصرفوا راجعين إلى مصر ثم لم ينشبوا ان رجعوا وادعوا امورا فأقسم عثمان انه لم يفعلها.

وحدثني بكر بن الهيثم: حدثني اسماعيل بن عبد الكريم من آل منبه اليماني: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، ان الناس كانوا يأتون عليا لسابقته وقرابته وفضله لا انه اراد ذلك منهم كان مروان يأتي عثمان فيخبره انه يؤلب الناس عليه ويصعب كل شيء يكون من اهل مصر وغيرهم به وابلغه عنه ان قوما قدموا من مصر فاستقل عدتهم فقال لهم: ارجعوا فتأهبوا فاني باعث إلى العراق من يأتيني من اهله بجيش يبطل الله به هذه السيرة الجائرة ويريح من مروان وذويه، فقال عثمان: اللهم ان عليا أبي الا حب الامارة فلا تبارك له فيها.

محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جريج وداود بن عبد الرحمن العطار عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبدالله، ان المصريين لما نزلوا بذي خشب بعث عثمان اليهم محمد بن مسلمة في خمسين من الانصار انا فيهم فلم يزل بهم حتى رجعوا فرأوا بعيرا عليه ميسم الصدقة وعليه غلام لعثمان فوجدوا معه كتابا ان اقتل فلانا وفلانا فرجعوا فحصروه.

وروى أبو مخنف: ان المصريين وردوا المدينة فاحاطوا وغيرهم بدار عثمان في المرة الأولى، فاشرف عليهم عثمان فقال: ايها الناس ما الذي نقتم علي فاني معتبكم ونازل عند مجتكم؟ فقالوا: زدت في الحمى لإبل الصدقة على ما حمى عمر، فقال: انها زادت في ولايتي، قالوا: احرقت كتاب الله، قال: اختلف الناس في القراءة فقال: هذا قرآني خير من قرآنك وقال: هذا قرآني خير من قرآنك، وكان حذيفة أول من انكر ذلك

وانهاه إليّ، فجمعت الناس على القراءة التي كتبت بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: فلم احرقت المصاحف اما كان فيها ما يوافق هذه القراءة التي جمعت الناس عليها فهلا تركت المصاحف بحالها؟ قال: اردت ان لا يبقي شيء الا ما كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وثبت في الصحف التي كانت عند حفصة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانا استغفر الله، قالوا: فانك لم تشهد بدرا، قال: خلفني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابنته، قالوا: لم تشهد بيعة الرضوان، قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة فصفق عني بيده وشمال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير من يميني، قالوا: فررت من الزحف، قال: فان الله قد عفا عن ذلك، قالوا: سيرت خيارنا وضربت ايسارنا ووليت علينا سفهاء اهل بيتك، قال: انما سيرت من سيرت مخافة الفتنة، فمن مات منهم فارضوا بالله حكما بيني وبينه ومن بقي منهم فردوه واقتصوا مني لمن ضربت واما عمالي فمن شئتم عزله فاعزلوه ومن رأيتم اقراره فأقروه، قالوا: فمال الله الذي اعطيت قرابتك، قال: اكتبوا به على للمسلمين صكا لا عجل منه ما قدرت على تعجيله واسعي في باقية، اني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث زنى بعد احصان او كفر بعد ايمان او ان يقتل رجل رجلا فيقتل به ووالله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا قتلت نفسا بغير حقها ولا ابتغيت بديني بدلا مذ هداني الله للاسلام ولا والله ما وضعت يدي على عورتي مذ بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اكراما ليده.

فلما قال هذه المقالة كسر حلماءهم عنه ونصب له كنانة بن بشر التجيبي وعروة بن شييم فاقبلا لا يقلعان ولا يكفان عنه، واتى المغيرة بن

شعبة عثمان فقال له دعني آت القوم فانظر ما يريدون، فمضى نحوهم فلما دنا منهم صاحوا به: يا اعور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك، فرجع. ودعا عثمان عمرو بن العاص فقال له: ائت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبى مما ساءهم فلما دنا منهم سلم فقالوا: لا سلم الله عليك، ارجع يا عدو الله، ارجع يا ابن النابغة فلست عندنا بأمين ولا مأمون، فقال له ابن عمر وغيره ليس لهم الا علي بن ابي طالب فلما اتاه قال: يا ابا الحسن ائت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، قال: نعم ان اعطيتني عهد الله وميثاقه على انك تفي لهم بكل ما اضمنه عنك، قال: نعم، فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على اوكد ما يكون واغلظ. .خرج إلى القوم فقالوا وراءك قال لا بل امامي تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فعرض عليهم ما بذل عثمان، فقالوا: اتضمن ذلك عنه، قال: نعم، قالوا: رضينا واقبل وجوههم واشرافهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه فاعتبهم من كل شيء، فقالوا: اكتب بهذا كتابا فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله عثمان امير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين والمسلمين، ان لكم ان اعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه يعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد المنفي ولا تجمر البعوث ويوفر الفيء، وعلي بن ابي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب، شهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك بن أبي وقاص وعبدالله بن عمرو وزيد بن ثابت وسهل بن خنف وأبو أيوب خالد بن زيد، وكتب في ذي العقدة سنة خمس وثلاثين فاخذ كل قوم كتابا فانصرفوا.

وقال علي بن أبي طالب لعثمان: اخرج فتكلم كلاما يسمعه الناس ويحملونه عنك واشهد الله على ما في قلبك فان البلاد قد تمخضت عليك ولا تأمن ان يأتي ركب آخر من الكوفة او من البصرة او من مصر فتقول يا علي اركب اليهم فان لم افعل قلت قطع رحمي واستخف بحقي. فخرج عثمان فخطب الناس فاقر بما فعل واستغفر الله منه وقال، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: من زل فليُنب فانا اول من اتعظ فاذا نزلت فليأتني اشرافكم فليردوني برأيهم فوالله لو ردني إلى الحق عبد لاتبعته وما عن الله مذهب إلا إليه، فسر الناس بخطبته واجتمعوا إلى بابه مبتهجين بما كان منه، فخرج إليهم مروان فزبرهم وقال شاهت وجوهكم ما اجتماعكم امير المؤمنين مشغول عنكم فان احتاج إلى احد منكم فسيدعوه فانصرفوا. وبلغ عليا الخبر فاتى عثمان وهو مغضب فقال أما رضيت من مروان ولا رضي منك الا بافساد دينك وخديعتك عن عقلك واني لاراه سيوردك ثم لا يصدرك وما انا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، وقالت له امرأته نائلة بنت القرافصة: قد سمعت قول علي بن ابي طالب في مروان وقد اخبرك انه غير عائد اليك. وقد اطعت مروان ولا قدر له عند الناس ولا هيبة. فبعث إلى علي فلم يأته.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال: سمعت عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ذكر مروان فقال: قبحه الله خرج عثمان على الناس فاعطاهم الرضى وبكى على المنبر حتى استهلت دموعه فلم يزل مروان يقتله في الذروة والغارب حتى لفته عن رأيه، قال وجئت إلى علي فاجده بين القبر والمنبر ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان صنع مروان بالناس، قلت نعم.

قال أبو مخنف: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا بأيلة او بمنزله قبلها رأوا راكبا خلفهم يريد مصر، فقالوا له من انت؟ قال رسول الله امير المؤمنين إلى عبدالله بن سعد وانا غلام امير المؤمنين وكان اسود، فقال بعضهم لبعض: لو انزلناه ففتشناه الا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء ففعلوا فلم يجدوا معه شيئا: فقال بعضهم لبعض خلوا سبيله فقال كنانة بن بشر أما والله دون ان انظر في إداوته فلا فقالوا سبحان الله ايكون كتاب في ماء، فقال: ان للناس حيلا ثم حل الاداوة فاذا فيها قارورة مختومة، او قال مضمومة، في جوف القارورة كتاب في انبوب من رصاص فاخرجه فقرئ فاذا فيه: اما بعد فاذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه واقطع يدي ابن عديس وكنانة وعروة ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا ثم اوثقهم على جذوع النخل، فيقال: ان مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان. فلما عرفوا ما في الكتاب قالوا عثمان مُحلّ ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب وكان خاتمه من رصاص فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه وقال: اما الخط فخط كاتبي واما الخاتم فعلى خاتمي، قال علي: ومن تتهم؟ قال اتهمك واتهم كاتبي، فخرج علي مغضبا وهو يقول: بل هو امرك. قال ابو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءا عند حمران بن ابان ثم اخذه مروان حين شخص خمران إلى البصرة فكان معه.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فاحدقوا بها وقالوا لعثمان وقد اشرف عليهم: يا عثمان اهذا كتابك؟ فجمد وحلف، فقالوا: هذا شر، يكتب عنك بما لا تعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين فاختلع من الخلافة، فقال: ما كنت لانزع قميصا قمصنيه الله او قال سربلنيه الله.

(البلاذري – انساب الاشراف ج ٥ ص ٥٩-٥٦)

معاوية بن يزيد :

واما معاوية بن يزيد فولاه أبوه يزيد عهده في صحته، ويقال: بايع له حين احتضر فلما مات يزيد بايع الناس معاوية وأتته بيعة الافاق الا ما كان من ابن الزبير، فولي ثلاثة اشهر ويقال اربعين يوما ويقال عشرين يوما، ولم يزل في ايامه مريضا. وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس فلما ثقل قيل له: لو عهدت عهدا فقال: والله ما نفعتني حيا أفأتحملها ميتا والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها القليلة وأتحمل مرارتها الطويلة، واذا مت فليصل علي الوليد بن عتبة وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لانفسهم رجلا مريضا عندهم. فلما مات صلى عليه الوليد، وقام مروان بن الحكم على قبره فقال: اتدرون من دفنتم؟ قالوا: نعم معاوية بن يزيد، قال: بل دفنتم ابا ليلى، يستضعفه، وكانوا يكنون كل ضعيف ابا ليلى. فقال بعض بني فزارة:

لا تخدعن فان الامر مختلفٌ   والملكُ بعد أبي ليلى لمن غلبا

وقام الضحاك بأمر الناس بدمشق، ولم يعزل معاوية بن يزيد احدا من عمال أبيه، ولا حرك شيئا ولا امر ولا نهى، وكان موته سنة اربع وستين وهو ابن تسع عشرة سنة ويقال ابن عشرين ويقال ابن ثماني عشرة سنة ويقال ابن احدى وعشرين سنة، ودفن بدمشق.

وحدثت عن ابن الكلبي انه قال: ولي ابو ليلى معاوية بن يزيد اربعين يوما وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وثمانية عشر يوما.

حدثني هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد حدثني زيد بن واقد قال: مرض يزيد بن معاوية بعد ولايته الأمر بسنتين من كبده فلما برىء واستقل قال لحسان بن مالك بن بجدل إني أريد البيعة لمعاوية بن يزيد،

قال: فافعل فدعاه يزيد فعانقه بولاية العهد وبايع له حسان بن مالك والناس. وكان معاوية ركيكا لينا فكنّي ابا ليلى، وهي كنية كل ضعيف. قال هشام بن عمار: وسمعت الوليد بن مسلم يقول: كانت أم معاوية بن يزيد، وهي ام هاشم بنت أبي هاشم بن ربيعة بن عبد شمس امرأة برزة عاقلة فدعا يزيد يوما بمعاوية بن يزيد وامه حاضرة فأمره بأمر فلما ولى قالت له: لا وليت معاوية عهدك، فقال: افعل وناظر حسان بن مالك بن بحدل الكلبي في امره فشجعه على البيعة له، فأحضر الناس واعلمهم انه قد ولاه الخلافة بعده، فبايع له ابن بحدل والناس، فلما مات يزيد بحوّارين بويع لمعاوية بالخلافة وهو كاره. وكان سبب موت يزيد انه ركض فرسا فسقط عنه وانه اصابه قطع، ويقال ان عنقه اندقت. وحدثني احمد بن ابراهيم الدورقي [حدثني وهب بن جرير حدثنا ابي]: ان يزيد بن معاوية كان استخلف معاوية بن يزيد فولي شهرين او اربعين ليلة ثم مات، فلما حضرته الوفاة قيل له: لو استخلفت فقال: كفيتها حياتي واتضمنها بعد موتي فأبى وقال: وكان فتى لا بأس به ومات وله تسع عشرة سنة.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه، قال: كان معاوية كارها للخلافة، وكان يكني أبا عبد الرحمن بكنية جده، ومات ابن ثلاث وعشرين ودفن في مقبرة باب الصغير بدمشق.

حدثني محمد بن يزيد الرفاعي، حدثني عمي كثير بن محمد عن ابن عياش الهمداني عن ابي اسماء السكسكي قال: كان معاوية بن يزيد يظهر التألة وكان ضعيفا في امر دنياه فكني ابا ليلى، فلما افضى الامر إليه قام خطيبا فقال: ايها الناس ان يكن هذا الامر خيرا فقد استكثر منه آل ابي سفيان وان يكن شرا فما اولاهم بتركه، والله ما احب ان أذهب

إلى الآخرة وادع لهم الدنيا، ألا فليصل بكم حسان بن مالك وتشاوروا في أمركم، عزم الله لكم على الرشد والخيرة في قضائه، ثم نزل فاغلق بابه وتمارض فلم ينظر في شيء حتى مات، وصلى حسان بالناس وهم منكرون لامرهم حتى ولي ابن الزبير الضحاك بن قيس فبايعوه له، وان حسان أول حد الاردن فاقام هناك.

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلك قال: دخل مروان بن الحكم على معاوية بن يزيد فقال له: اعطيت من نفسك ما يعطي الذليل الهين، ثم رفع صوته فقال: من اراد ان ينظر في خلافة آل حرب بن امية فلينظر إلى هذا، فقال له معاوية: ياابن الزرقاء اخرج عني لاقبل الله لك عذرا يوم تلقاه.

وحدثني محمد بن مصفّى الحمصي قال : سمعت مشايخ من مشايخنا يقولون ان معاوية بن يزيد بن معاوية قبل البيعة وهو لها كاره، فلما مات ابوه انفذت كتب بيعته إلى الافاق فلم يرجع الجواب حتى مات. وكان فتى صالحا كثير الفكر في امر معاده.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: ولّى يزيد بن معاوية معاوية بن يزيد ابنه الخلافة بعده وكان كارهاً لها، فلما مات أبوه خطب الناس فقال: إن كانت الخلافة خيراً فقد استكثر آل أبي سفيان منه وان كان شرا فلا حاجة لنا فيه، فاختاروا لانفسكم اماماً تبايعوه هو احرص على هذا الامر مني واخلعوني فانتم في حل من بيعتي، فقالت له أمه أم هاشم: لوددت يا بني انك كنت نسيا منسياً وانك لم تضعف هذا الضعف، فقال: وددت والله اني كنت نسياً منسياً ولم اسمع بذكر جهنم، فلما احتضر قيل له: لو بايعت لاخيك خالد ابن يزيد فانه اخوك لابيك وامك فقال: يا سبحان الله كفيتها حياتي

واتقلدها بعد موتي، يا حسان بن مالك اضبط ما قبلك وصل بالناس الى أن ترضى المسلمون بامام يجتمعون عليه.

وحدثني هشام بن عمار حدثني اسماعيل بن عياش عن عبدالله بن دينار عن مولى لمعاوية بنحوه، وزاد فيه: فلما مات معاوية مال اكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا: هو رجل كامل السن وقد نصر امير المؤمنين عثمان وهو ابن حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وامه بنت ابي بكر بن ابي قحافة وله فضل في نفسه ليس لغيره، فما هو الا أن ورد كتاب ابن الزبير بتولية الضحاك بن قيس دمشق حتى سارعوا إلى طاعة ابن الزبير وبيعته فاخذها الضحاك عليهم وانخذل ابن بحدل إلى فلسطين فاقام بها ينتظر ما يكون وهو في ذلك يدعو إلى خالد بن يزيد ويذكره، وكانت فلسطين والأردن في يده من قبل يزيد بن معاوية ثم بقي عليهما وعماله فيهما. قال المدائني: كان اسم ام معاوية وخالد ابني يزيد فاختة، وكنيت ام هاشم ثم كناها يزيد ام خالد بخالد ابنها ولقبت حبة.

(البلاذري، انساب الاشراف ج ٤ ص ٦٢- ٦٥)

فتح مدينة دمشق وأراضيها :

قالوا: لما فرغ المسلمون من قتال من اجتمع لهم بالمرج اقاموا خمس عشرة ليلة ثم رجعوا إلى مدينة دمشق لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ١٤هـ، فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوة وتحصن اهل المدينة واغلقوا بابها فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي في زهاء خمسة الاف ضمهم اليه ابو عبيدة، وقوم يقولون ان خالداً كان اميراً وانما اتاه عزله وهم محاصرون دمشق، سمي الدير الذي نزل عنده خالد دير خالد، ونزل عمرو بن العاص على باب توما، ونزل شرحبيل على باب الفراديس ونزل

أبو عبيدة على باب الجابية، ونزل يزيد بن أبي سفيان على الباب الصغير إلى الباب الذي يعرف بكيسان. وجعل أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي على مسلحة ببرزة. وكان الاسقف الذي اقام لخالد النزل في بدأته ربما وقف على السور فدعى له خالداً فاذا اتى سلم عليه وحادثه، فقال له ذات يوم: يا ابا سليمن ان امركم مقبل ولي عليك عدة فصالحني عن هذه المدينة. فدعا خالد بدواة وقرطاس فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق اذا دخلها اعطاهم اماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لهم بذلك عهد الله وذمة رسوله – صلى الله عليه وسلم– والخلفاء والمؤمنين، لا يعرف لهم إلا بخير اذا أعطوا الجزية.

ثم ان بعض أصحاب الاسقف اتى خالداً في ليلة من الليالي فاعلمه انها ليلة عيد لأهل المدينة وانهم في شغل وان الباب الشرقي قد ردم بالحجارة وترك، واشار عليه ان يلتمس سلما، فاتاه قوم من اهل الدير الذي عنده عسكره بسلّمين فرقى جماعة من المسلمين عليهما الى اعلى السور ونزلوا الى الباب وليس عليه إلا رجل أو رجلان فتعاونوا عليه وفتحوه وذلك عند طلوع الشمس. وقد كان ابو عبيدة عانى فتح باب الجابية واصعد جماعة من المسلمين حائطة، فانصب مقاتلة الروم إلى ناحيته فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً ثم انهم ولوا مدبرين، وفتح ابو عبيدة والمسلمون معه باب الجابية عنوة ودخلوا منه فالتقى ابوعبيدة وخالد بن الوليد بالمسلاط وهو موضع النحاسين بدمشق وهو البريص الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره حين يقول:

يسقون من وَرَدِ البريص عليهـم [بردى يصفّق بالرحيق السلسل]

وقد روي أن الروم اخرجو ميتاً لهم من باب الجابية ليلاً وقد احاط بجنازته خلق من شجعانهم وكماتهم وانصب سائرهم الى الباب فوقفوا عليه ليمنعوا المسلمين من فتحه ودخوله إلى رجوع اصحابهم من دفن الميت وطمعوا في غفلة المسلمين عنهم وان المسلمن نذروا بهم فقاتلوهم على الباب اشد قتال وابرحه حتى فتحوه في وقت طلوع الشمس، فلما رأى الاسقف ان ابا عبيدة قد قارب دخول المدينة بدر الى خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي فدخل والاسقف معه ناشراً كتابه الذي كتبه له، فقال بعض المسملين والله ما خالد بامير فكيف يجوز صلحه، فقال ابو عبيدة: إنه يجوز على المسلمين ادناهم. واجاز صلحه وامضاه ولم يلتفت إلى ما فتح عنوة فصارت دمشق صلحاً كلها. وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وانفده، وفتحت ابواب المدينة فالتقى القوم جيمعاً. وفي رواية أبي مخنف وغيره أن خالداً دخل دمشق بقتال وأن أبا عبيدة دخلها بصلح فالتقيا بالزياتين، والخبر الأول اثبت.

وزعم الهيثم بن عدي أن أهل دمشق صولحوا على أنصاف منازلهم وكنائسهم. وقال محمد بن سعد قال أبو عبدالله الواقدي: قرأت كتاب خالد بن الوليد لأهل دمشق فلم أر فيه أنصاف المنازل والكنائس، وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه ولكن دمشق لما فتحت لحق بشر كثير من أهلها بهرقل وهو بانطاكية فكثرت فضول منازلها فنزلها المسلمون. وقد روى قوم أن أبا عبيدة كان بالباب الشرقي وأن خالداً كان بباب الجابية، وهذا غلط.. قال الواقدي: وكان فتح مدينة دمشق في رجب سنة ١٤ وتاريخ كتاب خالد بصلحها في شهر ربيع الآخر سنة ١٥، وذلك

أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الاسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيدة والمسلمين ففعل وأثبت في الكتاب شهادة أبي عبيدة ويزيد ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وغيرهم فأرخه بالوقت الذي جدده.

وحدثني القاسم بن سلام قال حدثنا أبو مسهر عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي قال: دخل يزيد مدينة دمشق من الباب الشرقي صلحاً فالتقيا بالفسطاط فأمضيت كلها على الصلح. وحدثني القاسم قال حدثنا أبو مسهر عن يحيى بن حمزة عن أبي المهلب الصنعاني عن أبي الأشعث الصنعاني أو أبي عثمان الصنعاني: أن أبا عبيدة أقام بباب الجابية محاصراً لهم أربعة أشهر.

حدثني أبو عبيدة قال حدثنا نعيم بن حماد عن ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال: خاصم حسان بن مالك عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز في كنيسة كان رجل من الأمراء اقطعه إياها، فقال عمر: إن كانت من الخمس العشرة الكنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك عليها. قال ضمرة عن علي بن أبي حملة: خاصمنا عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبدالعزيز في كنيسة كان فلان قطعها لبني نصر بدمشق فاخرجنا عمر عنها وردها إلى النصارى، فلما ولي يزيد بن عبدالملك ردها إلى بني نصر.

حدثني أبو عبيد قال حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي أنه قال: كانت الجزية بالشام في بدىء الأمر جريبا وديناراً على كل جمجمة، ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً وجعلهم طبقات لغنى الغني واقلال المقل وتوسط المتوسط.

قال هشام: وسمعت مشايخنا يذكرون أن اليهود كانوا كالذمة للنصارى يودون إليه الخراج فدخلوا معهم في الصلح. وقد ذكر بعض الرواة أن خالد بن الوليد صالح أهل دمشق فيما صالحهم عليه على أن ألزم كل رجل من الجزية ديناراً وجريب حنطة وخلا وزيتاً لقوت المسلمين. [حدثنا عمرو الناقد قال حدثنا عبدالله بن وهب المصري عن عمرو بن محمد عن نافع عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]: أن عمركتب إلى امراء الاجناد يأمرهم أن يضربوا الجزية على كل من جرت عليه الموسى وأن يجعلوها على أهل الورق على كل رجل أربعين درهماً وعلى أهل الذهب أربعة دنانير وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدا حنطة وثلاثة أقساط زيتاً كل شهر لكل إنسان بالشام والجزيرة، وجعل عليهم ودكاً وعسلاً لا أدري كم هو، وجعل لكل انسان بمصر في كل شهر أردباً وكسوة وضيافة ثلاثة أيام.

وحدثنا عمرو بن حماد بن أبي حنيفة، قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن أسلم: أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً مع ذلك أرزاق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام. وحدثني مصعب عن أبيه عن مالك عن نافع عن أسلم بمثله.

قالوا: ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أراد أن يزيد كنيسة يوحنا في المسجد بدمشق فأبى النصارى ذلك فأمسك، ثم طلبها عبدالملك بن مروان في أيامه للزيادة في المسجد وبذل لهم مالاً فأبوا أن يسلموها إليه. ثم إن الوليد بن عبدالملك جمعهم في أيامه وبذل لهم مالاً عظيماً على أن يعطوه إياها فأبوا فقال: لئن لم تفعلوا لاهدمنها فقال بعضهم يا أمير المؤمنين إن من هدم كنيسة جن وأصابته عاهة فاحفظه قوله ودعا بمعول وجعل يهدم

بعض حيطانها بيده وعليه قباء خز اصفر ثم جمع الفعلة والنقاضين فهدموها وادخلها المسجد، فلما استخلف عمر بن عبدالعزيز شكى النصارى إليه ما فعل الوليد بهم في كنيستهم فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاده في المسجد عليهم فكره أهل دمشق ذلك وقالوا نهدم مسجدنا بعد أن أذّنا فيه وصلينا ويردّ بيعة، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيره من الفقهاء. واقبلوا على النصارى فسألوهم أن يعطوا جميع كنائس الغوطة التي أخذت عنوة وصارت في ايدي المسلمين على أن يصفحوا عن كنيسة يوحنا ويمسكوا عن المطالبة بها فرضوا بذلك واعجبهم، فكتب به إلى عمر فسره وأمضاه. وبمسجد دمشق في الرواق مما يلي المئذنة كتاب في رخامة بقرب السقف: مما أمر بنيانه أمير المؤمنين الوليد سنة ٨٦ هـ. وسمعت هشام بن عمار يقول: لم يزل سور مدينة دمشق قائماً حتى هدمه عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس بعد انقضاء أمر مروان وبني أمية.

وحدثني أبو حفص الدمشقي عن سعيد بن عبدالعزيز عن مؤذن مسجد دمشق وغيره قالوا: لما اجتمع المسلمون عند قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا في أرض حوران جميعاً فغلبوا عليها، وأتاهم صاحب اذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى على أن جميع أرض البثنية أرض خراج فأجابوهم إلى ذلك ومضى يزيد بن أبي سفيان حتى دخلها وعقد لاهلها.

وكان المسلمون يتصرفون بكور حوران والبثنية ثم مضوا إلى فلسطين والأردن وغزوا ما لم يكن فتح، وسار يزيد إلى عمّان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بصرى، وغلب على أرض البلقاء، وولى أبو عبيدة

وقد فتح هذا كله، فكان أمير الناس حين فتحت دمشق، إلا أن الصلح كان لخالد وأجاز صلحه. وتوجه يزيد بن أبي سفيان في ولاية أبي عبيدة ففتح عرندل صلحاً وغلب على أرض الشراة وجبالها. قال: وقال سعيد ابن عبدالعزيز اخبرني الوضين أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من اهلها، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه في ولاية يزيد. ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع.

قالوا فلما استخلف عثمان وولي معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدي إلى أطرابُلُس وهي ثلاث مدن مجتمعة فبنى في مرج على اميال منها حصناً سمي حصن سفيان وقطع المارة عن اهلها من البحر وغيره وحاصرهم، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في احد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث إليهم مراكب يهربون منها إلى ما قبله فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا، فلما اصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو، وجد الحصن الذي كانوا فيه خالياً فدخله وكتب بالفتح إلى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود، وهو الذي فيه المينا اليوم. ثم ان عبدالملك بناه بعد وحصنه...

وقال علي بن محمد المدائني: قال عتاب بن ابراهيم: فتح اطرابلس سفيان بن مجيب ثم نقض أهلها أيام عبدالملك ففتحها الوليد في زمانه. وحدثني أبو حفص الشامي عن سعيد عن الوضين قال: كان يزيد بن أبي سفيان وجه معاوية إلى سواحل دمشق سوى اطرابلس فانه لم يكن يطمع

فيها فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالاً غير شديد وربما رمى ففتحها. قال: وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر ما يحتاج لها إليه من المسلمين فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا إليها الامداد، فلما استخلف عثمان بن عفان - رضي الله عنه- كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها واقطاع من ينزله إياها القطائع، ففعل.

وحدثني أبو حفص سعيد بن عبدالعزيز قال: ادركت الناس وهم يتحدثون أن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه يزيد يصف له حال السواحل، فكتب إليه في مرمة حصونها وترتيب المقاتله فيها واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها ولم يأذن له في الغزو بحراً وامره ان يعد في السواحل اذا غزا او اغزا جيوشاً سوى من فيها من الرتب وأن يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ويكبّر ما كان ابتنى منها قبل خلافته . قال الوضين: ثم ان الناس بعد انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية ...

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٠- ٢٨)

ذكر تمصير الكوفة :

حدثني محمد بن سعد، قال حدثنا محمد بن عمر الواقدي عبد الحميد ابن جعفر وغيره: ان عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن ابي وقاص يأمره ان يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا وان لا يجعل بينه وبينهم بحرا، فأتى الانبار واراد ان يتخذها منزلا فكثر على الناس الذباب فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح فتحول إلى الكوفة فاختطها واقطع الناس المنازل وانزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك في سنة ١٧.

وحدثني علي بن المغيرة الاثرم قال حدثني ابو عبيدة معمر بن المثني عن اشياخه قال واخبرني هشام بن الكلبي عن ابيه ومشايخ الكوفيين قالوا لما فرغ سعد بن ابي وقاص من وقعة القادسية وجه إلى المدائن فصالح اهل الرومية وبهر سير ثم افتتح المدائن واخذ أسبانبر وكرد بندار عنوة فانزلها جندها فاحتووها، فكتب إلى سعد ان حولهم فحولهم إلى سوق حكمة وبعضهم يقول حولهم إلى كويفة دون الكوفة. قال الاثرم وقد قيل التكوف الاجتماع، وقيل ايضا ان المواضع المستديرة من الرمل تسمى كوفاين، وبعضهم يسمي الارض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفة. قالوا: فاصابهم البعوض، فكتب سعد إلى عمر يعلمه ان الناس قد بعضوا وتأذوا، فكتب إلى عمر: ان العرب بمنزلة الابل لا يصلحها الا ما يصلح الابل فارتد لهم موضعا عدنا ولا تجعل بيني وبينهم بحرا. وولى الاختطاط للناس ابا الهياج الاسدي عمرو بن مالك بن جنادة. ثم ان عبد المسيح بن بقيلة اتى سعدا وقال له ادلك على ارض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق، فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال لها سورستان. فلما انتهى إلى موضع مسجدها امر رجلا فعلا بسهم قبل مهب القبلة فاعلم على موقعه، ثم علا بسهم آخر مهب الشمال واعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الجنوب واعلم على موقعه، ثم علا بسهم قبل مهب الصبا فاعلم على موقعه، ثم وضع مسجدها ودار امارتها في مقام العالي وما حوله واسهم لنزار واهل اليمن بسهمين على انه من خرج بسهمه اولا فله الجانب الايسر وهو خيرهما فخرج سهم اهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات، وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الامارة. ثم ان المغيرة بن شعبة وسعه وبناه زياد

فاحكمه وبنى دار الامارة، وكان زياد يقول انفقت على كل اسطوانة من اساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة. وبنى فيها عمرو بن حريث المخزومي بناء وكان زياد يستخلفه على الكوفة اذا شخص إلى البصرة، ثم بنى العمال فيها فضيقوا رحابها وافنيتها...

[وحدثني وهب بن بقية الواسطي قال: حدثنا يزيد بن هارون عن داود بن ابي هند] عن الشعبي قال: كنا [يعني اهل اليمن] اثني عشر الفا وكانت نزار ثمانية آلاف، ألا ترى انا اكثر اهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي.

وحدثني علي بن محمد المدائني، عن مسلمة بن محارب وغيره قالوا: زار المغيرة في مسجد الكوفة وبناه ثم زاد فيه زياد. وكان سبب القاء الحصى فيه وفي مسجد البصرة ان الناس كانوا يصلون فيه فاذا رفعوا ايديهم وقد تربت نفضوها، فقال زياد ما اخوفني ان يظن الناس على غابر الايام ان نفض الايدي سنة في الصلاة، فزاد في المسجد ووسعه وأمر بالحصى فجمع والقي في صحن المسجد، وكان الموكلون بجمعه يتعنتون الناس ويقولون لمن وظفوه عليه ايتونا به على ما نريكم وانتقوا منه ضروبا اختاروها فكانوا يطلبون ما اشبهها فاصابو مالا فقيل حبذا الامارة ولو على الحجارة. وقال ابو عبيدة: وكان تكويف الكوفة في سنة ١٨هـ قال: وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبدالله القسري.

[وحدثني حفص بن عمر العمري قال حدثني] الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها، ثم ان المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن ابي وقاص إلى

عمر فكتب إليه عمر ان تنزلهم منزلا غريبا فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فاذا الماء محيط بها فخرجوا حتى اتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر، وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزام والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق، فاختطوها. وحدثني شيخ من الكوفيين ان ما بين الكوفة والحيرة كان يسمى الملطاط...

وحدثني العباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابي مخنف عن محمد ابن اسحق قال: اتخذ سعد بن ابي وقاص بابا مبوبا من خشب وخص على قصره خصا من قصب فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الانصاري حتى احرق الباب والخص واقام سعدا في مساجد الكوفة فلم يقل فيه إلا خيرا. وحدثني العباس بن الوليد النرسي وابراهيم العلاف البصري قالوا: حدثنا ابو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة: ان اهل الكوفة سعوا بسعد بن أبي وقاص إلى عمر وقالوا: انه لا يحسن الصلاة، فقال سعد: اما انا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا أخرم عنها، اركد في الاولتين واحذف في الاخرتين، فقال عمر: ذاك الظن بك يا ابا اسحق، فارسل عمر رجالا يسألون عنه بالكوفة فجعلوا لا يأتون مسجدا من مساجدها الا قالوا خيرا وأبنوا معروفا حتى اتوا مسجدا من مساجد بني عبس فقال رجل منهم يقال له ابو سعدة: اما اذا سألتمونا عنه فانه كان لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال فقال سعد: اللهم ان كان كاذبا فأطل عمره وادم فقره واعم بصره وعرضه للفتن، قال عبد الملك فاذا رأيته بعد يتعرض للاماء في السكك، فاذا قيل له كيف انت يا ابا سعدة قال: كبير مفتون اصابتني دعوة سعد. قال العباس النرسي في غير هذا الحديث إن سعدا قال لاهل الكوفة: اللهم لا ترضى عنهم اميرا ولا ترضهم بأمير. وحدثني

العباس النرسي قال: بلغني ان المختار بن ابي عبيد او غيره قال: حب اهل الكوفة شرف، وبغضهم تلف...

قال [الشعبي]: وعزل عمر سعدا وولى عمار بن ياسر فشكوه، وقالوا: ضعيف لا علم له بالسياسة فعزله وكانت ولايته الكوفة سنة وتسعة اشهر. فقال عمر: من عذيري من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم القوي فجروه وان وليت عليهم الضعيف حقروه، ثم دعا المغيرة بن شعبة فقال: ان وليتك الكوفة اتعود إلى شيء مما قرفت به؟ قال: لا، وكان المغيرة حين فتحت القادسية صار إلى المدينة، فولاه عمر الكوفة فلم يزد عليها حتى توفي عمر، ثم ان عثمان بن عفان ولاها سعدا ثم عزل وولى الوليد بن عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو بن امية فلما قدم عليه قال له سعد: اما ان تكون كست بعدي او اكون حمقت بعدك. ثم عزل الوليد وولى سعيد ابن العاص بن سعيد بن العاص بن امية.

وحدثني ابو مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين قال: سمعت مسعر بن كدام تحدث قال: كان مع رستم يوم القادسية اربعة آلاف يسمون جند شهانشاه فاستأمنوا على ان ينزلوا حيث احبّوا ويحالفوا من احبوا ويفرض لهم في العطاء فأعطوا الذي سألوه وحالفوا زهرة بن حويّة السعدي من بني تميم وانزلهم سعد بحيث اختاروا وفرض لهم في الف الف وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم فقيل حمراء ديلم. ثم ان زياد سير بعضهم إلى بلاد الشام بامر معاوية فهم بها يدعون الفرس وسيّر منهم قوما إلى البصرة فدخلوا في الاساورة الذين بها. قال ابو مسعود والعرب تسمى العجم الحمراء ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة واشباه ذلك. قال ابو مسعود: وسمعت من يذكر ان هؤلاء

الاساورة كانوا مقيمين بازاء الديلم فلما غشيهم المسلمون بقروين اسلموا على مثل ما اسلم اساورة البصرة وأتوا الكوفة فاقاموا بها. وحدثني المدائني قال: كان ابرويز وجّه إلى الديلم فاتى باربعة الاف وكانوا خدمه وخاصته ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا وقالوا: ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ واثرنا عندهم غير جميل والرأي لنا ان ندخل معهم في دينهم فنعزّ بهم فاعتزلوا، فقال سعد: ما لهؤلاء؟ فأتاهم المغيرة بن شعبة، فسألهم عن امرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم فرجع إلى سعد فاخبره فامنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد وشهدوا فتح جلولاء ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: جبّانة السبيع نسبت إلى ولد السّبيع بن سبع بن صعب الهمداني وصحراء أثير نسبت إلى رجل من بني اسد يقال له أثير، ودكان عبد الحميد نسب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل عمر بن عبد العزيز على الكوفة... قال: وكانت دار الروميين مزبلة لاهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات حتى استقطعها عنبسة بن سعيد بن العاص من يزيد بن عبد الملك فاقطعه إياها فنقل ترابها بمائة وخمسين ألف درهم. وقال ابو مسعود سوق يوسف بالحيرة نسب إلى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن ابي عقيل الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل، وهو عامل هشام على العراق. واخبرني ابو الحسن علي بن محمد وابو مسعود قالا: حمام أعين نسب إلى أعين مولى سعد بن ابي وقاص، واعين هذا هو الذي ارسله الحجاج بن يوسف إلى عبدالله بن الجارود العبدي

من رستقاباذ حين خالف وتابعه الناس على اخراج الحجاج من العراق ومسألة عبد الملك تولية غيره، فقال له حين أدى الرسالة: لولا انك رسول لقتلتك. قال ابو مسعود: وسمعت ان الحمام قبله كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حيان الذي ذكره الاعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة فابتاعه من ورثته. وقال ابن الكلبي: وبيعة بني مازن بالحيرة لقوم من الازد من بني عمرو بن مازن من الازد وهم من غسان، قال وحمام عمر نسب إلى عمر بن سعد بن ابي وقاص. قالوا: وشهار سوج بجيلة بالكوفة انما نسب إلى بني بجلة وهم ولد مالك بن ثعلبة بن يهنة بن سليم ابن منصور، وبجلة امهم وهي غالبة على نسبهم فغلط الناس فقالوا بجيلة. وجبانة عوزم نسبت إلى رجل يقال له عوزم، وكان يضرب فيها اللبن ولبنها رديء فيه قصب وخزف فربما وقع الحريق فيها فاحترقت الحيطان... وجبانة بشر نسبت إلى بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قمير الخثعمي الذي يقول:

تَحِنّ بباب القادسية ناقتي   وسعد بن وقاص علي أمير

قال ابو مسعود: وكان بالكوفة موضع يعرف بعنترة الحجام وكان اسود، فلما دخل اهل خراسان الكوفة كانوا يقولون حمام عنترة فبقي الناس على ذلك، وكذلك حجام خرج وضحاك رواس وبيطار حيان ويقال رستم ويقال صليب وهو بالحيرة. وقال هشام بن الكلبي نسبت زرارة إلى زرارة بن يزيد بن عمرو بن عدس من بني البكّا بن عامر ربيعة بن عامر ابن صعصعة وكانت منزله واخذها منه معاوية بن ابي سفيان ثم اصفيت بعد حتى اقطعها محمد بن الاشعث بن عقبة الخزاعي، قال: ودار حكيم بالكوفة في اصحاب الانماط نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكّاي،

وقصر مقاتل نسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن اوس بن ابراهيم بن أيوب بن محروق احد بني امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم. قال: والسوادية بالكوفة نسبت إلى سواد بن زيد بن عدي بن زيد الشاعر العبادي وجده حماد بن زيد بن ايوب بن محروق. وقرية ابي صلابة التي على الفرات نسبت إلى صلابة بن مالك بن طارق بن جبر بن همام العبدي. واقساس مالك نسبت إلى مالك بن قيس بن عبد هند بن لجم احد بني حذافة بن زهر بن اياد بن نزار. ودير الاعور لرجل من اياد من بني امية بن حذافة كان يسمى الاعور وفيه يقول ابو داؤود الايادي:

وديرٌ يقــول لــه الرائـــدو ... ن وَيْل أمْ دارُ الحذافي دارا

ودير قرة نسب إلى قرة احد بني امية بن حذافة واليهم ينسب دير السوا والسوا العدل كانوا يأتونه فيتناصفون فيه ويحلف بعضهم لبعض على الحقوق وبعض الرواة يقول السو امرأة منهم. قال ودير الجماجم لاياد وكانت بينهم وبين بني بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وبين بني القين بن جسر بن شيع الله بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف حرب فقتل فيها من اياد خلق فلما انقضت الوقعة دفنوا قتلاهم عند الدير، وكان الناس بعد ذلك يحفرون فخرج جماجم فسمي دير الجماجم، هذه رواية الشرقي القطامي؛ وقال محمد بن السائب الكلبي كان مالك الرماح بن محرز الايادي قتل قوما من الفرس ونصب جماجمهم عند الدير فسمي دير الجماجم. ويقال ان دير كعب لاياد ويقال لغيرهم. ودير هند لام عمرو بن هند، وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وامه كندية...

قالوا: ومسجد بني عنز نسب إلى بني عنز بن وائل بن قاسط. ومسجد

بني جذيمة نسب إلى جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة ابن دودان بن اسد، ويقال إلى بني جذيمة ابن رواحة العبسي، وفيه حوانيت الصيارفة. قال وبالكوفة مسجد ينسب إلى بني المقاصف بن زكوان بن زبينة بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ولم يبق منهم احد. قال ومسجد بني بهدلة نسب إلى بني بهدلة بن المثل بن معاوية من كندة...

قال: وقصر العدسيين في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي نسبوا إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي وهي ام الرماح والمشط ابني عامر المذمم. وحدثني شيخ من اهل الحيرة قال: وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر ان المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور وحسبت لاهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم.

وحدثني ابو مسعود وغيره قال: كان خالد بن عبدالله بن اسد بن كرز القسري من بجيلة بني لامّه بيعةً هي اليوم سكة البريد بالكوفة وكانت امه نصرانية. قال: وبني خالد حوانيت انشأها وجعل سقوفها آزاجا معقودة بالاجر والجص. وحفر خالد النهر الذي يعرف بالجامع واتخذ بالقرية قصرا يعرف بقصر خالد، واتخذ اخوه اسد بن عبدالله القرية التي تعرف بسوق اسد وسوقها ونقل الناس اليها فقيل سوق اسد وكان العبد الآخر صنيعة عتاب بن ورقاء الريّاحي وكان معسكرة خين شخص إلى خراسان واليا عليها عند سرقه هذا...

حدثني ابو مسعود وغيره قالوا: كان يزيد بن عمر بن هبيرة بنى مدينة بالكوفة على الفرات ونزلها ومنها شيء يسير لم يستتم، فأتاه كتاب مروان يأمره باجتناب مجاورة اهل الكوفة فتركها وبنى القصر الذي

يعرف بقصر ابن هبيرة بالقرب من جسر سورا، فلما ظهر امير المؤمنين ابو العباس نزل تلك المدينة واستتم مقاصير فيها واحدث فيها بناء وسماها الهاشمية، فكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة على العادة، فقال ما ارى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرفضها وبنى بحيالها المدينة الهاشمية ونزلها، ثم اختار نزول الانبار فبنى بها مدينته المعروفة، فلما توفي دفن بها. واستخلف ابو جعفر المنصور فنزل المدينة الهاشمية بالكوفة واستتم شيئا كان بقي منها وزاد فيها بناء وهيأها على ما اراد، ثم تحول منها إلى بغداد فبنى مدينة ومصر بغداد وسماها مدينة السلام واصلح سورها القديم الذي يبتدىء من دجلة وينتهي إلى الصراة...

وحدثني ابو مسعود قال: أخذ المنصور أهل الكوفة بحفر خندقها والزم كل امرىء منهم للنفقة عليه اربعين درهما، وكان ذامّا لهم لميلهم إلى الطالبين وارجافهم بالسلطان...

وحدثنا الحسين قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن نافع بن جبير بن مطعم قال، قال: عمّر بالكوفة وجوه الناس. وحدثنا الحسين وابراهيم بن مسلم الخوارزمي قالا: حدثنا وكيع عن يونس بن ابي اسحق عن الشعبي قال: كتب عمر إلى اهل الكوفة، إلى رأس الاسلام. وحدثنا الحسين بن الاسود قال: حدثنا وكيع عن قيس بن الربيع عن شمر بن عطية قال: قال عمر، وذكر الكوفة فقال هم رمح الله وكنز الايمان وجمجمة العرب يحرزون ثغورهم ويمدون اهل الامصار.

وحدثنا ابو نصر التمار قال حدثنا شريك بن عبدالله بن ابي شريك العامري عن جندب عن سلمان قال: الكوفة قبة الاسلام يأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن الا وهو بها او يهوى قلبه اليها.

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٧٥-٢٨٩)

اليعقـــــوبـــي

مقالات اليونانيين :

وكانت ملوك اليونانيين ومن ملك بعدهم من الروم مختلفة. فطائفة منهم على دين الصابئة وكانوا يسمون الحنفاء، وهم الذين يقرون ويعترفون بخالق ويزعمون ان لهم نبيا مثل اوراني وعابيديمون وهرمس وهو المثلث بالنعمة، ويقال انه ادريس النبي، وهو اول من خط بالقلم وعلم علم النجوم، ويقولون في الخالق عز وجل على قول هرمس: اما ان يعقل الله فعسر وان ينطق به فلا يمكن، وان الله علة العلل المكون للعالم جملة واحدة.

وطائفة منهم اصحاب زينون وهم السوفسطائية، وتفسير هذا الاسم باليونانية المغالطة، وبالعربية التناقضية، يقولون: لا علم ولا معلوم، واجترحوا باختلاف الناس، وانتصاف بعضهم من بعض. وقالوا: نظرنا في قول الناس المختلفين، فوجدناها مختلفة غير مثقفة واصبناهم في اختلافهم مجتمعين على ان الحق مؤتلف غير مختلف وان الباطل مختلف غير مؤتلف، وكان في اجتماعهم شاهد لهم انهم لم يعلموا بالصواب، فلما اقروا بهذا لم يعد للحق موضع يطمع في اصابته الا في الخاصة منهم. فعلمنا ان ذلك لا يوجد الا باحد وجهين: اما بالتسليم للمدعي واما بالكشف لدعواه، فنظرنا في الدعوة فاصبنا بما يعمهم فلم نجز تصديقهم لخلتين: احداهما ان يكذب بعضهم بعضا والاخرى اجماعهم على انهم لم يعلموا بالصواب، فلم يبق الا كشف الدعوى ففعلنا فاصبناهم كل تكافىء

وتجار بدور الغلبة عليهم جميعا بالاستواء بينهم تقوى هذه مرة ومخالفتها اخرى، فلم نصب عند طائفة منهم فضلا ولا تشارك فيه ولا حجة ولا تساوي بها ولا تجاري فيها. فلما اعوز وجود الحق في عامتها وخاصتها بالدعوة والمناظرة لم يبق للعلم موضع يوجد فيه ولا للحق مذهب يصاب منه. فقضينا انه لا علم ولا نعرفه؛ لان الشيء اذا كان ثابتا لا محالة فلا بد من الاحاطة في الاتفاق او في الاختلاف، فلا يذكر ذاكر وهو غائب فقال فلان غائب فاصابه فلو قال هو او غيره فلان حاضر وليس بحاضر فخرج من الصدق ثم خالفه مخالف فقال: بل هو غائب فكان احدهما صادقا لا محالة لانه لا يعدو اذا كان الشيء ثابتا حقا ان يكون حاضرا او غائبا، فاذا لم يكن شيئا فكلاهما كاذب فيما قال من انه حاضر او غائب لان الحاضر شيء والغائب شيء، فإن لم يكن شيئا فليس بحاضر ولا غائب.

واحتجوا بنحو [هذا...] آخر فقاولا ان كانت الاشياء كلها يدرك بالعلم والعلم بالعلم فإلى نهاية او إلى نهاية فان تناهى فإلى غير معلوم وما لم يكن معلوما فهو بمجهول فانى تعلم الاشياء بجهول، فان لم تتناه ولم تكن لذلك غاية فلا احاطة به وما لم يحط به فمجهول ايضا فكان الوجهان في هذا القياس مجهولين غير معلومين فانى يعلم شيء مجهول دون ان يعلم جميع الاشياء وذلك ابعد، وشققوا في هذين النوعين وكثر سعيهم وعظمت مؤنتهم.

وقالت طائفة تسمى الدهرية: لا دين ولا رب ولا رسول ولا كتاب ولا معاد ولا جزاء ولا بشر ولا ابتداء لشيء ولا انقضاء له ولا حدوث ولا عطب، وانما حدوث ما سمّي حدثا تركيبه بعد الافتراق وعطبه وتفريقه

بعد الاجتماع وجميع الوجهين في الحقيقة حضور غائب ومغيب حاضر.
وانما سميت الدهرية لزعمها ان الانسان لم يزل ولن يزول وان الدهر دائر لا اول له ولا آخر، واحتجوا فيما ادعوا بان قالوا انما يعرف في وجود الشيء وفقده حالان لا ثالث لهما: حال الشيء فيها موجود فأنى يحدث ما قد كان وجد، وحال لا شيء فيها فأني يكون الشيء في حال لا تشبيه لها وذلك أبعد، وكذلك القول في المدعي من العطب لا يعرف غير حالين: حال الشيء فيها قائم فمحال قول من ادعى العطب للشيء في حال كونه وقيامه، وحال لا شيء فيها فأنى يكون العطب الأدنى وذلك محال، فان اقرّ مخالفونا بصدقنا دخلوا في قولنا ونقضوا قولهم، فان انكروا قولنا ادعوا حالا ثالثة لا عدم فيها ولا وجود فذلك اقبح الثلاثة حالة.

وقالت فرقة منهم: ان اصل الاشياء في الازلية حبة كانت – فانفلقت – فبدا منها العالم على ما ترى من اختلافه في الوانه واحساسه، وزعم بعضهم انه غير مختلف في معانيه وانما تختلف معانية من جهة احساسة، وانكر بعضهم ذلك واثبتوا له اختلافا في معانية وتحقيقه. وقالت المنكرة لتحقيق الاختلاف: الاشياء انما تختلف باختلاف الاحساس لها وانه لا حقيقة لشيء منها تبيّن بها دون غيرها وادعوا من الدلالات في ذلك ان اهل المرض الحادث من الصفراء مثل اصحاب اليرقان اذا ذاق احد منهم العسل وجده مرا واهل السلامة من هذا الداء يجدونه حلوا فان الخفاش يغشيه ضوء النهار ويذكي بصره الليل. فان كان النور تزيد الابصار نورا والظلمة مغشية لها وجب ان تكون نور النهار الظلمة للخفاش وغيرها تغشى بصره النار وقد يوجد ذلك في بعض الناس وغيرهم من الحيوان والطير وغيره، وان الليل اذا كان مذكيا

للابصار على ما وصفنا فليلها نور كما ان النهار نور لمن خالفها والليلة ظلمة لها، فان قلتم ان ذلك لآفة دخلت على هذه الاصناف قلنا لكم عند من خالفهم أو عند من وافقهم.

فان قلتم عند من خالفهم قلنا بل الآفة دخلت على من وافقهم فان قلتم عند من وافقهم قلنا بل الآفة دخلت على من خالفهم عندهم فلا فضل لاحد الصنفين على احد. وقالوا: الا ترون الكاتب يكتب الكتاب عدلا مستقيما فيراه كذلك من قبل وجهه فان نظر إليه من خلفه رآه بخلاف ما كان يعرف، وان ازور عنه معوجا او خالفه رآه مخالفا كما تكتب الالف في صورة تميز من جميع الحروف فاذا استقبلتها رأيتها الفا واذا استدبرتها رأيتها كالباء واذا انحرفت عنها رأيتها كالنون او كالباء وان الغائب عن موضعه حاضر موضعا آخر وكذلك القول في الالوان والاصوات والطعوم والاعيان والملابس كما ترى الشخص عن قرب كبيرا وصغيرا من بعد كلما قرب الداني منه ازداد كبرا وكلما بعد منه ازداد صغرا في عينيه. وكذلك الصوت يسمع من قريب قويا ومن بعيد خفيا وكذلك الطعم تذوق الشيء قليلا فتجده قليل الحلاوة فاذا زدت منه طعمه [...] وكذلك اللمس تحس الشيء قليلا فتجده فاترا وتلمسه شديدا فتجده حارا وترى الصورة من قريب ثابتة مختلفة فيزداد الرأي لها بعدا فيرى انها مستوية غير مختلفة. وزعموا ان جميع الاشياء تدور على التكافؤ والتجاري وكادوا ان يحلفوا بالسوفسطائية.

وقالت طائفة اخرى: ان الاشياء فروع لاصول اربعة لم تزل ولا تزول فولدت وظهر العالم منها وهي الافراد السوادج الحر والبرد والرطوبة واليبس، تنبت بانفسها لا باعتماد ولا ارادة ولا مشيئة. وقالت طائفة

اخرى: ان الاصول أربعة وهي أمهات ما في العالم ومعها خامس لم يزل ولا يزول يدبرها ويؤلف بينها بارادة ومشيئة وحكمة ويؤلف بين زوجاتها ويتولد نتائجها عنه لا يمنع اضدادها من القرب بعضها من بعض، وهو العلم.

وقالت طائفة وهم اصحاب الجوهر، وهم الارسطاطاليسية: ان الاشياء شيئان جوهر وعرض، والجوهر ينقسم قسمين: حي ولا حيّ وحده القائم بنفسه وافتراقه في الخاصة لا في الحد والعرض تسعة، فمنها الكمية وهو العدد وصورها اربع: الكيل والمساحة والوزن والقول، ثم الكيفية وصورها ثمان: الكون والفساد والهيئة والحيلة والقوة والضعف والالف والمالوف، ثم الاضافة وصورها اربع: طبيعي وصناعي واستحسان ومودة، ثم متى وهي الواقعة على الوقت يعني بالوقت الزمان، وصور الزمان ثلاث: الماضي والمستقبل والدائم، ثم أنى وهي الواقعة على المكان الست جهات يعني امام وخلف واعلى واسفل ويمين ويسار، ثم الجدة وهي الملك وصورة الملك قسمان: اما خارج واما داخل، فمعنى خارج مثل المملوك والدار والاثاث ونحوه، ومعنى داخل مثل العلم والحكمة، ثم النصبة ومعنى النصبة هيئة الشيء كقول القائل فلان قائم وفلان قاعد وفلان ذاهب وفلان جاءٍ، ثم الفاعل فهو قسمان: اما ان يفعل بالاختيار واما ان يفعل بالطبع، فالمختار مثل الحي الباقي الآكل الشارب والفاعل بالطبع كحركة العناصر الاربعة مثل النار تسمو من الوسط إلى العلو تكرر وان كان دون النار وكالارض من العلو إلى الوسط إلى مركزها الاخص بها والماء من العلو إلى دون الارض. ثم المنفعل وهو القابل للتأثير الفاعل فيه حال طينته المحتملة لان يديرها ويربعها في جميع

الاشكال. فهذه مقالات اليونانيين ومن تلاهم من الروم ومذاهب متكلميهم وفلاسفتهم وحكمائهم وأهل النظر فيهم.

(اليعقوبي - التاريخ، ج ١، ص ١٦٦-١٧١)

اديان العرب :

وكانت اديان العرب مختلفة بالمجاورات لاهل الملل والانتقال إلى البلدان والانتجاعات. فكانت قريش دعامة ولد معد بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجون البيت ويقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت. وكان آخر من قام بولاية البيت الحرام من ولد معد ثعلبة بن اياد ابن نزار بن معد، فلما خرجت اياد وليت خزاعة حجابة البيت فغيروا ما كان عليه الامر في المناسك حتى كانوا يفيضون من عرفات قبل الغروب ومن جمع بعد ان تطلع الشمس. وخرج عمرو بن لحي واسم لحي ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر، إلى ارض الشام وبها قوم من العمالقة يعبدون الاصنام فقال لهم: ما هذه الأوثان التي اراكم تعبدون؟ قالوا: هذه اصنام نعبدها نستنصرها فننصر ونستقي بها فنسقى، فقال: الا تعطوني منها صنما فاسير به إلى ارض العرب عند بيت الله الذي تفد إليه العرب، فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فوضعه عند الكعبة فكان اول صنم وضع بمكة. ثم وضعوا به إساف ونائلة كل واحد منهما على ركن من اركان البيت، فكان الطائف اذا طاف بدأ باساف فقبله وختم به. ونصبوا على الصفا صنما يقال له مجاور الريح وعلى المروة صنما يقال له مطعم الطير، فكانت العرب اذا حجت البيت فرأت تلك الاصنام سألت قريشا

وخراعة فيقولون نعبدها لتقربنا إلى الله زلفى. فلما رأت العرب ذلك اتخذت اصناما فجعلت كل قبيلة لها صنما يصلون له تقربا إلى الله فيما يقولون، فكان لكعب بن دبرة واحياء قضاعة «ود» منصوبا بدومة الجندل بجرش، وكان لحمير وهمدان «نسر» منصوبا بصنعاء، وكان لكنانة «سواع»، وكان لغطفان «العزى»، وكان لهند بجيلة وخثعم «ذو الخلصة»، وكان لطيء «الفلس» منصوبا بالحبس، وكان لربيعة واياد «ذو الكعبات» بسنداد من ارض العراق، وكان لثقيف «اللات» منصوبا بالطائف، وكان للأوس والخزرج «مناة» منصوبا بفدك مما يلي ساحل البحر، وكان لدوس صنم يقال له «ذو الكفين» ولبني بكر بن كنانة صنم يقال له «سعد»، وكان لقوم من عذرة صنم يقال له «شمس»، وكان للأزد صنم يقال له «رئام» فكانت العرب اذا ارادت حج البيت الحرام وقفت كل قبيلة عند صنمها، وصلوا عنده ثم تلبوا حتى تقدموا مكة فكانت تلبياتهم مختلفة، وكانت تلبية قريش: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك تملكه وما ملك، وكانت تلبية كنانة: لبيك اللهم لبيك اليوم [يوم] التعريف يوم الدعاء والوقوف، وكانت تلبية بني اسد: لبيك اللهم لبيك يارب اقبلت بنو اسد اهل التواني والوفاء والجلد اليك، وكانت تلبية بني تميم: لبيك اللهم لبيك لبيك عن تميم قد تراها قد اخلقت اثوابها واثواب من وراءها واخلصت لربها دعاءها، وكانت تلبية قيس بن عيلان: لبيك اللهم لبيك لبيك انت الرحمن اتتك قيس عيلان راجلها والركبان، وكان تلبية ثقيف: لبيك اللهم ان ثقيفا قد اتوك واخلفوا المال وقد رجوك، وكانت تلبية هذيل: لبيك عن هذيل قد اولجوا بليل في ابل وخيل، وكانت تلبية ربيعة: لبيك ربنا لبيك لبيك ان قصدنا اليك، وبعضهم يقول: لبيك عن ربيعة سامعة لربها مطيعة، وكانت حمير وهمدان يقولون: لبيك عن حمير وهمدان والحليفين من

حاشد وألهان، وكانت تلبية الازد: لبيك رب الارباب تعلم فصل الخطاب لملك كل مثاب، وكانت تلبية مذجح: لبيك رب الشعرى ،رب اللات والعزى، وكانت تلبية كندة وحضرموت: لبيك لا شريك لك تملكه او تهلكه انت حكيم فاتركه، وكانت تلبية غسان: لبيك رب غسان راجلها والفرسان، وكانت تلبية بجيلة: لبيك عن بجيلة في بارق ومخيلة، وكانت تلبية قضاعة: لبيك عن قضاعة لربها دفاعة سمعا له وطاعة، وكانت تلبية جذام لبيك عن جذام ذي النهى والاحلام، وكانت تلبية عك والاشعريين:

نحج للرحمن بيتاً عجبا   مستتراً مضبّباً محجّبا

وكانت العرب في اديانهم على صنفين الحمس والحلة، فأما الحمس فقريش منها، واما الحلة فخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشا، وكانوا يشددون على انفسهم في دينهم، فاذا نسكوا لم يسلؤا سمنا ولم يدخروا لبنا ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ولم يجزوا شعرا ولا ظفرا ولم يدهنوا ولم يمسوا النار ولا الطيب ولم يأكلوا لحما ولم يلبسوا في حجهم وبرا ولا صوفا ولا شعرى ويلبسون جديدا ويطوفون بالبيت في نعالهم لا يطأون ارض المسجد تعظيما له ولا يدخلون البيوت من ابوابها ولا يخرجون إلى عرفات ويلزمون مزدلفة ويسكنون في حال نسكهم قباب الادم. وكان الحلة وهي تميم وضبه ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الازد لا يحرمون الصيد في النسك ويلبسون كل الثياب ويسلئون السمن ولا يدخلون من باب بيت ولا دار ولا يؤويهم ماداموا محرمين، وكانوا يدهنون ويتطيبون ويأكلون اللحم فاذا دخلوا مكة بعد فراغهم نزعوا ثيابهم التي كانت

عليهم، فان قدروا على ان يلبسوا ثياب الحمس كراء او عارية فعلوا والا طافوا بالبيت عراة، وكانوا لا يشترون في حجهم ولا يبيعون، فهاتان الشريعتان اللتان كانت العرب عليهما.

ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود وفارقوا هذا الدين، ودخل آخرون في النصرانية وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية. فاما من تهود منهم فاليمن بأسرها، كان تبع حمل حبرين من احبار اليهود إلى اليمن فابطل الاوثان وتهود من باليمن وتهود قوم من الاوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير، وتهود قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من غسان وقوم من جذام. واما من تنصر من أحياء العرب فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد بن العزى وورقة بن نوفل ابن اسد ومن بني تميم بنو امرىء القيس بن زيد مناة ومن ربيعة بنو تغلب ومن اليمن طيىء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغسان ولخم، وتزندق حجر بن عمرو الكندي.

(اليعقوبي - التاريخ، ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٩)

خبر سقيفة بني ساعدة :

واجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [...] يغسل، فاجلست سعد بن عبادة الخزرجي وعصبته بعصابة وثنت له وسادة، وبلغ ابا بكر وعمر والمهاجرين فاتوا مسرعين فنحوا الناس عن سعد، وأقبل ابو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح فقالوا: يا معشر الانصار منا رسول الله فنحن احق بمقامه، وقالت الانصار: منا ومنكم أمير. فقال ابو بكر: منا الامراء وانتم الوزراء، فقام ثابت بن قيس بن شماس وهو خطيب الانصار فتكلم وذكر

فضلهم، فقال ابو بكر: ما ندفعكم عن الفضل وما ذكرتم من الفضل فانتم له اهل ولكن قريشا اولى بمحمد منكم، وهذا عمر بن الخطاب الذي قال رسول الله اعز الدين به، وهذا ابو عبيدة بن الجراح الذي قال رسول الله امين هذه الامة فبايعوا ايهما شئتم، فأبيا وقالوا والله ما كنا لنتقدمك وانت صاحب رسول الله وثاني اثنين، فضرب ابو عبيدة على يد ابي بكر وثنى عمر ثم بايع من كان معه من قريش، ثم نادى ابو عبيدة: يا معشر الانصار انكم كنتم اول من نصر فلا تكونوا اول من غير وبدل.،وقام عبد الرحمن بن عوف وتكلم وقال: يا معشر الانصار انكم وان كنتم على فضل فليس فيكم مثل ابي بكر وعمر وعلي. وقام المنذر بن الارقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت وان فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه احد - يعني علي بن ابي طالب - فوثب بشير بن سعد من الخزرج فكان اول من بايعه من الانصار واسيد بن حضير الخزرجي وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر وسادة سعد بن عبادة وحتى وطئوا سعدا، وقال عمر: اقتلوا سعدا قتل الله سعدا. وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، فقال بعضهم ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد، فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة، وكان المهاجرون والانصار لا يشكون في علي عليه السلام. فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسان قريش فقال: يا معشر قريش انه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه ونحن اهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن ابي لهب فقال:

ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابي الحسنِ
عن اول الناس ايماناً وسابقة واعلم الناس بالقرآن والسننِ
وآخر الناس عهدًا بالنبيّ ومن جبريل عون له في الغسل والكفنِ
من فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسنِ

فبعث اليه (علي عليه السلام) فنهاه.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي ابن ابي طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير ابن العوام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وابي بن كعب، فأرسل ابو بكر إلى عمر بن الخطاب وابي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي ان تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبة من بعده فتقطعون به ناحية علي بن ابي طالب حجة لكم على علي اذا مال معكم، فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة ابن الجراح والمغيرة بن شعبة حتى دخلوا على العباس ليلا، فحمد ابوبكر الله واثنى عليه ثم قال: ان الله بعث محمدا نبيا وللمؤمنين وليا فمنّ عليهم بكونه بين اظهرهم حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس امورا ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم واليا ولامورهم راعيا فوليت ذلك وما اخاف بعون الله وتسديده وهنا ولا حيرة ولا جبنا وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب، وما انفك يبلغني عن طالب يقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا وإما صرفتموهم عما مالوا اليه، ولقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك؛ اذ كنت عم رسول الله وان كان

الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك... على رسلكم بني هاشم فان رسول الله منا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: اي والله واخرى انا لم نأتكم لحاجة اليكم ولكن كرها أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم.

فحمد العباس الله واثنى عليه وقال: ان الله بعث محمدا كما وصفت نبيا وللمؤمنين وليا فمنّ على امته به حتى قبضة الله اليه واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لانفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى فان كنت برسول الله فحقا اخذت وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم فما تقدمنا في امرك فرطا ولا حللنا وسطا ولا برحنا سخطا، وان كان هذا الأمر انما وجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين، ما ابعد قولك من انهم طعنوا عليك من قولك انهم اختاروك ومالوا اليك وما ابعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس امورهم؛ ليختاروا فاختاروك، فاما ما قلت انك تجعله لي فان كان حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم فيه وان كان لنا فلم ترض ببعضه دون بعض وعلى رسلك فان رسول الله شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها. فخرجوا من عنده وكان فيمن تخلف عن بيعة ابي بكر سفيان بن حرب وقال: ارضيتم يا بني عبد مناف ان يلي هذا الأمر عليكم غيركم، وقال لعلي بن ابي طالب: امدد يدك ابايعك وعلي معه قصى فقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ... ولا سيما تيم بن مرة او عدي
فما الامر الا فيكم واليكم ... وليس لها الا ابو حسن علي
ابا حسن فاشدد بها كف حازم ... فانك بالأمر الذي يرتجى ملي
وان امرءاً يرمي قصياً وراءه ... عزيز الحمى والناس من غالب قصي

وكان خالد بن سعيد غائبا فاتى عليًا فقال: هلم نبايعك، فوالله ما في الناس احد أولى بمقام محمد منك. واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: اغدوا علي محلقين الرؤوس فلم يغد عليه الا ثلاثة نفر.

وبلغ ابا بكر وعمر ان جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن ابي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فاتوا في جماعة حتى هجموا على الدار وخرج علي ومعه السيف فلقيه عمر فصارعه فصرعه عمر وكسر سيفه ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن او لاكشفن شعري ولاعجّن إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار. واقام القوم اياما ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع، ولم يبايع علي (رضي الله عنه) الا بعد ستة اشهر وقيل اربعين يوما.

(اليعقوبي – التاريخ، النجف، ج ٢ ص ١٠٢-١٠٤)

ايـــام المهـــدي :

وقرأ المهدي وصية ابي جعفر وكانت نسختها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عبدالله أمير المؤمنين، إلى المهدي محمد ابن امير المؤمنين ولي عهد المسلمين، حين اسند وصيته إليه بعده واستخلصه على الرعية من المسلمين واهل الذمة وحرم الله وخزائنه وارضه التي يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ان امير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد، والعمل بطاعته في العباد... وليتسع انصافك وينبسط عدلك، ويؤمن ظلمك وواس بين الرعية في الاحتكام، واطلب بجهدك رضي الرحمن، واهل الدين، فليكونوا اعضاءك، واعط حظ المسلمين من اموالهم، ووفر لهم فيأهم، وتابع اعطياتهم عليهم، وعجل بنفقاتهم اليهم سنة سنة

وشهرا شهرا، وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج، واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة، وليكن أهم امورك اليك تحفظ [لعله: حفظ] اطرافك وسد ثغورك واكمال بعوثك...»

وامره بعد ذلك بامور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصية، وأظهر جزعا شديدا على المنصور. ووردت اليه الوفود يعزونه فجعل كل قوم يقولون بما امكنهم حتى دخل شبيب بن شيبة فعزاه ثم قال: يا امير المؤمنين ان الله لم يرض لك اذ قسم لك الدنيا الا باسناها وارفعها فلا ترضى لنفسك من الآخرة الا بمثل ما رضي الله لك من الدنيا، وعليك بتقوى الله، فانها عليكم نزلت، ومنكم اخذت، واليكم ردت.

وقدم الربيع مستهل المحرم ومعه مفاتيح الخزائن، فجلس المهدي للناس في النصف من المحرم. وامر الربيع فأحضر دفتر القبوض ووجه إلى كل من كان ابو جعفر قبض شيئا من ماله فاحضره واقبل عليهم فقال: ان امير المؤمنين المنصور كان بما حمله الله من اموركم وقلده من رعايتكم يدبر عليكم كما يدبر الوالد البر ولده وكان انظر لكم منكم لانفسكم وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على انفسكم فحرس لكم من أموالكم ما لم يأمن من ذهابه، وهذه أموالكم مبارك لكم فيها فحللوا امير المؤمنين من ابطائها عنكم، ثم امر باخراج من في المحابس من الطالبيين وغيرهم من سائر الناس فاطلقهم وامر لهم بجوائز وصلات وارزاق دارة، ثم اطلق سائر الناس ولم يطلق احدا الا وكساه ووصله على قدره...

وخلع المهدي عيسى بن موسى من ولاية العهد واشترى ذلك بعشرة آلاف الف درهم وبايع لابنه موسى بولاية العهد من بعده سنة ١٥٩، ثم بايع لابنه هارون بولاية العهد بعد موسى.

وحج المهـدي سنة ١٦٠هـ، فـجـرد الكعـبـة وكـسـاها القـبـاطي والخزوالديباج، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من اعلاها إلى اسفلها. وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد الحرام وزاد فيه زيادات واشترى من الناس دورهم ومنازلهم وأحضر الصناع والمهندسين من كل بلد وكتب إلى واضح مولاه وعامله على مصر في حمل الأموال إلى مكة واتخاذ الآلات وما يحتاج اليه من الذهب والفسيفياء وسلاسل القناديل والخروج بها حتى يسلمها إلى يقطين بن موسى ومحمد بن عبد الرحمن، وصيّرت الكعبة في الوسط وزاد مما يلي الكعبة إلى باب الصفا تسعين ذراعا ومن الكعبة إلى باب بني شيبة ستين ذراعا، وصير ذرعه مكسرا مائة الف ذراع وعشرين الف ذراع، وطول المسجد من باب بني جمح إلى باب بني هاشم إلى عند العلم الاخضر اربعمائة ذراع واربع اذرع، وفيه من الاساطين مما حمل في البحر من مصر اربعمائة واربع وثمانون اسطوانة طول كل اسطوانة عشر اذرع، وصيّر فيه اربعمائة طاق وثمانية وتسعين طاقا، وجعل في المسجد الابواب ثلاثة وعشرين بابا، فكان المهدي آخر من زاد في المسجد الحرام، وبنى العلمين الذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعا فصار بين الصفا والمروة لما اخرج المسجد إلى الموضع الذي هو فيه الساعة سبعمائة واربع وخمسون ذراعا. ووسع المسجد الذي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزاد فيه مثل ما كان عليه وحمل إليه الرخام والفسيفساء والذهب ورفع سقفه وألبس خارج القبر الرخام.

وبنى الثغر المعروف بالحدث سنة ١٦٣هـ وكان فيه دفع للعدو وتسديد، وذلك ان الروم أغاروا على مرعش فسبوا وقتلوا خلقا، فلما بنى المهدي

الحدث عظم ارتفاق أهل الثغور به. واغزى هارون ابنه في هذه السنة ومعه جماعة من القواد والجند وخرج إلى جيحان ففتح هارون في تلك الغزاة سمالو وعدة حصون. ثم أغزاه سنة ١٦٤هـ إلى القسطنطينية فطلب منه الروم الصلح فصالحهم وانصرف...

واضطربت خراسان وتحركت السغد وفرغانة وخرج يوسف البرم وهو رجل من موالي ثقيف ببخارا يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتبعه على ذلك خلق من الناس فحارب السلطان. وخرج احمد بن اسد إلى فرغانة ففتح حتى وصل إلى كاسان وهي المدينة التي ينزلها الملك، وكان يزيد بن مزيد الشيباني يحارب يحيى الشاري فكتب إليه المهدي ان ينكفيء فيمن معه إلى يوسف البرم فلقيه فكانت بينهما وقعات عدة، ثم هزمه يزيد فرفع علما احمر وآمن من يصير تحته فصار اصحاب يوسف كلهم تحته وأسر يوسف فحمله إلى المهدي فلما دخل عليه كلمه بكلام غليظ فشتمه المهدي، فقال لبئس ما ادبك اهلك، فضرب عنقه وصلبه.

فكتب إلى عمر بن العلاء وكان بطبرستان أن يصير إلى جرجان فيخرج من بها من المحمرة بعد ان يدعوهم إلى الطاعة. فصار إلى جرجان ففرق جمع المحمرة وقتل عبد القاهر وفض الجمع.

ووجه المهدي رسلا إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة فدخل اكثرهم في طاعته فكان منهم ملك كابل شاه يقال له [حنحل] وملك طبرستان [الاصبهبذ] وملك السغد [الاخشيد] وملك طخارستان [شروين] وملك باميان [الشير] وملك فرغانة [فريران] وملك اشروسنة [افشين] وملك الخرلخية [جيغويه] وملك سجستان [رتبيل] وملك الترك [طرخان] وملك التبت [جهورن] وملك السند [الراي] وملك الصين [بغبور] وملك الهند

[وابراح] وهو فور وملك التغزغز [خاقان]...

وامر المهدي بجباية اسواق بغداد وجعل عليها الاجرة، وجعل [لعله: وكل] سعيد الحرشي بذلك فكان اول ما جبيت اسواق بغداد...

وكان المهدي قد الح في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل خلقا كثيرا، فبلغه ان صالح بن ابي عبيد الله كاتبه زنديق فاحضره. فلما صح عنده امره استتابه فقال: لا رغبة عما انا عليه ولا حاجة في غيره، فأمر المهدي ابا عبيدالله اباه ان يقوم فيضرب عنقه فقام فأخذ السيف ثم دنا من ابنه فلما رفعه رجع فقال:

يا أمير المؤمنين اني قمت سامعا مطيعا وانه ادركني ما يدرك الرجل في ولده فامره فجلس، ثم امر بضرب عنقه...

(اليعقوبي - التاريخ، النجف ج ٣ ص ١٢٥-١٣٣)

أيام أحمد المعتمد على الله :

وبويع أحمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل في اليوم الذي قتل فيه المهتدي وهو يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦، ومن شهور العجم حزيران، وكانت الشمس يومئذ في الاسد سبعا وعشرين درجة وزحل في القوس خمسا وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعا، والمريخ في الأسد ثلاث درج واربعين دقيقة...

وزحف الخارج بالبصرة المدعى إلى آل ابي طالب، واسمه علي بن محمد [يقصد صاحب الزنج] إلى الابلة فنهبها وأخربها واحرقها بالنار، وتوجه إليه سعيد بن صالح فواقعه بنهر ابي الخصيب.

ووردت كتب المعتمد إلى أحمد بن طولون عامل مصر يأمره برد المال

الخراج إلى أحمد بن محمد بن المدبر وكان محبوسا في يده ومحمد بن هلال يتولى الخراج، فاخرج يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦ وتولى الخراج وكان حبسه تسعة اشهر وعشرين يوما.

وفي هذه السنة تنازع قوم من بني هلال وقوم من أهل مكة في الموقف بعرفات، فقتل قوم من هؤلاء وقوم من هؤلاء وكان صاحب الموسم الحسين ابن اسماعيل الطاهري فاقام الحج للناس أحمد بن اسماعيل بن يعقوب الملقب [كعب البقر].

وتوفي بايكباك التركي فصير المعتمد ما كان اليه من اعمال مصر وغيرها إلى يارجوخ التركي وكتب يارجوخ التركي إلى احمد بن طولون التركي عامل مصر باقراره على ما كان يتولى. وولى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة، فقدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧ ونفذ إلى برقة.

ووجه المعتمد بالحسين الخادم المعروف بـ [عرق الموت] إلى عيسى بن شيخ، وقد تغلب على فلسطين، بأمان على نفسه وماله وولده والصفح عما كان منه وتوليته ارمينية، ففعل ذلك وشخص من البلد في جمادي الآخرة سنة ٢٥٧، وسلم ما كان في يده إلى أماجور التركي ولم يرد من الاموال درهما واحدا. وكانت في السماء نار عظيمة اخذت من المشرق إلى المغرب ثم اجلت، وتلتها هزة شديدة وزلزلة، وكان ذلك مع طلوع الفجر لثمان بقين من رجب ومن شهور العجم في حزيران.

وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلا في بيت المال بمصر إلى امير المؤمنين المعتمد فكان مبلغه الفي الف ومائة الف درهم، وقاد الخيل وحمل الطراز والخيش والشمع ووازنه بنفسه حتى يسلمة إلى اماجور التركي واشهد به عليه وانصرف إلى الفسطاط...

وفي هذه السنة وجه أحمد بن طولون رجلا من التراك يقال له [ماطعان] في الف فارس مع حاج مصر وأمره ان يدخل المدينة ومكة بالصلاح والتبعية ويفعل مثل ذلك بعرفات، وفعل ذلك ووافى عرفات بالاعلام والطبول والسلام.

وفي هذه السنة دخل المدعي البصرة ونهب وحرق المسجد الجامع وتوجه إليه رجل من الاتراك يقال له محمد المولد فلما بلغه الخبر انصرف ولم يلقه...

وفي هذه السنة وقعت مصيبة بفلسطين بين لخم وجذام فتحاربوا حربا اخذت من الفريقين. وفيها حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد واخرج احمد بن محمد المدبر من الفسطاط متوجها إلى الشامات في المحرم سنة ٢٥٨، فقام بالشامات وقصد مدينة دمياط وتولى اعمال الخراج.

وفي هذه السنة دخل محمد المولد التركي البصرة واخرج المدعي إلى آل أبي طالب واصحابه عنها ورجع قوم فلم يجدوا منزلا يسكن...

وفيها رقع الوباء بالعراق فمات خلق من الخلق وكان الرجل يخرج من منزله فيموت قبل ان ينصرف، فيقال إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر الف انسان.

وفيها زاد أبو أيوب أحمد بن محمد، ابن أخت الوزير عامل خراج مصر، في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد.

وفيها توجه أبو أحمد بن المتوكل على الله إلى المدعي إلى آل أبي طالب الخارج بالبصرة في جمع كثيف وكان العسكر والزاد والسلاح في

السفن فوقعت النار في السفن، فاحترقت وانصرف أبو محمد راجعا.

وفيها أخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكرية والموالي وساير الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه ويحاربوا من حاربه من الناس جميعا...

وفيها بويع لأحمد بن الموفق بن المتوكل ولقب بالمعتضد بولاية العهد، وصير إليه اعمال يارجوخ من مصر وغيرها فدعي له على منابر مصر.

وحج بالناس الفضل بن العباس، ونال اهل البادية زلازل ورياح وظلمة وخاف الناس ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر اهل البلد فهربوا إلى المدينة وإلى مكة يستجيرون بقبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبالكعبة، واحضروا متاعا من متاع الحاج الذين قطعوا عليه الطريق، وذكروا انه هلك منهم خلق عظيم في البادية وكان ذلك في سنة ٢٥٩ هـ، وفيها تغير ماء نيل مصر حتى صار يضرب إلى الصفرة واقام على هذه الحال أياما ثم رجع إلى ما كان عليه...

(اليعقوبي - التاريخ، النجف ج٣، ص ٢٢٨-٢٣٢)

ابـــن قتيبـــة

كتاب المعارف :

قال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكاتب: هذا كتاب جمعت فيه من المعارف، ما يحق على من انعم عليه بشرف المنزلة وأخرج بالتأدب عن طبقة الحشوة وفضل بالعلم والبيان على العامة، ان يأخذ نفسه ويروضها على تحفظه، اذ كان لا يستغنى عنه في مجالس الملوك انى جالسهم، ومحافل الاشراف انى عاشرهم، وحلق اهل العلم انى ذاكرهم، فانه قل مجلس عقد على خير او اسس لرشد أو سلك فيه سبيل الا وقد يجري فيه من اسباب المعارف إما في ذكر نبي او ذكر ملك أو عالم أو نسب او سلف او زمان او يوم من ايام العرب، فيحتاج من حضر إلى ان يعرف عين القصد ومحل القبيلة وزمان الملك وحال الرجل المذكور وسبب المثل المشهور، فإني رأيت من الاشراف من يجهل نسبه ومن ذوي الاحساب من لا يعرف سلفه ومن قريش من لا يعرف من اين تمسه القربى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - او الرحم بالأعلام من صحابته، ورأيت من ابناء ملوك العجم من لا يعرف حال ابيه وزمانه، ورأيت من ينتمي إلى الفضيلة وهو لا يدري من اي العماير هي وإلى البطن ولا يدري من اي القبايل هو، ورأيت من رغب بنفسه عن نسب دق فانتهى إلى رجل لم يعقب كرجل رأيته ينسب إلى أبي ذر ولا عقب لأبي ذر وآخر ينتمي إلى حسان بن ثابت وقد انقرض عقب حسان، وكآخر دخل على المأمون فكلمه بكلام أعجبه فسأله عن نسبه فقال: من طيىء من ولد عدي بن حاتم فقال

له المأمون: لصلبه؟ قال: نعم، فقال المأمون: هيهات أضللت إن ابا طريف لم يعقب، فكان سقوطه بجهله حال الرجل الذي اختاره لدعوته اقبح من سقوط بالنسب الذي رغب فيه، وقد يكون الرجل متبوعا في الادب قد سمق فيه وأخذ بالحظ الاوفى منه الا انه اغفل شيئا من الجليل كان اولى به من حفظ بعض ما حفظ فيلحقه فيه النقيصة ويرجع عليه من الهجنة كطالب غوامض الفقه وقد اغفل ابواب الصلاة والفرايض وطالب طرق الحديث وقد اغفل متونها ومعانيها وطالب علل النحو وتصاريفه وهو يلحن في رقعة ان كتبها وبيت شعر ينشده.

وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف اولها مبتدأ الخلق... [ويذكر محتويات الكتاب].

وكان غرضي في جميع ما اقتصصت الايجاز والتخفيف والقصد المشهور من الأنباء دون المغمور، ولما يجري له سبب على السنة الناس دون ما لا يجري له سبب، ولو قصدت الاستقصاء لطال الكتاب حتى يعجز عن نسخه فضلا عن حفظه ولاختلط الخفي بالجلي فمجته الاذان وملته النفوس والنفس إلى ما يصلح منه شيئا اكثر تطلعا واشد استشرافا وهو بها ألصق ولها ألزم. وقد شرطت عليك تعلّم ما في هذا الكتاب وتعرفه ولو اطلته وذكرت ما بك عنه الغناء اكثر دهرك اتعبتك وكددتك واحوجتك إلى ان تلتفظ منها شيئا للمعرفة والحفظ وتنبذ منه شيئا، فكفيتك ذلك واحتطت له فيه بابلغ الاحتياط وعايرت على نظري بنظر الحفاظ من اخواننا والنساب، وأرجو ان اكون قد بلغت لك فيه همة النفس وثلج الفؤاد ولنفسي ما املت في تبصيرك وارشادك من توفيق الله وحسن الثواب.

(ابن قتيبة - المعارف ص ٣-٦)

مبتدأ الخلق :

قال ابو محمد [عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكتاب]: قرأت في التوارة في اول سفر من اسفارها ان اول ما خلق الله (تعالى) من خليقته السماء والأرض، وكانت الارض خربة خاوية وكانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تبارك وتعالى ترف على وجه الماء فقال الله (عز وجل) ليكن النور فكان نورا فرآه الله حسنا فميزه من الظلمة وسماه نهارا وسمى الظلمة ليلا فكان مساء وكان اصباح يوم الاحد. وقال الله (تعالى) ليكن سقف وسط الماء فليحل بين الماء فكان سقفه وميز بين الماء الذي هو اسفل وبين الماء الذي هو اعلا فسمى الله السقف سماء وكان مساء وكان اصباح يوم الاثنين. قال ابو محمد (حدثني ابو الخطاب قال: حدثنا مالك بن سعد قال: حدثنا اسماعيل بن ابي خالد عن ابي صالح) في قول الله وجل «والبحر المسجور» قال: كان علي (رضي الله عنه) يقول هو بحر تحت العرش وهذا شبيه بما ذكر في التوراة من ان السماء بين مائين. وعاد الخبر إلى التوراة وقال الله (عز وجل): ليجتمع الماء كله الذي تحت السماء إلى مكان واحد فلير اليبس وكان كذلك، فدعاء الله (عز وجل) اليبس أرضا وسمى ما اجتمع من المياه البحور، ثم قال الله تبارك وتعالى لتخرج الارض زهرة العشب والشجر ذا الحمل كلاً لسوسه فاخرجت الارض ذلك فرآه الله حسنا وكان مساء وكان اصباح يوم الثلاثاء. وقال الله لتكن نورين في سقف السماء ليميزا بين الليل والنهار وليكونا آيات للأيام والسنين فكانا نورين الاكبر لسلطان النهار والاصغر والنجوم لسلطان الليل فرآه الله حسنا وكان مساء وكان اصباح يوم الاربعاء. وقال الله: ليحرك الماء كل نفس حية وليطير الطير على وجه الارض في جو السقف، وخلق الله تنانين عظاما وحرك الماء كل نفس حية

لجنسـها وكل طاير لجنسه فرأى الله ذلك حسنا فتـركهن وقـال اثـمروا واكثروا وكان مساء وكان اصباح يوم الخميس. ثم قال الله نخلق بشرا بصورتنا فخلق آدم من آدمة الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة، وقال ان آدم لا يصلح ان يكون وحده ولكن أصنع له عينا مثله فالقى عليه السبات فاخذ احدى اضلاعه فلامها وسمى الضلع الذي اخذه امرأة لانها من المرء اخذت فقربها إلى آدم فقال عظم من عظامي ولحم من لحمي، ومن اجل ذلك يترك الرجل اباه وامه ويتبع امرأته ويكونان كلاهما جسدا واحدا، وتركهما الله وقال: اثمروا واكثروا واملوا الارض وتسلطوا على ابواب البحور وطير السماء والانعام والدواب وعشب الارض وشجرها وثمرها، ورأى كل ما خلق فاذا هو حسن جدا وكان مساء وكان اصباح يوم السادس. فكمل كل اعمال الله التي عمل ثم استراح في اليوم السابع من خليقته فبرّكه وطهره.

ونصب ربنا الفردوس في عدن وبها نهر يسقي الفردوس فانقسم على أربعة رؤوس، فجيحون بارض خويلاء كلها وثم يكون اجود الذهب وحجارة البلور والفيروزج، واسم النهر الثاني سيحون وهو محيط بارض كوش والحبشة، واسم النهر الثالث دجلة وهو الذي يذهب قبل آثور والنهر الرابع الفرات. ونصب شجرة الحياة وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر وقال لادم كل ما شئت من شجرة الفردوس ولا تأكل من شجرة علم الخير والشر فانك يوم تأكل منها تموت، وقال ابو محمد: يريد انك تتحول إلى حال من يموت. وكانت الحية اعرم دواب البر فقالت للمرأة: انكمالا تموتان ان اكلتما منها ولكن اعينكما تتفتح وتكونان كالآلهة تعلمان الخير والشر فاخذت المرأة فاكلت واطعمت بعلها فانفتحت

ابصارهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين واصطنعاه ازرا، ثم سمعا صوت الله في الجنة حين بورك النهار فاختبأ آدم وامرأته في شجر الجنة فدعاهما فقال آدم: سمعت صوتك في الفردوس ورأيتني عريانا فاختبيت منك، فقال: ومن ادراك انك عريان ها لقد اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها، فقال: ان المرأة اطعمتني، وقالت المرأة: ان الحية اطعمتني، فقال الله (تعالى) للحية: من اجل فعلك هذا فانت ملعونة وعلى بطنك تمشين وتأكلين التراب وسأغري بينك وبين المرأة ووالدها فيكون يطأ رأسك وتكونين انت تلدغينه بعقبه، وقال للمرأة: وانت فاكثر اوجاعك واحبالك وتلدين الاولاد بالالم وتردين إلى بعلك فيكون مسلطا عليك، وقال لآدم: ملعونة الارض من اجلك وتنبت الحاج والشوك وتأكل منها بالشقا ورشح وجهك حتى تعود إلى التراب من اجل انك تراب. وسمى الله امرأته حواء لانها ام كل حي وألبسها واياه سرابيل من جلود وقال ان آدم قد علم الخير والشر فلعله يقدم يده ويأخذ من شجرة الحياة فيأكل منها فيعيش الدهر فاخرجه من مشرق جنة عدن إلى الارض التي منها اخذ.

فهذا ما في التوراة، وأما وهب بن منبه فذكر ان الجن كانت سكان الارض قبل آدم فكفرت طايفة منهم فسفكوا الدماء فأمر الله جندا من الملائكة من اهل سماء الدنيا منهم ابليس وكان رئيسهم فهبطوا إلى الارض فأجلوا عنها الجان، واستشهد على ذلك بقول الله عز وجل: والجان خلقناه من قبل نار السموم، اي من قبل ان نخلق آدم، فالحقوهم باطراف التخوم وجزائر البحر، وسكن إبليس والجند الذي معه عمران الارض واريافها وكان اسم ابليس غرازيل. ثم ذكر خلق الله آدم، وقال:

ثم كساه لباسا من ظفر يزداد جدة في كل يوم وحسنا، فلما أكلا من الشجرة انكشط عنهما اللباس وكان له مثل شعاع الشمس حتى صار في اطراف اصابعهما من ايديهما وارجلهما، قال: وخلقه يوم الجمعة ومكث في الجنة ستة ايام وكان أول شيء اكله في الجنة العنب، وكانت الشجرة التي نهيا عنها شجرة البر وكان الله أخدم آدم الحية في الجنة وكانت احسن خلق الله لها قوايم كقوايم البعير فعرض ابليس نفسه على دواب الارض كلها انها تدخله الجنة فكلها ابى ذلك عليه الا الحية فانها حملته بين نابين من انيابها ثم ادخلته الجنة. قال: ولما تاب الله على آدم امره ان يسير إلى مكة فطوى له الارض وقبض عنه المفاوز فلم يضع قدمه إلى شيء من الارض الا صار عمرانا حتى انتهى إلى مكة، وكان مهبطة حين اهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند، واهبط الله حواء بجدة والحية بالبرية وابليس على ساحل بحر الأبلة. وقال ابن اسحق: يذكر اهل العلم ان مهبط آدم وحواء على جبل يقال له واسم من أرض الهند...

(ابن قتيبة، المعارف ص ٦-٩)

الفتـــوح :

[خراسان] أما خراسان فافتتحت في خلافة عثمان بن عفان صلحا على يدي عبدالله بن عامر بن كريز وكان منتهى ما افتتح منها في خلافة عثمان مرو ومرو الروذ، وأما ما وراءهما فانه افتتح بعد عثمان على يدي سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية صلحا سمرقند وكش ونسف وبخارا وبعد ذلك على يدي المهلب ابن ابي صفرة وقتيبة بن مسلم.

[طبرستان وجرجان والري] فأما الري فان أبا موسى الاشعري

افتتحها في خلافة عثمان بن عفان صلحا، وأما طبرستان ففتحها سعيد ابن العاص في ولاية عثمان صلحا ثم فتحها عمر بن العلاء والطالقان ودنباوند سنة سبع وخمسين ومابة، وأما جرجان فافتتحها يزيد بن المهلب في خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ثمان وتسعين.

(كرمان وسبحستان) وأما كرمان وسجستان ففتحها عبدالله بن عامر بن كريز في خلافة عثمان صلحا.

(الجبل) وأما الجبل فانه افتتح كله عنوة في وقعة جلولا ونهاوند على يدي سعد والنعمان بن مقرن.

[الاهواز وفارس واصبهان] وأما الاهواز وفارس وأصبهان فافتتحت عنوة لعمر على يدي أبي موسى وعثمان بن أبي العاص وعتبة بن غزوان وكان فتح اصبهان على يدي أبي موسى خاصة.

[السواد] وأما السواد فافتتح كله عنوة على يدي سعد في خلافة عمر.

[الجزيرة] وأما الجزيرة فانها فتحت صلحا على يدي عياض بن غنم.

[الشام] وأما الشام فان أجنادين منها افتتح صلحا في خلافة أبي بكر، وافتتح عمر بن الخطاب بيت المقدس، ومدن الشام كلها، افتتحت صلحا دون أراضيها لعمر، وأما ارضوها فعنوة على يدي يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة وخالد بن الوليد.

[مصر] وأما مصر ففتحت صلحا على يدي عمرو بن العاص.

[المغرب] من المغرب ما افتتحه عبدالله بن سعد بن أبي سرح لعثمان وهو افريقية افتتحها عنوة، والثغور وقيسارية افتتحها معاوية عنوة لعمر.

[الأندلس] افتتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير اللخمي سنة اثنتين وتسعين.

[هجر واليمامة والبحرين] أما هجر والبحرين فانهم أدوا الجزية إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكذلك دومة الجندل واذرح، وأما اليمامة فافتتحها أبو بكر (رحمه الله).

[الهند] وأما أرض الهند فافتتحها القاسم بن محمد الثقفي في سنة ثلاث وتسعين.

(ابن قتيبة – المعارف ص ٢٨١-٢٨٢)

°[التابعون ومن بعدهم] الحسن البصري :

اسم امه خيْرة مولاة لأم سلمة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – قالوا: كانت خيرة أمة ربما غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة ثديها تعلله به إلى ان تجيء امه فيدر ثديها فيشربه، فيرون ان تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. ونشأ الحسن بوادي القرى، وحدثني عبد الرحمن والرياشي عن الأصمعي عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان قال: ولد الحسن على العبودية.

وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن جده عن قتادة أن أم الحسن كانت مولاة لام سلمة. وقال ابو اليقظان: ابو الحسن البصري وأبو محمد ابن سيرين من سبي ميسان، وكان المغيرة افتتحها زمن عمرو بن الخطاب لما ولاه البصرة، وقال آخرون: يسار من اهل نهر المراة. وكان الحسن من اجمل أهل البصرة حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث. وحدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبيه قال: ما رأيت اعرض

زندا من الحسن كان عرضه شبرا. وكان تكلم في شيء من القدر ثم رجع عنه. وكان عطاء بن يسار قاصا ويرى القدر وكان لسانه يلحن فكان يأتي الحسن هو ومعبد الجهني فيسألونه ويقولان: يابا سعيد ان هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الاموال ويفعلون ويقولون انما تجري اعمالنا على قدر الله فقال: كذب اعداء الله، فيتعلق عليه بهذا وأشباهه، وكان يشبه برؤية بن العجاج في فصاحة لهجته وعربيته. وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات سنة عشر وماية، وفيها مات محمد بن سيرين بعده بماية يوم ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما. وكان الحسن كاتب الربيع بن زياد الحارثي بخراسان. وقيل ليونس بن عبيد أتعرف احدا يعمل بعمل الحسن فقال: والله لا اعرف احدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله، ثم وصفه فقال: كان اذا اقبل فكأنه اقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه امر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له.

(ابن قتيبة – المعارف ص ٢٢٥)

الأوايــــل :

حدثني زيد بن أخزم قال: حدثنا عبد الصمد قال حدثنا شعبة قال: حدثنا المغيرة قال: سمعت سماك بن سلمة يقول: أول من سلم عليه بالامرة المغيرة بن شعبة.

حدثنا زيد بن أخزم قال: حدثنا كثير بن همام عن فرات عن ميمون بن مهران قال: اول من مشت معه الرجال وهو راكب الأشعث بن قيس.

قال ابو اليقظان وغيره: أول من سن الديه ماية من الابل أبو سيارة العدواني الذي كان يفيض بالناس من المزدلفة، ويقال: إن اول من سن

ذلك عبد المطلب فأخذ به قريش والعرب وأقره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الاسلام.

قالوا: والوليد بن المغيرة أول من خلع نعليه لدخول الكعبة في الجاهلية فخلع الناس نعالهم في الإسلام، وأول من قضى بالقسامة في الجاهلية فاقرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الاسلام، وأول من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وأول من قطع في السرقة في الجاهلية فقطع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الاسلام. وكانوا يقولون في الجاهلية: لا وثوبي الوليد الخلق منها والجديد وقال وهب بن منبه: الحكم بالقسامة اوصاه الله إلى موسى في كل قتيل وجد بين قريتين او محلتين فلم تزل بنو اسرائيل تحكم بها وقضى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

قال وهب: أول من خط بالقلم إدريس وهو أول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود.

وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي أو غيره قال: أول من كتب بالعربية مرامر بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت في الناس. قال وقال الأصمعي: ذكروا ان قريشا سئلوا من اين لكم الكتاب؟ قالوا: من أهل الحيرة، وقيل لاهل الحيرة: من اين لكم الكتاب؟ قالوا: من الانبار. وقال غيره: كان بشر بن عبدالملك العبادي علم ابا سفيان بن امية وأبا قيس ابن عبد مناف بن زهرة الكتاب فعلما اهل مكة.

قالوا: وأول من حكم في الخنثى باتباع المبال عامر بن الظرب العدواني، فجرى في الاسلام، وهو الذي قال لابنته: اذا انكرت من فهمي شيئا عند الحكم فاقرعي لي المجن بالعصا، فقال المتلمس:

ذي الحكم قبل اليوم ما تقرع العصا　　　وما علـم الانســان الا ليعلمـا

وقد يقال ان ذا الحكم صيفي أبو اكثم وقيل عمرو بن حمسة الدوسي وكان من المعمرين.

قالوا: وأول من خضب بالسواد من أهل مكة عبد المطلب بن هاشم وكان رجل من حمير خضبة بذلك باليمن وزوده بالوسمة. وأول من عمل المحامل وحمل فيها الحجاج بن يوسف.

هارون الرشيد :

هو هارون بن المهدي، بويع له في اليوم الذي توفي فيه موسى ببغداد، وولد له ابنه عبدالله المأمون في هذا اليوم، وكان يكنى ابا جعفر وامه الخيزران، وكان ينزل الخلد من بغداد في الجانب الغربي. وكان يحيى بن خالد وزيره وابناه الفضل وجعفر ينزلان في رحبة الخلد، ثم ابتنى جعفر قصره بالدور ولم ينزله حتى قتل.

وحج هارون بالناس ست حجج آخرها في سنة ست وثمانين وماية، وحج معه في هذه السنة ابناه ووليا عهده محمد الأمين وعبدالله المأمون، وكتب لكل واحد منهما كتابا على صاحبه وعلقه في الكعبة، فلما انصرف نزل الانبار. ثم حج بالناس سنة ثمان وثمانين وماية. وقتل جعفر بن يحيى بالعمر، وهو موضع بقرب الانبار سنة سبع وثمانين ومابة آخر يوم من المحرم، وبعث بجثته إلى بغداد، ولم يزل يحيى وابنه الفضل محبوسين حتى ماتا بالرقة.

وخرج في خلافته الوليد بن طريف الشاري، وهزم غير عسكر فوجه إليه يزيد بن مزيد فظفر به وقتله، وخرج بعده خراشه الشاري أيضاً.

وقتل هارون أنس بن أبي شيخ وهو ابن أخي خالد الحذاء المحدث وكان أنس صديقا لجعفر بن يحيى وصلبه بالرقة وكان يرمى بالزندقة، وكذا البرامكة كانوا يرمون بالزندقة إلا اقلهم، وفيهم قال الاصمعي:

إذا ذكر الشرك في مجلس　　أضاءت وجوه بني برمـك
وإن تليـت عندهـم آيـة　　اتوا بالاحاديث عن مزدك

وغزا هارون سنة تسعين وماية الروم وافتتح هرقلة فظفر ببنت بطريقها فاستخلصها لنفسه. فلما انصرف ظهر رافع بن ليث بن نصر بن سيار بطخارستان مباينا لعلي بن عيسى فوجه هرثمة لمحاربته واشخاص علي ابن عيسى إليه فلما قدم عليه امر بحبسه واستصفاء أمواله وأموال ولده. وتوجه هارون سنة اثنين وتسعين وماية ومعه المأمون نحو خراسان حتى قدم طوس فمرض بها ومات، فقبره هناك، وكانت وفاته ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وماية وقد بلغ من السن سبعا واربعين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما. ومن ولده محمد أمه زبيدة بنت جعفر والمأمون عبدالله أمه مراجل، والقاسم المؤتمن وصالح وأبو عيسى وأبو اسحاق المعتصم وأبو يعقوب وحمدونة وغيرهم.

(ابن قتيبة – المعارف ص ١٩٣-١٩٤)

الدينـــوري

قباذ وانوشروان :

فلما مضى لملك قباذ عشر سنين أتاه رجل من أهل اصطخر يقال له مزدك فدعاه إلى دين المزدكية فمال قباذ إليها فغضبت الفرس من ذلك غضبا شديدا وهموا بقتل قباذ فاعتذر إليهم فلم يقبلوا عذره وخلعوه من الملك وحبسوه في محبس ووكلوا به وملكوا عليهم جاماسف بن فيروز اخا قباذ. وان اخت قباذ اندست لقباذ حتى اخرجته بحيلة فمكث اياما مستخفيا إلى ان أمن الطلب. ثم خرج في خمس نفر من ثقاته فيهم زرمهر بن شوخر نحو الهياطلة يستنصر ملكها فاخذ طريق الاهواز فانتهى ارمشير ثم صار إلى قرية في حد الاهواز واصبهان فنزلها متنكرا وكان نزوله عند دهقانها فنظر قباذ إلى بنت لصاحب منزله ذات جمال فوقعت بقلبه فقال لزمهر بن شوخر: اني قد هويت هذه الجارية ووقعت بقلبي فانطلق إلى ابيها فاخطبها عليّ ففعل فارسل قباذ إلى الجارية بخاتمه وجعل ذلك مهرها فهيئت وأدخلت عليه فخلا بها قباذ وسر بها سرورا شديدا لما الفاها ذات عقل وجمال وادب وهيئة فاقام عندها ثلاثا ثم امر بحفظ نفسها وخرج سائرا حتى ورد على صاحب الهياطلة، فشكى إليه صنيع رعيته به وسأله ان يمده بجيش ليسترجع ملكه فاجابه إلى ذلك وشرط عليهم ان يسلم له حيز الصغانيان ووجه معه بثلاثين الف رجل فاقبل بهم يريد أخاه فأخذ على طريقة الذي شخص فيه بديئا حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة فنزل على ابيها وسأله

عنها فأخبره انها ولدت غلاما فأمر بادخالها عليه مع ابنها فدخلت فدخل إلى الغلام فابتهج به ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان فسماه كسرى وهو كسرى انوشروان الذي تولى الملك من بعده فقال لزرمهر اخرج فسل لي عن هذا الرجل ابي الجارية هل له قديم شرف فسأل عنه فأخبره انه من ولد فريدون الملك ففرح بذلك قباذ وامر بالجارية وابنها فحملا معه. ولما انتهى إلى مدينة طيسفون تلاومت العجم فيما بينها وقالوا ان قباذ تنصل الينا من شأن مزدك ورجع عما كنا اتهمناه فلم نقبل ذلك منه وظلمناه حقه واسأنا اليه، فخرجوا إليه جميعاً، وفيهم جاماسف أخوه الذي ملكوه، فاعتذروا إليه، فقبل ذلك منهم وصفح عن اخيه جاماسف وعنهم واقبل فدخل قصر المملكة ووصل الجيش الذي اقبل بهم واجازهم واحسن اليهم وردهم إلى ملكهم وامر بالجارية فانزلت في افضل مساكنه. ثم ان قباذ تجهز وسار في جنوده غازيا بلاد الروم فافتتح مدينة آمد وميافارقين وسبى اهلها، وامر فبنيت لهم مدينة فيما بين فارس والاهواز فاسكنهم فيها وسماها ابر قباذ وهي استان الاعلى وجعل لها اربعة طساسيج طسوج الانبار وكان منها هيت وعانات، فضمها يزيد بن معاوية حين ملك إلى الجزيرة، وطسوج بادوريا وطسوج مسكن، وكور كورة بهقباذ الاوسط وبهقباذ الاسفل وضم اليها ثمانية طساسيج لكل كورة اربعة طساسيج وهي الاستانات، وشق كورة اصبهان كورتين شق جي وشق التيمرة.

وكان لقباذ عدة من الاولاد لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى لاجتماع الشرف فيه غير انه كانت به ظنة، اي سيىء الظن، فلم يكن قباذ يحمده عليها، فقال له ذات يوم: يا بني قد كملت فيك الخصال التي هي جماع امور الملك غير ان بك ظنه وان الظنة في غير موضعها داعية الاوزار

ومحبطة للاعمال فاعتذر كسرى لابيه مما وقع في قلبه من ذلك واستصلح نفسه عنده.

فلما أتى للملك قباذ ثلث واربعون سنة حضره الموت ففوض إلى ابنه كسرى وهو انوشروان فملك بعد أبيه، وأمر بطلب مزدك بن مازيار الذي زين للناس ركوب المحارم فحرض بذلك السفل على ارتكاب السيئات وسهل للغصبة الغصب وللظلمة الظلم فطلب حتى وجد فأمر بقتله وصلبه وقتل من دخل في ملته. ثم قسم كسرى المملكة اربعة ارباع وولى كل ربع رجلا من ثقاته، فأحد الارباع خراسان وسبحستان وكرمان والثاني اصبهان وقم والجبل واذربيجان وارمينية، والثالث فارس والاهواز إلى البحرين، والرابع العراق إلى حد مملكة الروم، وبلغ بكل رجل من هؤلاء الاربعة غاية الشرف والكرامة. ووجه الجيوش إلى بلاد الهياطلة وافتتح تخارستان وزابلستان وكابلستان والصغانيان. وان ملك الترك سنجبو خاقان جمع اليه اهل المملكة واستعد وسار نحو ارض خراسان حتى غلب على الشاش وفرغانة وسمرقند وكش ونسف وانتهى إلى بخارى وبلغ ذلك كسرى فقعد لابنه هرمز، الذي ملك من بعده، على جيش كثيف ووجهه لمحاربة خاقان التركي فسار حتى اذا قرب منه خلى ما كان غلب عليه ولحق ببلاده فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف.

قالوا: وان خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر، وهو المنذر الأخير وكانا منذرين ونعمانين فالمنذر الاول هو الذي قام بامر بهرام جور والمنذر الثاني الذي كان في زمان كسرى انوشروان وكانوا عمال كسرى على تحزم ارض العرب، فقتل من اصحاب المنذر مقتلة عظيمة واستاق ابل المنذر وخيله فكتب المنذر إلى كسرى يخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة فكتب كسرى إلى قيصر ان يأمر خالدا باقادة المنذر وما قتل من

اصحابه ورد ما اخذ من امواله فلم يحفل قيصر بكتابه فتجهز كسرى لمحاربته فسار حتى وغل في بلاد الجزيرة وكانت اذ ذاك في يد الروم فاحتوى على مدينة دارا ومدينة الرها ومدينة قنسرين ومدينة منبج ومدينة حلب حتى انتهى إلى انطاكية فاخذها وكانت اعظم مدينة بالشام والجزيرة وسبى اهلها اهل انطاكية وحملهم إلى العراق. وامر فبنيت لهم مدينة إلى جانب طيسفون على بناء مدينة انطاكية بازقتها وشوارعها ودورها لا يغادر منها شيئا وسماها زبر خسرو وهي المدينة التي إلى جانب المدائن تسمى الرومية ثم سرحوا فيها فانطلق كل انسان منها إلى مثل داره بمدينة انطاكية وولى القيام بامرهم رجلا من نصارى الاهواز يقال له يزدفناه.

وإن قيصر كتب إلى كسرى يسأله الصلح ورد ما احتوى عليه من هذه المدن على ان يؤدي إليه ضريبة موظّفة عليه في كل عام وكره كسرى البغي فاجابه إلى ما بذل، ووكل بقبضه وتوجيهه اليه في كل عام شروين الدستباي فاقام مع ملك الروم هناك ومعه خرّين مملوكه المشهور الخبر وكان نجدا فارسا بطلا.

ولما قفل كسرى من أرض الشام أصابه مرض شديد فمال إلى مدينة حمص فأقام بها في جنوده إلى ان تماثل للشفاء، فكان قيصر يحمل اليه كفاية عسكره إلى أن شخص...

قالوا: وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأرضين شيئا معروفا من المقاسمات النصف والثلث والربع والخمس إلى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والريع، فهمّ قباذ باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة. فأمر كسرى انوشروان

باستتمامها فلما فرغ منها امر الكتاب ففصّلوها ووضعوا عليها الوضائع ووظف الجزية على اربع طبقات واسقطها عن اهل البيوتات والمرازبة والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك ولم يلزم احدا لم يأت له عشرون سنة او جاوز الخمسين، وكتب تلك الوضائع في ثلاث نسخ: نسخة خلدها ديوانه ونسخة بعث بها إلى ديوان الخراج ونسخة دفعت إلى القضاة في الكور؛ ليمنعوا العمال من اعتداء ما في الدستور الذي عندهم، وامر ان يجبي الخراج في ثلثة أنجم وسمى الدار التي يجبي فيها ذلك سراي سمره وتفسيره دار الثلاثة الانجم، وهي التي تعرف بالشمرج اليوم. وقد قيل في تفسير ذلك غير هذا؛ اي انما هي دار الحساب والحساب شمره وهذا كلام معروف في لغة فارس إلى اليوم يسمون الخراج الشمرة بالشين على معنى الحساب، ورفع خراج الرؤوس عن الفقراء والزّمنى وكذلك خراج الغلات رفعه عما نالته الآفة على قدر ما أصاب منها، ووكل بكل ذلك قوما ثقات ذوي عدالة ينفذونه ويحملون الناس معه على النصفة.

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمع لفنون الادب والحكم ولا للعلم منه، وكان يقرب اهل الآداب والحكمة ويعرف لهم فضلهم. وكان اكبر علماء عصره بزرجمهر ابن البختكان وكان من حكماء العجم وعقلائهم وكان كسرى يفضله على وزرائه وعلماء دهره. وكان كسرى ولى رجلا من الكتاب نبيها معروفا بالعقل والكفاية يقال له بابك بن النهروان ديوان الجند، فقال لكسرى: أيها الملك إنك قد قلدتني أمرا من صلاحه ان تحتمل لي بعض الغلظة في الامور، عرض الجنود في كل اربعة اشهر واخذ كل طبقة بكمال آلتها ومحاسبة المؤدبين على ما يأخذون على تأديب

الرجال بالفروسية والرمي والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم فان ذلك ذريعه إلى اجراء السياسة مجاريها، فقال كسرى: ما المجاب بما قال بأحظي من المجيب لاشتراكهما في فضله وانفراد المجيب بعد بالراحة فحقق مقالتك، وأمر فبنيت له في موضع العرض مصطبة وبسط له عليها الفرش الفاخرة ثم جلس ونادى مناديه لا يبقين احد من المقاتلة الا حضر للعرض فاجتمعوا ولم ير كسرى فيهم فامرهم فانصرفوا وفعل ذلك في اليوم الثاني ولم ير كسرى فانصرفوا فنادى في اليوم الثالث ايها الناس لا يتخلفن من المقاتلة أحد ولا من أكرم بالتاج والسرير فانه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة، وبلغ كسرى ذلك فتسلح سلاحه ثم ركب فاعترض على بابك وكان الذي يؤخذ به الفارس تجفافا ودرعا وجوشنا وبيضة ومغفرا وساعدين وساقين ورمحا وترسا وجرزا يلزمه منطقته وطبرزينا وعمودا وجعبة فيها قوسان بوترهما وثلثين نشابة ووترين وملفوفين يعلقهما الفارس في مغفره ظهريا، فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام خلا الوترين اللذين يستظهر بهما فلم يجز بابك على اسمه فذكر كسرى الوترين فعلقهما في مغفره واعترض على بابك فأجاز على اسمه وقال لسيد الكماة اربعة الاف دهم ودرهم وكان اكثر من له الرزق اربعة الاف درهم ففضل كسرى بدرهم، فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى فقال: ايها الملك لا تلمني على ما كان من اغلاظي فما اردت به الا الدربة للمعدلة والانصاف وحسم المحاباة، قال كسرى: ما غلظ علينا أحد فيما يريد به إقامه أودنا أو إصلاح ملكنا إلا احتملنا له غلظته كاحتمال الرجل شرب الدواء الكريه لما يرجو من منفعته.

قالوا: وكانت كسكر كورة صغيرة فزاد كسرى انوشروان فيها من

كورة بهرسير وكورة هرمزد خرة وكورة ميسان فوسعها بذلك وجعلها طسوجين طسوج جنديسابور وطسوج الزندورد، وكور بجوخي كورة خسروماه وجعل لها ستة طساسيج طسوج طيسفون وهي المدائن وطيسفون قرية على دجلة اسفل من قباب حميد بثلاثة فراسخ يقال لها بالنبطية طيسفونج وطسوج جازر وطسوج كلواذي وطسوج نهر بوق وطسوج جلولا وطسوج نهر الملك.

(الاخبار الطوال ص ٦٠-٧٥)

الدعوة العباسية :

قالوا: وفي ذلك العام [١٠١هـ] توفدت الشيعة على الإمام محمد بن علي عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام، وكان مستقره بارض الشام بمكان يسمى الحميمة، وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدي وابو عكرمة السراج ومحمد بن خنيس وحيان العطار، فقدم هؤلاء عليه فارادوه على البيعة وقالوا له: ابسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان لعل الله ان يحيي بك العدل ويميت بك الجور فان هذا وقت ذلك وأوانه الذي وجدناه مأثورا عن علمائكم، فقال لهم محمد بن علي: هذا أول ما نؤمل ونرجو من ذلك؛ لانقضاء مائة سنة من التاريخ فانه لم تنقض مائة سنة على أمة قط الا اظهر الله حق المحقين وابطل باطل المبطلين لقول الله جل اسمه «أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه» فانطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر فاني ارجو ان يتم الله أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة الا بالله. ثم وجه ميسرة العبدي ومحمد بن خنيس إلى ارض العراق، ووجه ابا عكرمة وحيان العطار إلى خراسان،

وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن ابي العاص فجعلا يسيران في ارض خراسان من كورة إلى اخرى فيدعوان الناس إلى بيعة محمد بن علي ويزهدانهم في سلطان امية لخبث سيرتهم وعظيم جورهم فاستجاب لهما بخراسان اناس كثير وفشا بعض امرهم وعلن، فبلغ امرهما سعيدا فارسل إليهم فأتي بهم فقال: ما انتم؟ قالوا: نحن قوم تجار، قال: فما هذا الذي يذكر عنكم؟ قالوا: وما هو؟ قال: اخبرنا انكم جئتم دعاة لبني العباس، قالوا: ايها الامير لنا في انفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا، فاطلقهم. فخرجا من عنده وارتحلا من مرو فجعلا يدوران كور خراسان ورساتيقها في عداد التجار فيدعوان الناس إلى الامام محمد بن علي فمكثا بذلك عامين، ثم قدما على الامام محمد بن علي بارض الشام فاخبراه انهما قد غرسا يرجوان ان يثمر في اوانه وألفياه قد ولد له ابو العباس ابنه فأمر باخراجه اليهم، قال هذا صاحبكم فقبلوا اطرافه كلها. وكان مع الجنيد بن عبد الرحمن عامل السند رجل من الشيعة يسمى بكير بن ماهان فانصرف إلى موطنه من الكوفة، وقد اصاب بارض السند مالا كثيرا، فلقيه ميسرة العبدي وابن خنيس واخبراه بامرهما وسألاه ان يدخل في الامر معهما فأجابهما إليه وقام معهما وانفق جميع ما استفاد بارض السند من الاموال بذلك السبب، ومات ميسرة بارض العراق وكتب الامام محمد بن علي إلى بكير بن ماهان ان يقوم مقام ميسرة. وكان بكير يكنى بأبي هاشم وبها كان يعرف في الناس، وكان رجلا مفوها فقام بالدعاء وتولى الدعوة بالعراقين. وكان كتب الامام تأتيه فيغسلها بالماء ويعجن بغسالتها الدقيق ويأمر فيختبز منه قرص فلا يبقى احد من اهله وولده الا اطعمه منه.

ثم انه مرض مرضه الذي مات فيه فاوصى إلى أبي سلمة الخلال، وكان ايضا من كبار الشيعة، وكتب إلى الامام يعلمه ذلك فكتب محمد بن علي إلى ابي سلمة فولاه الأمر وأمره بالقيام بما كان يقوم به أبو هاشم، ثم كتب إلى أبي عكرمة وحيان وكان صاحب الامر بخراسان يأمرهما ان يكاتبا ابا سلمة وينتهيا إلى امره ورأيه. وكان يقطين والوليد بن الازرق صديقين لابي سلمة فدعاهما إلى الدخول معه في امره فأجاباه ودخلا معه وكانفاه.

ثم إن يزيد بن عبد الملك عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان واستعمل مكانه خالد بن عبدالله القسري، واستعمل خالد اخاه اسد بن عبدالله على خراسان، فانتهى خبر أبي عكرمة وحيان إلى اسد بن عبدالله فأمر بطلبهما فأخذا وأتي بهما فضربت أعناقهما وصلبا، وبلغ ذلك محمد بن علي فقال الحمد لله الذي صحح هذه العلامة وقد بقي من شيعتي رجال سوف يفوزون بالشهادة.

فلما تم لملك يزيد بن عبدالملك أربع سنين وأشهر توفي بالبلقاء من أرض دمشق وكانت وفاته سنة خمس ومائة، وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة، ثم استخلف هشام بن عبد الملك وهو ابن أربع وثلاثين سنة فعزل أسد بن عبدالله عن خراسان وولاها الجنيد بن عبدالرحمن وكان رجلاً من اليمانية ذا فضل وسخاء وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ذهب الجود والجُنيد جميعاً   فعلى الجود والجنيد السلام

ولما قتل أبو عكرمة وحيان، وجه الامام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من شيعته: سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب وخالد بن الهيثم وطلحة بن زريق، وأمرهم بكتمان أمرهم وان لا يفشوه

إلى أحد الا بعد ان يأخذوا عليه العهود المؤكدة بالكتمان. فساروا حتى اتوا خراسان فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس سراً إلى أهل بيت نبيهم ويبغضون إليهم بني أمية لما يظهر من جورهم واعتدائهم وركوبهم القبائح حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان، وبلغ الجنيد أمرهم فأمر بطلبهم وأخذوا وأتى بهم الجنيد فقال: يا فسقة قدمتم هذه البلاد فافسدتم قلوب الناس على بني أمية ودعوتم إلى بني العباس، فتكلم سليمان بن كثير وقال: أيها الأمير اتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم، قال: انا واياك كما قال الشاعر:

لو بغير الماء حلقي شرِقٌ   لا ستغثتُ اليوم بالماء القراح

نعلمك أيها الأمير أننا أناس من قومك اليمانية وان هؤلاء المضرية تعصبوا علينا فرقوا إليك فينا الزور والبهتان لانا كنا اشد الناس على قتيبة فهم الآن يطلبون بثأره بكل علة، فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه: ما ترون؟ فتكلم عبدالرحمن بن نعيم رئيس ربيعة وكان من خاصته: نرى ان تمن بهم على قومك فلعل الأمر كما يقولون، فأمر بإطلاقهم فخرجوا وكتبوا بقصتهم إلى الامام، فكتب إليهم ان هذا اقل ما لكم فاكتموا امركم وترفقوا في دعوتكم. فساروا من مدينة مرو إلى بخارا ومن بخارا إلى سمرقند ومن سمرقند إلى كش ونسف ثم عطفوا على الصغانيان وجازوا منها إلى ختلان وانصرفوا إلى مرورود الطالقان وعطفوا إلى هراة وبوشنج وجازوا إلى سجستان، فغرسوا في هذه البلاد غرساً كثيراً وفشا امرهم في جميع اقطار خراسان وبلغ ذلك الجنيد فأسف على تركهم ووجه في طلبهم فلم يقدر عليهم، فكتب إلى خالد بن عبدالله القسري وكان على العراق يعلمه انتشار خراسان وما

حدث فيها من الدعاة إلى محمد بن علي، فكتب خالد بن عبدالله إلى هشام يعلمه بذلك فكتب إليه هشام يأمره بالكتاب إلى الجنيد الا يرغب في الدمار وان يكف عمن كف عنه ويسكن الناس بجهده وان يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم، فلما انتهى ذلك إلى الجنيد بعث رسله في اقطار خراسان وكتب إلى عماله في الكور بطلب القوم فطلبوا فلم يدرك لهم أثر.

قالوا: وكان بدء امر أبي مسلم أنه كان مملوكاً لعيسى ومعقل ابني ادريس بن عيسى العجليين، وكان مسكنهما بماه البصرة مما يلي أصبهان، وكان ابو مسلم ولد عندهما فنشأ غلاماً فهما لقناً اديباً ذهناً فأحباه حتى نزل منهما منزلة الولد، وكانا يتوليان بني هاشم ويكاتبان الامام محمد بن علي، فمكثا بذلك ما شاء الله. ثم إن هشاماً عزل خالد ابن عبدالله القسري عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، فكان يوسف بن عمر لا يدع احداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله إلا بعث إليه فحبسه عنده بواسط. فبلغه امر عيسى ومعقل ابني ادريس فاشخصهماوحبسهما بواسط فيمن حبس من الشيعة، وكانا اخرجا معهما ابا مسلم فكان يخدمهما في الحبس وان سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ، وهم كانوا الدعاة بخراسان، قدموا للحج وقدم معهم قحطبة بن شبيب وكان ممن بايعهم وشايعهم على أمرهم فجعلوا طريقهم على مدينة واسط ودخلوا الحبس فلقوا من كان فيه من الشيعة فرأوا ابا مسلم فاعجبهم ما رأوا من هيئته وفهمه واستبصاره في حب بني هاشم، ونزل هؤلاء النفر بعض الفنادق بواسط فكان ابا مسلم يختلف إليهم طول مقامهم حتى انس بهم وأنسوا به فسألوه عن

امره فقال: ان امي كانت امة لعمير بن بطين العجلي فوقع عليها فحملت بي فباعها وهي حامل فاشتراها عيسى ومعقل ابنا ادريس فولدت عندهما فانا كهيئة المملوك لهما. ثم ان النفر شخصوا من واسط واخذوا نحو مكة على طريق البصرة فوصلوا إلى مكة وقد وافاها الامام محمد ابن علي حاجاً فلقوه وسلموا عليه واخبروه بما غرسوا في جميع خراسان من الغرس ثم اخبروه بممرهم بواسط ودخولهم على اخوانهم المحبسين بها ووصفوا له صفة ابي مسلم وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه وحسن بصره وجودة ذهنه وحسن منطقه، فسألهم أحر هو ام مملوك، فقالوا: اما هو فيزعم انه ابن عمير بن بطين العجلي كانت قصته كيت وكيت ثم فسروا له ما حكى لهم من امره، فقال: ان الولد تبع للام فإذا انصرفتم فاجعلوا ممركم بواسط فاشتروه وابعثوا به إلى الحميمة من أرض الشام لاجعله الرسول فيما بيني وبينكم على اني لا احسبكم تلقوني بعد عامي هذا فان حدث بي حدث فصاحبكم ابني هذا، يعني إبراهيم، فاستوصوا به خيراً فانه سأوصيه بكم خيراً. فانصرف القوم نحو خراسان ومروا بواسط ولقوا عيسى ومعقل ابني ادريس فاخبروهما بحاجة الامام إلى ابي مسلم وسألوهما بيعه منهم، فزعموا انهما وهباه له، فوجه به القوم إلى الامام، فلما رآه تفرس فيه الخير ورجا ان يكون هو القيم بالامر لعلامات رآها فيه قد كانت بلغته، فجعله الرسول فيما بينه وبينهم فاختلف إليهم مراراً كثيرة.

ثم توفي الامام محمد بن علي فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد، وكان اكبر ولده، فأمر ابا مسلم ان يسير إلى الدعاة بالعراق وخراسان فيعلمهم وفاة الامام وقيامه بالأمر من بعده، فسار حتى وافى العراق ولقي ابا سلمة ومن كان معه من الشيعة فاخبرهم بما امره به ثم سار

إلى خراسان ولقي الدعاة بها فاخبرهم بذلك وبلغ وفاة الامام جميع من بايع في اقطار خراسان فسودوا ثيابهم حزناً لمصابه وتسلُّباً عليه، وكان أول من سود منهم ثيابه حريش مولى خزاعة وكان عظيم أهل نسا ثم سودها من بعده قحطبة بن شبيب ثم سود القوم جميعاً.

وكثرت الشيعة بخراسان كلها وعلن امرهم وكتب يوسف بن عمر، وكان على العراقين، إلى هشام يخبره بذلك فكتب هشام إلى يوسف يأمره ان يبعث إليه رجلاً له علم بخراسان ومعرفة بمن فيها من قوادها وجنودها وقد كان يوسف بن عمر عزل عنها الجنيد بن عبدالرحمن واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهراني فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبدالكريم بن سليط بن عطية الحنفي يخبره بتفاقم امر المسودة بخراسان وكثرة من اجاب الدعاة بها، فلما اتاه كتاب هشام يامره ان يوجه إليه رجلاً له علم بخراسان حمل عبدالكريم ابن سليط إليه على البريد. قال عبدالكريم: فسرت حتى وافيت دمشق فدخلت على هشام فسلمت عليه بالخلافة، فقال لي: من انت؟ قلت: انا عبدالكريم ابن سليط بن عطية الحنفي، قال: كيف علمك بخراسان واهلها؟ قلت: انا بها جد عالم، اخبرته ان وجهي كان منها بكتاب اميرها جعفر بن حنظلة الهراني إلى يوسف بن عمر يخبره بما حدث فيها، قال: اني اريد ان اولي امرها رجلا من القواد الذين هم مرتبون بها فمن ترى ان اولي امرها منهم وايهم اقوم بها؟ قال عبد الكريم وكان هواي في اليمانية فقلت: ياامير المؤمنين اين انت عن رجل من قوادها ذي حزم وبأس ومكيدة وقوة ومكانفة من قومه، قال: ومن هو؟ قلت: جديع بن علي الازدي المعروف بالكرماني، قال: وكيف سمي الكرماني؟ قلت: ولد بكرمان كان ابوه مع

المهلب عند محاربة الازارقة فولد هذا هناك، قال: لا حاجة لي في اليمانية، وكان هشام يبغض اليمانية وكذلك سائر بني امية... قلت: فاين انت من العفيف المجرب الباسل المحنك نصر بن سيار الليثي؟ قال فكأنه تفاءل به ومال اليه بالمضرية. قلت: ان اغتفرت منه خصلة، قال: وما هي؟ قلت ليست له بخراسان عشيرة من جنودها وانما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها، قال: فاي عشيرة اكثر مني لا ابالك، يا غلام انطلق إلى الكتّاب فمرهم بانشاء عهده واتوني به فكتب لي عهده...

وان سليمان بن كثير ولاهز بن قريظ، ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب ارادوا الحج فخرجوا مع الحاج متنكرين حتى أتوا مكة وقد وافاها في ذلك العام ابراهيم بن محمد الامام فاخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان، وقد كانوا حملوا اليه ما بعثت به اليه الشيعة فقالوا: قد جمعنا اليك مالا، قال: وكم هو؟ قالوا: عشرة الاف دينار ومائتا الف درهم، فقال سلموه إلى مولاي عروة فدفعوه اليه، فقال لهم ابراهيم: اني قد رأيت ان اولي الامر هناك ابا مسلم لما جربت من عقله وبلوت من امانته وانا موجهه معكم فاسمعوا له واطيعوا امره فان والدي رحمة الله عليه قد كان وصف لنا صفته وقد رجوت ان يكون هو الذي يسوق لنا الملك فعاونوه وكانفوه وانتهوا إلى رأيه وامره، قالوا: سمعا وطاعة لك ايها الامام. فانصرفوا وابو مسلم معهم حتى صاروا إلى خراسان، فتشمر ابو مسلم للدعاء واخذ القوم بالبيعة ووجه كل رجل من اصحابه إلى ناحية من خراسان، فكانوا يدورون بها كورة كورة وبلدا بلدا في زي التجار. فاتبعه عالم من الناس عظيم فواعدهم لظهوره يوما سماه لهم،

وولى على من بايعه في كل كورة رجلا من اهلها وتقدم اليهم بالاستعداد للخروج في ذلك اليوم الذي سماه لهم حتى أجاب جميع ارض خراسان سهلها وجبلها وأقصاها وأدناها وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أصحابه من قبله واستتب له الأمر على محبته وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعته حتى كانوا يتحالفون به فلا يحنثون ويذكرونه فلا يملون.

(الاخبار الطوال ص ٣٣٤-٣٤٤)

الطبــري

تعريف بالكتاب [تاريخ الرسل والملوك] :

قال أبو جعفر [محمد بن جرير الطبري]: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من ابتداء ربنا جل جلاله خلقه إلى حال قيامهم من انتهى الينا خبره ممن ابتدأه الله (تعالى) بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل او ملك مسلط او خليفة مستخلف فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعما وإلى ما تفضل به عليه فضلا ومن أخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخرا ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه وعجل له نقمه ومن كفر منهم نعمه فمتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه، مقرونا ذكر كل من انا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر نعمائه وجمل ما كان من حوادث الامور في عصره وأيامه؛ اذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر وتطول به الكتب، مع ذكري مع ذلك مدة اكله وحين اجله بعد تقديمي امام ذلك ما تقديمه بنا اولى والابتداء به قبله احجي من البيان عن الزمان ما هو وكم قدر جميعه وابتداء اوله وانتهاء آخره وهل كان قبل خلق الله (تعالى) إياه شيء غيره وهل هو فان وهل بعد فنائه شيء غير وجه المسبح الخلاق تعالى ذكره وما الذي كان قبل خلق الله اياه وما هو كائن بعد فنائه وانقضائه وكيف كان ابتدأ خلق الله (تعالى) إياه وكيف يكون فناؤه، والدلالة على ان لا قديم الا الله الواحد القهار الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى، بوجيز من الدلالة غير طويل؛ اذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك بل

لما ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم وأزمان الرسل والانبياء ومقادير اعمارهم وايام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ومبالغ ولاياتهم والكائن الذي كان من الاحداث في اعصارهم. ثم انا متبع آخر ذلك كله إن شاء الله وايد منه بعون وقوة ذكر صحابه نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - واسمائهم وكناهم ومبالغ انسابهم ومبالغ اعمارهم ووقت وفاة كل انسان منهم والموضع الذي كانت به وفاته، ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم باحسان على نحو ما شرطنا من ذكرهم، ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلف كذلك وزائد في أمورهم للابانة عمن حمدت منهم روايته ونقلت اخباره ومن رفضت منهم روايته ونبذت اخباره ومن وهن منهم نقله وضعف خبره والسبب الذي من اجله نبذ من نبذ منهم خبره والعلة التي من اجلها وهن من وهن منهم نقله. وإلى الله عز وجل أنا راغب في العون على ما أقصده وأنويه والتوفيق لما التمسه وأبغيه فانه ولي الحول والقول وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً.

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت اني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الاخبار التي انا ذاكرها فيه والآثار التي انا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس الا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بما كان من اخبار الماضين وما هو كائن من انباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه

من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وانما أتي من قبل بعض ناقلية الينا وانما ادينا ذلك على نحو ما أدي الينا.

(الطبري ج ١ ص ٥-٧)

ما جرى بين المهاجرين والانصار

في سقيفه بني ساعدة [سنة ١١هـ]

[حدثنا هشام بن محمد]، عن أبي مخنف قال: حدثني عبدالله بن عبدالرحمن بن ابي عمرة الانصاري، ان النبي – صلى الله عليه وسلم – لما قبض اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد – صلى الله عليه وسلم – سعد بن عبادة، واخرجوا سعدا اليهم وهو مريض، فلما اجتمعوا قال لابنه او بعض بني عمه: اني لا اقدر لشكواي ان أسمع القوم كلهم كلامي ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع اصحابه. فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه: يا معشر الانصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب، ان محمدا – صلى الله عليه وسلم – لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الانداد والاوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل وكان ما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله ولا ان يعزوا دينه ولا ان يدفعوا عن انفسهم ضيما عموا به حتى اذا اراد بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة فرزقكم الله الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم اشد الناس على عدوه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها واعطى البعيد المقادة

صاغرا داخرا حتى اثخن الله (عز وجل) لرسوله بكم الارض ودانت باسيافكم له العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض وبكم قرير عين، استبدوا بهذا الامر دون الناس فانه لكم دون الناس. فأجابوه باجمعهم ان قد وفقت في الرأي واصبت في القول ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الأمر فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضي. ثم انهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا: فإن ابت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الاولون ونحن عشيرته واولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده، فقالت طائفة منهم: فانا نقول: اذا منا امير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا الأمر ابدا، فقال سعد بن عبادة حين سمعها: هذا اول الوهن. وأتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبي - صلى الله عليه وسلم - فارسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلي بن ابي طالب (رضي الله عنه) دائب في جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إلى ابي بكر ان اخرج إلي، فأرسل اليه اني مشتغل فارسل إليه انه قد حدث امر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فقال: اما علمت ان الانصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يرويدون ان يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، واحسنهم مقاله من يقول منا ومن قريش أمير؟ فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا عبيدة ابن الجراح فتماشوا اليهم ثلاثتهم، فلقيهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة فقالا لهم: ارجعوا فانه لا يكون ما تريدون، فقالوا: لا نفعل، فجاؤوا وهم مجتمعون. فقال عمر بن الخطاب: اتيناهم وقد كنت زورت كلاما اردت ان اقوم به فيهم، فلما ان دفعت اليهم ذهبت لابتدىء المنطق فقال لي أبوبكر: رويدا حتى اتكلم ثم انطق بعد بما احببت فنطق، فقال عمر: فما شيء كنت أردت أن أقوله الا وقد أتى به او زاد عليه. فقال عبدالله بن عبد الرحمن: فبدأ أبو بكر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: إن

الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على امته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ويزعمون انها لهم عنده شافعة ولهم نافعة وانما هي من حجر منحوت وخشب منجور، ثم قرأ «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» وقالوا: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»، فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على اذى قومهم لهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس لهم مخالف زارٍ عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم واجماع قومهم عليهم، فهم اول من عبدالله في الارض وآمن بالله وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك الا ظالم، وانتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جلة ازواجه واصحابه فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور. قال، فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الانصار املكوا عليكم امركم فان الناس في فيئكم وفي ظلكم ولن يجترىء مجترىء على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم، انتم اهل العز والثروة وأولو العدد والمنعة والتجربة ذوو البأس والنجدة، وانما ينظر الناس إلى ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم امركم أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا امير ومنهم امير. فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب ان يؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تمتنع ان تولي امرها من كانت النبوة فيهم وولي امورهم منهم، ولنا بذلك على من ابى من العرب الحجة

الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وامارته ونحن اولياؤه وعشريته الا مدل بباطل او متجانف لاثم او متورط في هلكة. فقام الحباب بن المنذر فقال: يا معشر الانصار املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان ابوا عليكم ما سألتموه فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور، فانتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فانه باسيافكم وان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة. فقال عمر: اذا يقتلك الله، قال: بل اياك يقتل. فقال ابو عبيدة: يا معشر الانصار انكم اول من نصر وآزر فلا تكونوا اول من بدل وغير. فقام بشير بن سعد ابو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الانصار انا والله لئن كنا اولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما اردنا به الا رضى ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا، فما ينبغي لنا ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضا فان الله ولي المنة علينا بذلك، ألا ان محمدا - صلى الله عليه وسلم - من قريش وقومه احق به واولى وايم الله لا يراني الله انازعهم هذا الأمر ابدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم. فقال ابو بكر: هذا عمر وهذا ابو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فانك افضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار وخليفة رسول الله على الصلاة والصلاة افضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له ان يتقدمك او يتولى هذا الأمر عليك؛ ابسط يدك نبايعك. فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما اليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عققت عقاقِ ما احوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمك الامارة؟ فقال: لا والله، ولكني كرهت ان انازع قوما حقا جعله الله لهم. ولما رأت الاوس ما صنعه

بشير بن سعد وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان احد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا فقوموا فبايعوا ابا بكر، فقاموا اليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له أمرهم.

قال هشام قال ابو مخنف: فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي أن اسلم اقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السلك فبايعوا ابا بكر، فكان عمر يقول: ما هو الا ان رأيت اسلم فايقنت بالنصر.

قال هشام عن أبي مخنف قال عبدالله بن عبد الرحمن: فاقبل الناس من كل جانب يبايعون ابا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من اصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطأوه، فقال عمر اقتلوه قتله الله، ثم قام على رأسه فقال له: لقد هممت ان أطأك حتى تندر عضوك فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة، فقال ابو بكر: مهلا يا عمر الرفق هاهنا ابلغ فاعرض عنه، فقال سعد: اما والله لو ان بي قوة ما اقوى على النهوض لسمعت مني في اقطارها وسكلها زئيراً يجحرك وأصحابك اما والله اذا لا لحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملوني من هذا المكان، فحملوه، فادخلوه في داره وترك اياما ثم بعث اليه ان أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: اما والله حتى ارميكم بما في كنانتي من نبلي واخضب سنان رمحي واضربكم بسيفي ما ملكته يدي واقاتلكم بأهل بيتي ومن اطاعني من قومي فلا افعل، وايم الله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس حتى

اعرض على ربي واعلم ما حسابي. فلما أتي ابو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال له بشير بن سعد: انه قد لج وأبى وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده واهل بيته، وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم انما رجل واحد، فتركوه

وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر (رحمه الله).

حدثنا عبيد الله بن سعيد قال: حدثنا عمي قال: حدثنا سيف بن عمر عن سهل وأبي عثمان عن الضحاك بن خليفة قال: لما قام الحباب بن المنذر انتضى سيفه وقال: انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب انا أبو شبل في عرينة الاسد يعزى إلى الاسد فحامله عمر فضرب يده فندر السيف فاخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد، وكانت فلتة كفلتات الجاهلية قام أبو بكر دونها، وقال قائل حين اوطيء سعد: قتلتم سعداً فقال عمر: قتله الله انه منافق واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه.

حدثنا عبيد الله بن سعيد قال، حدثني عمي يعقوب قال، حدثنا سيف عن مبشر عن جابر قال، قال سعد بن عبادة يومئذ لابي بكر: انكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الامارة وانك وقومي اجبرتموني على البيعة، فقالوا: انا لو اجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة، ولكنا اجبرنا على الجماعة فلا اقالة فيها، لئن نزعت يداً من طاعة أو فرقت جماعة لنضربن الذي فيه عيناك.

(الطبري ج ١ ص ١٨٣٧ - ١٨٤٥)

حديث السقيفة [تتمة] :

حدثني علي بن مسلم قال: حدثنا عبّاد بن عباد قال: حدثنا عباد بن راشد قال: حُدثنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال: كنت أقرىء عبدالرحمن بن عوف القرآن، قال: فحج عمرو حججنا معه، قال: فاني لفي منزل بمنى إذ جاءني عبدالرحمن بن عوف فقال: شهدت أمير المؤمنين اليوم وقام إليه رجل فقال: اني سمعت فلاناً يقول: لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً. قال فقال أمير المؤمنين: اني لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغصبوا الناس أمرهم، قال فقلت: يا أمير المؤمنين ان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانهم الذين يغلبون على مجلسك واني لخائف ان قلت اليوم مقالة الا يعوها ويحفظوها ولا يضعوها على مواضعها وان يطيروا بها كل مطير ولكن امهل حتى تقدم المدينة تقدم دار الهجرة والسنة وتخلص باصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من المهاجرين والانصار فتقول ما قلت متمكناً فيعوا مقالتك ويضعوها على مواضعها، فقال: والله لاقومن بها في أول مقام اقومه بالمدينة.

قال: فلما قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة... فلما جلس عمر على المنبر اذن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله واثنى عليه وقال: اما بعد، فاني أريد ان أقول مقالة قد قدر ان اقولها، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته، ومن لم يعها فاني لا أحل لأحد ان يكذب عليّ، ان الله (عز وجل) بعث محمداً بالحق وانزل عليه الكتاب وكان فيما انزل آية الرجم فرجم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورجمنا بعده، واني قد خشيت ان يطول بالناس زمان فيقول قائل

والله ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة انزلها الله، وقد كنا نقول: لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم. ثم انه بلغني ان قائلاً منكم يقول لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً فلا يغرن امرأ ان يقول ان بيعة ابي بكر كانت فلتة فقد كانت كذلك غير ان الله وقى شرها وليس منكم من تقطع إليه الاعناق مثل ابي بكر، وانه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) ان علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلفت عنا الانصار باسرها واجتمع المهاجرون إلى ابي بكر فقلت لابي بكر: انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء من الانصار فانطلقنا نؤمهم، فلقينا رجلان صالحان قد شهدا بدراً فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا : نريد اخواننا هؤلاء من الانصار، قال: فارجعوا فاقضوا امركم بينكم، فقلنا: والله لنأتينهم. قال: فاتينا وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، قال: وإذا بين اظهرهم رجل مزمل، قال قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ما شأنه؟ قالوا وجع، فقام رجل منهم فحمد الله وقال: اما بعد فنحن الانصار وكتيبة الاسلام وانتم يا معشر قريش رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافة، قال: فلما رأيتهم يريدون ان يختزلونا من اصلنا ويغصبونا وقد كنت زورت في نفسي مقالة اقدمها بين يدي ابي بكر وقد كنت أداري منه بعض الحد وكان هو اوقر مني واحلم فلما اردت ان اتكلم قال: على رسلك فكرهت ان اعصيه، فقام فحمد الله واثنى عليه فما ترك شيئاً كنت زورت في نفسي ان اتكلم به لو تكلمت الا قد جاء به أو بأحسن منه، وقال: اما بعد يا معشر الأنصار فانكم لا تذكرون منكم فضلاً الا وانتم له أهل وان العرب لا تعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش، وهم اوسط داراً ونسباً ولكن قد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم، فأخذ

بيدي وبيد ابي عبيدة بن الجراح واني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة ان كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلى إثم احب إليّ من ان أؤمر على قوم فيهم أبوبكر، فلما قضى أبوبكر كلامه قام رجل منهم فقال: انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فارتفعت الاصوات وكثر اللغط فلما اشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: ابسط يدك ابايعك فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون وبايعه الانصار، ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعداً، وانا والله ما وجدنا امراً هو اقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعةً فاما ان نتابعهم على ما لا نرضى أو نخالفهم فيكون فساد.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن الزهري، عن عروة بن الزبير قال: إن أحد الرجلين اللذين لقوا من الانصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدي اخو بني العجلان، فاما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا انه قيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الذين قال الله لهم: «فيه رجالٌ يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين»، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): نعم المرء منهم عويم بن ساعدة، واما معن فبلغنا ان الناس بكوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين توفاه الله، وقالوا: والله لوددنا انا متنا مثله، انا نخشى ان نفتتن بعده، فقال معن بن عدي: والله ما أحب اني مت قبله حتى اصدقه ميتاً كما صدقته حياً، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافه أبي بكر.

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهري قال: حدثنا عمي يعقوب بن إبراهيم

قال: أخبرني سيف بن عمر، عن الوليد بن عبدالله بن أبي ظبية البجلي قال: حدثنا الوليد بن جميع الزهري قال: قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: اشهدت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: نعم، قال: فمتى بويع أبوبكر؟ قال: يوم مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة...»

(الطبري ج ١ ص ١٨٢٠ - ١٨٢٤)

النزاع بين المستعين والمعتز (سنة ٢٥١هـ) :

ولما اتصل بمحمد بن عبدالله خبر البيعة للمعتز وتوجهه العمال امر بقطع الميرة عن أهل سامرًا، وكتب إلى مالك بن طوق في المسير إلى بغداد هو ومن معه من أهل بيته وجنده، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الانبار في الاحتشاد والجمع، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في جمع أهل بيته ومنع السفن أو شيء من الميرة ان ينحدر إلى سامرًا، ومنع ان يصعد شيء من الميرة من بغداد إلى سامرًا واخذت سفينة فيها ارز وسقط فهرب الملاح منها وبقيت السفينة حتى غرقت وامر المستعين محمد ابن عبدالله بن طاهر بتحصين بغداد فتقدم في ذلك فأدير عليها الحصن من دجلة من باب الشماسية إلى سوق الثلاثاء حتى أورده دجلة، ومن دجلة من باب قطيعة أم جعفر حتى أورده قصر حميد بن عبدالحميد، ورتب على كل باب قائداً في جماعة من أصحابه وامرهم بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلات يأوي إليها الفرسان في الحر والامطار، فبلغت النفقة فيما ذكر على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلثمائة الف دينار وثلثين الف دينار وجعل على باب الشماسية خمس شداخات بعرض الطريق فيها العوارض والألواح

والمسامير الطوال الظاهرة، وجعل من خارج الباب الثاني باب معلق بمقدار الباب ثخين قد ألبس بصفائح الحديد وشد بالحبال؛ كي ان وافى أحد ذلك الباب ارسل عليه الباب المعلق فقتل من تحته، وجعل على الباب الداخل عرادة وعلى الباب الخارج خمس مجانيق كبار وفيها واحد كبير سموه الغضبان وست عرادات ترمى بها إلى ناحية رقة الشماسية وصير على باب البردان ثماني عرادات في كل ناحية أربع شداخات، وكذلك على كل من أبواب بغداد في الجانب الشرقي والغربي، وجعل لكل باب من أبوابها دهليزا بسقائف تسع مائة فارس ومائة راجل ولكل منجنيق وعرادة رجالاً مرتبين يمدون بحباله وراميا يرمي إذا كان القتال وفرض فروضاً ببغداد ومن قوم من أهل خراسان قدموا حجاجاً فسألوهم المعونة على قتال الاتراك فاعانوا، وامر محمد بن عبدالله بن طاهر ان يفرض من العيارين فرض وان يجعل عليهم عريف ويعمل لهم براس من البواري المقيرة وان يعمل لهم مخال تملأ بالحجارة ففعل ذلك وتولى فيما ذكر عمل البواري المقيرة محمد بن أبي عون، وكان الرجل منهم يقف خلف البارية ولا يرى منها عملت بسائجات انفق عليها زيادة على مائة دينار، وكان العريف على أصحاب البواري المقيرة من العيارين رجل يقال له بنبويه وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم. وكتب المستعين إلى عمال الخراج بكل بلدة وموضع ان يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ولا يحملون إلى سامرًا شيئاً، وإلى عمال المعاون في رد كتب الاتراك، وامر بالكتاب إلى الاتراك والجند الذين بسامرًا يأمرهم بنقض بيعة المعتز ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه، ويذكرهم اياديه عندهم وينهاهم عن معصيته ونكث بيعته، وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابي.

ثم جرت بين المعتز ومحمد بن عبدالله بن طاهر مكاتبات ومراسلات يدعو المعتز محمداً إلى الدخول فيه من بايعه بالخلافة وخلع المستعين ويذكره ما كان أبو المتوكل اخذ له عليه بعد اخيه المنتصر من العهد وعقد الخلافة ودعوة محمد بن عبدالله المعتز إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين واحتجاج كل واحد منهما على صاحبه فيما يدعو إليه من ذلك بما يراه حجة له تركت ذكرها كراهة الاطالة بذكرها وامر محمد بن عبدالله بكسر القناطر وبثق المياه بطسوج الانبار وما قرب منه من طسوج بادوريا ليقطع طريق الاتراك حين تخوف من ورودهم الانبار...

وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا وهو مقيم باطراف الشام قرب الجزيرة وكان خرج إلى حمص لحرب أهلها يدعوه إلى نفسه وبعث كل واحد منهما إليه بعدة ألوية يعقدها لمن احب ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ويستخلف على عمله من رأى فانصرف إلى المعتز وصار معه وقدم عبدالله بن بغا الصغير بغداد وكان قد تخلف بسامرا حين خرج أبوه منها مع المستعين وصار إلى المستعين واعتذر إليه وقال لابيه انما قدمت إليك لاموت تحت ركابك واقام ببغداد أياماً ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الانبار فاذن له فاقام فيها إلى الليل ثم هرب من تحت ليلته فمضى في الجانب الغربي إلى سامرّا مجانباً لابيه ومماليأ عليه واعتذر إلى المعتز من مصيره إلى بغداد واخبره انما صار إليها ليعرف اخبارهم وليصير إليه فيعرفه صحيحاً فقبل ذلك منه ورده إلى خدمته وورد الحسن بن الافشين بغداد فخلع عليه المستعين وضم إليه من الاشروسنية وغيرهم جماعة كثيرة وزاد في ارزاقه ستة عشر الف درهم في كل شهر...

وعقد المعتز لاخيه ابي أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة وهي سنة ٢٥١ على حرب المستعين وابن طاهر وولاه ذلك وضم إليه الجيش وجعل إليه الأمر والنهي، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي فعسكر بالقاطول في خمسة الاف من الاتراك والفراغنة والفين من المغاربة وضم المغاربة إلى محمد بن راشد المغربي، فوافوا عكبراء ليلة الجمعة لليلة بقيت من المحرم فصلى أبو أحمد ودعا للمعتز بالخلافة وكتب بذلك نسخاً إلى المعتز. فذكر جماعة من أهل عكبراء انهم رأوا الاتراك والمغاربة وسائر اتباعهم وهم على خوف شديد يرون ان محمد بن عبدالله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم وجعلوا ينتهبون القرى ما بين عكبراء وبغداد، وهرب الناس ما بين عكبراء وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربي تخوفاً على انفسهم وخلوا عن الغلات والضياع فخربت الضياع وانتهت الغلات والامتعة وهدمت المنازل وسلب الناس في الطريق. ولما وافى أبو أحمد عكبراء ومن معه خرج جماعة من الاتراك الذين كانوا مع بغا الشرابي بمدينة السلام من مواليه والمضمومين إليه فهربوا ليلاً فاجتازوا بباب الشماسية وكان على الباب عبدالرحمن بن الخطاب ولم يعلم بخبرهم وبلغ محمد بن عبدالله ذلك فانكره عليه وعنفه وتقدم في حفظ الابواب وحراستها والنفقة على من يتولاها، ولما وافى الحسن بن الافشين مدينة السلام وكل بباب الشماسية. ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسية ليلة الاحد لسبع خلون من صفر ومعه كاتبه محمد بن عبدالله بن بشر بن سعد المرثدي وصاحب خبر العسكر من قبل المعتز الحسن بن عمرو بن قماش ومن قبله صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحد... فقال رجل من البصريين كان في عسكره ويعرف بباذنجان:

يا بني طاهر اتتكم جنود اللهِ والموتُ بينهـا منثـور
وجيوش امامهن أبو أحمـد نعـم المولى ونعـم النصير

ولما صار أبو أحمد بباب الشماسية ولى المستعين الحسين بن اسماعيل باب الشماسية وصير من هناك من القواد تحت يده فلم يزل مقيماً هناك مدة الحرب إلى ان شخص إلى الانبار فولى مكانه إبراهيم ابن اسحق بن إبراهيم ولثلث عشرة مضت من صفر صار إلى محمد بن عبدالله جاسوس له فاعمله ان أبا أحمد قد عبى قوماً يحرقون ظلال الاسواق من جانبي بغداد فكشطت في ذلك اليوم. وذكر ان محمد بن عبدالله وجه محمد بن موسى المنجم والحسين بن اسماعيل وامرهما ان يخرجا من الجانب الغربي وان يرتفعا حتى يجاوزا عسكر أبي أحمد ويحزرا كم في عسكره، فزعم محمد بن موسى انه حزرهم الفي انسان معهم الف دابة. فلما كان يوم الاثنين لعشر خلون من صفر وافت طلائع الاتراك إلى باب الشماسية فوقفوا بالقرب منه، فوجه محمد بن عبدالله الحسين بن اسماعيل والشاه بن ميكال وبندار الطبري فيمن معهم وعزم على الركوب لمقاتلتهم فانصرف إليه الشاه فاعلمه انه وافى بمن معه باب الشماسية فلما عاين الاتراك الاعلام والرايات وقد اقبلت نحوهم انصرفوا إلى معسكرهم فانصرف الشاه والحسين وترك محمد الركوب يومئذ. فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبدالله على توجيه الجيوش إلى القفص ليعرض جنده هناك ويرهب بذلك الاتراك وركب معه وصيف وبغا في الدروع... ومضى معه بالفقهاء والقضاة وعزم على دعائهم إلى الرجوع عما هم عليه من التمادي في الطغيان واللجاج والعصيان وبعث يبذل لهم الامان على ان يكون

أبوعبدالله ولي العهد بعد المستعين فان قبلوا الامان والا باكرهم بالقتال يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر، فمضى نحو باب قطربل فنزل على شاطىء دجلة هو ووصيف وبغا ولم يمكنه التقدم لكثرة الناس...

ووافى الاتراك في هذا اليوم باب الشماسية فرموا بالسهام والمنجنيق والعرادات وكان بينهم قتلى وجرحى كثير وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم، ثم أمد باربع مائة رجل من المطلبين مع رجل يعرف بابي السنا الغنوي ثم امدهم بقوم من الاعراب نحو من ثلثمائة رجل وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن ابلى في الحرب خمسة وعشرين الف درهم واطوقة واسورة من ذهب... فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مائتي انسان والقتلى عدة وكذلك الجراحات في الاتراك والقتلى أكثرهم بالمجانيق، وانهزم أكثر عامة أهل بغداد وثبت أصحاب البواري وانصرفوا جميعاً وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء وجرح من هؤلاء فيما ذكر مائتان ومن هؤلاء مائتان وقتل جماعة من الفريقين وجاء كردوس من الفراغنة والاتراك في هذا اليوم إلى باب خراسان من الجانب الشرقي ليدخلوا منه وأتى الصريخ محمد بن عبدالله وثبت لهم المبيضة والغوغاء فردوهم...

واحضر الاتراك منجنيقاً فغلبهم الغوغاء عليه والمبيضة وكسروا قائمة من قوائمه..

وكان محمد بن عبدالله اتصل به ان جماعة من الاتراك قد صاروا إلى ناحية النهروان فوجه قائدين من قواده يقال لهما عبدالله بن محمود السرخسي ويحيى بن حفص المعروف بحبوس في خمسمائة من

الفرسان والرجالة إلى هذه الناحية ثم اردفهم بسبعمائة رجل أيضاً وامرهم بالمقام هناك ومنع من اراده من الاتراك، فتوجه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر. فلما كان ليلة الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر صار قوم من الاتراك إلى النهروان فخرج جماعة ممن كان مع عبدالله بن محمود فرجعوا هراباً واخذت دوابهم وانصرف من نجا منهم إلى مدينة السلام مغلولين وقتل زهاء خمسين رجلاً واخذوا ستين دابة وعدة البغال قد كانت جاءت من ناحية حلوان عليها السلاح فوجهوا بها إلى سامراء ووجهوا برؤوس من قتلوا من الجند فكانت أول رؤوس وافت في تلك الحرب سامرّا وانصرف عبدالله بن محمود مغلولاً في شرذمة وصار طريق خراسان في أيدي الاتراك وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان.

ووجه المعتز عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة ومن هو في عدادهم، وعلى الاتراك والفراغنة الدرغمان الفرغاني وعلى المغاربة ربله(؟) المغربي فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربي فجازوا قطربل إلى بغداد وضربوا عسكرهم بين قطربل وقطيعة أم جعفر وذلك عشية الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، فلما كان يوم الاربعاء من غد هذه الليلة وجه محمد بن عبدالله بن طاهر الشاه ابن ميكال من باب القطيعة وبندار وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرجالة فصادفهم الشاق وأصحابه فترامو بالحجارة والسهام والجأوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة وكر المبيضة من أهل بغداد، ثم حمل الشاه والمبيضة حملة واحدة ازالوا بها الاتراك والمغاربة ومن معهم عن موضعهم وحمل عليهم المبيضة واصحروا بهم

وحمل عليهم الطبرية فخالطوهم وخرج عليهم بندار وخالد بن عمران من الكمين وكانوا كمنوا في ناحية قطربل فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الاتراك منهم وغيرهم السيف فقتلوهم ابرح قتل فلم يفلت منهم الا القليل وانتهب المبيضة عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والاثقال والمضارب والخرثي فكل من افلت من السيف رمى بنفسه في دجلة؛ ليعبر إلى عسكر أبي أحمد فاخذه أصحاب الشبارات وكانت الشبارات قد شحنت بالمقاتلة فقتلوا واسروا وجعل القتلى والرؤوس من الاتراك والمغاربة وغيرهم في الزواريق، فنصبت بعضها في الجسرين وعلى باب محمد بن عبدالله فامر محمد بن عبدالله لمن ابلى في هذا اليوم بالأسورة فسور قوم كثير من الجند وغيرهم... وذكر ان عسكر الاتراك يوم هزموا بباب القطيعة كانوا أربعة الاف فقتل منهم يوم الوقعة هنالك الفان وكان وضع فيهم السيف من باب القطيعة إلى القفص فقتلوا من قتلوا وغرق من غرق واسر منهم جماعة... وكان انصرافهم من الوقعة مع المغرب، وسخرت البغال واخذ لها الجواليق لتحمل فيها الرؤوس إلى بغداد وكان كل من وافى دار محمد برأس تركي أو مغربي اعطوه خمسين درهماً، وكان أكثر ذلك العمل للمبيضة والعيارين، ثم وافى عيارو بغداد قطربل فانتهبوا ما تركه الاتراك من متاع أهل قطربل وأبواب دورهم. فوجه محمد في آخر هذا اليوم اخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبدالله والمظفر بن سيسل في اثر المنهزمين حياطة لأهل بغداد؛ لانه لم يأمن رجعتهم عليه فبلغا القفص وانصرفا سالمين وزعجا من اقام من الرجالة والعيارين بناحية قطربل. واشير على محمد بن عبدالله ان يتبعهم بعسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة ليوغل في آثارهم فابى ذلك ولم يتبع مولياً ولم يأمر ان يجهز على جريح وقبل امان من استأمن، وامر سعيد بن حميد فكتب

كتاباً يذكر فيه هذه الوقعة فقرئ على أهل بغداد في مسجد جامعها نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، اما بعد فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته والقادر فلا يعارض في قدرته والعزيز فلا يذل في امره... ولله عند أمير المؤمنين في رئيس دعوته وسيف دولته والمحامي عن سلطانه ومحل ثقته والمتقدم في طاعته ونصيحته لاوليائه والذاب عن حقه والقائم بمجاهدة اعدائه محمد بن عبدالله مولى أمير المؤمنين نعمة يرغب إلى الله في اتمامها والتوفيق لشكرها والتطول بمن اراد المزيد فيها فان الله قدر لآبائه القيام بالدعوة لاباء أمير المؤمنين ثم جمع له اثارهم بقيامه بالدولة الثانية حين حاول اعداء الله ان يطمسوا معالم دينه ويعفوها، فقام بحق الله وحق خليفته محامياً عنها ومرامياً من ورائها متناولاً للبعيد برأيه ونظره مباشراً للقريب باشرافه وتفقده باذلاً نفسه في كل ما قربه من الله واوجب له الزلفة عنده وسيمتع الله أمير المؤمنين به ولياً مكانفاً على الحق وناصراً مؤازراً على الخير وظهيراً مجاهداً لعدو الدين، وقد علمتم ما كان من كتاب أمير المؤمنين تقدم به إليكم فيما احدثته الفرقة الضالة عن سبيل ربها المفارقة لعصمة دينها الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها المباينة لجماعة الامة التي ألف الله بخلافته نظامها المحاولة لتشيت الكلمة بعد اجتماعها الناكثة لبيعته الخالعة لربقة الاسلام من أعناقها... الخ.

وركب محمد بن عبدالله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى الشماسية وأمر بهدم ما وراء سور بغداد من الدور والحوانيت والبساتين وقطع النخل والشجر من باب الشماسية إلى ثلاثة أبواب؛ ليتسع الناحية على من يحارب فيها وكان وجه من ناحية فارس

والأهواز نيف وسبعون حماراً بمال إلى بغداد قدم به فيما ذكر منكجور ابن قارن الأشروسني القائد فوجه الاتراك وأبو أحمد ابن بابك إلى طرارستان في ثلثمائة فارس وراجل ليتلقى ذلك المال إذا صار إليها فوجه محمد بن عبدالله قائداً يقال له يحيى بن حفص يحمل ذلك المال فعدل به عن طرارستان خوفاً من ابن بابك فلما علم ابن بابك ان المال قد فاته صار بمن معه إلى النهروان فأوقع من كان معه من الجند باهلها واخرج أكثرهم واحرق سفن الجسر وهي أكثر من عشرين سفينة وانصرف إلى سامراء وقدم محمد بن خالد بن يزيد وكان المستعين قلده الثغور الجزرية وكان مقيماً بمدينة بلد ينتظرمن يصير إليه من الجند والمال، فلما كان من اضطراب امر الاتراك ودخول المستعين بغداد ما كان لم يمكنه المصير إلى بغداد الا من طريق الرقة فصار إليها بمن معه من خاصته وأصحابه وهم زهاء أربعمائة فارس وراجل ثم انحدر إلى مدينة السلام فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر فصار إلى دار محمد بن عبدالله بن طاهر فخلع عليه خمس خلع ديبقي وملحم وخز ووشي سواد، ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد فأخذ على ظهر الفرات فحاربه في نفر يسير فهزم وصار إلى ضيعة بالسواد. فذكر عن سعيد بن حميد انه قال: لما انتهى خبر هزيمة محمد بن خالد إلى محمد بن عبدالله قال: ليس يفلح أحد من العرب الا ان يكون معه نبي ينصره الله به وفي هذا اليوم كانت للاتراك وقعة بباب الشماسية كانوا صاروا إلى الباب فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا من عليه ورموا بالمنجنيق المنصوب يسرة الباب بالنفط والنار فلم يعمل فيه نارهم وكثرهم من على الباب من الجند حتى ازالوهم عن موقفهم ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدة يسيرة من أهل بغداد وجرحهم منهم جماعة كثيرة

بالسهام، فوجه محمد بن عبدالله إليهم عند ذلك العرادات التي كانت تحمل في السفن والزواريق، فرموهم بها رمياً شديداً فقتلوا منهم جماعة كثيرة نحواً من مائة إنسان فتنحوا عن الباب...

وذكر ان الغوغاء اجتمعوا بسامراء بعد هزيمة الاتراك يوم قطربل ورأوا ضعف أمر المعتز فانتهبوا سوق أصحاب الحلي والسيوف والصيارفة واخذوا جميع ما وجدوا فيها من متاع وغيره فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد اخي المعتز فشكوا ذلك إليه واعلموه انهم قد كانوا ضمنوا لهم اموالهم وحفظها عليهم، قال لهم: كان ينبغي ان تحولوا متاعكم إلى منازلكم وكبر عنده ذلك...

وفي شهر ربيع الأول منها (٢٥١هـ) أمر محمد بن عبدالله ان يتخذ لعياري أهل بغداد كافر كوبات وان يصير فيها مسامير الحديد ويجعل ذلك في دار المظفر بن سيسل؛ لانهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح وكانوا يرمون بالآجر، ثم امر منادياً فنادى: من أراد السلاح فليحضر دار المظفر فوافاها العيارون من كل جانب فقسم ذلك فيهم واثبت أسماءهم ورأس العيارون عليهم رجلاً يدعى بنبوية ويكنى ابا جعفر وعدة أخر يدعى أحدهم دونل والآخر دمحال والآخر ابا نملة والآخر ابا عصارة، فلم يثبت منهم الا بنبوية فانه لم يزل رئيساً على عياري الجانب الغربي حتى انقضى امر هذه الفتنة ولما أعطي العيارون الكافر كوبات تفرقوا على ابواب بغداد فقتلوا من الاتراك ومن اتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم وقتل منهم عشرة أنفس وخرج منهم خمسمائة بالنشاب واخذوا من الاتراك علمين وسلمين.

وفيها كانت لنجوية بن قيس وقعة مع جماعة من الاتراك بناحية بزغى لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما فأسروا منهم سبعة وقتلوا ثلاثة

ورمى بعضهم بنفسه في الماء فغرق بعضهم ونجا بعضهم... وخرج فيما ذكر بنبوية وأصحابه من العيارين في بعض هذه الأيام من باب قطربل فمضوا يشتمون الاتراك حتى جازوا قطربل، فعبر من عبر إليهم من الاتراك ناشبة في الزواريق فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا منهم عشرة وكاثرهم العيارون بالحجارة فأثخنوهم فرجعوا إلى معسكرهم فأحضر بنبوية دار بن طاهر فأمر ألا يخرج الا في يوم قتال وسور وامر له بخمسمائة درهم ولاربع عشرة خلت من ربيع الأول منها قدم من ناحية الرقة مزاحم ابن خاقان وامر القواد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بتلقيه وقدم من كان معه من أصحابه الخراسانية والاتراك والمغاربة وكانوا زهاء الف رجل معهم عتاد الحرب من كل صنف ودخل بغداد ووصيف عن يمينه، وبغا عن شماله وعبيد الله ابن عبدالله بن طاهر عن يسار بغا وإبراهيم بن اسحاق خلفهم وهو بوقار ظاهر، فلما وصل خلع عليه سبع خلع وقلد سيفاً وخلع على ابنيه على كل واحد منها خمس خلع ثم أمر ان يفرض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرجّالة ووجه المعتز موسى بن اشناس ومعه حاتم بن داود بن تحور(؟) في ثلاثة الاف رجل من الفرسان والرجالة فعسكر بازاء عسكر ابي أحمد من الجانب الغربي بباب قطربل لليلة خلت من ربيع الأول، وخرج رجل من العيارين يعرف بديكوية على حمار وخليفته على حمار ومعهم ترسة وسلاح وخرج آخر في الباب الشرقي يكنى أبا جعفر ويعرف بالمخرمي في خمسمائة رجل في سلاح ظاهر معهم الترسة وبواري مقيرة وسيوف وسكاكين في مناطقهم ومعهم كافر كوبات، وقرب العسكر الوارد من سامرا إلى الجانب الغربي من بغداد...

(الطبري ج ٣ ص ١٥٤٢ - ١٥٩٢)



المراجـــع

١- المصادر الأولية :

الأصبهاني، أبو نعيم – حلية الاولياء، ١٠ أجزاء، القاهرة ١٩٣٢ – ١٩٣٨م.

الأصفهاني، حمزة – تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء، (ن. كوتوالد)، جزءان، بطرسبورج ١٨٤٤ – ١٨٤٨.

الأصفهاني، أبو الفرج – الأغاني. طبعة الساسي ٢١ جزء، القاهرة؛ وطبعة دار الكتب المصرية ١٤ جزء، القاهرة ١٩٢٧.

البخاري – التاريخ الكبير، ج ١، ٢، ٤، دائرة المعارف، حيدرآباد الدكن ١٣٦٠ – ١٣٦٤هـ.

البخاري – صحيح البخاري، ٨ أجزاء، القاهرة، بولاق ١٢٩٦هـ.

البلاذري – أنساب الأشراف، ج ٤ ق ٢ (ن. شلوسنجر) القدس ١٩٣٦، ج٥ (ن. كويتين)، القدس ١٩٤٠، ج ١١ (ن. آلوارت)، غريفزولد ١٨٨٣.

البلاذري – فتوح البلدان. (ن. دي خويه)، ليدن ١٨٨٦.

الثعالبي – لطائف المعارف. (ن. دي يونج)، ليدن ١٨٦٧.

الجاحظ – البيان والتبيين. (ن. عبدالسلام هارون)، ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٤٨.

ابن الجوزي، عبدالرحمن – صفوة الصفوة، جزءان. دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن ١٣٥٥ – ١٣٥٦هـ.

ابن حجر العسقلاني - تهذيب التهذيب، حيدرآباد الدكن، ١٣٢٥هـ.
حاجي خليفة - كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، جزءان. مطبعة الحكومة، استانبول ١٩٤١ - ١٩٤٣.
الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد، ١٤ جزءأ، القاهرة ١٩٣١.
ابن خلكان - وفيات الأعيان، جزءان القاهرة، بولاق ١٢٩٩هـ و(ن. وستنفلد) ٣ أجزاء، غوطا ١٨٣٥ - ١٨٥٠.
الدينورى - الأخبار الطوال، (ن كراتشكوفسكي)، ليدن ١٩١٢.
الذهبي - تذكرة الحفاظ، (ن. مصطفى علي)، ٤ أجزاء. دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، ط ٢، ١٣٣٣ - ١٣٣٤.
الذهبي - تراجم رجال روى عنهم محمد بن اسحق، (ن. فيشر). ليدن ١٨٩٠. وفي ZDMG، ١٨٩٠، ص ٤٣٢ وما بعدها.
الذهبي - ميزان الاعتدال في تراجم الرجال، ٣ أجزاء، القاهرة ١٣٢٥ هـ.
الزبيري، المصعب بن عبدالله - نسب قريش. (ن. ليڤي پروفنسال)، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٣.
السخاوي - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. دمشق ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠م).
ابن سعد - كتاب الطبقات الكبير. (ن. سخاء)، ٩ أجزاء، ليدن ١٩٠٤ - ١٩٤٠.
السمعاني - كتاب الأنساب. مجموعة تذكار جب XV، ليدن ١٩١٢.
ابن سيد الناس - عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير، جزءان. القاهرة ١٣٥٦هـ.
السيوطي - الشماريخ في علم التاريخ، (ن. سيبولد)، ليدن ١٨٩٤.
السيوطي - المزهر في علوم اللغة، (ن. أحمد جاد المولى ورفاقه). جزءان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك - الوافي بالوفيات، (ن. هـ. ريتر)، استانبول ١٩٣١.

الطبري - تاريخ الرسل والملوك، (ن. دي خويه)، ١٥ جزءاً، ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١. وطبعة المطبعة الحسينية، ١٣ جزءاً، القاهرة ١٣٣٦هـ.

الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن، ٣٠ جزءاً، القاهرة ١٩٠٣.

ابن عبدالحكم - فتوح مصر وأخبارها. (ن. توري). ليدن ١٩٢٠، ونيوهافن ١٩٣٢.

أبو عبيد، القاسم بن سلام - الأموال، (ن. محمد حامد الفقي). القاهرة ١٣٥٣هـ.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى - النقائض. (ن. بفان)، ٣ أجزاء، ليدن ١٩٠٧ - ١٩١٢.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى - مجاز القرآن. (ن. محمد فؤاد سزكين)، ج ١، القاهرة ١٩٥٤هـ.

عمر بن يوسف (السلطان الملك الاشرف) - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب. (ن. سترستين)، المجمع العلمي العربي، دمشق ١٩٤٩.

ابن قتيبة - المعارف. (ن. وستنفلد)، غوتنغن ١٨٥٠، و (ن. الصاوي)، القاهرة ١٩٣٥.

ابن كثير - البداية والنهاية في التاريخ. ١٤ جزءاً، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨هـ.

ابن الكلبي - كتاب الأصنام. (ن. أحمد زكي باشا، مع ترجمة وتعليقات بالالمانية بقلم روزا كلنكة - روزنبركر)، ليبزج ١٩٤١.

ابن الكلبي - جمهرة الأنساب (قسم منه) (مخطوط). المتحف البريطاني Add. 23297

المسعودي – التنبيه والأشراف: (ن. دي خويه)، ليدن ١٨٩٣.
المسعودي – مروج الذهب. (ن. دي مينار ودي كورتني)، ٩ أجزاء، باريس ١٨٦١ – ١٨٧٦.
المقدسي، مطهر بن طاهر – البدء والتاريخ. (ن. هوار)، ٦ أجزاء، باريس ١٨٩٩ – ١٩١٩.
المنقري، نصر بن مزاحم – صفين، (ن. عبدالسلام هارون)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٥.
ابن النديم – الفهرست. (ن. فلوجل)، ليبزج ١٨٧١ – ١٨٧٢.
ابن هشام – التيجان في ملوك حمير واليمن. (ن. ف. كرنكو)، حيدرآباد الدكن ١٣٤٧هـ.
ابن هشام – سيرة سيدنا محمد. (ن. وستنفلد)، جزءان، غوتنغن ١٨٥٩ – ١٨٦٠. و (ن. مصطفى السقا ورفاقه)، القاهرة ١٩٣٦.
الهمداني – الاكليل، ج ١ (قطعة منه). (ن. أوسكار لوفكرن)، ابسالا ١٩٥٣، ج ١٠ (ن. محب الدين الخطيب)، القاهرة ١٣٦٨هـ.
الواقدي – المغازي. (ن. فون كريمر)، كلكتا ١٨٥٦، و (ن. جماعة نشر الكتب القديمة)، القاهرة ١٩٤٨.
اليافعي – مرآة الجنان، ٤ أجزاء. دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن ١٣٣٧ – ١٣٣٩هـ.
ياقوت – معجم الأدباء. (ن. مرغليوت)، ٧ أجزاء، ليدن ١٩٠٧ – ١٩٢٧.
اليعقوبي – التاريخ. (ن. هوتسما)، جزءان، ليدن ١٨٨٣، و٣ أجزاء، المكتبة المرتضوية – النجف ١٣٥٨.

٢- المراجع الحديثة :

ABBOTT, Nabia : Studies in Arabic Literary Papyrii (I. Historical texts). University of Chicago Press, Chicago 1957.

BECKER, C.: Papyri Schott- Reinhardt, I. Heidelberg, 1906.

BLACHERE, R.: Histoire de la Litterature Arabe. Paris 1952.

BLACHERE, R.: Le Probleme de Mahomet, Paris 1952.

BROCKELMANN, C.: Geschichte der Arabischen Literatur, 2nd ed. Leiden 1943, 1949. - Supplement, 3 vols. Leiden 1937, 1938, 1942.

CASKELL, W.: Aijam al- Arab, Islamica III (1931), pp. 1-99.

CHAUVIN, V.: La recension egyptienne de 1001 nuits, Paris 1899.

Corpus inscriptionum semiticarum, pars quarta, 3 vols., Paris 1889-1931.

Encyclopedia of Islam.

FUCK, J.: Muhammad ibn Ishaq, Frankfurt am Main 1923.

GIBB, H.A.R.: The social significance of the Shu'ubiyya (in St. Or. Joanni Pedersen 1955).

GIBB, H.A.R.: Ta'rikh, in E. I. Supplement p. 233-245 (Leiden-London 1388).

GUIDI, I.: L'historiographie chez les Semites. Rev. Biblique III (1906) 509-519.

GOLDZIHER, Ign.: Muhammadanische Studien. 2 vols, Halle 1888-1890.

" : Etudes sur la tradition islamique (trad. Leon Bercher), Paris 1952.

HOROVITZ, J.: The earliest biographies of the Prophet and their authors.

Islamic Culture, I 535-559 (1927), II (1928) p. 22-50; 164-182; 495-526.

KRENKOW, F.: The two oldest books on Arabic folklore, Islamic Culture III (1928) p. 235 off.

LICHTENSTADTER, I.: Arabic and Islamic Historiography. Muslim world XXXV (1954) p. 126-132.

LOTH, otto von: Das classenbuch des Ibn Sa'ad. Leipzig, 1869.

MACKENSEN, R.S.: Arabic books and libraries in the Umayyad period.

A.J.S.L. LIII (1936-7) p. 247 off.

MARCAIS. W.: Les Origines de la prose litteraire Arabe, Revue Africaine LXVIII (1927) pp. 15-28.

MARGOLIOUTH, D.S.: Lectures on Arab Historians. Calcutta 1930.

MOBERRLY, A.: The Book of the Himyarites, London 1924.

NOLDEKE, Th.: Geschichte der Perser und Araber Zu Zeit der Sasaniden, Leiden 1879.

OBERMANN, Julius: The Idea of History in the Ancient Near East, "Early Islam". Yale University Press, New Haven 1955.

PELLAT, Ch.: Le Milieu Basrien et la formation de Gahiz, Paris 1953.

Repertoire d'Epigraphie semitique. Tomes V-VII (redigee par G. Ryckmans), Paris 1929-1950.

RICHTER, G.: Das Geschichtsbild der Arabischen Historiker der Mittelalters. Tubingen, 1933. (Philosophie und Geschichte 43).

also: Islamic Culture XXXIII (1959), p. 240-250.

ROSENTHAL, F.: A History of Muslim Historiography, Leiden 1952.

RYCKMANS, J.: L'Institution monarchique en Arabie Meriondale avant l'Islam. Louvain 1951.

SACHAU, E.: Introduction to vol. III, I. of Ibn Salad, p. 13 off. Leiden 1904.

" : Das Berliner Fragment des Musa Ibn Uqba (in Zitzungs-berichte der Preussichen Akademie des Wissenschaften, 1904).

SAUVAGET, J.: Introduction a l'histoire de l'Orient Musulman, Paris 1923.

WELLHANSEN, J.: Skizzen un Vorarbeiten, VI. Berlin 1899.

WUSTENFELD, F.: Die Geschichteschreiber der Araber und ihre werke. Gottingen 1882.

جواد علي – موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد) ج ١، ١٩٥٠م، ج ٢، ١٩٥١، ج ٣، ق ١، ١٩٥٢.

ثبت الموضوعات

فهرس أبجدي







هذا الكتاب

« ويهمنا بصورة خاصة أن ننتبه إلى " تاريخ التاريخ " أو تطور الكتابة التاريخية . ونحن بأمس الحاجة إلى دراسة وبحث تاريخ التاريخ لدى العرب وبدونها تتعذر الكتابة التاريخية النقدية. إننا لن نستطيع فحص مصادرنا التاريخية، وتقدير رواياتها، وتمييز القوي من الضعيف، والأول من التالي، والأصيل من الموضوع، ولن نميز الروايات التاريخية من القصص دون دراسة نقدية للمؤرخين ولتطور علم التاريخ عند العرب، إننا بحاجة لأن نفهم سبب نشأة الكتابة التاريخية عند العرب، لنرى دوافع كتابة التاريخ، واتجاهات المؤرخين وآراءهم التاريخية، وأسلوبهم في تمحيص الروايات وفي الكتابة ونظرتهم الى أهمية التاريخ ودوره في الحياة الثقافية والحياة العامة، ويهمنا أن نرى عوامل الوضع والارتباك في الكتابة التاريخية، من أثر التيارات السياسية والحزبية، إلى دور القصاص فيها، إلى أثر الأهواء إلى المؤثرات الدينية، وأن نرى أثر التطورات العامة في تطور الكتابة التاريخية. وبدون دراسة هذه النواحي يتعذر علينا أن نفهم قيمة المواد التاريخية المتيسرة لدينا، أو أن ننقد بحوث غيرنا، أو أن نخلّص تاريخنا من الشوائب التي لحقت به في الماضي والحاضر ».



إصدارات

مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTER FOR HERITAGE AND HISTORY

ص.ب : ٢٣٨٨٨ العين - الإمارات العربية المتحدة - هاتف : ٧٦١٥١٦٦ - ٣ - ٩٧١ ؛ فاكس : ٧٦١٥١٧٧ - ٣ - ٩٧١

P.O. BOX : 23888 AL AIN - U. A. E. - TEL. : 971 - 3 - 7615166, FAX : 971 - 3 - 7615177